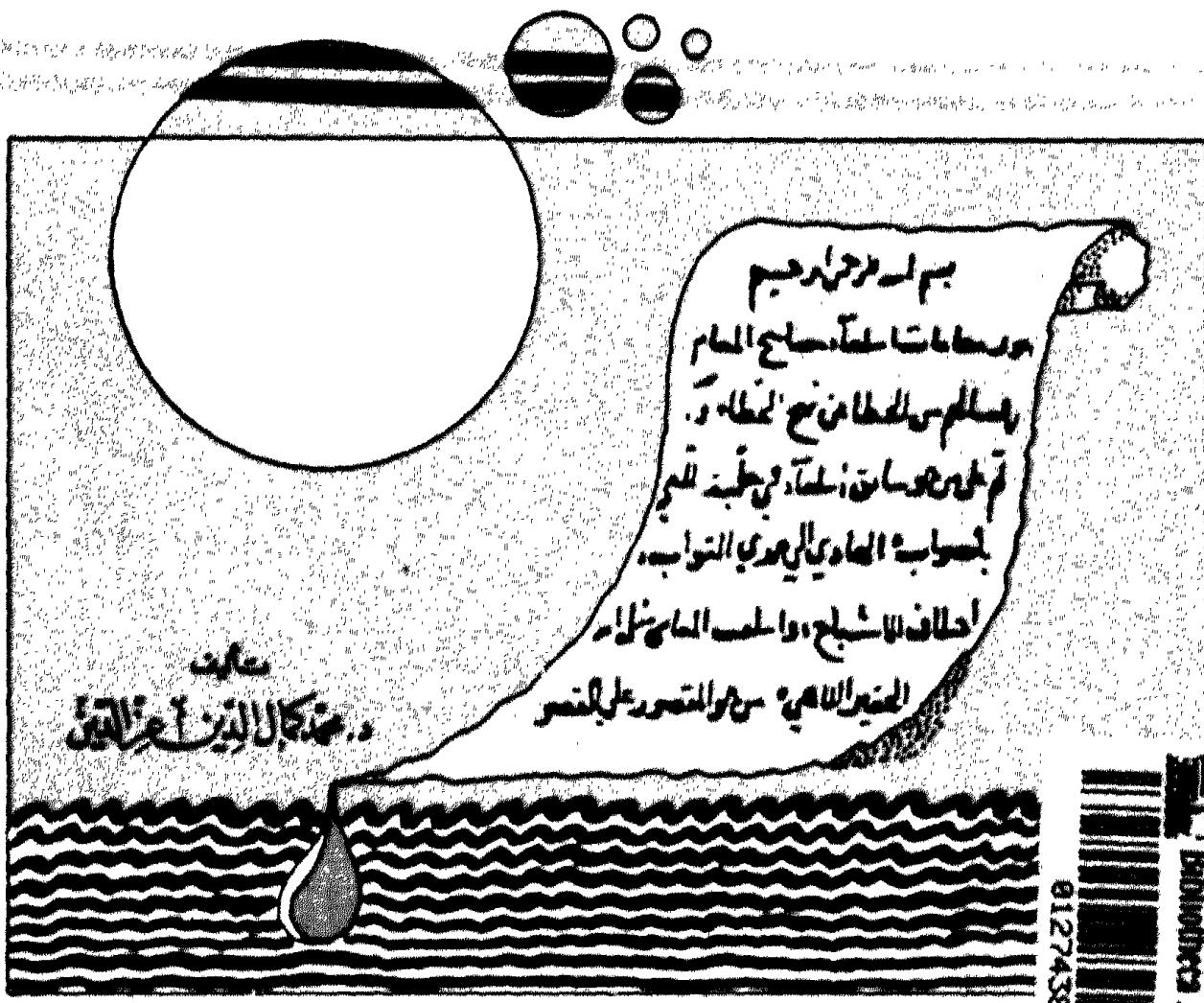


ابن حجر العسقلاني

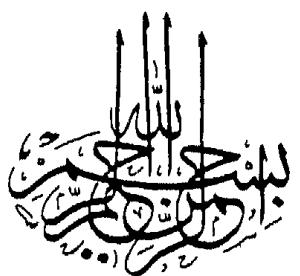
مؤرخ



Biblioteca Alexandria

عالم الكتب

ابن حجر العسقلاني
مؤرخاً



بَيْرُوت - المِرْعَة ، بَنَاءِ الإِيمَان - الطَّابِقُ الْأَوَّل - صَرْبَّ ٨٧٢٣
تَلْفُون: ٣٠٦٦٦ - ٣١٥١٤٦ - ٣١٣٨٥٩ - بَرْقِيَا ، نَابُولِيَّ - الْكَشْ ٢٢٢٩٠



٢

سُلْسِلَةُ الْمُؤْرِخِينَ

ابن حجر العسقلاني

مُؤْرِخًا

(٧٧٣-٨٥٦هـ)

تأليف

د. محمد كمال الدين لاعز الدين

عالم الكتب

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار
الطبعة الأولى
١٤٠٧ - ١٩٨٧ م



الإهداء

إلى روح والدي «مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاتحة البحث

شهد القرنان الثامن والتاسع من الهجرة نبوغ الكثرين من أعلام الثقافة والفكر في العالم الإسلامي، وكان من بينهم المؤرخون الذين اكتسبوا مكانة فائقة بين المساهمين في الفكر الإسلامي المشكلين لmadate.

لكن تأخرت طويلاً العناية بدراسة هذا التراث على أساس منهجية قائمة على النظرة العلمية الثانية، القائمة على العمق والتقصي والنقد، نتيجة لخطأ شائع مفاده أن نتاج هذين القرنين ليس إلا كتابات تمثل في الشروح وال اختصارات أو الجمع التأليفـي (الموسوعي) الخالي من الابتكار والجدة، سواء في المادة أو في المنهج^(١).

ولما لم يكن من سبيل إلى رد هذا الادعاء الخاطئ وإلى الإفصاح عن

(١) أنظر على سبيل المثال قول جاستون فييت: «... ولا ينبغي أن ننخدع بتکاثر المدارس الدينية والمساجد في ظل حكم سلاطين المماليك، فليس لذلك علاقة بنبوغ المدرسين، إذ لم يختلف لنا عنهم اسم واحد عظيم، ولم تخُرَج هذه المعاهد العلمية الكثيرة شخصية عظيمة أو كاتباً موهوباً، فهي لم تزد على كونها مدارس لتدريس المدرسين، وباستثناء القدمة لابن خلدون - ذلك العالم الفذ الذي تلقى تعليمه في المغرب - لم يظهر في القاهرة أي عمل أصيل. وقد تميز هذا القرن بكتاب الموسوعات والسير التي كثيراً ما كانت قليلة العمق، وواضعـي المجاميع، فلم تعرف فيه أعمال تتميز بالأصالة. كان هؤلاء الرجال يستحقون في حياتهم عبارات المديح وسيراً موجزة مليئة بالتعوت الرنانة، ولكن أسماءـهم تسقط في طيات النسيان» - القاهرة مدينة الفن والتجارة ص

الأصالة والجدة في مثل تلك المؤلفات، وتقديم مادة تأريخية متصلة يعتمد她的 الباحثون في البناء التاريخي إلا بالدراسة النهجية المتأنية للعمل الواحد تفهمهاً لمنهجه وأغراضه، فإنه قد اتجه الرأي لدى إلى اتخاذ «إنشاء الغمر بأنباء العمر» للمؤرخ المصري الشهير «شهاب الدين، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني» موضوعاً لهذه الدراسة.

أما الكتاب، فلأنه يعد من بين مؤلفاته التاريخية الكتاب الوحيد الجامع للحوادث والتراجم المعاصرة في حيز الحولية الواحدة، ولكونه معاصرًا لاداته مدركاً للكثير منها.

وأما المؤرخ، فلأنه علم من أبرز علماء عصره، الذين اتسعت معارفهم وتخصصاتهم فدخلوا في نطاق الموسوعين (أصحاب الجمع التأليفي) إذا ما ضمّ تراثهم الذي خلفوه بعضه إلى بعض، فلقد أسهم في التاريخ، والأدب، والشعر، والحديث والفقه، والتفسير.. وغيرها، ودخل في نطاق المؤرخين، والأدباء، والشعراء والمحدثين، والفقهاء، والمفسرين.. قياساً بما خلف من دراسات - في كل - قائمة على الأصالة والعمق.

لكن نتيجة للنظرة السالفة بيانها بالنسبة للتراث في ظل دولة المماليك ككل ونتيجة لغلبة جانب المحدث لدى «ابن حجر» على غيره من الجوانب التي نبغ فيها فإن الكثيرين من عنوا - مؤخرًا - بالتعريف بالحركة الفكرية في ظل الدولة المملوكية قد أثبتوه في جانب المحدثين، إهالًا له في جانب المؤرخين^(١) فإن تيسر لهم تقديم كلمة عجيلى للتعريف به، فإنه يأتي في ظل المقريزى، أو في طيات الحديث عنه باعتباره معاصرًا لأحد شوامخ التاريخ في مصر، فإذا ما عُرضت تلك الكلمة العجيلى على المنهج العلمي نجدها قد افتقدت كل مبررات وجودها باهتزاز معناها ومبناها معاً، ودللت على عدم اطلاع ودراسة لفكرة الرجل ونتاجه في مجال التاريخ.

(١) Dunlop, Arab Civilization To A.D., I 500 ومارغوليوس. دراسات عن المؤرخين العرب، وقد أسقطا «ابن حجر» من جانب المؤرخين.

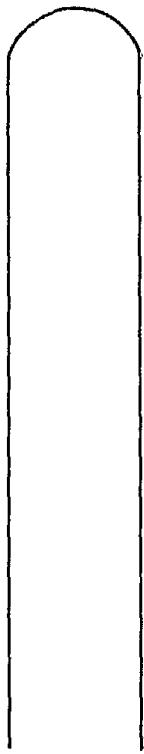
ولذا اتجهنا إلى إبراز جانب المؤرخ لدى «ابن حجر العسقلاني» من خلال هذا البحث، الذي أُسس على بابين اثنين، خصص أولهما للترجمة له، بينما خصص ثالثهما للتعرف على منهجه في الكتابة التاريخية من خلال دراسة مادة كتابه «إنباء الغمر بأنباء العمر»، باعتباره أهم ما خلف من مؤلفات تاريخية، لأسباب أبنا عنها في موضعها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا البحث كان في الأصل أطروحة جامعية أُجيزت بتقدير «ممتاز»، ثم قدر لها أن تنشر في نشرة شوهاء، مما دفعني إلى إعادة نشرها - الآن - بعد أن استغنيت عن الكثير من مادة الأطروحة الرئيسية تلخيصاً وحذفًا.

وبالله التوفيق، ومنه العون والسداد.

المؤلف

القاهرة - ديسمبر ١٩٨٦ م.



الباب الأول
ابن حجر العسقلاني
دراسة حياة (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ.)

- الفصل الأول : نشأته وتكوينه
- الفصل الثاني : شيوخه وأساتذته
- الفصل الثالث : رحلاته
- الفصل الرابع : وظائفه
- الفصل الخامس : حياته الإجتماعية
- الفصل السادس : علاقاته بشخصيات عصره
- الفصل السابع : مقومات شخصية
- الفصل الثامن : مرضه ووفاته

الفصل الأول

نشأته وتكوينه

ولد «أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد»^(١)،

(١) نسب «ابن حجر» مضطرب لا ضابط له، فقد يتأخر «محمود» على «أحمد» أو يسقط كها ورد بخطه في «الدرر الكامنة» في ترجمته لعم أبيه قائلاً: «عثمان بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود» ج ٢ ص ٤٥٠ تر ٢٦٠٧، وكذا في ترجمته لنفسه في كتابه «رفع الإصر» حيث قال: «أحمد بن علي ابن محمد بن محمد بن علي بن أحمد» مخط. دار الكتب المصرية ق ٣٦ ب، وفي خطبة كتابه «إنباء الغمر» قائلاً: «أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود بن أحمد» ط. القاهرة ج ١ ص ٣ لكنه خالف ذلك في حرف الحاء المهملة من كتابه «تبصير المتبه بتحرير المشتبه» في ذكره لعم أبيه قائلاً: «... وفخر الدين عثمان بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد» ج ١ ص ٤١٤، وكذا صنع في ترجمته لأبيه في القسم الثاني من «المجمع المؤسس» قائلاً: «علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد» مخط. الأسكندرية ق ٣٤٣ ب. وقد يزداد في آخر نسبه «أحمد يل» كما ورد في ترجمة المقريزي له في «جواهر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» وفي ترجمة الزين شعبان له - كذلك - لكن بإسقاط «محمود» - على حد قول السخاوي في «الجواهر والدرر» مخط. أحمد الثالث ق ١٥١٥ أ مثيرةً إلى أنه ورد كذلك بخط «ابن حجر» عينه في آخر نسخة من «صفة النبي صلى الله عليه وسلم».

ولعل «ابن حجر» كان مدركًا لوجود هذا الإضطراب في نسبه، وإلا لما تذر بقوله: أن نسبه يقرأ طرداً وعكساً - السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١، عبدالله بن زين، جمان الدرر مخط. دار الكتب المصرية ق ٢٢ - ولما ألق هذا الإنلاف في سلسلة نسبه بخطه هو.

أما ما ثبت في المتن فهو ما اعتمد السخاوي في ترجمته لشيخه بعد استعراض لسائر الصيغ المشار إليها سلفاً، ناعتاً لما ثبت في موضعين من ترجمته لشيخه في الجواهر والدرر قائلاً: «هذا هو المعتمد في نسبه» «... وإنما جزمت بالأول لكثرة ما وجدته كذلك بخطه، وإن تكرر بخطه كها =

المعروف بابن حجر، الكناني، العسقلاني، الشافعي، في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعين للهجرة^(١) في منزل كان يقع على شاطئ النيل بمصر، بالقرب

= في آخر شرح البخاري وغيره أنه أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر، لكن هذا أكثر - ق ١٥ - وكذا ما أثبته البقاعي في ترجمته لشیخه - عنوان الزمان ج ١ ق ٣٥ .

(١) ورد «لابن حجر» شاهد شعري أرخ فيه مولده، فائلاً:

«شعبان عام ثلاثة من بعد سبع مائة وسبعين اتفاق المولد»
(من الكامل)

كما ورد في ترجمته لنفسه في (رفع الإصر ق ٣٦ ب) أن مولده كان في «شعبان سنة ثلاثة وسبعين وسبعين» .

وهو بهذا يسقط اليوم المولود فيه، ولذا اجتهدت مصادر ترجمته في تحديد ذلك اليوم، فوقع بينها اختلاف كبير، حيث أشار «الشوکانی» - البدر الطالع ج ١ ص ٨٨ - إلى أنه ولد في الثاني من شعبان - ولعله خطأ طباعي، أو تصحيف في أصل الكتاب، كما أن «البقاعي» - عنوان الزمان ج ١ ق ٣٥ - و«السيوطى» - المنجم في المعجم ق ١٣٠، نظم العقيان ص ٤٥ - و«ابن العماد» - شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٧٠ - يجعلون مولده في الثاني عشر من شعبان، على حين أن «ابن خطيب الناصرية» - الدر المتنبّح ج ١٠٦ ب. و«ابن تغري بردي» - المهل الصافي خط. أحمد الثالث ج ١ ق ٦١، الدليل الشافىي ق ١١ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٣ - و«السحاوى» - الجواهر والدرر ق ١٤، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦ - و«ابن طولون» - القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٤ - فإنهم يجعلون مولده في الثاني والعشرين من شعبان، أما «ابن فهد المكي» - لحظ الألحاظ ص ٣٢٦ - و«الغزى» - بهجة الناظرين ق ٧٧ أ - فإنها يشيران إلى أن يوم مولده هو الثالث والعشرون من شعبان.

وهكذا حصر يوم مولده لدى مصادر ترجمته بين «الثاني من شعبان» و«الثالث والعشرين منه». وهي نقول لا يرتاح إلى إثبات أحدها لعدم التتحقق من صحتها، فضلاً عن تضاربها، على حين أن مولده في ترجمته لنفسه أقى فيها غفلًا من إثبات اليوم، فضلاً عن أن البعض من ترجم له محدداً لذلك اليوم السحاوى والسيوطى قد أسقط ذلك اليوم من ترجمته له في مواضع أخرى من مؤلفاته، أو عمد إلى عدم التأريخ كلية لمولده. فلقد وردت ترجمته لدى «السحاوى» في التبر المسبوك ص ٢٣٠ وقد سقط منها تحديد ذلك اليوم، على حين أنه ترجمه في الذيل على رفع الإصر ص ٨٩ - ٧٥ متوجهًا تماماً التأريخ لولادته، أما «السيوطى» فإنه ترجمه في التحدث بنعمة الله ص ٤٥ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٣ وذيل طبقات الحفاظ ص ٣٨١ مسقطاً اليوم والشهر المولود فيها.

من دار النحاس^(١) والجامع الجديد^(٢) حيث كان أبوه «أبا الفضل»^(٣) تشبهه بعض قضاة مكة^(٤) ولقبه «بشهاب الدين». أما شهرته «بابن حجر» - بفتح الحاء المهملة والجيم بعدها راء - فلا يضيّع إن كان لقباً لأحمد الأعلى في نسبه، أم إسمأً لوالد أحمد المشار إليه^(٥) - على حين أن الكناني - بكسر الكاف وفتح النون وبعد الألف نون ثانية - نسبة إلى قبيلة كنانة^(٦) والعسقلاني - أصل لهم^(٧) وهي مدينة كانت بساحل الشام من فلسطين^(٨) نقلهم منها «صلاح الدين

(١) اختط دار النحاس وردان الرومي - مولى عمرو بن العاص - ثم جعلت ديواناً في إمارة مسلمة بن خلد - ابن دقماق الإنتصار لواسطة عقد الأمصار ص ٦ ق ١.

(٢) هو الجامع الجديد الناصري - راجع بشأنه، المقربي. الخطط. ج ٢ ص ٣٠٤.

(٣) ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ١١٧ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥ ب، ويضيف السخاوي إلى ذلك أن الزين العراقي كانه على الجادة «أبا العباس»، وكذلك كانه بها البهاء ابن العلي... وغيرهما وكناه آخر «أبا جعفر» ونص على أنه شذوذ - الجواهر والدرر ق ١٥ ب، أ ٢٨ - لكن يبدو أن تكنية أبيه له هي التي كانت معتمدة لديه وغالبة عليه وإلا لما وردت بصيغة اسمه في ترجمته لنفسه، وفي ترجم سواه له، ولما كان هو - في حاجة إلى جمع مؤلف في «القصد الأحمد بن كنيته أبو الفضل وأسمه أحمد».

(٤) هو القاضي «أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز العقيل التوسي»، حيث أصطبغ به أبوه إليه حدثاً - السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥ ب.

(٥) أورد كل من السخاوي في الجواهر والدرر ق ١٦ ب، و«البقاعي» في عنوان الزمان ج ١ ق ٣٦ في ترجمتها لابن حجر جواباً منظوماً لاستدعا. أشار فيه «ابن حجر» إلى ذلك قائلاً:

من أحد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني المحتد
وبلد جد أبيه أحمد لقبوا حجراً وقيل بل لوالد أحمد

(الكامل)

ويلاحظ أن البقاعي قد تفرد بإيراد القصيدة مكتملة.

(٦) أشار «ابن حجر» في المجمع المؤسس إلى أنه رأى بخط أبيه أنه «كناني النسب» ق ٢٤٣ ب، كما أفاد «السخاوي» في ترجمة شيخه أن «ابن حجر» كتب مرة أنه الكناني القبيلة - الجواهر والدرر ق ١٦ أ.

(٧) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٣ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦ أ.

(٨) عسقلان - بفتح أوله وإسكان ثانية - مدينة كانت تقع بالشام من أعمال فلسطين على ساحل =

الأيوبي» إلى مصر لما خربها، بعد أن رأى المصلحة في ذلك لعجز المسلمين عن حفظها من الفرنج، فوضعت فيها المعاول في سحر ليلة الخميس تاسع عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسماة^(١).

وعلى الرغم من أن أهله كانوا قد استقروا بمصر بعد نقلتهم إليها، وارتفع نجمهم فيها، واستحوذوا على السبق بين رجالاتها، فإن مصادرنا لا تمننا بمعلومات وافية عن الأصل الذي تحدّر منه ابن حجر - مؤرخنا - أو أهله، مما يجعل جل معلوماتنا منحصرة في أن:

عم أبيه :

«فخر الدين عثمان بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود»^(٢) الكناني الشافعي، المعروف بابن البزار، وابن حجر (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٥ هـ.) سكن ثغر الأسكندرية، وكان بحاثاً نقاًلاً، انتهت إليه رئاسة الإفتاء على المذهب الشافعي هناك، وتفقه به جماعة منهم: «الدمهوري»، و«ابن الكويك».. حتى صار منعوتاً لدى البعض^(٣) «بفتى الثغر، وفقيه الشافعية في زمانه»، وأنه أوجب

= البحر بين غزة وبيت جبرين، واشتقاق اسمها من «العساقل» وهو السراب، أو من «العسقل» وهو الحجارة الضخمة وذكر بعضهم أن «العسقلاني» أعلى الرأس - البكري. معجم ما استعجم ج ٣ ص ٩٤٣، ياقوت. معجم البلدان ج ٤ ص ١٢٢، المشترك وضعاص ص ٣٠٨، ابن شاهنشاه. تقويم البلدان ص ٢٣٨، البغدادي. مراصد الاطلاق ج ٢ ص ٩٤٠ ابن شداد الأعلاق الخطيرية ج ٣ ص ٢٥٨ - ٢٦٣.

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٣ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦، وعن خراب عسقلان: العماد الأصفهاني. الفتح القسي بالفتح القدسي ص ٥٥١ - ٥٥٠، ابن الأثير الجزري. الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٢١٦، ابن شداد. التوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ١٨٦ - ١٨٨، المقدسي. الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ١٩١ - ١٩٢.

(٢) ترجمة ابن حجر في الدرر الكامنة ج ٢ تر ٢٦٠٧ ص ٤٥٠، وتبصیر المتبه ج ١ ص ٤١٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦ ب.

(٣) هو «العفيف المطري»، حيث ذكره في ذيل طبقات الفقهاء - السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦ ب.

ولدين فقيهين هما: ناصر الدين أحمد، وزين الدين محمد.

جده:

أما أخوه فخر الدين عثمان، وهو جد - مؤرخنا - لأبيه، «العدل»، قطب الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن جلال الدين علي^(١) المعروف - كذلك بابن حجر، وابن البزار (ت ٧٤١ هـ. / ١٣٤١ مـ) فإن اشتغاله بالتجارة لم يعقه عن تحصيل العلم، حيث تشير المصادر إلى أنه سمع من جماعة، منهم «أبو الفضل بن عساكر»، و«ابن القواص»، وغيرهما.. وأنجب أولاداً منهم: كمال الدين، ومحب الدين، وولي الدين، ونور الدين، وهو أصغرهم.

أسرته:

أما «نور الدين علي»^(٢) - والد مؤرخنا - (ت ٧٧٧ هـ. / ١٣٧٦ مـ) فقد كان رئيساً محتشماً من أعيان تجار الكارم^(٣) موصوفاً بالعلم والديانة والأمانة ومكارم الأخلاق، ومحبة الصالحين والمبالغة في تعظيمهم^(٤).. اهتم من بين أخوته بالاشغال بالعلم^(٥) فسمع من «ابن سيد الناس» (ت ٧٣٤ هـ. / ١٣٣٤ مـ) وطبقته، ولازم «البهاء بن عقيل» (ت ٧٦٩ هـ. / ١٣٦٨ مـ)، وكان «ابن عقيل» يحبه ويعظمها، ويبالغ في الثناء عليه^(٦).

(١) ترجمه ابن حجر في المجمع المؤسس ١٤٣ أخط. الأحمدية، تبصیر المتّبه ج ١ ص ٤١٤، السحاوي. الجوواهر والدرر ق ١٧.

(٢) ترجمه ابن حجر في المجمع المؤسس ٣ ب، ٢٤٤ أ، إنباء الغمرج ١ ص ١١٦ - ١١٧ تر ٤٣، تبصیر المتّبه - في حرف الخام المهملة ج ١ ص ٤١٥، علي حين ذكره في الدرر الكامنة وبيض له ج ٣ ص ١١٧، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ق ٧٧، السحاوي. الجوواهر والدرر ق ١٧.

(٣) ابن خطيب الناصرية. الدر المتنخب ج ١ ق ١٠٦ ب، البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٦.

(٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٦، السحاوي. الجوواهر والدرر ق ١٧.

(٥) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٣ أ، السحاوي. الجوواهر والدرر ق ١٧.

(٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٦، السحاوي. الجوواهر والدرر ق ١٧، الذيل على رفع الإصر ص ٧٥.

وعلى الرغم من أنه لم يكن له بالحديث النبوى المام^(١) فإنه كان قد مهر في الفقه والعربية والأدب . . .^(٢) وأجيز بالفتوى والقراءات ، وحفظ القرآن الكريم^(٣) وحفظ - كذلك - الحاوي الصغير^(٤) ونقله^(٥) كما كان له إس्�تدراك على «الأذكار» للنووى (ت ٥٩٦ هـ . / ١٢٠٠ م .)^(٦) ناهيك عن النظم الكثير السائر^(٧) . حيث خلف دواوين شعر منها «ديوان الحرم» مدائح نبوية ومكية في مجلدة - ذكره له ولده - كما كانت له صحبة ومطارحات مع «ابن نباته»^(٨) (ت ٧٦٨ هـ . / ١٣٦٧ م) . و«البرهان القيراطي» (ت ٧٨١ هـ . / ١٣٦٧ م) . وناب عن «ابن عقيل» ، ثم تُرِكَ وأقبل على شأنه مكثراً من الحج والمجاورة^(٩) .

تزوج من امرأة ثيب هي «تجار بنت أبي بكر بن الشمس محمد بن إبراهيم الزفناوى» أخت «صلاح الدين» أحد التجار الكارميه^(١٠) . وكان قد أنجب من غيرها ولداً أثكله بعد أن قرأ الفقه ، وفضل ، وعرض المهاجر - فوجد عليه جداً^(١١) . أما هي فلقد استولدها وهو بطريق الحجاز - في رجب سنة سبعين -

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٣ ب.

(٢) نفسه، إنباء الغمرج ١ ص ١١٦ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١١٧، الذيل على رفع الإصر ص ٧٥.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ .

(٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٧ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ .

(٥) ابن حجر. تبصير المشتبه ج ١ ص ٤١٥ .

(٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٦ .

(٧) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٤ أ، تبصير المشتبه ج ١ ص ٤١٥ .

(٨) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٦ - ١١٧ ، المجمع المؤسس ق ٢٤٤ .

(٩) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٦ ، وج ٣ حاشية رقم ١ ص ٢٨٠ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٧٥ .

(١٠) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ ب ، ١٩ ب.

(١١) ابن حجر. الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٣٢ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦ أ ولعل أمه هي أخت «علي بن عبد العزيز بن أحمد الحروبي» (ت ٨٠٢ هـ . / ١٤٠٠ م .) أحد أعيان التجار =

بنتاً، جاء اسمها «ست الركب» مناسباً لذلك^(١). كما استولدها ابناً - هو مؤرخنا - وكان قبله قد حضر إلى بعض المعتقدين بمصر^(٢) فبشره بخلف الله عليه قائلاً: «يخرج من ظهركم عالم يملاً الأرض على»^(٣) .. بيد أن الوالد توفي، ولما يستكمل كلامهما - الابنة والولد - سن الشباب، حيث كانت الابنة عند فقد الوالد قد اكتمل سنها سبع سنين، كما كان عمر الولد أربعاء^(٤). وكانت والدتها قد سبقته إلى جوار ربهما بمنة فعاشا يتيمين.

وكان طبيعياً أن يترجم مؤرخنا لأبيه بعد قائلاً: «وأنا الآن أعقله كالذي يتخيل الشيء ولا يتحققه»^(٥).

كما كان لها أخ من أمها اسمه «عبد الرحمن بن الشهاب أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْمَهِيمِنِ الْبَكْرِيِّ» ذكره في المجمع المؤسس - مشيراً إلى أنه مهر وحصل مالاً أصله من قبل أمه، فقدر الله تعالى موته - (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) - فورثه أبوه فمزق ماله، وكان الأب قد ناب في القضاء واستغل وسمع وعني بالنظر في كلام الصوفية ومقالة ابن عربي التي كان داعية لها^(٦).

ويبدو أن والدتها كان كلغاً بها، حيث يشير ابن حجر إلى أن أباها قد حصل لابنته «ست الركب» في السنة التالية لم ولدتها لإجازات اتصلت بمصر وتونس، ومكة، والمدينة، وحلب، ودمشق، وبعلبك، والمزة^(٧) كما اصطحبهما - قبل

= مصر، حيث يشير ابن حجر في ترجمته إلى أن والده كان قد تزوج أخته، وماتت قبله - إباء الغمرج ٢ ص ١٢٣.

(١) نفسه ج ١ ص ٥١٧، السخاوي. الجوهر والدرر ج ١٧ ب.

(٢) هو «مجي الصنافيري» (ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧١ م) - ابن حجر. الدرر الكامنة ج ٤ تر ١١٩٩ ص ٤٣١.

(٣) نفسه ج ٤ ص ٤٣٢ ، السخاوي. الجوهر والدرر ج ١٦ ب الذيل على رفع الإصر ص ٧٥.

(٤) ابن حجر. إباء الغمرج ١ ص ١١٧.

(٥) نفسه.

(٦) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤١ ب - ٤٢ أ.

(٧) نفسه ق ٢٢٧ أ، السخاوي. الجوهر والدرر ج ١٩.

موته - للحج والمجاورة بمكة، والقدس، والخليل^(١)). وأوصى بولده كبير التجار «الزكي الخروبي» (ت ٧٨٧ هـ. / ١٣٨٦ م.)، والشيخ «شمس الدين بن القطان» (ت ٨١٣ هـ. / ١٤١١ م.) لاختصاصه به، بعد أن ترك لهما ثروة لا يأس بها، بقيت في معظمها إلى أن رشد مؤرخنا.

على أن مصير البنت - بعد فقد الأب - قد آلت إلى التنشئة الحسنة، حيث تعلمت الخط، وحفظت الكثير من القرآن الكريم، وأكثرت من مطالعة الكتب فمهرت في ذلك جداً، بحيث كان يظن من يراها تقرأ من الكتاب أنها تحفظه بجودة استخراجها، وتزوجت وهي صغيرة من «شمس الدين محمد بن السراج عبد العزيز الخروبي» فاستولدها ولداً وبنتاً^(٢). أما الولد وهو «صلاح الدين» فمات قديماً، وأاما البنت، وهي «فواز» فقدر لها السفر إلى الحجاز صحبة زوجها حيث احتل عقلها بكة، واستمرت تهذى في الكلام جداً مع استحضار في أوقات العبادة حتى ماتت - سنة اثنين وخمسين وثمانمائة - وصلى عليها خالها^(٣).

وظل «ابن حجر» يحمل لأنخته إجلالاً وتقديراً، دفع به إلى الترجمة لها في موضوعين من مؤلفاته، على فترتين متلاقيتين، مشيراً إلى ذلك بقوله: «كانت بي برة رفقة محسنة، جزاها الله عن خيراً، فلقد انتفت بها وبآدابها مع صغر سنها»^(٤). وإلى أنها «كانت قارئة كاتبة أعجوبة في الذكاء، وهي أمي بعد أمي»^(٥). ويظهر توجهه بفقدتها قوله: «.. ماتت شابة في جمادي سنة ثمان وتسعين وسبعمائة - عوضها الله الجنة»^(٦). قوله: «أصبت بها في جمادي الآخرة من هذه السنة»^(٧).

(١) المصادران السابقان: ق ٣١، أ، ١٧ ب - على التوالي.

(٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٧ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٩ ب.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٩ ب - ٢٠ أ، الضوء اللماع ج ١٢ ص ١١٦ تر ٧٠٢.

(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٧ أ.

(٥) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٥١٧ تر ٢٠.

(٦) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٧ أ.

(٧) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٥١٧ تر ٢٠.

أما مؤرخنا فقد نشأ - مع يتمه - في «غاية العفة والصيانة والرياسة»^(١) في كنف أحد أوصيائه «الزكي الخروبي»^(٢) حيث اعتنى به - غاية العناية فأخذ المكتب بعد أن اكتمل سنّه خمس سنوات^(٣) فقرأً به على «الشمس العلاف»^(٤) و «الشمس الأطروش»، لكنه لم يكمل القرآن الكريم حفظاً إلا عند «الصدر السقطي» (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)^(٥) وقد بلغ من العمر تسع سنوات^(٦). ثم لم يتتهيأ له أن يصل إلى الناس التراويخ - على جاري العادة - إلا سنة خمس وثمانين وثمانمائة - بمكة والقدس - وقد اكتمل عمره الثاني عشرة سنة^(٧) حيث كان صحبة وصيه في الحجج والمجاورة بمكة والقدس سنتي: أربع، وخمس وثمانين وسبعمائة^(٨). وهناك اشتغل بالإعادة^(٩).

(١) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ أ، الذيل على رفع الإصر ق ٧٥.

(٢) هو «أبو بكر بن علي بن محمد بن الخروبي» كبير التجار الكارميين في مصر على وقته - ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٣٠٦ تر ٩، الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٥١ - ٤٥٠ تر ١٢٠٥، المجمع المؤسس ق ٢٢٢ ب.

(٣) ابن حجر. رفع الإصر ق ٣٧ أ، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٧٥.

(٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٣٧١.

(٥) هو «محمد بن محمد بن عبد الرزاق بن عيسى بن عبد العزيز بن عمران بن حجاج، الصدر السقطي» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٨، السخاوي. الضوء اللامع ج ٩ ص ٩ - ٢٢٧ تر ٥٥٦.

(٦) ابن حجر. رفع الإصر ق ٣٧ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٧٥، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٦، عبدالله بن زين. جهان الدرر ق ٢٠ أ.

(٧) ابن حجر. رفع الإصر ق ٣٧ أ، إنباء الغمرج ١ ص ٢٦١، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٧، البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ص ٣٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٧٥.

(٨) ابن حجر. رفع الإصر ق ٣٧ أ، إنباء الغمرج ١ ص ٢٦١، السخاوي الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٦، الجواهر والدرر ق ٢٠ ب.

(٩) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٢٦١، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب.

ووصل اعتماء الوصي به حداً جعله يهيء له هناك الجو المناسب للإقبال على الاشتغال، فتخير له مكاناً ساعد على ذلك^(١). كما قدر له أن يسمعه غالب صحيح البخاري على «العفيف النساوي» (ت ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م)^(٢) وقد تصادف وجوده هناك، فكان - بذلك - أول شيخ سمع «ابن حجر» عليه الحديث^(٣). كما كان «الجمل ابن ظهيرة» (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥ م)^(٤) - وقدقرأ عليه في عمدة الأحكام - أول شيخ بحث عليه في فقه الحديث^(٥).

وما هو إلا أن عاد صحبة وصيه إلى مصر - محل إقامته - سنة ست وثمانين وسبعمائة^(٦) ليحفظ كتبًا من مختصرات العلوم كالعمدة في الأحكام^(٧)

(١) حيث كان محل السماع تحت سكن الخروبي - المذكور - في البيت الذي بباب الصفا على يمنة الخارج إلى الصفا، وكان به شباك مطل على المسجد الحرام، يشاهد من يجلس فيه الكعبة والركن الأسود، فكان المسمى والقارئ يجلسان عند الشباك، دون مصطبة تحت الشباك المذكور، كان يجلس عليها مؤذنه ومن يدرس معه - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب.

(٢) هو «عبدالله بن محمد بن سليمان بن موسى النيسابوري الأصل ثم المكي، المعروف بالنساوي» - ابن حجر، إنباء الغمر ج ١ ص ٣٥٨ - ٣٥٩، المجمع المؤسس ق ٨٣ ب - ٨٥ أ، الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٠٠ - ٣٠١ تر ٢٢٢٩، ابن طولون. القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٤.

(٣) ابن حجر. رفع الإصرق ٣٧ أ، إنباء الغمر ج ١ ص ٣٥٩، المجمع المؤسس ق ٨٤ ب، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٦، البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ص ٣٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب.

(٤) هو «محمد بن عبدالله بن ظهيرة بن أحمد بن عبدالله بن عطية بن ظهيره بن مرزوق بن محمد بن سليمان المخزوبي المكي الشافعي» - له ترجمة: في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٢٦٩، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٦، إنباء الغمر ج ١ ص ٤٥ - ٤٦، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٥٣ - ٢٥٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ٩٢ - ٩٥.

(٥) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٦ أ، إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، الضوء اللامع ج ٨ ص ٩٤.

(٦) ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ٨٨، الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٥٠، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، عبدالله بن زين، جان الدرر ق ٣ أ.

(٧) هو «العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام» لابن سرور الجماعيلي المقدسي =

والحاوي الصغير - كتاب أبيه^(١) - وختصر ابن الحاجب الأصلي^(٢) والملحة للحريري^(٣) .. عرضها - على العادة - على جماعة من الأئمة كتبوا خطوطهم له بذلك^(٤). كما تعلم الخط المنسوب على «أبي علي الزفتاوي» (ت ٨٠٦ هـ. / ١٤٠٤ م)^(٥).

وظهر من مؤرخنا - حينئذ - ما ينبه إلى مستقبل باهر ينتظره، فلقد رزق في صغره سرعة الحفظ، فكان كل يوم يحفظ نصف حزب، وبلغ من أمره في ذلك أن حفظ سورة مریم في يوم واحد، كما كان أكثر الأيام يصحح الصفحة من الحاوي الصغير، ثم يقرؤها تأملاً مرة أخرى، ثم يعرضها في الثالثة من حفظه.. فقد كان حفظه تأملاً على طريقة الأذكياء^(٦).

ثم قدر له أن يقرأ القرآن - الكريم - تجويداً على «الشهاب الخيوطي» (ت ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٥ م)^(٧) آنذاك^(٨).

= «ت ٦٠٠ هـ. / ١٢٠٤ مـ.» ويحتوي على أحاديث الأحكام مما اتفق عليه البخاري ومسلم، واردة بترتيب كتب الفقه.

(١) هو مختصر أبيه من الحاوي الصغير - في الفقه الشافعي - للنجم القزويني (ت ٦٩٥ هـ. / ١٢٩٦ مـ.).

(٢) هو مختصر كتاب «متنهى السؤل والأمل في علم الأصول والجدل» لأبي عمرو ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ. / ١٢٤٨ مـ.).

(٣) منظومة في النحو تسمى «ملحة الإعراب» للقاسم الحريري (ت ٥١٦ هـ. / ١١٢٢ مـ.).

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ج ٢١ أ، التبر المسبوك ص ٢٣٠، الذيل على رفع الإصر ص ٧٥، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٦، عبد الله بن زين. جان الدرر ج ٣ أ.

(٥) هو «محمد بن أحمد بن علي، أبو علي الزفتاوي، ثم المصري المكتب» ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٥، الدرر الكامنة ج ٢ ص ٨٩، السخاوي الضوء اللامع ج ٧ ص ٤٦ تر ٤٦.

(٦) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٦، البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٦، السخاوي. الجواهر والدرر ج ٢١ أ، ابن طولون. القلائد الجوهريّة ج ٢ ص ٤٥٤، عبد الله بن زين. جان الدرر ج ٣ أ.

(٧) هو «أحمد بن محمد بن الفقيه علي الخيوطي» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢١٦.

(٨) السخاوي. الجواهر والدرر ج ٢١ أ، ابن طولون. القلائد الجوهريّة ج ٢ ص ٤٥٤.

ويبدو أن وفاة «الزكي الخروبي» (ت ٧٨٧ هـ / ١٣٨٦ م) كانت سبباً في انشغال «ابن حجر» عن الإشتغال مدة ثلاث سنوات، لم يقدر فيه أن يباشره غيره أو يوجهه^(١) إلى أن انتقل إلى وصاية «الشمس ابن القطان» (ت ٨١٣ هـ / ١٤١١ م)^(٢) فحضر دروسه في الفقه وأصوله، والعربية، والحساب.. وغيرها وقرأ عليه شيئاً من الحاوي الصغير - مع كونه لم يحمد تصرفه في تركته^(٣).

وهذه الفترة التي تخللت الإنقال من وصي إلى وصي لم تخل من فائدة حقيقة فقد اشتغل فيها بطلب ما غالب على العادة طلبه من أصل وفرع ولغة ونحوها^(٤) كما حب إليه النظر في التواريخ وأيام الناس، فأقبل على ذلك مطلعاً بالعربية مرة وبالأجرة أخرى^(٥). كما سمع فيها اتفاقاً من بعض المسندين^(٦). ونظر في فنون الأدب ففاق فيها حتى كان لا يسمع شعراً إلا ويستحضر من أين أخذه ناظمه وتولع بذلك وما زال يتبعه خاطره حتى فاق فيه وساد وطارح الأدباء، وقال الأدب شعراً ونشرأ، وكتب عنه^(٧).

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٧٧، ابن طولون. القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٤، عبدالله بن زين. جهان الدرر ق ١٣.

(٢) هو «محمد بن علي بن محمد بن عمر بن عيسى بن محمد، الشيخ شمس الدين ابن القطان المصري الشافعي» - ابن حجر. إنماء الغمرج ١ ص ٤٧٦، المجمع المؤسس ق ٢٦٨ ب ب ٢٦٩ - أ.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٧٧، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٧، عبدالله بن زين، جهان الدرر ق ١٣.

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ ب.

(٥) وكان ذلك بترغيب غير واحد، منهم «البدر البشتكى» (ت ٨٣٠ هـ / ١٤٢٧ م) وقد أعاشه ياعارة الأغاني لأبي الفرج الأصفهانى وغيرها - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ ب، عبدالله بن زين. جهان الدرر ق ٣ ب.

(٦) كالنجم ابن زين، والصلاح الزفتاوي، وأبي الفرج الغزي... - السخاوي الجواهر والدرر ق ٢١ ب، ابن طولون. القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٤.

(٧) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٧، البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٦ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ ب، عبدالله بن زين. جهان الدرر ق ٣ ب.

وهكذا - فإن الفترة بين سنتي سبع وسبعين وسبعمائة، وست وتسعين وسبعمائة تثل الإرهاصات الأولى للتكوين الفكري لدى «ابن حجر» والتي اطلع فيها على الكثير من الكتب التقليدية السائد الإطلاع عليها وحفظها في عصره، شأنه في ذلك شأن غيره من النشء المعني به. فلما فرغ من ذلك اتجه بكليته سنة ست وتسعين وسبعمائة - إلى العلم بمنهجية، يتعقب فيه على جاري عادة العلماء وقد فرغ من مرحلة الطلب المبدئي، ولذا نجده يكتب بخطه تجاه هذا التاريخ :

«رفع الحجاب، وفتح الباب، وأقبل العزم المصمم على التحصيل، ووفق للهداية إلى سواء السبيل»^(١).

فاتجاه إلى الأخذ عن مشايخ ذلك العصر، وقد بقي منهم بقايا^(٢).

وهنا يمكن تفسير ذلك على خلاف ما ورد لدى بعض مراجع ترجمته^(٣) من أن المقصود بذلك هو اندفاعه بالكلية إلى الحديث النبوى، لأنه في هذه الفترة وما يليها لم يقصر همه على الحديث النبوى - فقط - وإن جعل لتحصيله الصدارة بين العلوم والمعارف، وإنما كان الحرص على تحصيله مع الإمام بغيره على سبيل التعمق فيها، والدليل على ذلك :

- هذا العدد الجم من المتخصصين الذين أخذ عنهم في آن واحد^(٤).

- وهذا الكم الهائل، والمتنوع من صنوف المعرفة التي حصلها في رحلاته وغيرها، حيث لم تكن منحصرة في الحديث وعلومه، وإنما تعدت إلى اللغة،

(١) السخاوي. الجوهر والدرر ق ٢٢ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٧٩، عبد الله بن زين. جان الدرر ق ٣ ب.

(٢) نفسه.

(٣) د. شاكر محمود عبد المنعم. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه في كتابه الإصابة ج ١ ص ٩٠ - ٩١.

(٤) أورد «ابن حجر» في «المجمع المؤسس» نحوًا من أربعمائة وخمسين شيخاً له بالسماع والإجازة الخاصة دون الإجازة العامة.

والأدب، والشعر، والفقه، والتفسير، القراءات والتاريخ .. الخ.

- بالإضافة إلى عبارة السخاوي قرین هذا الموضع، ونصها: «... وأخذ بهمة وافرة، سليمة باهرة في طلب العلوم: منقولها ومعقولها، حتى بلغ الغاية القصوى، وصار كلامه مقبولاً عند أرباب سائر الطوائف، لا يعدون مقالته لشدة ذكائه، وقوه باعه، حتى كان حقيقة بقول القائل:

وكان من العلوم بحيث يقضى له في كل علم بالجيمع»^(١)

- وقول البقاعي: «... فأطلق عنان عزمه نحو بقية العلوم. فأكب عليها: الفقه والنحو، والأصولين، وعلوم الأدب: المعاني والبيان... وغيرها - حتى مهر فيها»^(٢).

- قوله ابن فهد المكي: «... وجد في طلب العلوم بلغ الغاية القصوى»^(٣).

وهذا - لا شك - يشير إلى أن هذه الفترة تمثل اتجاهًا مغايراً لفترة الطلب الأولى - وهي فترة التثقيف الذاتي - إنما فترة الإختصاص بالعلم، وليس التخصص في فرع من فروعه.

(١) السخاوي. الجوادر والدرر ق ٢٦ أ، عبدالله بن زين. جان الدرر ق ١٧ أ.

(٢) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٧ - ٣٨.

(٣) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٣٠.

الفصل الثاني

شيوخه وأساتذته

من حسن حظ مؤرخنا أن اجتمع له من الشيوخ الذين يُشار إليهم، ويُعَوَّل في حل المشكلات عليهم ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، لأن كل واحد منهم كان متبحراً ورأساً في فنه الذي آشتهر به لا يُتحقق فيه.. . «فالبرهان التنوخي» (ت ٨٠٠ هـ. / ١٣٩٨ م.)^(١) في معرفة القراءات وعلو سنته فيها، وتفرد بالكثير من المسموعات الحديثة و«الزين العراقي»^(٢) (ت ٨٠٦ هـ. /

(١) هو «إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعد بن علوان بن كامل التنوخي البغلي، ثم الشامي، برهان الدين».

اجتمع به «ابن حجر» وخرج له عشراتيات مائة، والأربعين العشارية ومعجم شيوخه - المعجم الكبير - في أربعة وعشرين جزءاً، ففرح به وصار يتذكر مشايخه وعهده القديم، وقد حب إليه السماع فانبسط به، ولازمه «ابن حجر» ثلاث سنوات وصل فيها عليه كثيراً من مسموعاته التي تفرد بها. وأذن له بالإقراء سنة ست وسبعين وسبعمائة، ثم توفي في جادي الأولى سنة ثمانمائة للهجرة.

(٢) هو «عبد الرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم، أبو الفضل العراقي، زين الدين».

توفي في الثامن من شعبان سنة ست وثمانمائة للهجرة عن أكثر من إحدى وثمانين سنة، بعد أن كان «ابن حجر» قد لازمه عشر سنين - تخلل في أثنائها رحلاته إلى الشام وغيرها - قرأ عليه فيها الكثير من المسانيد والأجزاء الحديثة، وبحث عليه في كثير من المسائل، وأخذ عنه جل مؤلفاته، وشهد له الشيخ في مواطن كثيرة بالحفظ، وكتب خطبه له بذلك مراراً، وقدمه على ولده في الحفظ، واستخدمه في كتابة كثير من أعماليه في غيبة ولده.

/ ١٤٠٤ م) في معرفة الحديث ومتعلقاته، و«النور الهيثمي» (ت ٨٠٧ هـ). / ١٤٠٥ م.)^(١) في حفظ المتنون واستحضارها، «والسراج البلقيني» (ت ٨٠٥ هـ. / ١٤٠٣ م.)^(٢) في سعة الحفظ وكثرة الإطلاع، و«السراج ابن الملقن» (ت ٨٠٤ هـ. / ١٤٠٢ م.)^(٣) في كثرة التصانيف، «وملجم الشيرازي»

(١) هو «علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح الهيثمي نور الدين، أبو الحسن». اجتمع به «ابن حجر» وقرأ عليه قريناً للعرaci كـما قرأ عليه منفرداً: نحو النصف من مجمع الرواـئـدـ لهـ وـنحوـ الـرـيـعـ مـنـ زـوـائـدـ مـسـنـدـ أـحـدـ، وـزـوـائـدـ مـسـنـدـ جـابرـ، وـمـسـنـدـ أـحـدـ. وكان «ابن حجر» قد تبع أوهامه في كتابه «مجمع الزوائد» فبلغه أن ذلك شق عليهـ وكانت بينـهـاـ موـدةـ فـتـرـكـ رـعـاـيـةـ لـهـ، بلـ رـبـعـاـتـهـ فـيـ ذـلـكـ.

(٢) هو «عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبدالخالق بن عبدالحق الكشاني البلقيني، سراج الدين».

مات في حادي عشر ذي الحجة سنة خمس وثمانين وسبعين بالقاهرة وابن حجر متغيب في الحج، فرثاهـ .ـعندما علم بموتهـ بـمـرـثـيـةـ تـزـيدـ عـلـىـ المـائـةـ بـيتـ مـطـلـعـهـ:

يا عين جودي لفقد البحر بالطار
واذري الدموع ولا تبكي ولا تذرى
لورد ترداد دمع ذاهباً سبقت
شهب الدموع بعيبي جريه النهر
(البسيط)

بل لقد وصلتهـ .ـوـهـوـ هـنـاكـ رسـالـةـ فـيـهـاـ «ـحـادـثـانـ طـامـتـانـ:ـ مـوـتـ الـبـلـقـيـنـيـ،ـ وـمـحاـصـرـةـ الفـرنـجـ لـلـأـسـكـنـدـرـيـةـ»ـ بـعـدـ أـولـهـاـ أـعـظـمـهـاـ.

ـ لـازـمـهـ «ـابـنـ حـجـرـ»ـ،ـ وـسـمـعـ وـقـرـأـ عـلـيـهـ الـكـثـيرـ،ـ وـحـضـرـ درـوـسـهـ فـيـ الـفـقـهـ وـخـرـجـ لـهـ أـرـبـعـينـ حـدـيـثـاـ غـنـ أـرـبـعـينـ شـيخـاـ .ـ حدـثـ بـهـاـ مـارـاـ،ـ وـشـهـدـ لـهـ الشـيـخـ بـالـحـفـظـ،ـ وـأـذـنـ لـهـ بـالـإـفـتـاءـ وـكـتـبـ لـهـ جـزـءـاـ مـنـ مـؤـلـفـهـ «ـتـعـلـيقـ إـلـتـعـلـيقـ»ـ وـبـلـغـ مـنـ إـجـالـلـهـ لـابـنـ حـجـرـ حـدـأـ جـعـلـهـ يـتـمـادـيـ فـيـ رـكـوعـهـ وـهـوـ يـصـلـيـ الـظـهـرـ حـتـىـ يـدرـكـ الصـلـاـةـ مـعـهـ،ـ وـقـدـ أـحـسـ بـهـ دـاخـلـاـ.

(٣) هو عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الانصاري الاندلسي ثم المصري، سراج الدين، أبو الحسنـ .ـ المعـرـوفـ بـاـبـنـ الـمـلـقـنـ»ـ،ـ نـسـبـةـ إـلـىـ زـوـجـ أـمـهـ الشـيـخـ عـيـسىـ المـغـرـبـيـ مـلـقـنـ الـقـرـآنـ فـيـ جـامـعـ اـبـنـ طـولـونـ.

ـ صـحـبـهـ «ـابـنـ حـجـرـ»ـ،ـ وـسـمـعـ وـقـرـأـ عـلـيـهـ قـطـعـةـ كـبـيرـةـ مـنـ شـرـحـهـ عـلـىـ الـمـهـاجـ وـالـسـادـسـ وـالـسـابـعـ مـنـ أـمـالـيـ الـمـخلـصـ،ـ وـالـمـلـسـلـ بـالـأـولـيـةـ بـسـمـاعـهـ مـنـ أـحـدـ بـنـ كـشـتـغـلـيـ،ـ وـالـخـامـسـ مـنـ مـشـيـخـةـ النـجـيـبـ .ـ وـأـجـازـ لـهـ .ـ

(ت ٨١٧ هـ. / ١٤١٥ مـ.)^(١) في حفظ اللغة والإطلاع عليها، و«الغماري»
(ت ٨٠٢ هـ. / ١٤٠٠ مـ.)^(٢) في معرفة العربية ومتعلقاتها، وحفظها، وكذا
«المحب ابن هشام» (ت ٧٩٩ هـ. / ١٣٩٧ مـ.)^(٣) وكان حسن التصرف فيها،
و«العز ابن جماعة» (ت ٨١٩ هـ. / ١٤١٧ مـ.)^(٤) في تفنته في علوم كثيرة،
بحيث أنه كان يقول: «أنا أقرئ في خمسة عشر علمًا لا يعرف علماء عصري

(١) هو «محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي، مجد الدين أبو طاهر الفيروزبادي».

مات باليمن ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة للهجرة.

لقىه «ابن حجر» في رحلته إلى اليمن، وأخذ عنه الكثير مما هو مدون في الفصل التالي من هذا الكتاب.

(٢) هو «محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق، أبو عبد الله الغماري المصري». توفي في رجب سنة اثنين وثمانمائة للهجرة.

سمع عليه «ابن حجر» البردة بسماعه لها على أبي حيان بسماعه من ناظمها، وأجاز له غير ذلك.

(٣) هو «محمد بن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام، محب الدين». توفي في رجب سنة تسعة وسبعين وسبعمائة للهجرة.

سمع عليه «ابن حجر» علوم الحديث لابن الصلاح، وحكايات أبي علي الفقيه، وبعض جزء الحسن بن عرفة، وجزء الحسن بن أبيك.

(٤) هو «محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، عز الدين».
لازمه «ابن حجر» من سنة تسعين وسبعمائة إلى أن مات، وأشار إلى أنه كان يوده كثيراً ويشهد له في غيبته بالتقدير، ويتأدب معه إلى للغاية، كما كان «ابن حجر» يبالغ في تعظيمه ولا يسميه في غيبته إلا بإمام الأئمة.

حصل «ابن حجر» منه إجازات له ولأولاده، وأخذ عنه: شرح منهاج الأصول، وجمع الجواب،
ومختصر ابن الحاجب، والمطول لسعد الدين، كما قرأ عليه الخامس من مسند السراج.. وتطارحاً
بأبيات من الشعر.

أسئلتها»^(١).

(١) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٨٢، أ، ١٩٧، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٢٥، أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦، الذيل على رفع الإصر ص ٧٩، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٧، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٣٨، بغية الوعاة ج ١ ص ٢٣٠، عبدالله بن زين. جان الدرر ق ٧، أ.

ويلاحظ الاقتصاد هنا في إيراد الشيوخ على أبرزهم حسب تنويه كل من «ابن حجر» وتلميذه «السخاوي» بهم، وإن كان قد ترجم لأكثر من أربعين مائة وخمسين منهم من أكثر عنه، كما أن منهم من أخذ عنه حديثاً واحداً، أو بيتاً من الشعر، أو حكاية، أو مناماً. ومنهم من سمع عليه، ومنهم من سمع بقراءاته، أما هؤلاء المترجم لهم - هنا - فهم في حقيقة الأمر الذين لازمهم وتردد عليهم أكثر من غيرهم وانتفع بهم فكانوا أقرب إلى الأساتذة بمفهوم العصر، وأرسخ بالنسبة إلى الفهم.

والملاحظ فضلاً عن هذا أن العصر كان عصر الموسوعية في الفكر والإختصاص في العلم وليس التخصص في فرع من فروعه إهماً لسائر الفروع الأخرى للمعرفة - المروفة آنذاك - مما يسر معه تصنيف هؤلاء وغيرهم حسب العلوم، ليقال: إن «البلقيني» كان استاذًا لابن حجر في الفقه دون غيره، أو أن «التنوخي» كان استاذًا له في القراءات.. وهكذا فلقد أخذ عن هذا وذاك إلى جانب الفقه والقراءات علم الحديث، واللغة والأدب..

الفصل الثالث

رحلاته داخل القطر المصري وخارجها

كان لرغبة «ابن حجر» في تحصيل المعرف^(١) وشغفه بالعلم مبكراً^(٢) - وحرصه على أن يكون بالحديث النبوى عالماً متبحراً ورأساً فيه لا يلحق^(٣) الدافع علىمواصلة العدو والترواح إلى الشيوخ والعلماء والمسندين بالبواكر والعشاير^(٤) للتخريج بهم، والإنتفاع بملازمهم^(٥) والقراءة عليهم^(٦). ولذا فإنه لم يكتف بتحصيل العلم، وجمع شتات المعرفة في موطنها الصغير- القاهرة ومصر - وحده، وإنما إنساح في أرض الله جاماً لكل ذلك.. فعرفت له رحلات داخل مصر، وأخرى خارجها تتمثل في الإرتحال إلى:

(١) وأشار ابن حجر إلى ذلك قائلاً:

وإذا الديار تنكرت سافرت في طلب المعارف هاجراً لـ الدياري
وإذا أقمت فـ مؤنسـي كتبـي فلا أنـفكـ فيـ الحالـينـ منـ أـسـفـاريـ
(الـكـاملـ)

السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦ ب ، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧ أ.

(٢) كان ذلك ابتداء بسنة خمس وثمانين وسبعمائة للهجرة، وهو ابن اثنين عشرة سنة - السخاوي.
الجواهر والدرر ق ٢١ أ.

(٣) نفسه ق ٢٦ أ ، ولعل هذا كان دافعاً لديه على شرب ماء زرمم لثلاث منها: أن ينال مرتبة الحافظ «الذهبـيـ» فيـ الحـفـظـ، ثمـ شـربـهـ لـينـالـ مـرـتبـهـ أـعـلـىـ مـنـ ذـلـكـ . نفسه ق ٣٣ ب.

(٤) نفسه ق ٢٢ أ ، الدليل على رفع الاصـرصـ ٧٨.

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٢ أ.

(٦) نفسه في مواضع متفرقة.

١ - الصعيد

وتمثل أولى رحلاته - سنة ثلاط وتسعين وسبعمائة - حيث سافر إلى «قوص» وغيرها من بلاد الصعيد.. لكنه لم يستفد بها شيئاً من المسموعات الحديثية بل لقي جماعة من أهل العلم منهم: «نور الدين»^(١) قاضي «هو» و«ابن السراج» قاضي «قوص» وجماعة من أهل الأدب سمع من نظمهم^(٢).

٢ - الأسكندرية

كما كانت له رحلة إلى الأسكندرية التي دخلها يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة سنة تسع وتسعين وسبعمائة، فأقام بها إلى أن رحلت هذه السنة ودخل في السنة التي تليها عدة أشهر^(٣).

(١) هو «علي بن محمد بن النعمان الأنباري الهوي» (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م.) لقيه «ابن حجر» بهو - بالقرب من قوص - وكان يحكى عن «ابن السراج» قاضي «قوص» أنه كان في منزله فخرج عليه ثعبان مهول المنظر ففرع منه فضربه فاحتمل في الحال من مكانه فقد من أهله، فأقام مع الجن إلى أن حملوه إلى قاضيهما، فادعى عليه ولد المقتول فانكر، فقال له القاضي: «علي أي صورة كان المقتول؟»، فقال: «في صورة ثعبان» فالتفت القاضي إلى من بجانبه فقال: «سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: من تزيلا لكم فاقتلوه»، فأمر القاضي بإطلاق المذكور فرجعوا به إلى منزله. (ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٧٦ - ٧٧، السخاوي. الجواهر والدرر ٢٦ ب).

كما ذكر له ما يفيد مصادحته لبعض أصحاب «أبي العباس المثم» الذي قيل فيه أنه عمر وروي عن «معمر» الصحابي المختلق - وهو ما لم يعتمد ابن حجر، ولا تلميذه البقاعي والسخاوي. (ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٧٧، لسان الميزان ج ٦ ص ٧١، السخاوي. الجواهر والدرر ٢٦ ب).

ومن الغريب أن «ابن حجر» قد التقى بابن السراج وأخذ عنه شيئاً من نظمه، ولم يفده ما إذا كان قد واجهه بهذه الحكاية للتحقق من صحتها فضلاً عن نسبتها إليه - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٧٧.

(٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٤١٩، السخاوي. الجواهر والدرر ٢٦ ب عبد الله بن زين. بمان الدرر ٧.

(٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٤٩٥، السخاوي. الجواهر والدرر ٢٧ ب.

و بها التقى بجماعة من المحدثين والمسندين منهم «ابن الخراط» (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ مـ)^(١)، و «ابن سليمان الفيشي» (ت ٧٩٨ هـ / ١٣٩٦ مـ)^(٢) و «ابن البوري» (ت ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ مـ)^(٣) و «ابن يفتح الله» (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ مـ)^(٤)، و «ابن شافع الأزدي» (ت ٩٩ هـ)^(٥) و «ابن الحسن التونسي» (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ مـ)^(٦)، و «ابن موسى الأسكندراني» (ت ٧٩٨ هـ / ١٣٩٦ مـ)^(٧) و «ابن الموفق» (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ مـ)^(٨)،

(١) هو «أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن عمر بن عبد القوي، التاج السكندري، المالكي، سبط الشاذلي، المعروف بابن الخراط». سمع عليه: التيسير للداني، والموطأ، والشفاء، وترجمة القاضي عياض ودرء السمعط في خبر

السبط لابن الأبار - بسماعه للأخير علي محمد بن حبان عن مؤلفه، وبعض التقصي لابن عبدالبر، وسداسيات الرازبي . . - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤٠ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٧٦.

(٢) هو «محمد بن أحمد بن سليمان الفيشي المرجاني، زين الدين الأسكندراني المالكي» - قرأ عليه جزءاً حديثاً خرجه الحافظ شرف الدين الدمياطي» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٥ أ.

(٣) هو «محمد بن علي بن هبة الله بن البوري الأسكندراني» قرأ عليه. المسليل بالأولية بشرطه، تحرير حافظ الأسكندرية «منصور بن سالم»، وسداسيات الرازبي بسماعه لها على مشايخ سبعة ذكرهم في معجمه وجزء عمر بن سينك بسماعه لها على أحمد بن عيسى بن سعد الحداد - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٨ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ١٦٧ .

(٤) هو «محمد بن عبد الوهاب بن يفتح الله المالكي الأسكندراني» قرأ عليه مشيخة الجوهري الصغرى بسماعه لها على علي بن أحمد الفرضي - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٥٩ ب.

(٥) هو «أحمد بن محمد بن عبد الغني الأزدي السكندري، ويعرف بابن شافع» قرأ عليه مشيخة الرازبي - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤١ ب، السخاوي الضوء اللامع ج ٢ ص ١٢٥ .

(٦) هو «محمد بن محمد بن الحسن بن علي بن الفخر التونسي الأسكندراني» - قرأ عليه مشيخة الرازبي بسماعه لها على ابن المصفي وابن الفرات - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٥٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ، ص ٢١١ .

(٧) هو «محمد بن عبد الرزاق بن موسى الأسكندراني، تاج الدين» آخر من يروي بها حديث السلفي بالسماع المتصل، قرأ عليه مشيخة وجيهية تحرير تقى الدين ابن عرام - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٤ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ ب.

(٨) هو «محمد بن أحمد بن الموفق، ناصر الدين بن جمال الدين بن البزار الأسكندراني» قرأ =

و «ابن قرطاس» (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م^(١)) و «الشمس الجزري» (ت ٨٣٤ هـ . / ١٤٣١ م .)^(٢) وقد حضه على الرحالة - لا سيما - إلى دمشق .^(٣)

وهناك جمع ما وقع له من النظم والمراسلات في مؤلف سماه «الدرر المصيّة من فوائد أسكندرية»^(٤) ثم رجع إلى مصر ليقيم بها حتى يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال سنة تسع وسبعين وسبعمائة إلى أن ظهر منها قاصداً اليمن عن طريق الطور - راكباً البحر - في ذي الحجة ليصلها في السنة المقبلة^(٥).

٣ - اليمن

لomba أن وصل «الطور» حتى لقي جماعة من العلماء «كالرضي الزبيدي» (ت ٨٢١ هـ . / ١٤١٨ م .)^(٦) الذي أنشأه لنفسه لغزاً كتبه «ابن حجر» عنه في «التذكرة» كما أفاده عن بعض شيوخ اليمن^(٧). و «الصلاح الأقهسي»

= عليه مشيخة الرازى بسماعه من ابن المصفى وابن الفرات - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٥ - ١٦٦ ، إنباء الغمرج ١ ص ٥٣٩ .

(١) هو «محمد بن أبي بكر بن محمد بن قرطاس الأسكندراني، ناصر الدين» قرأ عليه مشيخة أبي عبدالله الرازى بسماعه لها على ابن المصفى وابن الفرات - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٨ .

(٢) هو «محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري» وكانت بينهما مراسلات، وسمع كل منها على الآخر، وكتب في الاستدعاء إليه وروي له كتبه - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٩ ب - ٢٥٠ ب ، إنباء الغمرج ٣ ص ٤٦٦ - ٤٦٨ ، التعيمى. الدرس ج ١ ص ٨ ، السخاوي الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٥٥ - ٢٦٠ .

(٣) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٠ ب ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ ب .

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ ب .

(٥) نفسه ، ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٥٣٠ .

(٦) هو «أبو بكر بن أبي المعالي بن عبد الله الناشري» - قدم القاهرة صحبه «فانحر الطواشي» سفير الأشرف صاحب اليمن ورافق «ابن حجر» في عودته إلى زبيد، ولم يُؤرخ لوفاته (المجمع المؤسس ق ٢٢٣ ، وكذا السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٩٥ - ٩٦) وإن أشار إلى أن «الغيفي الناشري» قد أرخ وفاته بسنة إحدى وعشرين وثمانمائة.

(٧) ابن حجر: المجمع المؤسس ق ٢٢٣ ب .

(ت ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م)^(١) فسمع عليه جزءاً من حديث الإسواري عن حكايات العقلي^(٢) و«النجم والمرجاني» (ت ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م)^(٣) - وكان قد مهر في العربية حتى لم يبق في بلاد الحجاز من يدانيه فيها، ييد أنه كان منجوماً عن الناس منشغلًا بعياله - فسمع عليه حديثاً واحداً عن ابن مسعود، وكثيراً من إنشاده لنفسه ولغيره^(٤). ثم توجهوا إلى «ينبع» فلقي بها بعض^(٥) من أخذ عنه عدة أحاديث من الترمذى.

وكان دخولهم اليمن في ربيع الأول سنة ثمانمائه، وقد استأنس برفقته وانتشرت الفوائد الأدبية وغيرها بينهم^(٦).

وفي «اليمن» انساح «ابن حجر» بحثاً عن العلم والمعرفة، فحصل الكثير

(١) هو «خليل بن محمد بن عبد الرحمن الأفهسي» - رافقه في هذه الرحلة قاصداً المجاورة بمكة، فطلع من جدة إليها، وتوجه «ابن حجر» إلى اليمن - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٤ ب - ٢٢٥ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٠٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ١٥٠، ويلاحظ تأرجح المصادر في تحديد سنة وفاته، حيث أرخها كل من ابن حجر. المجمع المؤسس - ق ٢٢٥ أ - وابن فهد المكي. لحظ الألحاظ - ص ٢٧٢ - والسخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٠٢ بسنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٨ م، بينما أرخها في السنة التي تليها كل من: ابن حجر - إحياء الغمرج ج ٣ ص ١٨٠ - وإن تشكيك فيها، والسيوطى. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٣ ، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٧٠، وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ١٥٠ .

(٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٥ أ.

(٣) هو «محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف المصري، ثم المكي، المعروف بالمرجاني» - ابن حجر. إحياء الغمرج ج ٣ ص ٣٣٨، المجمع المؤسس ق ٢٦٢ ب، السخاوي. الضوء اللامع ص ١٨٢ - ١٨٣ ، الجواهر والدرر ق ٢٧ ب - ٢٨ أ.

(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٢ ب.

(٥) أورد «السخاوي» اسمه على سبيل التشكيك قائلاً: «... ومن لقيه بها لكن لا أتحقق أنه في هذه الخطيرة: جار الله بن صالح بن أحمد الشيباني المكي - الجواهر والدرر أ.

(٦) نفسه.

ما التقطه من «تعز» و«زبيد» و«عدن» و«المهجم» و«وادي الخصيب» ..
وغيرها.

أما «تعز» فإنه لقي بها «ابن الحياط الشافعي» (ت ٨١١ هـ /
١٤٠٩ م)^(١) - وكان قد مهر في الفقه، وشارك في غيره، وتخرج به جماعة -^(٢)
فاجتمع به وسمع من فوائده^(٣).

كما التقى في «زبيد» بكل من: «ابن عبد الصمد الجبرتي»
(ت ٨٠٦ هـ . / ١٤٠٤ م)^(٤) - وكان لأهل زبيد فيه اعتقاد زائد، ولهم عند
السلطان ممثلة وكلمته لا ترد، ومنزله ملحاً لكل أحد - فحدثه عن الحافظ أبي
بكر بن المحب وأبي محمد بن عساكر^(٥). و«أحمد بن أبي بكر الناشرى»
(ت ٨١٥ هـ . / ١٤١٣ م)^(٦) - وكانت إليه رئاسة الفتوى ببلده -^(٧) فاجتمع
به واستفاد منه^(٨)، و«الشريف ابن المقرى» (ت ٨٣٧ هـ . / ١٣٣٤ م)^(٩) -
وقد مهر في الفقه والعربيّة والأدب -^(١٠) حيث استفاد منه الكثير، كما سمع هو
منه كتابه «ضوء الشهاب المتّخب من نظمه» وطارحه بأبيات رائية، وأحسن له

(١) هو «أبو بكر بن محمد بن صالح الجيل التعري الشافعي».

(٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٣ ب، إنباء الغمرج ٢ ص ٤٠٨ ، السخاوي. الضوء اللامع
ج ١١ ص ٧٨ - ٧٩ .

(٣) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٣ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨ أ.

(٤) هو «إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد الجبرتي».

(٥) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٠ .

(٦) هو «أحمد بن أبي بكر بن علي بن محمد بن أبي بكر بن عبدالله بن عمر بن عبد الرحمن بن عبدالله
ابن يعقوب الزبيدي، شهاب الدين الناشرى».

(٧) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠٩ ب، إنباء الغمرج ٢ ص ٥٢٥ .

(٨) نفسه، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨ أ.

(٩) هو «إسماعيل بن محمد بن أبي بكر الحسيني».

(١٠) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٠ ب - ٢٢١ أ، إنباء الغمرج ٣ ص ٥٢١ ، السخاوي.
الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

السفارة عند سلطان بلاده^(١)، و«عبد الرحمن بن محمد العلوي» (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ مـ، أو ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ مـ)^(٢) - وكان شاعراً من أعيان زبيد، وله وجاهة ورياسة - فسمع من فوائده، وتناول منه بديعيته التي عارض بها الحلي^(٣). «أبا أحمد الشرجي» (ت ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ مـ)^(٤) - وكان أحد أئمة العربية الذين اشتغل السلطان الأشرف صاحب اليمن عليهم - فاجتمع به وسمع من فوائد، كما سمع هو عليه شيئاً من الحديث^(٥). و«الموفق» (أبا الحسن الخزرجي) (ت ٨١٢ هـ / ١٤١٠ مـ)^(٦) ! وكان ناظراً ناثراً - طارح «ابن حجر» برسالة له^(٧). و«الموفق الناشري» (ت ٨١٢ هـ / ١٤١٠ مـ)^(٨) - وكان له اشتغال بالأدب وفاق أقرانه، حيث كانوا يقتربون عليه الأشعار في المهمات فيأتي بها على أحسن وجه، مما جعله يستحوذ على لقب شاعر اليمن في عصره^(٩) - فسمع «ابن حجر» من نظمه قليلاً^(١٠). و«الشهاب الردادي» (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ مـ)^(١١) - وكان شاعراً من غلة الدعاء إلى

(١) ابن حجر، المجمع المؤسس ق ١٢٢١ أ، السخاوي. الضوء الامتعج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) هو «عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن علي بن عمر بن أبي بكر العلوي الزبيدي، وجيه الدين» - ويلاحظ تارجح «ابن حجر» في تاريخ سنة وفاته - المجتمع المؤسس ق ٢٣٦ ب - وأن السخاوي لم يؤرخه - الضوء الامتعج ٤ ص ١٥٤ - وإن أشار إلى تاريخ المقريزي لها في ربيع الأول عام ثلاثة وثمانمائة.

(٣) ابن حجر، المجمع المؤسس ق ٢٣٦ ب، السخاوي. الضوء الامتعج ٤ ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٤) هو «عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد بن عمر اليماني».

(٥) ابن حجر، إنباء الغمرج ٢ ص ١٢١ - ١٢٢، المجمع المؤسس ق ١٣٨ أ، السخاوي. الضوء الامتعج ٤ ص ٣٢٥.

(٦) هو «علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي الخزرجي الزبيدي».

(٧) ابن حجر، المجمع المؤسس ق ٢٤٠ ب، إنباء الغمرج ٢ ص ٤٤١، السخاوي الضوء الامتعج ٥ ص ٢١٠.

(٨) هو «علي بن محمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله بن عمر بن عبد الرحمن الناشري».

(٩) ابن حجر، إنباء الغمرج ٢ ص ٤٤١، السخاوي. الضوء الامتعج ٥ ص ٢٩١.

(١٠) نفسه، والمجمعن المؤسس ق ٢٤١ ب.

(١١) هو «أحمد بن أبي بكر بن محمد الرداد المالكي، شهاب الدين».

مقالة ابن عربى - فسمع من نظمه ومن فوائده، كما سمع هو من «ابن حجر»
جزءاً حديثاً^(١).

على حين لقى «بعدن» «الرضي بن المستاذن» (ت ٨١٦ هـ / ١٤١٤ م)^(٢). وكان قد تعانى النظر فى الأدب ومهر فى القراءات وتكلم على الناس وخطب - فسمع من شعره^(٣) كما سمع عنه من نظم القيراطي - باعتبار أنه لازمه وكتب عنه أكثر ديوانه الذي ابتدأه القيراطي لنفسه^(٤) وسمع هو من «ابن حجر» كثيراً^(٥) وكتب عنه من تصانيفه «تعليق التعليق» و«تهذيب التهذيب» و«لسان الميزان»^(٦).

ولقي بها كذلك - «ابن حيدر الشيرازي» (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥ م)^(٧) فحدثه عن «ابن الجونخى»، وكان قد لقيه قبل بزيد محدثاً عن سنت الغرب بنت محمد بن الفخر بن البخاري^(٨).
كما التقى بالمهجم «بالتقى أحمد بن إبراهيم القوصي»^(٩) فسمع منه حديثاً واحداً علقه في البلدانيات^(١٠). و«علي بن أحمد الصناعي» (ت ٨٠٦ هـ / ١٤٠٤ م)^(١١) فأنشده قصيدة رثى لها «البرهان المحلي» وفي آخرها مدح لولده^(١٢).

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠٩ أ.

(٢) هو «أبو بكر بن يوسف بن أبي الفتح العدنى».

(٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٢٣ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٩٨ .

(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٤ أ.

(٥) ابن حجر. نفسه، إنباء الغمرج ٣ ص ٢٣ .

(٦) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٤ أ.

(٧) هو «عبد الرحمن بن حيدر بن علي بن أبي بكر الشيرازي الدهقلي، التاجر السفار».

(٨) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٤ ، المجمع المؤسس ق ٣٣٤ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤

ص ٧٦ - ٧٥ .

(٩) هو «أحمد بن إبراهيم بن أحمد، شهاب الدين القوصي اليماني الشافعى». لم تعرف سنة وفاته.

(١٠) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠١ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ١٩٤ .

(١١) لم يزد كل من «ابن حجر» و«السخاوي» عن هذا في اسمه.

(١٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٣٩ ب ، السخاوي؛ الضوء اللامع ج ٥ ص ٥٩٠ .

على حين التقى في وادي الخصيب «بالجمال المصري» (ت ٨٢٠ هـ / ١٤١٨ م)^(١) وسمع منه قليلاً^(٢).

والتقى في زبيد ووادي الخصيب «بالمجد الفيروزبادي» (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥ م)^(٣) - وهو من هو - فناوله جل القاموس المحيط - لتعذر اكتماله عنده، وأذن له مع المناولة في روايته عنه، وقرأ عليه من حديثه عدة أجزاء والسلسل بالأولية بسماعه من السبكي، وأنشده لنفسه، كما أفاده عن «رتن الهندي»، الذي تشكيك «الذهبي» في وجوده وصحبته، وكتب له تقريراً على «تعليق التعليق»^(٤).

على حين التقى في زبيد وتعز « بالنفيس العلوى» (ت ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م)^(٥) - محدث اليمن المنعوت من الفيروزبادي بإمام أهل السنة -^(٦) فأعجب «ابن حجر» بحرصه على محبة الحديث واستمراره على ملازمته له قراءة ومطالعة ونسخاً واستنساخاً ومقابلة، وسمع منه جزءاً خرجه له من حديثه، كما سمع هو «المائة العشارية» له، وحدث بها «ابن حجر» هناك^(٧).

كما خرج «ابن حجر» وهو باليمين من مرويات نفسه إلى جانب ذلك - الأربعين المذهبة بالأحاديث الملقبة إجابة له، وكتب بخطه «التقييد» لابن نقطة

(١) هو «محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن ضرغام بن حميد، الجمال أبو عبدالله الأنصارى الذري المצרי، ثم المالكى الزبيدي الشافعى» - ترجمه ابن حجر في المجمع المؤسس ق ٢٦٣ أ، إنباء الغمرج ٣ ص ١٥٠ - ١٥١، السخاوي. الضوء الامام ج ٧ ص ١٨١ - ١٨٢.

(٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٣ أ.

(٣) مرت ترجمته.

(٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٥٠، المجمع المؤسس ق ١٧٧ أ، وما بعدها، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨ ، الضوء الامام ج ١٠ ص ٨٦.

(٥) هو «سليمان بن إبراهيم بن عمر بن علي بن عمر، نفيس الدين أبو الربيع بن البرهان أبي إسحق العكى العدنى التعزى الزبيدي الحنفى».

(٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٢٨٦.

(٧) نفسه، السخاوي. الضوء الامام ج ٣ ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

و «فصل الربيع في فضل البديع»، وحدث بمشيخة الفخر ابن البخاري، والمائة العشاريات لشیخه «التنوخي»، و«الحصن الحصين في الأدعية» للشمس الجزري فروجه له قبل دخوله إليهم^(١).

ولما تسامع صاحب اليمن^(٢) به خطبه للاجتماع به فالتقى «ابن حجر» به وامتدحه، وأهدى إليه نسخة من «خريدة القصر» للعماد الكاتب بخط «الكمال ابن الفوطي» في أربع مجلدات، بالإضافة إلى تذكرته الأدبية بخطه في أربعين مجلداً لطاف^(٣) - فأثناه ثواباً عظيماً، ولاقي عنده رواجاً واحتفالاً^(٤).

كما اتصل «بابن جمیع» (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م)^(٥) المفوض إليه أمر عدن، حيث سر به، وبالغ في الإحسان إليه لكونه كان صديق خاله قدماً^(٦).

وبعدها رجع «ابن حجر» من اليمن صحبة المحمل المجهز من قبل أصحابها إلى مكة التي دخلها سنة ثمانمائة ليحج حجة الإسلام وقد إزدادت معارفه وتوثقت صلاته وصداقاته، وانتشرت علومه ولطائفه^(٧).

على أن «ابن حجر» قد توجه إلى اليمن للمرة الثانية - سنة ست وثمانمائة - بعد أنجاور بمكة، ويشير «السخاوي» إلى أنه قد واجهته - في هذه المرة - متاعب جهة، نتيجة لغرق المركب الذي كان يقله إلى اليمن، حيث غرق معه ما اصطحبه «ابن حجر» من الأمتعة والنقد والكتب، ووديعة بعض أصحابه.. فأقام ببعض الجزر - هناك - ملتمساً إخراجها فخرج أكثر ما غرق وصولح - مما جرت العادة بأخذنه مما طلع بعد الغرق - وتوجه إلى «اليمن» ليلتقي

(١) ابن حجر. المجمع المؤسن ق ٢٥٠ ب، السخاوي. الجوهر والدرر ٢٨ ب.

(٢) هو إسماعيل بن عباس بن علي بن داود بن عمر بن علي بن رسول، الملك الأشرف الغساني - صاحب كتاب «المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك»

(ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م).

(٣) السخاوي. الجوهر والدرر ٢٩ ب.

(٤) نفسه ق ٢٨ ب، ٢٩ ب.

(٥) هو «علي بن يحيى الطائي الصعدي».

(٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١٧٦ ، السخاوي. الجوهر والدرر ٢٨ ب.

(٧) السخاوي. الجوهر والدرر ٢٩ أ.

بعض الذين أخذ عنهم في المرة الأولى وغيرهم، فأخذ عنهم وأخذوا عنه.^(١)

ويعلو «السخاوي» - نقلًا عن شيخه - هذا الغرق إلى عين من استعراض كتبه وتعجب من كثرة ما فيها بخطه^(٢) ولكنه لا يشير إلى ظروف هذا الغرق وملابسات استنقاذ شيخه - خاصة وأنه لم يكن يحسن السباحة -^(٣) وجملة ما افتقده من جراء هذه الكارثة مما غرق أو صولح عليه بعد إخراجه، وطرق هذه المصالحة وشرائطها.

٤ - الحجاز

وطبيعي أن تكون «ابن حجر» وغيره من العلماء والمحدثين. رحلات إلى الحجاز للحج والمجاورة، حيث الفرصة سانحة للإشتغال والمذاكرة على من يصادفونه هناك من العلماء والشيوخ والمحدثين والمسندين .. ولذا تشير المصادر إلى أن «ابن حجر» كان قد قدم الحجاز للحج والمجاورة والأشغال لأكثر من مرة^(٤) التقى خلالها «بمنى»^(٥) و«مكة»^(٦)

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٠ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٢٠ ب.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٢٠ ب.

(٣) نفسه ق ٢٩ ب - حيث اتفق له - بعد ذلك - وهو راجع من الخانقة الركينية أن سقط من تحته بعض الواح المركب فسقط في الماء بثيابه فسارع أهل المركب لطلوعه.

(٤) قدم «ابن حجر» الحجاز - طفلاً - صحبة والده وقد جاور هناك، ثم قدر له أن يفد عليه صحبة وصيه «الزكي الخروبي» - حدثاً - وأن يجاور مكة، وبعد حجتها حجحة الإسلام سنة ثمانمائة، وبعد أن كان قد ارتحل إلى اليمن للمرة الأولى، وفي عودته منها للمرة الثانية حج - كذلك - سنة خمس وثمانمائة، وجاور مكة بعض سنة ست، كما اتيحت له فرصة السفر إلى الحجاز للحج والإشتغال سنة خمس عشرة وثمانمائة، وكانت آخر مرة حج فيها سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وفيها نزل بالمدرسة الأفضلية - أنزله فيها المحب ابن ظهيرة قاضي مكة - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٢ ب، ٢٢٣ أ إنباء الغمرج ١ ص ٢٦١، ج ٢ ص ١٢٦، ج ٣ ص ٢٥٠، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٩.

(٥) لقي بها «أبا بكر بن حسين بن عمر بن عبدالله المراغي» (ت ٨١٦ هـ / ١٤١٤ م) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٢٣، السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٨ - ٣١، وكذا لقيه بالمدينة المنورة ومكة.

(٦) لقي بها: محمد بن علي بن محمد بن علي بن ضرغام، الشهير بابن سكر» (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م) - ابن

و «المدينة»^(١) . . بجماعة من فضلاء الحجاز وأعيانها وطلبتها قرأ عليهم وقرأوا

= حجر. المجمع المؤسس ق ١٧٣ ب ١٧٥، إنباء الغمرج ٢ ص ٨٥، السخاوي. الجواهر والدرر ١٣٠.

- ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١٦٤، السخاوي الضوء الامع ج ١٢ ص ٥٧.

- ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٤ أ، إنباء الغمرج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١، السخاوي. الضوء الامع ج ٢ ص ١٤٧ - ١٤٨.

- ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٧٦ أ، إنباء الغمرج ٢ ص ٣١٣، السخاوي. الضوء الامع ج ٨ ص ٢٥١.

- ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٥ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ١٣٠، الضوء الامع ج ٦ ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

- ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٦٦ ب، إنباء الغمرج ٣ ص ١٧٠، السخاوي. الضوء الامع ج ٤ ص ١٥.

- ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٤ ب، السخاوي. الضوء الامع ج ٣ ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

- ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٣٩، السخاوي. الضوء الامع ج ٥ ص ١٨٣ - ١٨٤.

(١) لقي بها:

«محمد بن معالي بن عمر بن عبد العزيز بن سند، الشمس الحراني»
(ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٧١ أ، إنباء الغمرج ٢ ص ٣٧٥.
السخاوي. الضوء الامع ج ١٠ ص ٥٢ - ٥١.

عليه، وحملوا عنه بعض تصانيفه وغيرها.^(١)

كما كان كثيراً ما يحدث في موسم الحج بعض مروياته^(٢) أو يرشد من يصادفه - هناك - إلى المعروف له من المستدين - القادمين للحج والمجاورة - فيسمعون عليه ويأخذون عنه.^(٣)

٥ - الشام

خرج «ابن حجر» من القاهرة - عصر يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان سنة الثتين وثمانمائة - قاصداً بلاد الشام للأخذ عن من بها من الشيوخ والمحدثين والمستدين^(٤). وكان وصوله إليها في الحادي والعشرين من رمضان من نفس السنة^(٥) حيث ظل مقاماً بها مائة يوم^(٦) آخرها غرة المحرم سنة ثلاثة

= و«محمد بن أحمد بن عبدالله القرزوني» (ت ٨١١ هـ. / ١٤٠٩ مـ.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٨ ب، إنباء الغمرج ٢ ص ٤١٤ السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٠٥.

و«عبد الرحمن بن علي بن يوسف بن الحسن بن محمود الزرندي» (ت ٨١٧ هـ. / ١٤١٥ مـ.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٣٤ ب، إنباء الغمرج ٣ ص ٤٤ - ٤٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٠٥ - ١٠٦، ابن العماد الحنبلي. شدرات الذهب ج ٧ ص ١٢٥.

(١) حيث أخذوا عنه هناك - المسلسل بالأولية، وبعضاً من ترجمة البخاري التي ذكرها في مقدمة شرحه، وقصيدة له - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ أ.

(٢) من ذلك تحديده - هناك - بجزء من تصانيفه في الحج، وبالأربعين المتباعدة، وتحريج الأربعين التنووية، والكلام على حديث القضاة كلها تحريره - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ أ.

(٣) من ذلك إرشاده لجمع كثير من قضاة مكة وأعيانها وطلبتها إلى المسند الرحلة «زين الدين ابن طولوبغا السيفي البكري» (ت ٨٢٥ هـ. / ١٤٢٢ مـ.) وكان قدم للحج، فأخذوا عنه شيئاً من مروياته - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ أ، وله ترجمة في ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٢٨٧ السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٣٢.

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ ب.

(٥) نفسه ق ١٣٢ أ.

(٦) نفسه.

وثمانمائة - بعدها توالت الأخبار بقرب مجيء المغول إليها -^(١) فتأثر العود إلى القاهرة وقد إتسعت معارفه كثيراً، بما أخذه عن العلماء بها، أو في الطريق إليها سواء في «سرياقوس»^(٢) أو المرج^(٣) أو «قطية»^(٤) أو «غزة»^(٥) أو «نابلس»^(٦) أو

(١) المصدر السابق، وابن حجر. إنماء الغمرج ٢ ص ١١٠، ١٣٣.

(٢) كان من لقيه بها:

«سليمان بن عبد الناصر بن إبراهيم البشطي الشافعي» (ت ٨١١ هـ. / ١٤٠٩ م) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٦٤ ب، إنماء الغمرج ٢ ص ٤٠٩ تر ٢٠، السخاوي. الضوء الامع ج ٣ ص ٢٦٥ - ٢٦٧.

(٣) لقى بها:

«محمد بن أبي الزين أبو الطيب القير沃اني المغربي المالكي» (ت ٨٠٦ هـ. / ١٤٠٤ م) - ابن حجر. المجمع المؤسس ٢٦٤ أ، السخاوي. الضوء الامع ص ٢٤٧ / ٦.

(٤) بالفتح ثم السكون وباء مفتوحة، قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الفرما - ياقوت. معجم البلدان ج ٤ ص ٣٧٨.

سمع بها علي «محمد بن أحمد بن علي بن أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد الرحمن، التقي الفاسي» (ت ٨٣٢ هـ. / ١٤٢٩ م) - ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ٤٢٩ تر ١٧، السخاوي. الضوء الامع ج ٧ ص ١٨ - ٢٠ - وكان مرافقاً له في هذه الرحلة هو و قريب «ابن حجر» الزين شعبان - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ ب.

(٥) ومن سمع عليه بها:

أحمد بن محمد بن عثمان بن علي بن عبدالله الخليلي» (ت ٨٠٥ هـ. / ١٤٠٣ م) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤٢، إنماء الغمرج ٢ ص ٢٤٠ تر ٥، السخاوي. الضوء الامع ج ٢ ص ٤٠٢.

و «إبراهيم بن محمد بن بهادر بن عبدالله بن أحمد الغزوي» المعروف بابن زقاعة (ت ٨١٦ هـ. / ١٤١٤ م) - ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ١٧ تر ٢، المجمع المؤسس ق ٢٠٠ ب، ٢٠١ أ، السخاوي. الضوء الامع ج ١ ص ١٣٠ - ١٣٤.

(٦) ومن لقيه بها:

«إبراهيم» و «علي» ابنا «محمد بن إبراهيم النابلي» المعطار المعروف بابن العفيف الجعدي الخلبي» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٣ ب، ١٤ أ، ٢٤١ ب، السخاوي. الضوء الامع ج ٥ ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

و «أبا بكر بن علي بن أبي بكر بن الحكم، سيف الدين، وتقي الدين النابلي الخلبي» - المعروف =

«الرملة»^(١) أو «بيت المقدس»^(٢) أو «الخليل»^(٣) أو «دمشق» و «صالحيتها»^(٤) أو

= «بابن الحكم» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٢ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٥١.

و «أحمد بن محمد بن عبد القادر بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور النابسي الخبلي، شهاب الدين - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢١٦ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ١٢٥».

و «يعسى بن علي بن محمد بن غانم الشريف المقدسي» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٦ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ١٥٥.

(١) لقي بها:

«أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر الأيكبي الفاسي، المقلب ببابن زغلش»: (ت ٨٠٣ هـ. / ١٤٠١ م.) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦ تر ١٦، المجمع المؤسس ق ٣٩، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٥٥، ابن العماد الخبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥.

و «عبدالله بن سليمان بن عبدالله بن حرز الله، الجمال الأجاري، ثم المقدسي، المكي، المعروف بابن سحارة» - السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٠ - ٢١.

(٢) لقي به:

«أبا بكر بن عثمان بن خليل الحوراني، تقى الدين المقدسي». (ت ٨٠٤ - ٧٨ / ١٤٠٢ م.) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٢١١ تر ١٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٤٦.

و « صالح بن خليل بن سالم بن عبد الناصر بن محمد بن سالم المغربي» (ت ٨٠٤ هـ. / ١٤٠٢ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٦٦ أ، إنباء الغمرج ٢ ص ٢١٣ تر ١٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٣١١.

و «عبد الرحمن بن حامد بن أحمد بن عبد الرحمن بن حميد المقدسي، المعروف بابن حامد» (ت ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٥ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٩٨ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٢٧.

و «محمد بن إسماعيل بن علي بن الحسن بن علي القلقشندي» (ت ٨٠٩ هـ. / ١٤٠٧ م.) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٣٧٣ تر ٢٦، المجمع المؤسس ق ١٦٧ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٣٧ - ١٣٨.

و «عبد الهادي بن عبدالله بن خليل بن علي بن عمر بن مسعود البساطي المقدسي» =

= (ت ٨٠٩ هـ. / ١٤٠٧ مـ) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٣٧٠، المجمع المؤسس ق ٢٣٨ أ، السخاوي. الضوء الامع ج ٥ ص ٩١-٩٢.

و «محمد بن عمر بن عيسى بن موسى البصري الدمشقي، المعروف بابن القزع» (ت ٨١١ هـ. / ١٤٠٩ مـ) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٧٦ أ، السخاوي. الضوء الامع ج ٧ ص ٢٥٣.

و «أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن مثبت المالكي» (ت ٨٠٣ هـ. / ١٤٠١ مـ) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤٣ أ.

و «أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج بن عبدالله بن يحيى بن عبد الرحمن المقدسي الباعوني» (ت ٨١٦ هـ. / ١٤١٤ مـ) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٢٠-٢٢، المجمع المؤسس ق ٢١٩ أ، السخاوي. الضوء الامع ج ٢ ص ٢٣١-٢٣٣.

و «حسين بن موسى بن إبراهيم بن مكي المقدسي الشافعي» (ت ٨١٧ هـ. / ١٤١٥ مـ) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٣، المجمع المؤسس ق ٥٨ ب، السخاوي. الضوء الامع ج ٣ ص ١٢٩ - ١٣٠.

و «أحمد بن محمد بن عبد الكريم، الشهاب التزمتني» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢١٧ أ، السخاوي. الضوء الامع ج ٢ ص ١٢٥.

و «غزال القلقشندية» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٢٦ أ، السخاوي. الضوء الامع ج ١٢ ص ٨٥.

و كان قد رحل من القاهرة إلى القدس للقاء «أحمد بن خليل بن كيكلي العلائي المقدسي» (ت ٨٠٢ هـ. / ١٤٠٠ مـ). بسبب ظهور سمع له في سنن ابن ماجة عن الحجار فبلغه وفاته وهو بالرحلة، فعرج عن القدس إلى دمشق - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١١٤، المجمع المؤسس ق ٣١ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣١ ب.

(٣) لقي بها:

«محمد بن محمد بن علي بن يحيى بن زكريا المنحبي المقدسي الحنفي» - السخاوي. الضوء الامع ج ٩ ص ١٦٦.

(٤) الصالحة مدينة ممتدة في سفح جبل قاسيون تشرف على دمشق وضواحيها، إسلامية محدثة في أواخر القرن السادس الهجري / الحادى عشر الميلادي، اختلف في سبب تسميتها، فقيل لكونها بسفح قاسيون وهو معروف بجبل الصالحين، وقيل نسبة إلى الصالحين لصلاح من كان ابتدأ وضعها، وقيل لأن الذين وضعوها كانوا بمسجد أبي صالح فنسبت إليه - ابن طولون. القلائد الجوهرية ص ٦٤ وما بعدها، القلقشندي. صبح الأعشى ج ٤ ص ٩٤.

«الزعفران»^(١) أو «النيرب»^(٢).. واستطاع بذلك أن يصل الكثير من الكتب

= لقي بها:

«أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن يونس الدمشقي الحنفي، المعروف بابن عبد الخالق» (ت ٨٠٢ هـ. / ١٤٠٠ مـ) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١١٥ تر ١٦ ، المجمع المؤسس ق ٣٤ ، أ ١٣٦ .

و «أبا بكر بن عبدالله بن العماد أبي بكر بن أحمد بن عبد المجيد بن عبد الهادي الصالحي»، و «خدية بنت إبراهيم بن إسحاق الدمشقي»، و «داود بن أحمد بن علي بن حمزة البقاعي الصالحي» و «عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبدالله المقدسي»، و «فاطمة بنت محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجا»، و «فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي»، و «محمد بن عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبدالله الذهبي»، و «محمد بن محمد بن محمد بن قوام»، و «محمد بن محمد بن منيع الصالحي الوراق» - ابن حجر. إنباء الغمر، وفيات سنة ٨٠٣ هـ. / ١٤٠١ مـ ، المجمع المؤسس في مواضع متفرقة، الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٤٧ - و «أبا الحسن البصري الديلمي» (ت ٨٠٦ هـ. / ١٤٠٤ مـ) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢١ ب.

و «أنس بن علي بن محمد بن أحمد بن سعيد بن سالم الأنصاري» (ت ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٥ مـ) - نفسه ق ٢٢١ ب - ٢٢٢ أ.

و «عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد الكفيري، زين الدين الدمشقي» (ت ٨٠٩ هـ. / ١٤٠٧ مـ) - نفسه ق ٢٣٧ أ.

و «عائشة بنت محمد بن عبد الهادي الصالحة» (ت ٨١٦ هـ. / ١٤١٤ مـ) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٢٥ تر ١٦ ، السخاوي. الضوء الالمعجم ج ١٢ ص ٨١ .

و «عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن يوسف الأرموي» (ت ٨٢٤ هـ. / ١٤٢١ مـ) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٢٦٠ تر ١٠ ، السخاوي. الضوء الالمعجم ج ٤ ص ٢٦١ .

(١) لقي بها:

«أحمد بن إسماعيل بن خليفة الحسبي ثم الدمشقي، شهاب الدين» (ت ٨١٥ هـ. / ١٤١٣ مـ) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٥٢٣ تر ٣ السخاوي. الضوء الالمعجم ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٣٧ .

(٢) النيرب: بالفتح ثم السكون وفتح الراء، وباء موحدة - قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين - ياقوت. معجم البلدان ج ٥ ص ٣٣٠ .

الكتاب والأجزاء الصغار وغيرها مما كان قد إنقطع من مدد متطاولة واحتياج في
وصله للقراءة بتواقي ثلاثة إجازات أو أكثر^(١).

كما حصل جملة مستكثرة من الكتب، منها ما يكون في مجلدة ضخمة أو
أكثر ومنها ما يكون في مجلدة لطيفة^(٢) - حتى لقد قاربت مجتمعة حوالي ألف جزء
حديثي^(٣).

وساعده على ذلك أمور - قل أن تجتمع في غيره - أشار «السخاوي» إليها،
وهي :

= لقي بها: «ابن الكفري» (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م) - ابن حجر، إحياء الفهرج ٢ ص ١٦٩
تر ٥٥ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٦٦
و «أنس بن علي بن محمد بن أحمد بن سعيد بن سالم الأنصاري» (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) -
ابن حجر، إحياء الفهرج ٢ ص ٣٠٠ تر ٣ .
(١) السخاوي. الجوهر والدرر ق ٣١ .

(٢) حيث حصل ثلات مجلدات من المعجم الأوسط للطبراني، والصغرى بتمامه في مجلد، ومن الدعاء
له مجلدة، والمعرفة لأبن مندة أربعة مجلدات، والسنن للدارقطني في اثنين، ومسند مسدود، والموطأ
لأبي مصعب - كل واحد منها في مجلد - ومن صحيح ابن خزيمة، وأبن حبان مجلد، ومن المختارة
للعقيلي خمسة، ومن الاستيعاب لأبن عبد البر واحد، والظهور لأبي عبيد، والذكر لجعفر
العربي، وفضائل الأوقات للبيهقي، والإيمان لأبن مندة، ومكارم الأخلاق للخرائطي - كل واحد
في مجلد - ومسند الدارمي - مجلد - وقطعة من مساوىء الأخلاق للخرائطي، والخارج ليحيى بن
آدم، ومشيخه الباغيان، والشمائل للترمذى، والأدب للبيهقي وعلوم الحديث للحاكم، والإرشاد
للحليلي، وحديث قتيبة للعيار واختلاف الحديث لأبن قتيبة، وأدب الحكماء، وذم الكلام
للهروي، والسنن للشافعى - رواية ابن عبد الحكم - وغرائب شعبة لأبن مندة - كل واحد في
مجلد، ومن مشيخة مسعود الثقفى مجلد، ومن مسند أبي يعلى الموصلى مجلد، والكنجروديات في
نسختين مجلد.. نحو الثلاثين مجلداً ضخمة تكون نحو أربعمائة وخمسين جزءاً خارجاً عن الأجزاء
الحادية، والفوائد النثرية، والسمات التي يلحقها في تصانيفه ونحوها ثمانية مجلدات فأكثر،
وطرف كتاب المختارة لأبن عبد الواحد المقدسي في مجلد ضخم. - ابن حجر، المعجم المفهرس،
مخط. دار الكتب رقم ٨٢ مصطلح - وفيه إسنادات لها، السخاوي. الجوهر والدرر ق ٣٢ .

(٣) السخاوي : نفسه ق ٣٢ .

* ذكاؤه الوقاد، ومعرفته بالإنتقاء والإستيعاب^(١).

* سرعة القراءة مع حسنها^(٢).

* سرعة الكتابة مع شغل الوقت بغيرها، حيث لم يمنعه فهم ما يسمعه مما لا يدخل في موضوعها عن ممارستها معه^(٣).

* إعانة رفقة له بالقراءة، والكتابة، والعارية، والمذاكرة، والتنبية على السلامة^(٤).

* صرف همته إلى المطالعة، والقراءة، والسماع، والتصنيف، والإفادة، بحيث لم يكن يخلِي لحظة من أوقاته من شيء من ذلك، حتى في حال أكله وتوجهه وهو سالك^(٥).

* تفرس الشيوخ فيه النجابة وختهم له على الإشتغال وانقيادهم له، وكانوا قبل عسرى التحديث^(٦).

ما جعله يستحوذ على السبق بين علماء عصره ومحدثيه الذين شهدوا له بذلك وبالتقدم في فنونه إلى أعلى رتبة ..^(٧)

٦ - حلب

كان «ابن حجر» - وهو بدمشق - قد عزم على التوجه إلى حلب للأخذ عن خاتمة المسنددين بها «عمر بن أيد غمش» (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م)^(٨) فبلغه وفاته فتخلَّف عن التوجه إليها^(٩). ثم قدر له - بعد ذلك - السفر إليها سنة ست

(١) المصدر السابق ق ٣٤، ٤٠ ب.

(٢) نفسه ق ٣٢ أ - حيث يذكر أمثلة لذلك.

(٣) نفسه ق ٣٤ - حيث يذكر أمثلة لذلك.

(٤) نفسه ق ٣٤ ب.

(٥) نفسه ق ٣٥ ب.

(٦) نفسه ق ٣٥ أ - ٣٦ ب.

(٧) نفسه ق ٣٥ ب.

(٨) هو «عمر بن أيد غمش النصيبي الحلبي، ويعرف بالكبير» - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٧٨ - ٧٩، السخاوي. الضوء اللماع ج ٦ ص ٧٤ - ٧٥.

(٩) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٧٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١ ٣٧.

وثلاثين وثمانمائة صحبة السلطان «الأشرف برسباي» (ت ٨٤١ هـ . / ١٤٣٨ م) في السفرة الشمالية لدفع أذى التركمان المتغلبين على بلاد آمد وماردين . . وغيرها من البلاد الشمالية بعد الكائنة اللنكية^(١) - وقد كثُر إفسادهم ونهبهم وقطعهم للطرق ، وكان إبتداء السفر من الريدانية بعد صلاة الجمعة من يوم التاسع عشر من رجب ووصلوا إلى الشام في النصف من شعبان^(٢) فنزل بالمدرسة العادلية الصغرى^(٣) حيث لم يخل سفره من فائدة^(٤) فلقد سمع وكتب وهو بالطريق إلى الشام - في بليس^(٥) والصالحية^(٦) وبيسان^(٧)

(١) حيث تغلب تيمورلنك والمغول على دمشق، وحلب سنة ٨٠٣ هـ . / ١٤٠١ م .

(٢) ابن حجر. إباء الغمرج ٣ ص ٤٩٢ - ٤٩٤ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨ أ ، عبدالله بن زين. جان الدرر ق ٩ ب - ويلاحظ أن «ابن حجر» قد أورد تقريراً مفصلاً عن الرحلة في حولي: ست، وسبع وثلاثين وثمانمائة من كتابه «إباء الغمر».

(٣) كانت تقع داخل باب الفرج شرقي باب القلعة الشرقي قبل الدماغية والعمادية ثم حرق她 بعد سنة ١٩١٠ م . ولم يبق منها سوى بعض جدرانها وكانت داراً لابن سونك حولتها «زهرة خاتون» بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب «مدفناً ومدرسة ومواضع للسكنى» ، شارطة للمدرسة مدرساً ومعيناً وإماماً ومؤديباً وقيماً وعشرين فقيهاً ، جاعلة لصالحها ومصارفها أوقافاً كثيرة . - ابن شداد. الأعلاق الخطيره - تاريخ مدينة دمشق - ص ٣٤٣ ، التعيمي . الدارس ج ١ ص ٣٦ ، أبو شامة . ذيل الروضتين ص ١٣٨ ، ٢١٢ .

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ أ .

(٥) كتب بها سديداً دار في المعاشرة بينه وبين «محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم البساطي ، شمس الدين» (ت ٨٤٢ هـ . / ١٤٣٩ م) - له ترجمة في: المقريزى . السلوك ج ٤ ص ١٥٠ ، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٧ أ ، إباء الغمرج ٩ ص ٨٢ - ٨٥ ، ابن تغري بردي . النجوم الراherة ج ١٥ ص ٤٦٦ ، السخاوي . الضوء اللماع ج ٧ ص ٥ - ٨ ، الذيل على رفع الإصر ص ٢٢٠ - ٢٣٧ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٦) كتب بها حكاية عن نائب قاضي المنصورة «محمد بن أحمد بن كمبل بن عوض بن راشد بن عمرو بن الشمس المنصوري الشافعي» (ت ٨٤٨ هـ . / ١٤٤٥ م) - له ترجمة في: ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٨ أ ، إباء الغمرج ٩ ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ١١٠ - ١١٢ ، الضوء اللماع ج ٧ ص ٢٨ - ٣٠ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٢٦ .

(٧) بيسان: بالفتح ثم السكون وسين مهملة ونون - مدينة بين حوران وفلسطين - ياقوت . معجم البلدان ج ١ ص ٥٢٧ .

والخربة^(١) - الكثير عن رفقةه من القضاة والشيوخ المرافقين للعسكر المصري - على جاري العادة في ذلك^(٢) .

كما سمع - كذلك - حال مقامه بالشام غير
واحد من الشيوخ والأدباء بدمشق^(٣) وحماء^(٤)

أخذ بها حديثاً من سنن أبي داود بسنده البغدادي إلى الخطيب وبعضاً من خصائص الترك عن «أحمد بن نصر الله بن أحمد بن عثمان بن عمر البغدادي التستري الحنبلي، محب الدين» (ت ٨٤٥ هـ ١٤٤٢ م). له ترجمة في: المقريزى. السلوك ج ٤ ص ١٢٣١ - ١٢٣٢، ابن حجر. إحياء الغمرج ج ٩ ص ٢٣٩ - ٢٤١، المجمع المؤسس ق ٢١٩، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٨٣ - ٤٨٤، السخاوي الضوء الامامي ج ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٩، الدليل على رفع الإصر ص ١٠٩ - ١٢٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(١) بالتحريك، أشار «ياقوت» إلى أنها أرض مما يلي ضرية، سميت بذلك لأن «خربة بنت قنص بن معد بن عدنان أم بكر بنت ربيعة بن نزار» نزلته فسمى بها (كذا) - ياقوت. معجم البلدان ج ٢ ص ٣٥٥.

أخذ بها حكاية عن القاضي «عز الدين بن عبد العزيز بن علي بن العز الحنبلي» معزوة إلى «ابن لذيري» عن: «البساطة». «بيان ابن تيمية» - السخاوة، الجاهة والدعاوى، ق. ٣٧.

٣٧ نفسيه ق (٤)

(٣) سمع بها علي «عائشة بنت إبراهيم بن خليل البعلبكيه» أخت الشيخ جمال الدين الشراحبي
 (ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٩ م) مع أخيها - منتقي الذهبي من مشيخة الفخر بسماعها للشيخ علي
 ابن أميلة، والمسلسل بالأولية بشرطها بسماعها علي ابن الصيرفي وابن المحب - ابن حجر.
 المجمع المؤسس ق ٢٤٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٢ ص ٧٣، الجواهر والدرر
 ق ٣٨ ب.

(٤) لقى بها «أبا بكر بن عني بن علي بن عبدالله، التقى الحموي الحنفي الأزدي» ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٤ مـ . - له ترجمة في: المقرئي . السلوك ج ٤ ص ٩٢٣ ، ابن حجر، المجمع المؤسس ق ٢٢٣ أ ، إنباء الغمرج ٣ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، ٢٥٣ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٨٩ - ١٩٢ ، ابن الصيرفي . نزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١١ ص ٥٣ - ٥٦ ، الجواهر والدرر ق ١٣٩ ، ابن العماد الحنفي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢١٩ - ٢٢٠ . - وكان قد عمل البديعة على طريقة العز الموصلي وشرحها في ثلاثة مجلدات سمع «ابن حجر» منها أكثرها وكتب عنه، كما كتب هو عن «ابن حجر»، فلما

وحمص^(١) - إلى أن كان يوم السبت الخامس من رمضان، وقد وصل الجمع إلى حلب، فنزل على «ابن خطيب الناصرية» (ت ٨٤٣ هـ / ١٤٤٠ م) قاضي حلب - آنذاك - مقيماً بها خمسة عشر يوماً^(٢) سمع أثناءها بحلب^(٣)

= توجه «ابن حجر» في هذه السفرة إلى حلب سمع من نظم «ابن حجة» - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٩، عبدالله بن زين. جهان الدرر ق ٩.

كما لقي بها: «علي بن يوسف بن مكتوم بن ثابت بن ربيع الشيباني الرحيقي الحلي الشافعي» فكتب عنه جزءاً فيه عشرة أحاديث من عشرة الحداد وغيرها - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٩، الضوء اللامع ج ٦ ص ٥٤ - ٥٥.

ولقي بها - كذلك - «محمد بن أحمد بن أبي بكر بن محمد الطائي البياني الحموي الشافعي، ويعرف بابن الأشقر» (ت ٨٥٠ هـ / ١٤٤٧ م) فأخذ عنه حديثاً من البخاري - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٩، الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٩ - ٣٠٠، التبر المسبوك.

(١) لقي بها «محمد بن محمد بن أحمد بن القواس المخزومي الحمصي» وكتب عنه حديثين سمعهما من شيخه «ابن زهرة» عن النبي ﷺ في المنام .. - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٩، الضوء اللامع ج ٩ ص ١٩٤.

(٢) ابن خطيب الناصرية. الدر المتelligent ١٠٧، ابن حجر. إنباء الغمرج ٣، ص ٤٩٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٩.

(٣) سمع بها عشرة الحداد على «أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أبي جراد العقيلي الحنفي، المعروف بابن العديم» (ت ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠٧ ب، السخاوي الضوء اللامع ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢، الجواهر والدرر ق ٣٩.

كما سمع بها المسلسل بالأولى، ومشخصة ابن البخاري - تغريغ ابن الظاهري - وقد احضرت له من دمشق لعدم توفرها - آنذاك - بحلب على «إبراهيم بن محمد بن خليل الطرايسى، سبط ابن العجمي، برهان الدين المحدث، المعروف بالقف» (ت ٨٤١ هـ / ١٤٣٨ م) - ابن حجر المجمع المؤسس ق ١٩٩ - ٢٠٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٥، الجواهر والدرر ق ٣٩، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

وسمع بها - كذلك - بعض عشرة الحداد على «علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن عثمان بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب، المعروف بابن خطيب الناصرية» (ت ٨٤٣ هـ / ١٤٤٠ م) - ابن حجر. إنباء الغمرج ١٩ ص ١١٥ - ١١٦، المجمع المؤسس ق ٢٤١ ب ٢٣٢ - ٢٣٣، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٧٩ - ٤٨٠، السخاوي. =

وظاهرها من القرى - كالبيرة^(١) وعينتاب^(٢) وزاوية حضر^(٣) وصرخد^(٤) والسلحلوية^(٥) والباب وبزاعة^(٦)

= الضوء اللماع ج ٥، ص ٣٠٣ - ٣٠٧، الجواهر والدرر ق ٣٩ ب، ابن العماد الحنفي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٤٧.

(١) لقي بها «كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزي» (ت ٨٥٦ هـ / ١٤٥٦ م) وسمع من لفظة قصيدة الأديب «شيخ علي» التي امتحن بها «البدر ابن الشهاب محمود» - بسماعه لها من ناظمها - وما ناقضها به «ابن المتنج» - ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٣ - ١٨، السخاوي. الضوء اللماع ج ٩ ص ٢٣٦ - ٢٣٩، الجواهر والدرر ق ٤٠ أ، ابن العماد الحنفي. شذرات الذهب ج ٧، ص ٢٩٠.

(٢) سمع بها حديثاً من مسنده لأحمد، وأخرين من صحيح مسلم على «محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف، المعروف بالبدر العيني، والعيني» (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) - ابن حجر، المجمع المؤسس ق ٢٧١ ب، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨ - ١١، السخاوي. الضوء اللماع ج ١٠ ص ١٣١ - ١٣٥، التبر المسبوك ص ٣٧٥ - ٣٨٠، الجواهر والدرر ق ٤٠، الذيل على رفع الإصر ص ٤٢٨ - ٤٤٠، السيوطي.نظم العقيان ص ١٧٤، بغية الوعاء ج ٢ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ابن العماد الحنفي. شذرات الذهب ص ٢٨٦ - ٢٨٧، ٧ / ٢٨٨، وكان «ابن حجر» قد وصل إليها صحبة البدر العيني ليأكل ضيافته بيده - ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٩٦.

(٣) لقي بها:

«الشريف يحيى بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم الحموي، المعروف بابن العطار» (ت ٨٥٣ هـ / ١٤٥٠ م) وكتب عنه من شعره، ومن شعر غيره، كما كتب هو عن «ابن حجر» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٧٤، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٤ - ٥٤٦، السخاوي. الضوء اللماع ج ١٠، ص ٢١٧ - ٢٦١، الجواهر والدرر ق ٤١ أم.

(٤) كتب بالقرب منها مناماً رواه له «ابن العطار» - المذكور. السخاوي الجواهر والدرر ق ٤١ أ.

(٥) سمع بالقرب منها جزءاً فيه متني الحارث، ومتني العلم لأبي حنيفة وأبياتاً من الشعر للسراح البلقيني - على «ابراهيم بن علي بن ناصر، برهان الدين الدمشي الحلبي الشافعي» (ت ٨٤٧ هـ / ١٤٤٤ م) - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤١ أ، الضوء اللماع ج ١ ص ٩٩.

(٦) الباب: وتعرف بباب بزاعة، بلدة في طرف وادي بطنان من أعمال حلب بينها وبين منبع نهر ميلين وإلى حلب عشرة أميال - ابن شاهنشاه. تقويم البلدان ص ٣٦٦، ياقوت. معجم البلدان ج ١ ص ٣٠٣، البغدادي. مراصد الإطلاع ج ١ ص ١٤٢.

وسرد^(١) - الكثير مما جمعه في تذكرته المسمة «جلب حلب» المحتوية على أربعة أجزاء حديثية^(٢) بالإضافة إلى ما يزيد على المجلدين مما انتقاه أو لخصه هناك . . .^(٣) ثم عاد صحبة العسکر المصري الذي دخل القاهرة يوم العشرين من المحرم سنة سبع وثلاثين وثمانمائة^(٤) وقد حدث هناك^(٥) وعقد مجالس الإملاء بدمشق وحلب^(٦) وخطب بالسلطان - في وداع السنة^(٧) بجامعبني أمية^(٨) وصلى بالناس صلاة كسوف - بجامع الكبير

= ويزاعة: بالضم والكسر، والقصر، بلدية من أعمال حلب في وادي بطnan بين منبع وحلب، بينها وبين كل واحدة منها مرحلة . - ابن شاهنشاه تقويم البلدان ص ٣٦٦ - ٣٦٧، ياقوت . معجم البلدان ج ١ ص ٤٠٩ ، البغدادي . مراصد الإطلاع ج ١ ص ١٩٢ . دائرة المعارف الإسلامية ج ٧ ص ١٩٨ .

سمع بها شيئاً من أربعين القاضي المرداوي على «محمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن إسماعيل الحسني الحموي ، المعروف بابن الرسام» (ت ٨٤٤ هـ / ١٤٤١ م) - ابن حجر، المجمع المؤسس ق ٢٠٨ ب - ٢٠٩ ، السخاوي . الضوء الامامي ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، الجواهر والدرر ٤١ ، ابن العماد الحلبي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(١) سمع بها حديثاً من عشرة الحداد على «عمر بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عمر بن يوسف ، المعروف بابن السفاح» (٨٦٦ هـ / ١٤٦٢ م) - السخاوي . الجواهر والدرر ٤١ ، الضوء الامامي ج ٦ ص ٦٨ - ٦٩ .
(٢) السخاوي . الجواهر والدرر ق ٣٧ ب .

(٣) من ذلك؛ متنقى شرح البخاري للبرهان الحلبي ، ومنتقى تاريخ قزوين للرافعي - المسمى التدوين - ومنتقى زوائد الألغاز للغزوي ، وتلخيص ثبت البرهان الحلبي ، وما علقه من تاريخ حلب - المسمى الدر المتخب في تكميلة تاريخ حلب - لابن خطيب الناصرية ، - ابن حجر . إنماء الغمرج ١ ص ٥ ، السخاوي . الجواهر والدرر ٤١ .

(٤) ابن حجر . إنماء الغمرج ٣ ص ٥١٠ .

(٥) روی لأهل الشام جزء أبي الجهم ، وحدث بحلب بكتاب المحدث الفاضل بين الراوي والوعي للرامهرمي ، وقرئ عليه كتاب الأربعين لابن المجرد . السخاوي . الجواهر والدرر ٤٠ .

(٦) ابن خطيب الناصرية . الدر المتخب ق ١٠٧ أ وما بعدها ، ابن حجر ، إنماء الغمرج ٣ ص ٤٩٤ ، السخاوي . الجواهر والدرر ٣٨ ب ، ٤٠ ب .

(٧) تقليد متبع ، يشبه في أيامنا الاحتفال بقدمة عام هجري جديد «عيد رأس السنة المجرية» .

(٨) السخاوي . الجواهر والدرر ٤١ أ .

بحلب - فما سلم إلا وقد انجلت الشمس وغرت^(١) كما نبه - أثناء مقامه هناك - على فساد ما بشه «الشمس الفرياني»^(٢) من الأسانيد المركبة المختلفة، فرجع الكثيرون عن الرواية عنه..^(٣).

(١) ابن حجر. إحياء الغمرج ٣ ص ٤٩٧.

(٢) هو « محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم عبد الرحمن بن علي بن الحسين اللخمي الفرياني - نسبة لفريانة إحدى مدائن أفريقية ».

(٣) ابن حجر. إحياء الغمرج ٩ ص ٢٢٦ - ٢٨٨ ، تبصير المتتبه بتحرير المشتبه ص ٨ ، ١١ ، السخاوي . الجواهر والدرر ٤١ ب ، ٤٢ أ ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٦٧ - ٧٠

الفصل الرابع

وظائفه

أولاً - الإملاء:

الإملاء أعلى مراتب الرواية والسماع، وفيه أحسن وجوه التحمل وأقواها، لا يتصدى له إلا المحدث العارف. ولذا نجده قد انقطعت مجالسه بعد «ابن الصلاح» (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) إلى أواخر أيام الحافظ «أبي الفضل العراقي» (ت ٨٠٦ هـ / ١٤٠٤ م) الذي افتتحها سنة خمس وسبعين وسبعمائة ميلياً إلى سنة وفاته أربعمائة مجلس وبضعة عشر مجلساً، ثم أملأ «أبو زرعة» - ولده - (ت ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م) إلى أن مات أكثر من ألف مجلس^(١). كما شرع الحافظ «ابن حجر» في عقد مجالس الإملاء إبتداء بسنة ثمان وثمانمائة، وانتهاء بسنة اثنين وخمسين وثمانمائة - وهي السنة التي توفي فيها - فزادات مجالسه على ألف مجلس.^(٢) احتوتها بعض النسخ في عشر مجلدات^(٣).

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٠٠، السيوطي. تدريب الراوي ج ١ ص ١٣٩.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٩، الذيل على رفع الإصر ص ٨٦، التبر المسيوكي ص ٢٣٠، ابن طولون. القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٦ - ٤٥٥، السيوطي.

تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٩، حسن المحاضرة ج ٣ ص ٣٦٣، نظم العقيان ص ٥٠، طبقات الحفاظ ص ٤٨، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٨١.. . ويلاحظ أن «ابن حجر» قد أشار في شعبان سنة تسعة وأربعين وثمانمائة إلى اقتراب مجالسه من الألف، ولم يكن - بعد - قد فرغ منها قائلًا:

يقول راجي إله الحق أَمَّا مِنْ حَدِيثِ نَبِيِّ الْحَقِّ مُتَصَلِّلاً
تَدْنِي بِهِ مِنَ الْأَلْفِ إِنْ وُصِّلْتُ بِمَجَالِسِهِ
فَالسَّدِسُ مِنْهَا بِلَا قِيدٍ لَهَا حَصْلَانِ [من البسيط]

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب.

ومجلس الإملاء لا يقع إلا في يوم واحد من الأسبوع^(١) تراوح لدى «ابن حجر» بين «الثلاثاء» و«الجمعة»^(٢) ولا يتعين له إلا مستعمل محصل يبلغ عن الملي إِذَا كثُرَ الجُمْعُ عَلَى عَادَةِ الْحَفَاظِ^(٣). وهم لدى «ابن حجر» يزيدون على مائة وخمسين نفساً^(٤) وهو ما يفسر إنتقاء جماعة من علية أصحابه للقيام بهذه المهمة، منهم: «الشهاب البوصيري»، و«العز البغدادي»، و«الكمال ابن التيمي»، و«الفخر ابن درباس»، و«الزين العقبي»، و«الزين ابن خضر العثماني»، و«النور المارداني» و«الشمس ابن قمر».. وغيرهم. وكثيراً ما كان يسعى من دونهم في ذلك فلا يجابون.

وقد يكون محل عقد مجلس الإملاء في بيت الملي أو في غيره من المدارس والقاعات، ولذا اختار «ابن حجر» لأماليه أماكن متعددة هي «الشيخونية» و«الببيرسية»، و«الجملية المستجدة» بربطة العيد و«المدرسة المنكونية» المجاورة لمنزله، و«دار الحديث الكاملية»، ومتزلاً على شاطيء النيل بمصر.

كما لم تقتصر أماليه على «القاهرة» و«مصر» وحدهما، وإنما امتد بها إلى «دمشق» و«حلب».^(٥)

وقد يكون الإملاء من كتاب يقرأ فيه الملي أو من حفظه وهو لدى «ابن حجر» كان مخرجاً كله من حفظه مهذباً محرراً متقدناً. فكان منه ما هو مقيد بكتاب لا يتعداه إلى غير موضوعه، كما كان له مجالس مطلقة لم يتقيد فيها بكتاب، حيث يكون حرصه في الغالب الأعم على المناسبات في الأزمان والواقع^(٦) وهذه وتلك تكون كثيرة النفع لاحتواها على الكثير من الفوائد

(١) السيوطي. تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٩.

(٢) ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ٣٢٤، السخاوي. الجواهر والدرر ١٥١.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ١٥١، السيوطي. تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٣.

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ١٥٢.

(٥) ابن خطيب الناصرية. الدر المتنخب ج ١ ق ١٠٧ ب، ١٠٨ أ، ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ٤٩٤، السخاوي. الجواهر والدرر ١٣٨، ١٥١.

(٦) السخاوي. الجواهر والدرر ١٥١ أ، عبدالله بن زين. جهان الدرر ٦٩ ب.

الحادية من أبحاث وفوائد مهمة ونكت نفيسة، مع تحرير علو السند، وقصر المتن، والتعريف بالمروي عنهم من الشيوخ وغيرهم، والمستفاد من الحديث، والتنبيه على صحته، وما فيه من علو وفائدة: وضبط مشكل، ومراغاة لما يحتمله العقل والفهم من حاضر مجالسه^(١).

على أن هذه المجالس - غالباً - ما كانت تستفتح بقراءة قاريء حسن الصوت لسورة الأعلى^(٢) والصلوة على رسول الله ﷺ والدعاء له وللحاضرين والأئمة الماضيين^(٣). وتختتم - خاصة في المجالس المطلقة - بانشادات من نظمه^(٤) أو بعض الحكايات والنواذر والانشادات التي القصد منها ترويع القلوب ابتعاد لطرف الحكم^(٥). فإذا ما نجز مجلس الإملاء وقد تحرر في كراسة قوبلت على الأصل الذي حرره، قصداً للغاية في الإنقاذ^(٦).

ثانياً - التدريس:

حت الإسلام على العلم والتعلم وغدت وظيفة التدريس فيه من الوظائف السنوية التي يتمتع مزاوهاها بمكانة عظيمة في النفوس، حتى لقد تواترت الأخبار عن «أبي الأسود الدؤلي» بقوله: «ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك»^(٧).

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ١٥١ ب، السيوطي. تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ١٥١ ب، عبد الله بن زين. جان الدرر ٦٩.

(٣) ويشير «السخاوي» إلى أن «ابن حجر» قد استفسر منه عن خصوصية سورة الأعلى دون غيرها، فقال: «قد تبعك في ذلك شيخنا العراقي وفيها من المناسب قوله: **«ستقر لك فلاتسي»**، وقوله: **«فذكر»** وقوله: **«صحف إبراهيم وموسى»**...».

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ١٥١ ب، السيوطي. تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٥.

(٥) ابن خطيب الناصري. الدر المتنبج ١ ق ١٠٨. السخاوي. الجواهر والدرر ١٥١ ب، عبدالله بن زين. جان الدرر ٦٩.

(٦) السخاوي. تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٨.

(٧) السخاوي. الجواهر والدرر ١٥١ ب، السيوطي. تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٩.

ولقد كان هذا مدركاً لدى القائمين على أمر مصر، وأهلها - بحيث نهضت مصر برسالتها في نشر العلم واحتضان أهله، فكانت بمنتها الكبرى من الأسكندرية شمالي حتى قوص جنوباً محطاً لكثير من العلماء مشارقة ومغاربة على حد سواء^(١). بما يتحملون من العلم، أو يحملون من مادته. خاصة بعد سقوط بغداد ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ مـ. واتلاف التتار للكتب والمكتبات. فظهرت مصر قلعة للإسلام، ومنارة لنشر ثقافته، وهو ما يفهم من قول «ابن خلدون»: «... ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر»^(٢) وقوله: «... ونفت بها - أي مصر - أسواق العلوم، وزخرت بحارها»^(٣). بحيث استكثر السلاطين، والملوك والأمراء، والصلحاء، والعلماء... بها من المدارس، والزوايا، والربط، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة. فكان من المدارس ما ملاً الأخطاط وشحنهَا^(٤) سواء تلك الموقوفة على تدريس بعض العلوم التي لا يجوز أن تكون محلاً لتدريس غيرها أم تلك التي تجمع بين تدريس مختلفة.. كما لم تكن المدارس وحدها وقفاً على العلم والتعلم، بل لقد تعداها التدريس إلى القباب والجوانع.

وكان للمدرس شروطه في المدرسة التي يجعلها محلاً لتدريسه، كما كان للمدرسة شروطها في المدرس الذي لم يكن يختار إلا من مشاهير المعلمين لعتبرين الذين يجب أن تتوفر فيهم شروط معينة بحيث لا يقبل عليه الطلبة ما لم يكن محلاً لهذه الشروط وأهلاً لها. وهذا يفسر لنا حرص «ابن حجر» وعنياته بتحصيل أكبر قدر من الإجازات العلمية من جلة علماء عصره. ناهيك عن كثرة طلبه «بحيث كان رؤوس العلماء من كل مذهب تلامذته، ولم يجتمع عند أحد مجموعهم»^(٥). ويفسر لنا - كذلك - اختصاصه بالتدريس في أماكن متعددة كانت محلاً لتدريس في علوم شرعية منها:

(١) ابن خلدون. المقدمة ص ٤٣٥ ، د. محمد زغلول سلام. الأدب في العصر المملوكي ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) ابن خلدون. المقدمة ص ٤٣٤ .

(٣) نفسه ص ٤٣٥ .

(٤) القلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الإنشاج ٣ ص ٣٦٤ .

(٥) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٨٦ .

«التفسير» بالمدرسة الحسينية^(١)، والقبة المنصورية^(٢)، و«ال الحديث» بالشیخونیة^(٣)، وقبة الخانقاۃ البیبرسیة^(٤)، والجمالیة المستجدة^(٥)، وجامع ابن طولون^(٦)،

(١) كان ابتداء تدریس «ابن حجر» بها سنة تسعة وعشرين وثمانمائة من أجل أنه اطلع على كتاب وقفها فوجد فيه مدرساً للتفسير وأخر للحديث، ولم يجد بها أحداً، بل كانا شاغرين من عهد الواقف، فعندما علم ذلك التمس من الناظرين عليها تقريره في التفسير وتقرير ولده في الحديث، وأن يأخذنا لولده في الإستابة، ففوضا إليها ذلك. فباشر كلتا الوظيفتين، الأولى بطريق الأصالة، والآخرى نيابة عن ولده، إلى أن رغب عن التفسير لبعض جماعته «الزین السنديسي» - السخاوي. الجواهر والدرر ١٥٢ ب.

(٢) قام «ابن حجر» بالتدريس فيها بعد أن رغب له عنه «الشيخ شمس الدين البرماوي» بمال عوضه «النجم ابن حجي» تبرعاً عن «ابن حجر»، وذلك في سفر البرماوي للدمشق صحبة النجم المذكور واستمر بيده حتى مات - ابن حجر. إنماء الغمرج ١ ص ١٩٦ ، السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥٣ بـ ١٥٢.

(٣) كان ابتداء تدريس «ابن حجر» بها في شوال سنة ثمان وثمانين - في الحديث والفقه - عوضاً عن الشيخ «الشمس ابن معبد المدنى المالكى» بحكم نزوله عنه، وهى أول مكان ولد «ابن حجر» فيه تدريس الحديث. - ابن حجر، إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٢٤، البقاعي. عنوان الزمان ق ٣٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٣ أ.

(٤) وكان ابتداء تدریسه بها بعد وفاة «النور الرشیدی» سنة ثلاثة عشرة وثمانمائة، بعد ولایة «ابن حجر» لمشیخة الصوفیة ونظرها بیسیر، وأناب عنه فیها «البرهان ابن حضر»، ومن بعده «الشمس ابن حیان» - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٤٧٣ البقاعی. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٨ السخاوی. الجوامد والدرر ق ١٥٤ أ.

(٥) ولاده. تدريس الحديث بها أول ما فتحت واقفها «جمال الدين يوسف البيري» (ت ٨١٢ هـ. / ١٤١٠ م.) في رجب سنة إحدى عشرة وثمانمائة فاستقر يدرس بها إلى أن نزل عنها - عن الوظيفة - لبعض جماعته «ابن خلف الله الشمسي» سنة تسعة عشرة وثمانمائة لتشاغله عنها بدرس الفقه بالشيوخونية - ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ٣٩٩، ج ٢ ص ٤٤٨-٤٥٥، ج ٣ ص ١٨٥، السخاوي. الجواهر والدرر في ١٥٤.

(٦) ولي «ابن حجر» التدريس به عوضاً عن «التقى علي» حفيد «ابن العراقي» بحكم وفاته - سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة - وكان كتب له تفوياً به بعد وفاة جده في ذي القعدة سنة ست وعشرين وثمانمائة ، واستمر بيده حتى مات - السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب - وإن خرج عنه نظره للقاضي «علم الدين البلقي» (ت ٨٦٨ هـ . / ١٤٦٤ مـ) وكذا نظر الناصرية ليسكت عن طلب =

والقبة المنصورية^(١). ومشيخة الحديث بالمدرسة الزيتية^(٢)، ومشيخة إسماع الحديث بالمحمودية^(٣)، و«الفقه بالشیخونیة»^(٤) والشیرفیة الفخریة^(٥) والکھاریة^(٦) والمؤیدیة^(٧)

= العود للقضاء والسعى فيه فنوض «ابن حجر» له ذلك راضياً، وأخذ توقيعاً سلطانياً - ابن حجر، إنباء الغمرج ٣، ص ٤٧٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٤، أ، الذيل على رفع الإصر من . ٨٢-٨١

(١) تولى «ابن حجر» التدريس بها عوضاً عن «صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود بن العجمي»، ثم رغب عنه «للبدر ابن الأمانة»، وذلك حين رغب عن درس الفقه بالشیخونیة - ابن حجر، إنباء الغمرج ١ ص ١٩٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب.

(٢) ولـي الحديث بها بعد الفراغ من عماراتها في رجب سنة إحدى وخمسين وثمانمائة - قبل موته بيسير - بالتماس الواقع وغیره من حاشيته قصداً لحصول التجمل بابن حجر. فلما توفي لم يقرر صاحبها فيها أحداً، قائلاً: «إنما فعلت ذلك لأنشرف به» - السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب.

(٣) ولـي «ابن حجر» التدريس بها في ربيع الأول سنة تسع وثمانمائة بعد وفاة «البدر الطنبدي» وكان يستخلف فيها من اختاره من طبلته - السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب.

(٤) رغب له عنها - بمال - الشیخ «النور اللواتی الأیاری» (ت ٨١٤ هـ / ١٤١٢ م.) سنة إحدى عشرة وثمانمائة بعد أن استقر فيها، ودرس بها يوماً واحداً، فلما أصبح «ابن حجر» قاضياً نزل عنها سنة سبع وعشرين وثمانمائة - ابن حجر، المجمع المؤسس ٢٤٠ ب، إنباء الغمرج ٢، ص ٥٠٠ السخاوي، الضوء اللامع ج ٥، ص ٣٠ الجواهر والدرر ق ١٥٥ ب.

(٥) ولـي «ابن حجر» تدريس الفقه بها سنة ثمان وثمانمائة عوضاً عن «الزین حرمی»، ثم رغب عنها فيما بعد «للنور القمنی» - السخاوي الجواهر والدرر ق ١٥٥ ب.

(٦) ثم رغب عنها «لابن الأمانة» - السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٥ ب.

(٧) استقر «ابن حجر» في تدريس الشافعیة بها، وخلع عليه بحضور السلطان، فدرس بالمحراب يوم الخميس ثالث عشر وأقبل السلطان ليحضر عنده وهو في إلقاء الدرس ومنعه من القيام له، فلم يقم، واستمر فيها هو بصدده، وجلس السلطان عنده ملياً - المقریزی. الخططوج ٢ ص ٣٢٨ - ٣٣٠، ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٥٦ - ٥٧، ١٩٣، البقاعی. عنوان الزمان ج ١ ق ٤ السیوطی. حسن المحاضرة ص ٢٧٢ - ٢٧٣ - وهي معروفة الآن - بجامع المؤید بجوار باب زويلة بالغوریة - ويشير «ابن حجر» إلى أنه في ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثمانمائة أنهى الشیخ «شمس الدین الهرماوی» إلى السلطان أن شرط المؤید أن لا يكون المدرس بها قاضياً، وأعانه قوم آخرون، فانتزع تدريس الشافعی بالمؤیدیة منه، فسعى «ابن حجر» إلى أن =

والخروية البدريّة^(١)، والصالحة النجميّة^(٢) والصلاحية المجاورة لقبة الإمام الشافعي ، ونظرها^(٣).

ثالثاً - الإفتاء:

ولي «ابن حجر» إفتاء دار العدل^(٤) سنة إحدى عشرة وثمانمائة واستمرت هذه الوظيفة معه حتى مات^(٥). فكان إلى فتاوئه النهاية في الإيجاز مع حصول الغرض، لا سيما في المسائل التي لا نقل فيها، فإنه كان أحسن علماء عصره تصرفاً وتخرجاً على القوانين المحررة بالدلائل المعتبرة. وهو فقيه النفس^(٦). حيث كان يكتب منها في اليوم - غالباً - أكثر من ثلاثين فتيا^(٧) وقل أن يمضي له يوم لا يكتب في المجلس الواحد على نحو عشرين فتيا^(٨). بل لقد توافرت له الكتابة على

= أظهر كتاب الوقف وقد سكت عن الشرط المذكور فأعید ذلك له، وعرض «المرماوي» بأن ينوب عن حفيـد العـراقيـ في جـهـاتهـ بـثـلـاثـ المـعـلـومـ، فـبـاـشـرـ ذـلـكـ - اـبـنـ حـجـرـ. إـنـاءـ الـغـمـرـجـ ٣ـ صـ ٣٣٥ـ السـخـاوـيـ . الجـواـهـرـ وـالـدـرـرـقـ ١٥٥ـ بـ.

(١) ولـيـ اـبـنـ حـجـرـ التـدـرـيـسـ بـهـاـ فيـ ثـامـنـ عـشـرـ رـمـضـانـ سـنـةـ إـحـدـىـ وـثـلـاثـيـنـ وـثـمـائـةـ، بـرـغـبـةـ «ابـنـ أـبـيـ الـحـسـنـ»ـ لـهـ عـنـهـ، ثـمـ نـزـلـ عـنـهـ فـيـهـ بـعـدـ - الـبـقـاعـيـ. عنـوانـ الـزـمـانـ جـ ١ـ قـ ٣٢ـ، السـخـاوـيـ . الجـواـهـرـ وـالـدـرـرـقـ ١٥٥ـ بـ.

(٢) كان ابتداء تدریس «ابن حجر» بها سنة ثلث وثلاثين وثمانمائة عوضاً عن حفيـدـ الـولـيـ الـعـراـقـيـ، ثـمـ صـارـ بـعـدـ ذـلـكـ مـضـافـاًـ لـوظـيـفـةـ الـقـضـاءـ، لـكـنـهـ لـمـ اـنـفـصـلـ «ابـنـ حـجـرـ»ـ عـنـ الـقـضـاءـ آخـرـ مـرـةـ اـنـتـزـعـ لـهـ تـدـرـيـسـهـ تـطـيـيـباـ لـخـاطـرـهـ، وـلـيـسـ خـلـعـةـ لـذـلـكـ - السـخـاوـيـ . الجـواـهـرـ وـالـدـرـرـقـ ١٥٦ـ أـ.

(٣) تلقـاهـ «ابـنـ حـجـرـ»ـ عـنـ «الـعـلـاءـ الـقـلـقـشـنـيـ»ـ. فـبـاـشـرـهـ بـحـكـمـ انـفـصـالـهـ عـنـهـ يـوـمـ الـاثـنـيـنـ ثـانـيـ عـشـرـ رـجـبـ سـنـةـ سـتـ وـأـرـبـعـينـ وـثـمـائـةـ، وـتـالـمـ العـلـاءـ لـذـلـكـ، وـلـاـ رـجـعـ «الـوـنـائـيـ»ـ مـنـ الشـامـ مـنـفـصـلاـ عـنـ قـضـائـهـ سـعـيـاـ فـيـ تـدـرـيـسـهـ لـكـونـهـاـ وـظـيـفـةـ صـهـرـهـ «الـتـلـوـانـيـ»ـ فـتـرـكـهـ «ابـنـ حـجـرـ»ـ لـهـ اـخـتـيـارـاـ فيـ صـفـرـ سـنـةـ ثـمـانـ وـأـرـبـعـينـ وـثـمـائـةـ - السـخـاوـيـ . الجـواـهـرـ وـالـدـرـرـقـ ١٥٦ـ أـ.

(٤) نفسـهـ قـ ١٥٦ـ بـ، الذـلـيلـ عـلـىـ رـفـعـ الإـصـرـ صـ ٨٥ـ، عـبـدـالـلـهـ بـنـ زـيـنـ. جـانـ الدـرـرـقـ ٦٩ـ بـ.

(٥) السـخـاوـيـ . الجـواـهـرـ وـالـدـرـرـقـ ١٥٦ـ بـ.

(٦) نفسـهـ قـ ١٦١ـ أـ، عـبـدـالـلـهـ بـنـ زـيـنـ. جـانـ الدـرـرـقـ ٧٠ـ بـ.

(٧) نفسهـ.

(٨) الـبـقـاعـيـ. عنـوانـ الـزـمـانـ جـ ١ـ قـ ٥٤ـ .

الفتيا وهو على راحلته مسافراً^(١). أو وهو متشغل بغيرها من الحديث . . .^(٢) مما يشير إلى تمكنه من مادتها . وقد سبقت الإشارة إلى صرف همته إلى الفقه بتوجيه أحد أساتذته وقد تفرس النجابة فيه^(٣)، وشربه لماء زمزم في تيسير أمر الفتوى عليه^(٤). وإجازة أعلام عصره له بالفتيا .

وعلى الرغم من كل هذا ، وعلى الرغم من حرصه على ألا يحابي بالفتيا أحدها ولو عظم^(٥) فإنه قد انتقض بعض فتاوئه ، وعدد البعض الخطأ في بعضها على حين أقر «ابن حجر» نفسه - بذلك - في صدر مصنف له وقع في مجلدة جمع فيها مهم فتاوئه سماه «عجب الدهر في فتاوي شهر»^(٦) كما أن تلميذه

(١) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦١ .

(٢) البقاعي . عنوان الزمان ج ١ ق ٥٤ .

(٣) حيث يشير السخاوي إلى أن الإمام «حب الدين بن الوادي المالكي» كان قد رأه حديثاً على سماع الحديث وكتابته ، فقال له : «إصرف بعض هذه الهمة إلى الفقه فإنني أرى بطريق الفراسة أن علماء هذا البلد سينقرضون وسيحتاجون إليك ، فلا تقصّر بنفسك» . - السخاوي . الجواهر والدرر ق ٣٦ أ - ويعقب «ابن حجر» على ذلك قائلاً : . . . فهنفتني كلمته ، ولا أزال أترحّم عليه بهذا السبب » - البقاعي . عنوان الزمان ج ١ ق ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦١ .

(٥) نفسه ق ١٦١ ب ، عبدالله بن زين . جهان الدرر ق ٧٠ ب - ومن ذلك ما أورد «ابن حجر» في إنباء الغمر بشأن كفالة محضر بتكفير «فراي يوسف» وزولده وإنباته على القضاة ، والطواف به على المشايخ ليكتبوا في ظاهره بتصويب الحكم المذكور ، والإذام السلطان وكاتب السر له بذلك ، ومدافعته لهم ، حيث لم يف بما عهد إليه - تقديرًا لحق الله تعالى - وعدم المحاباة في دينه - ابن حجر . إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٢٢ ، السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦١ ب ، عبدالله بن زين . جهان الدرر ق ٧٠ ب - وكذا توقفه في الفتيا بالإذن «لشاه رخ» فيكسوة الكعبة مشيرًا إلى أنه إن خشي منه الفتنة فيجب دفعاً للضرر - السخاوي الجواهر والدرر ق ١٦١ ب - ومخالفته و«البساطي» للقاضي «الجلال البلقي» في إحدى فتاويه - على الرغم من اختصاصه به ، وقوبله الإنابة عنه في القضاة - مما جعل «الجلال» يتغىّر ، وإن اجتنب مع «ابن حجر» واستضعف جانب غيره - السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦٢ .

(٦) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦١ ب ، عبدالله بن زين . جهان الدرر ق ٧٠ ب - حيث أورد «ابن حجر» في صدر كتابه قوله : « . . . أما بعد - فإن من غلب عليه الحسد ، ووقف على فتوى =

«السحاوي» قد علل لذلك قائلاً: «.. . فمن يفتي في الشهر بأكثر من ثلاثة لا يستغرب إذا أخطأ منها في ثلاثة، بل في ثلاثة»^(١).

ويبدو أن الفتوى كانت ترد إليه من مواضع شتى، متضمنة موضوعات حديثية أو فقهية، نظرية وشعرية، وأن ردوده عليها كانت مناسبة لذات مادتها^(٢). كما كان يرى منه العجب في معرفة مقاصد السائلين من عباراتهم المعجرفة وحروفهم المقلمة^(٣). فإن عمي عليه المراد، كتب تحت السؤال أو بجانبه: «يكتبها طالب علم»، وقد يعلم أن مذهبـه - وهو الشافعي - لا يوافق غرض السائل فيرشـده لـن عنده ما ينفعـه، أو يطلع على تعـنت السـائل، فلا يكتب قصـداً لـردعـ من هـذا سـبيلـه، لكن تركـ الكتابـة مع ذلكـ في النـادر^(٤).

وما من شك في أن تقلده لوظيفة الإفتاء قد جعله يتصل إتصالاً مباشراً بالكثير من أحداث عصره ويشارك في بعضها، فضلاً عن إحتكاكه - عن قرب - ببعض السلاطين وغيرهم من أرباب الدولة، ناهيك عن سائر طبقات مجتمعه مما انعكس على الكثير من كتاباته، خاصة التأريخي منها.

رابعاً - القضاء:

عرض على «ابن حجر» النيابة في القضاة - قبل القرن - فامتنع من القبول، لأنه - حينئذ - كان لا يؤثر على الإشتغال بعلم الحديث شيئاً^٥). كما كان له في فعله هذا سلف.

خطيء وقع عند كتابها ذهول عن تقييد ما يوهم الإطلاق فيه فشنع عليه في ذلك، وبالغ مع أنه عند التأمل لا يخفى المراد، فلما بلغني ذلك حداي على تدوين ما يقع لي من الأسئلة في شهر واحد ليعد من يقف عليها فيراها وصواهها أكبر من خطأها، فإن الإنسان طبع على النسيان، والسعيد من غلب صوابه على خطئه».

(١) السخاوي. الجواهر والدرر. ١٦٦.

١) السخاوي، الجوهر والدرر ١٦١.

(٢) نفسه ق ٢٣٢ أ وما بعدها - الباب السادس في سياق شيء من بلية كلامه نظرياً ونشرأ.

(٣) نفسه ق ٢٣٢ أ وما بعدها.

١٦٢ نفسه (٤)

⁽⁵⁾ حيث أشار «السخاوي» إلى أن القاضي «صدر الدين محمد بن الشريف إبراهيم بن إسحاق بن

بيد أن موقفه من القضاء بدأ يتغير حيثاً نتيجة لإسناد بعض المهام المتعلقة بالقضاء إليه، وهي :

أ - إسناد المؤيد شيخ إليه الحكم في قضية خاصة، وهي الفصل بين «الهروي» - قاضي القضاة الشافعية آنذاك - وبين خصومه من الخليليين والمقادسة ، وذلك سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة^(١).

ب - قبوله النيابة في القضاء عن القاضي «جلال الدين البلقيني» (ت ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م.) وكان بينهما من الود ما اشتهر - بعد الحاج وتكرير

= إبراهيم المناوي» (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م.) - له ترجمة في : ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٩٢ ب - ١٩٣ أ، وابن حجر. إنماء الغمرج ٢ ص ١٨١ - ١٨٢، والمجمع المؤسس ق ١٦٦ ب - ١٦٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٤٩ - ٢٥٠، الذيل على رفع الإصر ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٤ - ٣٥ . قد عرض على «ابن حجر» النيابة عنه في القضاء - قبل القرن - فامتنع - الجواهر والدرر ق ١٦٢ ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٠ ، الضوء اللامع ج ٣ ، ص ٣٨ ، عبدالله بن زين. جان الدرر ق ٧٠ ب - كما كان هناك من يشعر بأن «ابن حجر» كان قد عرض عليه النيابة في القضاء في كل من الأيام المؤيدية والظاهرية طضر - السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ ب ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٠ .

كما يشير «ابن حجر» إلى أن «المؤيد شيخ» كان قد عرض عليه منصب القضاء مراراً فامتنع وأصر على الإمتاع ، فأراده على ذلك ورغبه فيه حتى صرخ بأن للقاضي بدمشق في الشهر عشرة آلاف درهم فضة معاليم قضاء وأنظار إذا كان رجلاً جيداً، فإن كان غير ذلك كان ضعف ذلك فناصر على الإمتاع وبالغ في الاستعفاء - إنماء الغمرج ٣ ص ٩٥ - ٩٦ - وأن الناصر بن الأشرف ملك اليمن كان قد ترك قضاءها شاغراً بعد وفاة المجد الفيروزبادي - مدة ستين - يتطرق قدومه عليه ليوليه إياه فلم ينجبه إلى ذلك - إنماء الغمرج ٣ ص ١٧٨ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧٤ أ.

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٢ ب ، ١٧٥ أ ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٠ - ويشير «ابن حجر» إلى ذلك قائلاً: «... فلما كان في الثامن من شهر ربیع الأول قدم طائفة من الخليل والقدس صحبة الناظر عليهم... فشكوا منه أنه أخذ منهم مالاً عظيماً في أيام نظره، فابتليت بالحكم بينهم بأمر السلطان، فتوجه الحكم على الهروي فخرج في الترسيم...» - إنماء الغمرج ٣ ص ١٩٠ .

سؤال من القاضي له في ذلك^(١). وإن لم يباشر من الأحكام إلا ي sisir ما لا يستغنى فيه عنه^(٢).

جـ- إجابته التماس القاضي «ولي الدين ابن العراقي» (ت ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ مـ) في النيابة عنه، وكان قد استقر في القضاء بعد وفاة ابن البليقيني - دفعاً منه لتوهم مزية للقاضي «جلال الدين» عليه^(٣).

دـ- على أن سؤال القاضي «علم الدين صالح بن البليقيني» (ت ٨٦٨ هـ / ١٤٦٤ مـ) له في تنفيذ مكتوب الخشابية، وإجابة «ابن حجر» له كان سبباً مباشراً في ولوح «ابن حجر» إلى القضاء، وقد تغير موقفه كلياً منه، لأنه وجد في هذا الموقف من الإستفزاز ما دفعه إلى التلبس بالقضاء على اعتبار أنه كان قد أستشير في ولاية «العلم» للقضاء فامتدحه، كما كان «العلم» من قرأ عليه في محاسن الإصطلاح ناهيك عن كونه ابن لشيخه «السراج البليقيني»، وأخا عزيز عليه هو «الحال البليقيني» وهو ما دفع «بابن حجر» إلى تنفيذ ما أسنده إليه ظناً منه أن في إسناد تنفيذه إليه تشريفاً من القاضي له «لعلو منزلته» وأن ليس في هذا كبير أمر - فلم يتوجه أنه يترفع عليه بذلك، فها كان إلا ي sisir حتى رأى منه ما لم يألفه منه قبل^(٤). وكان هذا سبباً لـإجابة حين عُرضَ عليه قضاة الديار المصرية فاستمر فيه - بتفويض من الملك «الأشرف برسباي» - يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة - بعد إنفصال «العلم» المذكور^(٥).

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٨٠، الضوء اللامع ج ٢، ص ٣٨. عبدالله بن زين. جان الدرر ص ٧٠ ب.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ ب.

(٣) نفسه.

(٤) ابن حجر. رفع الإصر ج ٢ ص ٢٥٨ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ ب.

(٥) ابن خطيب الناصرية. الدر المتنبـ ق ١٠٨ ب، ابن حجر. إنماء الغمرج ٣، ص ٣٣٤، رفع الإصر ج ١، ص ٨٨ ، ٢/٢٥٨ ، ابن فهد المكي . لحظ الاحظاظ ص ٣٣٠ ، ابن تغري بردي . حوادث الدهور ج ١ ص ١٤٧ (مخترات بوين ، المنهل الصافي ج ١، ق ٦١ ب، البقاعي . عنوان الزمان ج ١ ق ٤٦ ، السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦٢ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٨٠ ، الضوء اللامع =

وظل يُصرُّف ويُعاد إليه^(١) إلى أن عزل نفسه في الخاس والعشرين من جمادي الآخرة سنة اثنين وخمسين وثمانمائة^(٢) فاستمر متفصلاً عنه، مخلصاً في عدم العود إليه - من كثرة ما تزوالي عليه من الإنكار والمحن بسببه^(٣) - حتى مات^(٤) فكانت مدة ولايته في المدار كلها تزيد على إحدى وعشرين سنة بأشهر^(٥).

وعلى الرغم من أنه كانت لديه دراية بالأحكام، وخبرة بالمصطلح^(٦) ومبشرة مع الديانة والتحري في الأحكام الشرعية^(٧) ونزاهة وتواضع زائد، واستجلاب لخاطر الصغير قبل الكبير، وتصميم على الأمور، وإحسان للفقراء والطلبة، فإن ذلك كله كان بنكد وعناد وتعب وكثرة معاد وقلة منصف^(٨) مما جعل «ابن حجر» يندم على قبوله وظيفة القضاء، لكون أرباب الدولة لا يفرقون بين أولي الفضل وغيرهم وببالغون في اللوم حيث ردت اشاراتهم، وإن لم تكن على وفق الحق، بل يعادون على ذلك، واحتياج القاضي بسببه إلى مداراة الكبير والصغير بحيث لا يمكنه مع ذلك القيام بكل ما يرومته على وجه العدل، مما جعله يصرح بأنه جني على نفسه بتقلده أمرهم^(٩) وأنه ما بقيت شرة في بدنه تقبل اسم القضاء^(١٠).

= ج ٢، ص ٣٨، السيوطي. نظم العقيان ص ٤٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٠.

(١) السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٨، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٠.

(٢) ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٦٢ أ، النجم الزاهرة ج ١٥ ص ٣٨٣، السخاوي. الجوامر والدرر ق ١٦٦ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٨.

(٣) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٨٤-٨٥.

(٤) السخاوي. الجوامر والدرر ق ١٦٦ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٨.

(٥) السخاوي. الجوامر والدرر ق ١٦٧ أ.

(٦) نفسه.

(٧) ابن خطيب الناصرية. الدر المتنبب ق ١٠٨ ب.

(٨) السخاوي. الجوامر والدرر ق ١٦٢ أ.

(٩) نفسه ق ١٦٣ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٠-٨١، الضوء اللامع ج ٢، ص ٣٨، عبدالله ابن زين. جهان الدرر ق ٧٠ ب.

(١٠) السخاوي. الجوامر والدرر ق ١٦٦ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٨.

وهنا تجدر الإشارة إلى أمور متعلقة بتلبس «ابن حجر» بالقضاء، وهي :

أولاً - أن «ابن حجر» وقد حقق الغاية من توليه القضاء - وهي رد ما انتقص من كرامته بالإلإنابة عن «العلم البليغيني» في بعض المهام لم يكن حريصاً على الإستمرار فيه، ولذا صرخ في غير موضع بأن القضاء والقدر هو الذي أوقعه في القضاء^(١) وبأنه ما سر بالولاية، ولكن ساعة العزل^(٢) وبأن المحرك له على البقاء فيه هو ولده، بل كثيراً ما كان الولد يسعى في ذلك ويتكلف من غير علم الوالد إلى أن يحجب^(٣). وهذا ينفي إدعاء «ابن فهد المكي» تكالب «ابن حجر» على المنصب وبذله فيه . . .^(٤).

(١) المصدر السابق ص ١٦٣ أ، ج ٢ ص ٢٨ على التوالي.

(٢) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦٦ ب.

(٣) نفسه ق ١٦٦ أ.

(٤) حيث يشير إلى ذلك قائلاً: «... وكان يتخلله في غضون ذلك من الملك قلة رضى ويشاع صرفه، فيهدي إليه ما يليق به من المال فيرده في المنصب، فلو تزه عنه ولزم الاشتغال بالعلم ليلاً ونهاراً وحج إلى بيت الله وزار قبر نبيه ﷺ وجاور بالحرمين الشريفين لأزداد بذلك رفعة ووجاهة عند الله تعالى - وال المسلمين ، لكنه عجن قلبه بمحبة ذلك وفتنه فيه بولده، فأوقعه في المهالك...». لحظ الألاظط ص ٣٣٠ - ٣٣١.

وبنافي ذلك ما عرف من تصرفات «ابن حجر» إزاء المنصب، مما سجل في غيره من المصادر، حيث يشير «السخاوي» إلى أن دوادار السلطان قد تكلم مع «ابن حجر» بعد صرفه عن القضاء في وزن مال ليعود، فامتنع من ذلك منشداً:

الدوادار قال لي أنا أقضى مأربك
قم زن المال قلت: لا حفظ الله جانبك
(من الخفيف)

ويعلق «السخاوي» على ذلك قائلاً: «... على أن شيخنا لم يكن يتوقف عن البذل، بحيث أنه كان يكلمه في أيام الظاهر - فقط - ثلاثة عشر ألف دينار، من خالص ماله من ذلك ستة، وبباقيه كان من فائض الأوقاف ويشهد عليه بوصوله إليه، وأن يصرفه في مصارفه.

كما أن «ابن حجر» كان قد كتب ما يتعلق بذلك قوله: «... نبذل في القضاء المال لأجل عزل زيد، فيقي أن يؤجر لا أن يؤزر، والأعمال بالنيات». السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦٣ ب.

ويضاف إلى ذلك أنه رسول بالإجتماع بالسلطان بعد عزله في الخامس عشر ذي القعدة سنة =

ثانياً - أن «ابن حجر» لم يحرص على المنصب حرصه على صون كرامته وعدم إهداها، ولذا فإنه لم يلتفت لتهديد جاهم^(١) بل لقد كان في تصيرفاته مع أرباب الدولة ما يشير إلى تصلبه في الحق واجلاله لذاته، ويكتفي الإشارة في هذا الصدد إلى أمور منها:

* مبادرته بعزل نفسه للتتكلم في نزاهة القضاء بحضورة السلطان^(٢).

* إزعاجه للسلطان - بعد إخراج مشيخة البيبرسية عنه - ونهره لكاتب السرود دوادار السلطان لتكلمه معه بالتركية، تعمية «لابن حجر» عن مرادهم^(٣).

= ست وأربعين وثمانمائة، وكان قد صمم على عدم القبول من أول يوم فاجتمع به القاضي المالكي ويبلغه عن جماعة ما يقتضي التحريف والتهديد إذا استمر على الإعراض بما يخشى منه على المال والولد والعرض فقبل على ذلك - ابن حجر، إنباء الغمرج ٩ ص ١٨٨ - ١٨٩ ، السخاوي الجواهر والدرر ١٦٤ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٨٣ .

كما أنه عزل نفسه من القضاء عندما حضر من القاضي المالكي بحضورة السلطان كلام لا يليق به، واشتد في ترفعه وامتناعه من العود إلى المنصب مما أوجد السلطان عليه. - البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٤٦ .

(١) حيث يشير «السخاوي» إلى أن السلطان قرر بعض الأمراء في شيء من الأنظار التي استرجعها «ابن حجر» وجاءه الرسول عن السلطان بأنه إن لم يجب لذلك وإنما وسكت الرسول، فبادر «ابن حجر» بعزل نفسه قائلاً: «عثر الحمار بشهوة المكارى» - الجواهر والدرر ١٦٤ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٨٣ .

(٢) حيث يشير «ابن حجر» إلى أنه في التاسع من ربىع الآخر سنة اثنين وأربعين وثمانمائة قرئ تقليد السلطان «الظاهر جقمق» بالقصر وجرى كلام يتعلق بالقضاء، فقال الشافعى : عزلت نفسي، فقال له السلطان: أعدتك. فقبل، وخلع عليه وعلى رفقة ورسم بإعادة الأوقاف التي خرجت عن الشافعى .. فاعيدت بتوقيع جديد، وفي يوم الاثنين سلخه حضر لتهنة السلطان بالشهر الجديد فسأل السلطان أن يشهد على نفسه بما فوض له من الولاية والأنصار وغيرها فأشهد على نفسه بذلك بحضورة القضاء - إنباء الغمرج ٩ ص ٤٢ ، ٤٦ . وأكد عليه في أن لا يقبل رسالة مشجوة ولا يؤجر وقفًا لمن يجاه لسؤاله له في التأكيد عليه بذلك ليتفعل به في الوصول إلى غرض الحق - السخاوي. الجواهر والدرر ١٦٤ ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٢ .

(٣) حيث يشير «السخاوي» إلى أن «ابن حجر» كان قد اتفق طلوعه إلى السلطان في بعض القضايا فأظهر ما عنده من التأثر وشافه الظاهر بقوله: أعطيت وظيفتي من لا يدرى إسلام ، وكذا نهر ابن

* عتابه العنيف للسلطان إلى الحد الذي أخرجته منه فاندفع يعيده إلى وظيفته في اليوم التالي^(١).

* رسالته الجريئة إلى السلطان، وقد هضم حقه وأخذ في مقاشرته^(٢). بل، والسعى في عزل السلطان دفعاً للظلم والجور^(٣).

= البارزي ودولت بأي لكونه تكلم مع السلطان - حيثـ - بالتركي ، وانزعج السلطان من ذلك كلـ حتى صارت ركبـته تهـزـ.

ويعلـق على ذلك بقولـه: «... وأظنه كان سبـباً لعزلـه من وظيفة القضاـء عن قربـ... بل ما كفـه عنه إـلا الله - عـز وجـل - وما صدرـ كلـ هذا من شـيخـنا إـلا وقد بلـغـت الروحـ التـرقـة » - الجوـاهـرـ والـدرـقـ ١٥٨ـ أـ.

(١) يـشير «الـسـخـاوـي» إلى أنهـ - بعد عـزلـ «ابـنـ حـجـر» عن القـضاـء «بـالـعـلـمـ الـبلـقـيـيـ» - رـاسـلـهـ السـلـطـانـ فيـ الطـلـوـعـ إـلـيـهـ لـلـسـلـامـ عـلـيـهـ وـمـاحـاتـهـ جـرـيـاً عـلـيـهـ عـادـةـ «ابـنـ الـبلـقـيـيـ» فيـ أـيـامـ بـطـالـتـهـ ، فـلـمـ يـسـعـ «ابـنـ حـجـر» إـلـاـ إـمـتـالـ عـلـىـ طـرـيقـ إـلـاعـالـ ، فـلـمـ اجـتـمـعـاـ أـخـذـ السـلـطـانـ فيـ التـشـوـقـ إـلـيـهـ بـعـدـ مـزـيدـ مـنـ إـلـقـابـ عـلـيـهـ ، لـكـنـ «ابـنـ حـجـر» اـشـتـدـ عـلـيـهـ بـعـاـ اـنـشـدـهـ مـنـ شـعـرـ فيـ مـوـضـعـ العـتـبـ ، مـاـ جـعـلـ السـلـطـانـ يـطـرـقـ رـأـسـ خـجـلـ ، فـبـادـرـ «ابـنـ حـجـر» عـنـدـ ذـلـكـ فـقـرـأـ الفـاتـحةـ وـدـعـاـ وـاـنـصـرـ ، فـلـمـ وـلـيـ رـاسـلـهـ السـلـطـانـ بـالـطـلـوـعـ مـنـ غـدـهـ لـيـعـيـدـهـ إـلـيـ وـظـيـفـتـهـ ، وـقـدـ كـانـ - السـخـاوـيـ . الجوـاهـرـ والـدرـقـ قـ ١٦٤ـ أـ.

(٢) وكان ذلك بعد سقوط منارة الفخرية القديمة، وتغيـظـ السـلـطـانـ عـلـيـهـ ظـنـاـ مـنـهـ أنـ النـاظـرـ عـلـىـ المـدـرـسـةـ يـنـوـبـ عـنـهـ ، وـقـدـ انـكـشـفـ الغـطـاءـ بـأـنـ لـيـسـ فـيـ ذـلـكـ وـلـيـةـ وـلـاـ نـيـاـةـ ، وـلـاـ عـرـفـ بـشـيءـ مـنـ ذـلـكـ مـنـذـ وـلـيـ وـلـيـ تـارـيـخـهـ . لـكـنـ اـنـهـزـ الأـعـدـاءـ الفـرـصـةـ وـأـوـصـلـواـ إـلـىـ السـلـطـانـ مـاـ أـوـغـرـ صـدـرـهـ عـلـيـهـ فـغـضـبـ زـيـادـةـ عـلـىـ الغـضـبـ الـأـوـلـ وـرـاسـلـهـ بـأـنـ يـنـزـلـ عـنـ الـحـكـمـ ، وـيـغـرـمـ دـيـةـ المـوقـعـ . - اـبـنـ حـجـرـ . إـنـباءـ الغـمـرـجـ ٩ـ ، صـ ٢٣٢ـ - ٢٣٣ـ ، السـخـاوـيـ . الجوـاهـرـ والـدرـقـ ١٦٥ـ أـ ، الذـيلـ عـلـىـ رـفـعـ الإـصرـ صـ ٨٣ـ - ٨٤ـ - وـهـذـاـ رـاسـلـهـ «ابـنـ حـجـر» مـعـ «الـعـلـاءـ بـنـ أـقـبـرـسـ» بـقـولـهـ : «الـقـاضـيـ جـلالـ الدـينـ الـبـلـقـيـيـ قـتـيلـ طـطـرـ ، وـالـقـاضـيـ وـلـيـ الدـينـ اـبـنـ الـعـرـاقـيـ قـتـيلـ الأـشـرـفـ بـرـسـبـاـيـ ، وـأـنـ قـتـيلـكـ ، وـأـرجـوـ أـنـ اللهـ - تـعـالـىـ - يـقـضـيـ لـلـمـظـلـومـ مـنـ الـظـالـمـ» ، أوـ مـعـنـيـهـ هـذـاـ ، وـإـنـ لـمـ تـصلـهـ الرـسـالـةـ لـإـشـارـةـ «الـعـلـاءـ» بـذـلـكـ إـلـىـ الـخـلـيـفـةـ ، وـاستـشـارـتـهـ فـيـ تـبـليـغـهـ ، وـمـنـعـ إـيـاهـ مـنـ ذـلـكـ خـشـيـةـ عـلـىـ «ابـنـ حـجـر» - السـخـاوـيـ . الجوـاهـرـ والـدرـقـ ١٦٤ـ بـ.

(٣) حيثـ يـشـيرـ «ابـنـ حـجـر» إـلـىـ ذـلـكـ قـائـلاـ: «... ثـمـ إـنـ بـعـضـهـمـ أـغـرـىـ السـلـطـانـ بـأـنـ قـالـ لـهـ : إـنـ فـلـانـاـ يـتـبـجـحـ بـكـذاـ ، وـيـنـسـبـ السـلـطـانـ إـلـىـ الـظـلـمـ وـالـجـورـ وـنـحـوـ ذـلـكـ - إـنـباءـ الغـمـرـجـ ٩ـ صـ ٢٣٣ـ .

ثالثاً - أن تلبسه بالقضاء جعله يتصل بسائر طبقات مجتمعه ابتداء بالسلطين ومروراً برجالات الدولة والعلماء، وانتهاء بالعامة من الناس، وهذا وإن كان قد أعطاه رؤية صادقة لحال مجتمعه بدت في كتاباته - خاصة التاريخي منها - فإنه - لا شك - قد أكسبه عداء الكثيرين له سواء بتصرفاته المتصلبة في الحق التي لا تخشى في الله لومة لائم، أم بكتاباته عنهم - خاصة فيما يكتبه متعلقاً باستقرارتهم الوظيفية، وجراحتهم وتعديلهم - ناهيك عن العداء المتولد من تغيرهم على المنصب الواحد^(١).

رابعاً - أن تلبسه بالقضاء أفسح له المجال لاظهار قومات في الله - تعالى - ما كان لها أن تنطلق لإفادة مجتمعه وقد ظهر من خلالها «ابن حجر» مصلحاً إجتماعياً، وحلقة وصل بين الحكام والمحكمين لو لا شغله لهذا المنصب ومعاناته فيه ..

من ذلك :

* ما تعلق بمجلس أخذ الزكاة من التجار^(٢).

* تكلمه مع السلطان بشأن قناديل رمضان^(٣).

كما يشير السخاوي إلى أن «ابن حجر» قد التمس من رفيقه القاضي الجنفي «سعد الدين ابن الديري» أن ينفذ ما يصدر منه بخلع السلطان فنم القاضي عنه بصفاء الخاطر، لا قصداً للأذية، مما أوغر السلطان علي «ابن حجر» - الجواهر والدرر ١٦٥ .

(١) بالإضافة إلى ما مر يمكن الوقوف على موقفه من كل من «العلم البلقيفي» و«الشمس المروي» في كتابته عنها في إباء الغمر والمجمع المؤسس مقارناً بكتابات سواه.

(٢) عقد هذا المجلس في السنة الأولى من ولائه، فقام مع التجار قصداً لعدم تطرق الظلم عليهم وأيدهم، فتبعه المالكي والجنفي وانفرجت عنهم وعن غيرهم - ابن حجر، إباء الغمرج ٣ ص ٣٢٧ ، السخاوي الجواهر والدرر ١٦٧ .

(٣) كان تكلمه مع السلطان في أن لا تطفأ القناديل في رمضان إلا قبل طلوع الفجر لما يحصل من الإجحاف بالناس من ينام ثم يستيقظ وهو عطشان حيث يمنع من الشرب ظناً منه أن ذلك حرام . - ابن حجر، إباء الغمرج ٣ ص ٣٨٣ ، السخاوي . الجواهر والدرر ١٦٧ ب.

* ما تعلق بشأن إبطال إدارة المحمل^(١).

* إصلاح اضطراب قيمة النقد^(٢).

* حماية الأوقاف^(٣).

* بالإضافة إلى بعض الأحكام والتصерفات الصادرة عنه بخصوص كائنة

(١) يشير «ابن حجر» إلى ذلك قائلاً: «... التمس الشيخ علاء الدين... البخاري من السلطان أن يبطل إدارة المحمل حسناً لماده الفساد الذي جرت العادة بوقوعه في الليل والنهار من ارتكاب المكرات والتجاهز بالمعاصي، فامر السلطان بجمع القضاة وكاتب السر وأن يتوجهوا إلى الشيخ علاء الدين فيتكلموا معه في هذه المسألة، فوقع الكلام فقلت: ينبغي أن ينظر في السبب في هذه الإدارة ليعمل بما فيه المصلحة منها، ويزال ما فيه المفسدة، وذلك أن الأصل فيه إعلام أهل الآفاق أن الطريق من مصر إلى الحجاز آمنة، وأن من شاء أن يحج فلا يتاجر لخيبة خوف الطريق...».

فالإدارة لعلها لا يأس بها هذا المعنى، وما يتربّط عليها من المفاسد يمكن إزالته بأن يبطل الأمر بزينة الحوانيت، فإنها السبب في جلوس الناس فيها، وكثرة ما يوقد فيها من الشموع والقandles، وينتشر فيها من أهل الفساد، فإذا ترك هذا وأمر السلطان من تعاطي إدارة المحمل من غير تقدم إعلام الناس بذلك حصل الجمع بين المصلحتين وانفصل المجلس على ذلك» - ابن حجر، إنماء الفرج ٣ ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ، السحاوي، الجواهر والدرر ق ١٦٨ أ.

(٢) يشير «ابن حجر» إلى ذلك قائلاً: «... وفي هذا الشهر - ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة - نردي على الفلوس أن يباع الرطل المتنقي منها بثمانية عشر درهماً، ففرح من كان عنده منها حاصل، وحزن من عليه منها دين لما يقادسوه من نواب الحكم في إلزامهم إعطاء ذلك بالوزن الأول. وفيه يخسّ كثير، وبينت أن ذلك لا يلزم على الإطلاق، بل لا بد فيه من شروط. واقتضى الحال كتابة مراسيم للشهد أن لا يكتبو وثيقة في معاملة ولا صداق ولا غيره إلا بأحد الندين: الذهب والفضة بسبب شدة اختلال أحوال الناس واختلاف الفلوس التي صارت هي النقد هندهم في عرفهم... فحسمت هذه المادة من هذا التاريخ على يد من وفقه الله لذلك وهو كاتبه - أي ابن حجر - وقد اختلف بسبب ما كان كتب أولاً، فلم يزل يضمحل بحمد الله تعالى» - إنماء الفرج ٣ ص ٤١٩.

(٣) يراجع إلى جانب ما مر موقفه من تمجيد الجوانب التي فيها السيرفيين والصيارات بظاهر الصاغة وعلوها - السحاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٨ ب - وقيامه بتبييض الحوانيت المجاورة للكاملية - وكانت تحت نظره في جملة أوقاف البيبرسية - وكانت قبل مع كونها حكمة البناء - شعة، مما جعل بعض الأعيان يحسن للأشرف برسباي أحذتها، فلما صارت تضيء بذلك كفuo عنها - نفسه.

«الميموني»^(١) والكشف عن دور العبادة الخاصة بالذميين^(٢).

خامساً - أن «ابن حجر» قد تحرى - قدر المستطاع - الدقة في اختيار الوكلاه والنواب والأمناء عنه في القضاء، والذين راعى فيهم أن يكونوا من عليه أ أصحابه - وقد حصل جلهم بعد على المناصب الرفيعة في الدولة - وكان كثيراً ما يرسل إليهم مراسيمه بالتحذير والإذار والتخييف من غضب الله، وأنه لا يأخذ في أجراه اليمين ولا الدرهم الواحد وفي الثبوت والعقود لا يتعدى إلى القدر الزائد، ويؤكد في ذلك كله غاية التأكيد، ويتفرد أحواهم . لكنه مع ذلك لم يكن راضياً عنهم بحيث أنه كان يقول بأخره: «ليس في نوابي من يفتح عليه العين» كما أنهم كانوا يكلفونه مرة للتغيب عليهم، ومرة للدعاء لهم^(٣).

(١) هو الشيخ «شمس الدين بن الشيخ سراج الدين بن عمر الميموني» وكان القاضي التفتسي قد غضب منه فادعى عليه بالزندة وحكم بسفك دمه وقال للحنفي: نفذ لي . فقال: حتى ينفذ الشافعي ، فامتنع ابن حجر من التنفيذ عندما سأله السلطان ذلك ، قائلاً: «وقدت عندك ريبة تمنع من تنفيذ الحكم ، فإني أعرف هذا الرجل وقد ذكر لي أن في عقله خللاً والقاضي سارع فيه بالحكم في حالة غضب». وطال البحث في ذلك وأآل الأمر إلى أن انفك من القتل على يد «ابن حجر» قصداً للحق - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٤٩ ، السخاوي . الجوهر والدرر ق ١٦٧ ب.

(٢) كانت مواقفه بهذا الصدد متعددة ومعتدلة ، ومنها قوله بشأن ما أحدث من تجديد بناء بعض الأديرة: «... فلما تأملت المحضرين وشاهدت الأمكنة المجددة أغنت المشاهدة عن الخبر ، وظهر الحق... لكن رأيت الغوغاء قد اجتمعوا ومعهم المساحي والمعاول ، فلو أذنت بهدم شيء ما لهدمت الكنيسة كلها ، ونهب ما فيها ، وكان ذلك وقت العصر ، فقلت لهم: لا بد من كشف كنيسة النصارى حتى ينظر ما أحدثوا - أيضاً - ويهدم الجميع . فأعجبهم ذلك ، واقترقوا . على العود في أول النهار ، ثم استوف الشافعي - أي ابن حجر - والخلي الشروط في المسألة ، وحكم بهدم ما أحدث... واتصل ذلك بالسلطان ، وكتب عند الإفراق: أمرت الوالي أن يزيل ما أحدثوه من الأبنية الجديدة كلها بالليل . ففعل ذلك وانحسمت المادة بعون الله تعالى» - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

(٣) السخاوي : الجوهر والدرر ق ١٧٢ ب - ١٧٣ ب.

خامساً - الخطابة والإمامية والوعظ :

تولى «ابن حجر» وظيفة الخطابة بالجامع الأزهر^(١) برغبة «ابن رزين»^(٢) له عنها سنة تسع عشرة وثمانمائة - ربما بمشاركة غيره له في ريعها^(٣) - ثم الخطابة بجامع عمرو بن العاص^(٤) - وفي آخر يوم من رمضان سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة، بعد أن قايس الشیخ «شمس الدين محمد بن يحيى» بما كان معه من خطابة الجامع الأزهر، بما معه من نصف خطابة جامع عمرو -^(٥) ثم استعمل الوظيفة - بعد ذلك - باستئزال «البدر ابن البرماوي» عن نصفها الآخر^(٦). وقد ينوب عنه في الخطابة به أيام تلبسه بالقضاء وغيره موقعه «ناصر الدين ابن المهندس المصري»^(٧).

وكان طبيعياً أن يخطب بالسلطان بجامع القلعة أيام تلبسه بالقضاء على جاري عادة قضاة الشافعية - آنذاك - وربما أناب عنه في ذلك غيره^(٨). وأن

(١) هو أول مسجد أسس بالقاهرة، أنشأه القائد «جوهر الصقلي» مولى الخليفة الفاطمي «المعز لدين الله» لما احتط القاهرة، وكان ابتداء البناء فيه يوم السبت لست بقين من جمادي الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكملاً بناه لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة - المقرizi . الخطط ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٧ .

(٢) هو «التاج محمد بن علاء الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن قاضي القضاة تقى الدين محمد بن العامرى الحموي» (ت ٨١٩ هـ / ١٤١٧ م) - السحاوى . الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٣٥ تر ٥٨٠ .

(٣) السحاوى . الجواهر والدرر ق ١٥٨ ، الضوء اللامع ص ٢٣٥ .

(٤) ويعرف بجامع العتيق، وهو أول مسجد أسس بالديار المصرية بعد الفتح - المقرizi . الخطط ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٥٦ .

(٥) ابن حجر . إحياء الفرج ج ٣ ص ٥٥١ ، السحاوى . الجواهر والدرر ق ١٥٩ .

(٦) السحاوى . الجواهر والدرر ق ١٥٩ .

(٧) هو «محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن عثمان بن أبي بكر، الشمس التميمي المصري» (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) - السحاوى . الضوء اللامع ج ٧ ص ٧٢ - ٧١ تر ١٣٣ ، الجواهر والدرر ق ١٥٨ ب ، ١٥٩ .

(٨) المصدر السابق ، حيث ذكر من نوابه - كذلك - «أبو العباس الزركشي» و «الصدر ابن روق» ، و «الصلاح السيوطي» ..

يُخطب به - كذلك - عندما صحبه في سفرة آمد^(١).

كما كان إليه وظيفة الوعظ بجامع الظاهر بالحسينية^(٢)، تلقاها عن الشيخ «نور الدين الرشيد» بحكم وفاته^(٣) فكان يستخلف فيها غيره^(٤).

ولقد كان منصب الخطابة خطره ووقعه في النفوس، لاتصاله المباشر بسائر طبقات مجتمعه، لأنّه لم يكن منصباً دينياً بحتاً، وإنما كان له إلى جانب ذلك أبعاد حيزها دائرة مجتمعه بأكملها. ولذا نجدنا مع «ابن حجر» وقد نهج به نهجاً إجتماعياً صرفاً:

* فهو يتمثل - من خلاله - ما يصدر من أوامر يرى فيها اعزازاً لدينه وإن رفضها غيره^(٥).

* وينبه على مكانة العلماء وينزلهم منازلهم، وتكثر بسببه الصلاة على الغائبين من العلماء والصالحين المتوفين^(٦).

* ويشتد إنكاره وهو على المنبر على من يدخل من العوام في مجلس فإذا

(١) راجع الفصل الثالث من هذا الباب.

(٢) كان يقع خارج القاهرة، اهتم السلطان الملك «الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري» بعمارة في ربيع الآخر سنة محسن وستين وستمائة - المقرizi ج ٢ الخطط ٢٩٩ - ٣٠٣.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ج ١٥٢ ب.

(٤) ومن نوابه فيه: «الشهاب الطنبدي»، و«ابن الضياء الحنبلي» و«البرهان البقاعي» - نفسه.

(٥) من ذلك ما أورده «ابن حجر» في إنشاء الغمر قائلاً: «... وفي هذا الشهـر - أي رجب ستة تسع عشرة وثمانمائة - أمر السلطان الخطباء إذا وصلوا إلى الدعاء في الخطبة أن يهبطوا درجة أدباً ليكون اسم الله ورسوله في مكان أعلى من المكان الذي فيه السلطان، فصنع ذلك كاتبه - أي ابن حجر - في الجامع الأزهر... وبلغ ذلك القاضي جلال الدين (البلقيني) فما أعجبه كونه لم يبدأ بذلك، فلم يفعل ذلك في جامع القلعة، فأرسل السلطان يسألـه عن ذلك، فقال: لم يثبت ذلك في السنة. فسكت عنه وترك فعل ذلك بعد ذلك، وكان مقصد السلطان في ذلك جحيلًا» - إنشاء الغمر ج ٣، ص ٩٣ - ٩٢، السخاوي. الجواهر والدرر ج ١٥٨ ب.

(٦) ابن حجر. إنشاء الغمر ج ٣، ص ٢٦٤، السخاوي. الجواهر والدرر ج ١٥٨ ب.

تمت الخطبة الأولى قام فصل، وينكر ما تفعله الجهال من كتابة أوراق في آخر جمعة من رمضان والخطيب على المنبر يسمونها حفيظة رمضان، ويبالغ في ذلك^(١).

* ويعمل على إبطال ما تعود من شرب المشروب بجامع القلعة^(٢).

* وينبه بين يدي السلطان والأمراء ورجالات الدولة على أن من لغا من اللغو - لا جمعة له^(٣). ويفصل بين حديث من رواية البخاري ، وعبارة تسبقه لتوهم السلطان أنها من نفس الحديث^(٤).

* ويصلّي بالناس صلاة خسوف أو كسوف فينجل الأُمُر، والله الحمد^(٥).

* ويذيع على الناس في خطبة الجمعة ما يصله من أخبار سياسية^(٦).

ومع كل هذا كان خطبه صدح في القلوب ، ويزداد وهو على المنبر من المهابة والنور والخلف بما لا مزيد عليه^(٧).

(١) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥٩ أ ، عبدالله بن زين . جان الدرر ق ١٧٠.

(٢) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥٩ أ ، ولم يفصح عن كيفيةه ، ولعله «الشراب التمربغاوي» الوارد لدى ابن حجر في الإناء - ج ١ ص ٤٨٧ - على الكيفية الآتية : «... وفيه بدأ الظاهر بشرب الشراب التمربغاوي وصفته أن يعمل لكل رطل زبيبأربعون رطل ماء ويدفن في زبل الخيل إلى أن يشتد...».

(٣) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥٩ أ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه ق ١٥٨ ب .

(٦) من ذلك قراءة « ابن حجر » - على الناس من فوق منبر الجامع الأزهر ستة خمس عشرة وثمانمائة - كتاب الخليفة - المستعين بالله - بعد سلطنته ، وقد قتل الناصر فرج - ابن حجر، إناء الغمرج ٢ ص ٥٠٩ - وقراءاته كتاب السلطان الملك « المؤيد شيخ » بشرح سيرته في السفرة إلى بلاد الروم سنة عشرين وثمانمائة - نفسه ج ٣ ، ص ١٤٢ ، السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥٨ ب .

(٧) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦٢ أ .

وظائف أخرى

١- مشيخة البيبرسية ونظرها

ولي «ابن حجر» مشيخة البيبرسية ونظرها^(١) برغبة «العلامة الحلبي» له عنها في ثالث ربيع الأول سنة ثلاثة عشرة وثمانمائة، ثم سعي «الشمس» أخوه «جمال الدين الاستادان» إلى أن اشتراك معه في المشيخة سنة خمس عشرة وثمانمائة، ثم انزعها منه كلها سنة ست عشرة^(٢) بعد أن كتب «لابن حجر» تقيعاً بها في مستهل جمادى الأولى سنة خمس عشرة وثمانمائة من الخليفة حملاً على ما بيده من المستندات الشرعية^(٣). ثم أعيدت «لابن حجر» سنة ثمان عشرة

(١) استتبع انتشار التصوف في مصر، وكثرة الصوفية بها في عصر سلاطين المماليك - إنشاء الختاوات (= بيوت الصوفية) وتعددتها، وجرت العادة بأن يعين لكل خانقة شيخ يشرط فيه أن يكون من جماعة الصوفية من عرف بصحبة المشايخ، بشرط أن لا يكون قد اتخذ من التصوف حرفة له. كما اتخذ لها ناظراً مهمته النظر في مصالح الخانقة والإشراف على أوقافها وصيانتها والعمل على زيادة ريعها وتمييز مالها وتنفيذ شروط الواقف بخصوصها، ومراقبة أرباب وظائفها.

وقد تجمع الوظيفتان في يد شخص واحد كهما هو مبين في المتن.

(د. سعيد عبد الفتاح عاشور. العصر المملوكي ص ٣٤١، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ١٦٨ - ١٧٥ ، د. حسن البasha. الفنون الإسلامية والوظائف ج ٣ ص ٢٦٧، وما بعدها، ج ٣ ص ١١٧٧ وما بعدها).

(٢) ابن حجر. إحياء الفمرة ٢ ص ٥١٦، العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ١٢٤ أ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٧ أ.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٧ أ.

وثمانمائة، حيث كتب السلطان الملك «المؤيد شيخ المحمودي» له توقيعاً بها في ثاني عشر ربيع الآخر من السنة، ولبس بها خلعة وحضرها وصرف أخوه «جمال الدين» منها، ثم عوض بعد ستين بمشيخة سعيد السعداء بعد موت «البلالي»^(١) بعنایة «ططر» قبل أن يتسلطن^(٢). واستمرت يد «ابن حجر» إلى أن قرر «الظاهر ططر» فيها «الشمس القياطي» (ت ٨٥٠ هـ. ١٤٤٧ م.) يوم الثلاثاء العشرين من جمادي الأولى سنة تسع وأربعين وثمانمائة^(٣). ثم أعيد «ابن حجر» إلى المشيخة في أوائل ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين لكن تدبير ولده فيها كان سبباً في عزله عنها، وإن لم يخرج النظر عليها عنه^(٤).

ويشير «السخاوي» إلى أن «ابن حجر» قد رتب أسماء المستحقين بها على الحروف مما احتذى في ترتيب ديوان الجيش، وكثير من مستحقي المدارس ونحوهم.. وكانوا قبل في تعب زائد^(٥).

٢ - خزن الكتب

أسند إليه مهمة خزن الكتب بالمدرسة المحمودية^(٦) الكائنة بالموازين وكانت تحتوي على أنفس الكتب الموجودة - آنذاك - في القاهرة، والتي كان قد جمعها «البرهان ابن جماعة» (ت ٧٩٠ هـ. ١٣٨٨ م.)^(٧) طوال حياته. فعمل

(١) هو «محمد بن علي بن جعفر العجلوني» (ت ٨٢٠ هـ. ١٤١٨ م.) تولى مشيخة سعيد السعداء سنة تسعين وسبعيناً وما بعدها مدة ثلاثين سنة، وحتى وفاته - السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ٤٣٩ ، وحاشية إباء الغمرج ٣ ص ٦٣ .

(٢) ابن حجر. إباء الغمرج ٣ ص ٦٢ - ٦٣ ، العيني. عقد الجمان ج ١٩ ، ق ١٢٤ أ السخاوي. الجوهر والدرر ق ١٥٧ أ.

(٣) السخاوي. الجوهر والدرر ق ١٧٥ أ، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢١٣ .

(٤) السخاوي. الجوهر والدرر ق ١٥٧ ب - أ.

(٥) نفسه ق ١٥٨ أ.

(٦) راجع بشأنها: السيوطي. بذل المجهود في خزانة محمود. نشرة فؤاد السيد - مجلة معهد إحياء المخطوطات العربية.

(٧) سترد ترجمته في العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا البحث.

«ابن حجر» لها فهرستاً على الحروف في أسماء التصانيف، وآخر على الفنون، وكان يقيم بها في الأسبوع - غالباً - يوماً واحداً. وتبين على يديه عود أشياء مما كان ضاع منها - قبل - كما كان كثيراً ما يقتدي بها بكتبه^(١).

وما من شك في أنه قد انتفع كثيراً بكتبها، حيث كان يكتب في مدة الأسبوع قائمة بما يحتاجه من المراجعة ليذكره في يوم حلوله بها^(٢). كما تتعكس قيمتها المدركة لديه على ما أورده بشأنها في ترجمته «للبرهان» المذكور^(٣).

٣ - النظر على حمام ابن الكويك

كما استمر بيده النظر على حمام ابن الكويك^(٤) بتفويض من «التقى المقرizi» (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) - الذي كان إليه النظر عليه قبله - حتى وفاته ويشير «السخاوي» إلى أن «العلم البلقني» قد رام أخذه منه في بعض عزلاته متمسكاً بأنه من متعلقات القضاء، فأرسل إليه «ابن حجر» بتفويض «المقرizi» له فسكت^(٥).

وظائف رشح لها ولم يقبلها:

كما رشح لبعض الوظائف التي لم يقبل تقلدتها: كالتجوّه عن السلطان الملك «المؤيد شيخ المحمودي» في الرسلية إلى اليمن - سنة تسعة عشرة وثمانمائة^(٦) - وتولي قضاء دمشق - في عهده كذلك^(٧) - وتولي قضاء اليمن وكتابة سرها للملك الأشرف صاحبها^(٨).

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٩٥ ب.

(٢) نفسه.

(٣) ابن حجر. إحياء الغمرج ١ ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

(٤) كانت تقع فيها بين حارة زويلة و درب شمس الدولة، أنشأها الوزير «عباس» أحد وزراء الدولة الفاطمية لدارة، ثم جددها أحد التجار سنة تسعة وأربعين وسبعيناً فعرفت باسمه - المقرizi. الخطط ج ٢ ص ٨٣ - ٨٤.

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٨ أ.

(٦) ابن حجر. إحياء الغمرج ٣، ص ٨٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧٤ أ.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٩٥ - ٩٦ في ١٧٤ أ، على التوالي.

(٨) نفسه ج ٣ ص ١٧٨، ق ١٧٤ أ - على التوالي.

الفصل الخامس

حياته الإجتماعية

زوجاته :

تزوج «ابن حجر» أولى زوجاته «أنس»^(١) ابنة القاضي «كريم الدين عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي طالب بن سيدهم النسراوي الأصل المصري» - في شعبان سنة ثمان وتسعين وسبعمائة للهجرة^(٢) - بإشارة العلامة «ابن القطان» - وصيه^(٣).

فأعنتني بها، وأسمعها الحديث المنسق بالالأولية على شيخه «الزين العراقي»، و«الشريف ابن الكويك»، وحصل لها جملة من الإجازات باستدعاءات عدد من الحفاظ والمسندين «كأبي الخير ابن الحافظ العلائي»، و«أبي هريرة ابن الحافظ الذهبي».. وغيرهما من المصريين والشاميين والمكيين واليمنيين..^(٤) كما استصحبها معه إلى الحج سنة خمس عشرة وثمانمائة، وأذن لها

(١) ابن حجر. إناء الغمرج ٩ ص ٢٤٠، وهي أصغر خمس بنات مات عنهن أبوهن، هن: «خدیجہ» (ت ٨٥٣ هـ. / ١٤٥٠ مـ.) و«آمنة» (ت ٨٦٥ هـ. / ١٤٦١ مـ.) و«فاطمة» (ت ٨٤٩ هـ. / ١٤٤٦ مـ.) و«فرح» (ت ٨٦٣ هـ. / ١٤٥٩ مـ.)، وهي.

(٢) نفسه ج ١ ص ٥١٣، السخاوي. الجواهر والدرر ١٣٢٦.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ١٣٢٦.

(٤) ابن حجر. المجمع المؤسس في مواضع متفرقة، السخاوي. الجواهر والدرر. ق ٣٢٦، الضوء اللماع ج ١٢ ص ١١.

بعد ذلك في الحج سنة أربع وثلاثين وثمانمائة - فحجت بمفردها وجاءرت ومعها سبطها وهو صغير^(١).

ويشير «السخاوي» إلى أنها حديثت بحضور زوجها وبعده، وقرأ عليها الفضلاء، فكان يقرأ عليها العلامة «ابن خضر»^(٢) صحيح البخاري في رجب وشعبان من كل سنة، ومن بعده سبطها، وفي يوم الختم تختلف بأنواع الحلوي والفاكهة وغيرها، ويهرع الكبار والصغار لحضور هذا اليوم - وهو قبل رمضان - بين يدي زوجها^(٣).

كما خرج لها «السخاوي» أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً قراءة عليها بحضور زوجها بعد أن أسلف «ابن حجر» لها بالإعلام بذلك قائلاً على سبيل المداعبة: «قد صرت شيخة»^(٤).

ولقد استولدها عدة بنات هن: «زين خاتون»، و«فرحة»، و«غالية» و«رابعة»، و«فاطمة»، ولم تلد ولداً ذكراً^(٥).

وكان كثير التبجيل والتعظيم لها، وكانت هي عظيمة الرغبة فيه.

ولم تزل بعده على جلالها وتصونها، لم يضبط لها هفوة ولازله بل مات كل أولادها بين يديها فتضبرت واحتسبت إلى أن ماتت^(٦) وكانت قبل قد أوقت ما بقي من أملاكها ورثتها على سبطها وذريتها، ووهبت وتصدق بما بقي تحت يديها على من لديه أعزاز من يدخلن عليها من الأهل والعجائز^(٧).

السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١.

هو «إبراهيم بن خضر بن أحمد بن عثمان بن كريم الدين بن جامع بن محمد» (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) - السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٤٣ - ٤٧.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١.

(٤) نفسه.

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ.

(٦) نفسه - وكان موتها في ربيع الأول سنة سبع وستين وثمانمائة - الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١.

(٧) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ.

كما تزوج من أرملة «الزين أبي بكر الأمشاطي» (ت ٨٣٣ هـ . / ١٤٣٠ م .) وعتيقه العالمة «نظام الدين يحيى بن سيف الدين الصيرفي»^(١) - في مجاورة أم أولاده - سنة أربع وثلاثين وثمانمائة ، وأنزلها بقاعة المشيخة البيبرسية واستولدها في السنة التالية لدخوله بها بنتاً أسمها «آمنة» ماتت في ثالث عشر شوال سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، وبموتها طلقت أمها ، فإنه كان علق طلاقها عند سفره إلى آمد على موتها^(٢) .

أما «ليل» فإنه تزوجها حيث سافر مع «الأشرف برسبياي» إلى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، وكانت ثييّاً ذات ولدين بالغين^(٣) واستمرت معه إلى أن سافر من حلب ففارقها دون أن يعلمه بالطلاق ، وإنما أسره لبعض خواصه ملتمساً منه أن لا يعلمه بذلك إلا بعد مضي المدة ، وكان قد عجل لها النفقة^(٤) .

ويبدو أن التطليق كان ترفاً منه بها كي لا يشعرها بوحشة مفارقة الأهل والوطن مما يجعلها متضررة بشبكته^(٥) . ولذا نجده وقد وجد فيها رغبة قوية ظاهراً وباطناً يرسل إلى بعض الخلبيين من أخصائه في تجهيزها له إن اختارت وإعلامها بالحاصل على تطليقها ، واعداً إياها بكل جيل ، فهي إن قدمت عليه «لا يكون عنده أعز منها» ، وينزلها أحسن المنازل ، ويعوضها عن كل شيء من الفرش والأمتعة ولا يحوجهها لشيء». كما نعتها بقوله: «... نعم المرأة عقلًا وحسن خلق وخلق^(٦) مما استرق قلبها ، فقدمت مصر فاستعادها بعد أن أنزلها بقاعة المشيخة البيبرسية واحتفل بشأنها . واستمرت في عصمتها حتى سافرت إلى حلب في زيارة

(١) هو «يحيى بن يوسف بن محمد بن عيسى النظام السيفي الصيرفي» - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٥٢ - ٤٥٣ السخاوي. الضوء اللماع ج ١٠ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ٣٣١ .

(٣) نفسه، الضوء اللماع ج ١٢ ص ١٢٣ .

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ٢٣١ ب .

(٥) نفسه ق ٤٣ أ ، ٣٣١ ب .

(٦) نفسه ق ٣٣١ ب - نقاً عن رسالة «ابن حجر» بشأنها .

أهلها في منتصف شوال سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ففارقها بعد أن أكملت في عصمتها خمس سنين سواء^(١). ثم عادت في رجب من السنة التي تليها فأعادها إلى عصمتها واستمرت معه حتى مات وورثته، ولم يرزق منها أولاً، وتأنحت بعده دهراً وتزوجت عدة أزواج، ثم ماتت في منتصف رجب سنة إحدى وثمانين وثمانمائة^(٢). وقد قاربت الثمانين^(٣).

كما أن «ابن حجر» نتيجة لكثره ما تلده أم أولاده من الإناث أحب أن يكون له ولد ذكر، فاختار التسريري. وكان لزوجته جارية تترية اسمها «خاص ترك» فوق في خاطره الميل إليها، فاقتضي رأيه أن أظهر تغيظاً منها بسبب تقصيرها في بعض الخدمة، وحلف أنها لا تقيم منزله، فبادرت زوجته إلى بيعها بعد أن أمرها أن تأمر القاصد بعدم التوقف في بيعها بأي ثمن كان، قائلاً: «وكل ما رمته من الزيادة على ذلك أقوم لك به» ففعلت، وأرسل هو الشيخ «شمس الدين ابن الضياء الحنبلي» فاشتراها له بطريق الوكالة، وأقامت ببعض الأماكن حتى استبرأها ثم وطئها فحملت له بولده القاضي «بدر الدين أبي المعالي محمد» وكان مولده في ثامن عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة، واستدعى

(١) ابن حجر، إناء الغمرج ٩ ص ٩.

(٢) نفسه، ويلاحظ شدة تولع ابن حجر بها من خلال ما أوردته «السخاوي» - في الباب الثاني من الجواهر والدرر - له من شعر فيها، وهو كثير منه:

رحالت وخلفت الحبيب بداره
أشاغل نفسي بالحديث تعللاً
برغمي لم أجنجح إلى غيره ميلاً
نهارى وليلي أحن إلى ليل
(من الطويل)

(الجواهر والدرر ق ٤٣ أ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٢٣).

وقوله:

قف واستمع طرباً خليلي بالدجا
وجرى بدمعي رقصة بخيالها
باتت معانقتي ولكن في الكرى
أتري دري ذاك الرقيب بما جرى
(من الكامل)

(الجواهر والدرر ق ٤٣ ب).

(٣) السخاوي، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٢٣.

بالطلبة ونحوهم يوم السابع إلى منزل أم أولاده وعمل لهم شواء فكانت العقيقة عندها وهي لا تشعر، حتى بلغها الخبر قبل إنفصال الولد عن الرضاع، فركبت وأمها من فورها إلى المكان الذي كانوا به، وأحضرتها معهما إلى منزلها فتركتهما ببعض المنازل إلى أن حضر «ابن حجر» - وليس عنده شعور بما وقع - فاستخبرته عن ذلك «فما اعترف ولا أنكر»، لكن أجاب بما يفهم منه الإنكار فقامت وأحضرت الولد وأمه فسقطت في يده. ولم تزل به حتى نزل عنها لمن تزوجها ^(١).

أولاده :

أنجب «ابن حجر» خمس بنات وولداً واحداً، أما البنات فهن:

زين خاتون :

هي بكر أولاده، ولدت في رجب سنة اثنتين وثمانين، واعتنى بها أبوها فعلمها الكتابة والقراءة، واستجاز لها في سنة مولدها كثيراً من المسندين من أهل دمشق وأسمعها على «الزين العراقي» و«النور الهيثمي» و«الجلال ابن خطيب داريا» و«الشريف ابن الكوبيك»^(٢). وزوجها بالأمير «شاهين الكركي» (ت ٨٦٠ هـ / ١٤٥٦ م) فاستولدها عدة أولاد ماتوا في حياة أبيهم ولم يتأخر منهم إلا «أبو المحسن يوسف» المعروف بسبط ابن حجر^(٣).

ماتت بالطاعون وهي حامل سنة ثلات وثلاثين وثمانين^(٤).

فرحة :

ولدت في الرابع والعشرين من رجب سنة أربع وثمانين^(٥) وحصل لها

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٩ ب.

(٢) ابن حجر. إحياء الفجر ج ٣ ص ٤٤٥ تر ١٧ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب، الضوء اللمع ج ١٢ ص ٥١ تر ٣٠١ .

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب.

(٤) ابن حجر. إحياء الفجر ج ٣ ص ٤٤٥ ، السخاوي. الضوء اللمع ج ١٢ ص ٥١ ، الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب.

(٥) السخاوي. والجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب، الضوء اللمع ج ١٢ ص ١١٥ تر ٢٩٧ .

أبوها إجازات في سنة سبع وثمانمائة فما بعدها^(١) وأسمعها من «ابن الكويك» وغيره^(٢). وزوجها شيخ الشيوخ «محب الدين ابن الأشقر» فاستولدها ولدأ مات صغيراً في حياة أمه^(٣) وكانت وفاتها في تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وثمانائة - عن ثلات وعشرين سنة وتسعة أشهر - بعد أن حجت في العام الماضي قبله مع زوجها ورجعت موعوكة^(٤).

غالية :

مولدها في ذي القعدة سنة سبع وثمانائة، استجيز لها جماعة، وماتت وفاطمة - الآتية - بالطاعون في ربيع الأول سنة تسع وثمانائة مع بعض عمال أبيها^(٥).

رابعة :

ولدت في رجب سنة إحدى عشرة وثمانائة^(٦) وأسمعها والدها في سنة خمس عشرة على الشيخ «زين الدين ابن حسين المراغي» بمكة^(٧) وأجاز لها جماع من الشاميين والمصريين . . (٨) وتزوجها «الشهاب ابن مكتون» ودخل بها بكراً بنت خمس عشرة سنة فولدت منه بنتاً^(٩) سماها « غالية » ماتت في حياتهما بعد أن

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس في مواضع متفرقة، السخاوي. المصدران السابقان.

(٢) السخاوي. الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١٥ .

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب .

(٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٥٨ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١٥ .

(٥) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٧٨ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٨٥ تر ٥٢١ .

(٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٢٥ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ. الضوء اللامع ص ٣٤ تر ١٩٩ .

(٧) نفسه.

(٨) ابن حجر. المجمع المؤسس في مواضع متفرقة، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ٣٤ .

(٩) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٧٤ .

استدعي لها الشيخ «رضوان» وغيره^(١) ثم مات زوجها عنها في رمضان سنة تسع وعشرين وثمانمائة فتزوجها «المحب ابن الأشقر» واستمرت حتى ماتت عنده سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة^(٢).

فاطمة:

ولدت في ربيع الآخر سنة سبع عشرة وثمانمائة، وأجاز لها جماعة، وماتت وهي طفلة في الطاعون في ربيع الأول سنة تسع عشرة^(٣).

ولده:

أما «بدر الدين أبو المعالي محمد» فإنه ولد في ثامن عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة، وشغله والده بحفظ القرآن - الكريم - فحفظه وصل إلى الناس - على جاري العادة - في رمضان سنة ست وعشرين وثمانمائة بالخانقة الركناية البيرسية وأسمعه والده الحديث على «الشهاب الواسطي»، و«الفخر الدندلي» وغيره.. وأجاز له باستدعاء والده في سنة مولده فيما بعدها - جماعة من مسندى الشام ومصر وغيرهم، ومنهم «عائشة بنت عبد الهادي» و«أبو بكر الحسن المراغي» وغيرهما.. كما صنف «ابن حجر» لأجله كتابه «بلغ المرام من أدلة الأحكام»^(٤) وكتب هو عن والده كثيراً من مجالس الإملاء، ولازم مجلسه حتى سمع عليه شيئاً كثيراً. ولما ترعرع اشتغل بالقيام بأمر القضاء، والأوقاف - استنذلأ من والده له قصداً للدرية والتمن في المباشرة بها^(٥) - وولي في حياة أبيه

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ.

(٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٢٥، ٣٧٤ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ.

(٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٨٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٢ ص ٨٨ الجواهر والدرر ق ٢٣٧ أ.

(٤) أشار «ابن حجر» في مقدمته إلى أنه «... مختصر يشتمل على أصول الأدلة الحديثية للأحكام الشرعية»، كما أشار إلى الغاية من تأليفه قائلاً: «... ليصير من يحفظه من بين أقرانه نابغاً، ويستعين به الطالب المبتديء ولا يستغني عنه الراغب المنتهي» - وهو مطبوع بتحقيق رضوان محمد رضوان ط. بيروت.

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧٠ ب.

عدة وظائف أجلها: مشيخة الخانقة البيبرسية، وتدریس الحديث بالحسينية - ناب عنه فيها أبوه - والإمامية بجامع ابن طولون. وحج في حياة أبيه وبعده، وأنشأ عدة أماكن، وحدث بالكثير، وكتب على الاستدعاءات، واشترك مع السخاوي في مقابلة بعض تصانيف أبيه، ولما مات أبوه ما التفت لشيء من وظائفه، حتى ولا ما يصلح أن يكون باسمه، بل لقد عرضت عليه حسبة القاهرة ومصر فما وافق لأن «همته لم تكن منصرفة لشيء من ذلك»^(١).

مات مبطوناً سنة تسع وستين وثمانمائة في السادس عشر من جمادي الثانية بعد أن اشتد به الوعكة وقاسى شدائـد أقام فيها أزيد من مائة يوم وفتحت في أعضائه عدة أماكن، وقد خلف - رحمه الله - زوجة وولداً^(٢).

وعلى الرغم من هجو «السبط» له^(٣). وعدم رضي «ابن فهد المكي» عنه^(٤) ونعت «ابن تغري بردي» إياه بالجهل وسوء السيرة^(٥) امتدحه «السخاوي» في موضعين من مؤلفاته بقوله: «وكان حسن الشكالة متكرماً على عياله قل أن يكون في معناه من نظرائه مثله»^(٦) وقوله: «... وكان حسن الشكالة قوي النفس شهماً متكرماً على عياله»^(٧). وإن انتقاده لتفريطه في تصانيف أبيه قائلاً: «... لكن - عفا الله عنه - ضيع ما كان أولى به الحرص على بقائه من تصانيف أبيه وغيرها مما كتبه بخطه، ونقل أكثر ذلك لنظر الخاص... وتفرقـت شذراً مذراً»^(٨). كما أشار في موضع آخر إلى تلبسه بمحنة

(١) المصدر السابق.

(٢) نفسه ق ٣٣١، - وكان مولد ولده «علي» في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، وأحضر مجلس جده وتردد إليه بعض الفقهاء للتعليم وغيره، ومات أبوه في حياته.

(٣) نفسه ق ٣٣٠ ب.

(٤) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣١.

(٥) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٣.

(٦) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٣٣٠.

(٧) السخاوي. الضوء اللماع ج ٧ ص ٢٠.

(٨) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٣٣٠.

أبيه، حيث طلب الولد مع جماعة المباشرين لجامع ابن طولون واحتجزوا على ذمة التحقيق ورام السلطان ضربه، فكان في ذلك القهر لوالده بسببه «فإنه كان في ضيق صدر زائد وألم شديد وتاؤه كبير، وكل يوم يسمع من الأخبار ما لا يسمعه بالأمس، وكان يتوجه إليه في الجمعة يوماً وأكثر إلى المكان الذي يكون فيه . . .»^(١) بل لقد عمل «ابن حجر» الأب لهذه المناسبة جزءاً سماه «ردع المجرم عن سب المسلم» جمع فيه أربعين حديثاً منتقاة من كتب الصاحح والسنن في تعظيم المسلم والزجر عن سبه وظن السوء به وتعمد ظلمه وحربه لعظة من بسط لسانه ويده في المسلمين مع قلة علمه واعوجاجه^(٢).

(١) المصدر السابق ق ١٧١ أ.

(٢) نفسه ق ١٧١ ب، التبر المسبوك ص ٢٠٣ ، الضوء اللامع ج ٧ ص ١٢٠ .

الفصل السادس

علاقته بشخصيات عصره

أولاً - علاقاته بالشيوخ والأساتيد:

أخذ «ابن حجر» علومه و المعارفه عن عدد وفير من الشيوخ والعلماء والمحدثين والمسندين، على اختلاف بينهم في العلم المحمول، والطبع والأمزجة، والسن... مما جعله يسلك معهم مسلكاً يحقق له مرامه، ويحصل به مأمله، رسمه في نفسه آداب الحديث النبوى الذى تحمله. فكان كثيراً ما يهضم نفسه - على جاري عادة أهل العلم والدين^(١). في الوقت الذى يبالغ فيه في تعظيم شيخه في حضوره وغيبته^(٢). ويهش في وجه من يستقدمه من المسندين ليأخذ عنه، ويكرمه ويجلسه على بساطه الذى يصلى عليه^(٣) أو يخرج مسرعاً إلى الباب لتلقى^(٤). وأحياناً كان يقبل يده إذا لقيه^(٥). ولا يتحاشى عن التقاط الفائدة أو السماع من هو أعلى منه سندًا ولو كان دون مرتبته، لا يصدّه عن ذلك على منصبه، بل يتظاهر بفعله مع إمكان خلاف ذلك .^(٦).

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ج ٣٣ أ، التبر المسبوك ص ٢٣٠ .

(٢) ابن حجر. إناء الغمرج ٣ ص ١١٦ ، السخاوي. الضوء الالامع ج ٧ ص ١٧٣ .

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ج ٣٨ ب .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه .

(٦) نفسه ق ٣٩ ب .

وربما وجد ثقلاً وتعسراً لدى الشيخ المسموع عليه فما يزال به يحركه بالقراءة كلمة حتى يظهر من طواعيته له الأمر العجيب، أو يخرج له مشيخة ليذكر بها مشايخه وعهده القديم فيحبب إليه السمعان وينبسط له^(١).

ولم يتوقف إجلاله لشيوخه وأساتذته على حياتهم، وإنما امتد ذلك إليهم وقد انقلوا من دنياه: بالتبنيه على مكانتهم وقيمتهم العلمية في ترجماتهم من مؤلفاته، وقد راعي - قدر المستطاع - شعورهم إلى الحد الذي جعله يتبع أوهام «الميسمي» في كتابه «مجمع الزوائد» ليفردتها في كتاب، فما أن علم الشيخ بذلك وشق عليه حتى تركه «ابن حجر» مراعاة له^(٢). وفي بره للأبناء حتى ولو وقع أذى الأبناء به^(٣).

من ذلك أنه بلغ برغبة السلطان «الظاهر جقمق» في الإقدام على أمور مهولة في كل من «العلم البلقيني» و«التاج البلقيني» - وبينهما وبين «ابن حجر» ما كان من المنافسة التي وصلت إلى حد العداء في كثير من الأحيان - فطلع من فوره إلى السلطان متوسلاً إليه بكل طريق في إبطال ذلك، مع مشقة إبطال ذلك في أحدهما على السلطان، بل لقد رام السلطان إحراق قريب لها بالنار، لوشاشة فيه، فشفع فيه «ابن حجر» حتى بطل ذلك - كل هذا إجلالاً «للسراج البلقيني» في ذريته وأهله^(٤).

واتفق أن حلف السلطان ليضر بن شخصاً من أبناء العلماء ألف عصا، فراجعه «ابن حجر» في الصفح عنه، وأنه يكفر عن يمينه، فامتنع، فلا زال يتلطف به حتى أمر بجمع عيدان ضربه بها دفعة واحدة بعد أن قرأ قوله تعالى: «وَخُذْ بِيَدِكَ ضَغْنَا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنِثْ» (٤٤: ص)^(٥).

(١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٢٣، المجمع المؤسس ق ٢ أ وما بعدها السخاوي. الجوهر والدرر ق ٣٥ ب.

(٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٣٤١٠ السخاوي. الجوهر والدرر ق ٢٧٧ أ.

(٣) السخاوي. الجوهر والدرر ق ٢٧٧ أ.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه ق ٢٧٧ ب.

ويقابل ذلك على الجانب الآخر تعظيم شيوخه وأساتذته له إلى الحد الذي يجعل أحدهم يوده كثيراً ويشهد له في غيابه بالتقدير ويتأدب معه إلى الغاية^(١). أو يشهد له بالتقدير في الفن^(٢). ويقدمه فيه على ولده^(٣). أو يحس بدخوله وهو ما زال يصلى في تمام الصلاة حتى يدرك معه صلاة الظهر^(٤). أو يغضب من تبعه وغيره لفتواه ومخالفتهما له، لكنه يحتشم معه وإن استضعف جانب غيره^(٥).

كما كانوا كثيراً ما يراجعونه فيها غمض عليهم من مسائل العلم وبهماته فيوانفهم بما يفيدون منه^(٦). ويقرظون كتاباته بعبارات التمجيل والتعظيم^(٧).

ثانياً - علاقاته بالأقران :

أشارت تلك المنزلة التي استحوذ عليها «ابن حجر» في مجتمعه، وتوليه الكثير من الولايات الدينية والوظائف العلمية بعض أقرانه من أعلام عصره فاندفعوا منافسين له في كل هذا، راغبين في انتزاع ما يقدرون على انتزاعه من وظائفه.

فكان من أعظم معانديه «علم الدين صالح البلقيني»^(٨) (ت ٨٦٨ هـ. / ١٤٦٤ م.) الذي وصلت المنافسة بينه وبين «ابن حجر» حدّاً جعلها تمتد إلى ما بعد موته. فكان من مظاهرها:

١ - إسناده إلى «ابن حجر» تنفيذ مكتوب الخشابية - في توليه للقضاء»

(١) ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ١١٦ .

(٢) نفسه ج ٢ ص ٣١٠ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٤) نفسه ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ أ.

(٦) نفسه ق ٤ ب.

(٧) ابن حجر. إنماء العمrag ٢ ص ٣٧٤ .

(٨) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٢٨٦ .

وإجابة «ابن حجر» إلى ذلك ظناً منه أن في إسناده إليه ذلك تشريفاً من القاضي له لعله منزلته فما كان يتهم «ابن حجر» أن «ابن البلقيني» بذلك يترفع عليه، فيما كان إلا يسير حتى أدرك ذلك وعهد منه ما لم يألفه قبل، مما كان سبباً في إجابته حين عرض عليه منصب القضاء والاستقرار فيه بعد عزل «ابن البلقيني»، حيث ظلا يتنافسان على المنصب ويتعاقدان فيه إلى أن رغب «ابن حجر» عن القضاء وصرح له - في مختنه بولده - بأنه لم تعد في بدنـه شـرة تقبل اسم القضاء - على نحو ما مرـك آنـفاً.

٢ - محاولة «ابن البلقيني» انتزاع الكثير من وظائف «ابن حجر»، ومن ذلك أخذـه منه نظر جامـع ابن طـولون، ونظر النـاصرية ليـسـكتـ عن طـلب العـودـ للـقضـاءـ والـسعـيـ فيـهـ، وـتفـويـضـ «ابـنـ حـجرـ»ـ لـهـ ذـلـكـ وأـخـذـهـ توـقـيـعاـ سـلـطـانـياـ ثـمـ سـعـيـهـ بـعـدـهاـ عـلـيـهـ فـيـ المـنـصـبـ، بلـ وـرـفـضـهـ الشـكـرـ لـابـنـ حـجرـ عـلـيـهـ إـجـابةـ لـلـسـلـطـانـ مـاـ كـانـ سـبـباـ فـيـ عـزـلـ «ابـنـ حـجرـ»ـ لـهـ منـ النـظـرـ عـلـيـهـماـ -ـ فـماـ بـالـيـ بـذـلـكـ وـاسـتـمـرـ يـتـحدـثـ فـيـهـماـ اـفـتـيـاتـاـ مـنـ غـيرـ مـبـالـةـ^(١)ـ.ـ وـكـذـاـ رـغـبـتـهـ فـيـ اـنـتـزـاعـ النـظـرـ عـلـىـ حـامـ ابنـ الـكـوـيكـ مـنـهـ^(٢)ـ.

٣ - تزيينـهـ لـكـلـ مـنـ «الـشـمـسـ الـقـايـاقـيـ»ـ وـ«الـسـفـطـيـ»ـ اـنـتـزـاعـ بـعـضـ الـوـظـائـفـ مـنـ «ابـنـ حـجرـ»ـ عـلـىـ نـحـوـ مـاـ مـرـكـ آنـفاـ.

٤ - حـرصـهـ عـلـىـ الزـواـجـ مـنـ أـرـملـةـ «ابـنـ حـجرـ»ـ بـعـدـ مـوـتـهـ -ـ وـخـطـبـتـهـ لـهـ مـعـ إـرـسـالـ الـمـهـرـ إـلـيـهـ،ـ وـكـادـ يـحـصـلـ لـهـ ذـلـكـ لـوـلـ اـجـتمـاعـ «الـسـخـاوـيـ»ـ بـهـ رـغـبـةـ مـنـهـ فـيـ إـبـطـالـ ذـلـكـ إـلـىـ أـنـ صـرـحـ «الـعـلـمـ الـبـلـقـيـنـيـ»ـ لـهـ بـالـرـجـوعـ عـنـهـ وـاستـعادـ مـاـ دـفـعـ لـهـ.

٥ - تـبعـهـ فـيـهـ كـتـبـهـ فـيـ مـعـجمـهـ بـشـأنـ ذـوـيهـ وـانتـقادـهـ لـهـ بـعـبارـاتـ سـاقـطةـ أـثارـتـ حـفـيـظـةـ «ابـنـ حـجرـ»ـ وـانـعـكـسـتـ هـيـ وـتـصـرـفـاتـهـ الـأـنـفـ ذـكـرـهـاـ عـلـىـ كـتـابـاتـهـ بـشـأنـهـ فـيـ كـلـ مـنـ «إـنـبـاءـ الـغـمـرـ»ـ وـ«رـفـعـ الإـصـرـ»ـ،ـ حـيـثـ جـاءـ فـيـ إـنـبـاءـ الـغـمـرـ

(١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٧٤.

(٢) راجع ص ٧٩ من هذا البحث.

قوله: «... وفي السادس من ذي الحجة صرف القاضي ولي الدين العراقي عن قضاء الشافعية واستقر عوضه علم الدين صالح بن شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين، وكان أخوه جلال الدين لما مات نظمت:

مات جلال الدين قالوا: ابنه يخلفه أو فالأخ الراوح
فقلت: تاج الدين لا لائق لمنصب الحكم ولا صالح
(من السريع)

فكان كما قلت، فإنه تولى وظاهر منه التهور والإقدام على ما لا يليق وتناول المال من أي جهة كانت حلاً أم حراماً ما لا كان يظن به ولا ألف الناس نظيره من أحد من ولي قضاء الشافعية في الدولة التركية»^(١).

وكان وصفه له وبعض أقاربه في «الإنباء» بالعقارب^(٢) ونعته له فيه بالحمق^(٣).

ويزيد ذلك تفسيراً ما جاء في رفع الإصر من قوله فيه بشأن ذلك:

«... فما كان إلا أن استقر في المنصب فشمخ نفسه فرأى غيره منه ما لا يرى وسار سيرة عجيبة يجمع بين دناءة النفس والطمع والحمق... وقدر وقوع الطاعون الفاشي في ثانى ولاياته فسلط في تحصيل الأموال من الترکات وكتب مرسوماً استكتب فيه خطوط جميع شهود المراكز، أن لا يشهد أحد منهم في الوصية حتى يوصي الموسي فيها للحرمين شيء، فكان الرجل يوصي بما تسمح به نفسه ويموت من يومه غالباً. فيرسل نقيبه فيقبض ما أوصى به. ولم يحصل لأهل الحرمين من ذلك الدرهم الفرد ولا وجدنا في حساب السنة التي باشرها أنه ورد للحرمين شيء، إلا من جهة واحدة من بلد بالريف يبلغ تافه مبلغه فضة أربعين درهماً، ولعله حصل من الجهة المذكورة وحدتها عشرة أضعافها ذهباً.

(١) ابن حجر، إنماء الفرج ٣ ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) نفسه ج ٣ ص ١٦٤.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٤٧٤.

وأما أوقاف الحرمين والصدقات فتحيل على الانفراد بها كل حيلة. وأما المدارس ومتاحصلها فلم يصرف للطلبة إلا اليسر. .^(١).

ومع ذلك يشير «السخاوي» إلى أن «الظاهر جقمق» كان قد أمر بخروج «العلم البليقني» من القاهرة منعزلاً فتوجه مع نقيب الجيش فأقام بالمدرسة الحجازية بالقرب من بيته تمهيداً لتنفيذ ذلك لولا شفاعة ابن حجر التي ردته إلى بيته^(٢).

كما كان من منافسيه كذلك «الشمس القaiاتي» (ت ٨٥٠ هـ. / ١٤٤٧ م.) الذي كان قد استقر في منصب القضاء تلو عزل «ابن حجر» منه حادي عشر المحرم سنة تسع وأربعين وثمانمائة - في حادثة سقوط منارة الفخرية وتغییظ السلطان عليه - حيث سعى في انتزاع البييرسية منه وتم له ذلك في العشرين من جمادي الأولى سنة تسع وأربعين وثمانمائة مما كان سبباً في تحول «ابن حجر» بأولاده منها وتحويل مجلس املائه إلى الكمالية، وعدم حمد العقلاء للقایاتي هذا المسلك منه^(٣). بل لقد نغض على «ابن حجر» عيشه بسبب تعرضه لولده وأمره بالترسيم عليه بسبب عمل حساب جامع ابن طولون وغيره، كما صار كل قليل يشکو «ابن حجر» من غير تحقق^(٤). ومع ذلك فإن «ابن حجر» قد ترجمه بعد موته مادحاً، حيث جاء في «الإنباء» بشأنه:

«... باشر القضاء بنزاهة وعفة ولم يأذن لأحد من النواب إلا لعدد قليل ويتثبت في الأحكام جداً وفي جميع أموره»^(٥).

ومن هؤلاء - كذلك - «السفطي» (٨٥٤ هـ. / ١٤٥١ م.) حيث تعوض

(١) ابن حجر. رفع الإصرج ٢ ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) السخاوي. الجوادر والدرر ق ٢٧٧ أ، الذيل على رفع الإصر ص ١٦٤.

(٣) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٢٨٦.

(٤) السخاوي. الجوادر والدرر ق ١٧١ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٢٨٤ - ٢٧٦ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢١٣ تر ٥٥٦.

(٥) ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ٢٤٧.

لولده بالترسيم قاصداً بذلك إبعاد ابن حجر عن المنصب لينفرد به، واتهمه زوراً فعمل «ابن حجر» في ذلك - كما سلف القول - جزءاً سماه «ردع الجرم في الذب عن عرض المسلم». بل لقد انتزع من «ابن حجر» علاوة على ذلك تدريس الصالحة والنظر عليها ووليهما فدعا عليه «ابن حجر» بإيقضاء الأجل في عامه فتم له ذلك بعد أن أهين «السفطي» وامتحن وسجن في حبس أولي الجرائم^(١).

ومن بين هؤلاء - كذلك - البدر العيني (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) الذي كانت بيته وبين «ابن حجر» صدقة اقتضت استضافته لابن حجر في بلدته - عين تاب - في سفرتيهما إلى حلب صحبة السلطان - لأكل ضيافته - وتلبية «ابن حجر» لذلك، وأخذ كل منها عن صاحبه سواء في المناورة أو فيها ترك من المؤلفات ولكن انقلب هذه العلاقة إلى حد السقوط والإسفاف في بعض مواضع منها:

١ - إنتهاز كل منها لبعض المناسبات في التعريض شرعاً بصاحبها^(٢).

(١) السخاوي. дзيل على رفع الإصر ص ٢٤٩ - ٢٥٤ ، الضوء اللامع ترجمة ج ٧ ص ١٢٠ ، الجواهر والدرر ج ١٧١.

(٢) من ذلك إنشاد «ابن حجر» في مجلس «المؤيد شيخ المحمودي» وقد مالت المذنة التي بنيت على البرج الشمالي بباب زويلة للجامع المؤيد وكادت أن تسقط:

جامع مولانا المؤيد رونق	مناره بالحسن تزهو وبالزين
فليس على جسمي أضر من العيني	تقول وقد مالت عن القصد: أمهلوا
(من الطويل)	

فأراد بعض الجلساء العبث «بالبدر العيني» فذكروا له أن «ابن حجر» عرض به فغصب واستعان بن نظم له ما نسب لنفسه من نقضها بقوله:

منارة كعروض الحسن إذ جلست	وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا: أصيّب بعين. قلت: ذا غلط	ما أوجب الهدم إلا خسنة الحجر
ويعلق «ابن حجر» - إحياء الفجر ج ٣ ص ١٤٥ ، على ذلك قائلاً: قلت: هما للشيخ العلامة	
كمال الدين النواجي، عفا الله عنهم أجمعين.	

٢ - تتبع «العيني» ابن حجر في مؤلفه «عمدة القاري» الذي شرح به «صحيح البخاري» آخذًا عليه ما يرى من المآخذ في «فتح الباري» مما جعل «ابن حجر» يتعرض له متصفًا لفسمه في كتابين هما:

* الاستنصار على الطاعن المعثار، وقد بين فيه ما نسبه «العيني» إليه مما زعم إنتقاده في خصوص خطبة كتابه، ووافقه علماء ذلك العصر على ما أورد فيه مشيرين إلى فساد انتقاد «العيني» مصوبين صنيع «ابن حجر».

* «إنتراض الإعراض» الذي رد به على انتقادات «العيني» له في شرحة للبخاري.

٣ - بل لقد تتبع «ابن حجر» ما نظمه العيني في «السيف المهند» في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي^(١) محصياً ما وقع فيه من الأخطاء في مؤلف أسماه: «قدی العین فی نظم غراب البین»^(٢).

كما كان من بين المنافسين «لابن حجر» في وظائفه أو مركزه العلمي كل من «الشمس الهروي» (ت ٨٢٩ هـ / ١٤٢٦ م) وقد جرت بينها مناظرات بحضوره السلطان بان فيها خطأ «الهروي» وارتقت بسببها منزلة «ابن حجر» في عين السلطان^(٣). و«الشمس الهرماوي» وقد أنهى إل السلطان أن شرط المؤيد أن لا يكون في المؤيدية مدرساً قاضياً وأعانه على ذلك قوم آخر، فانتزع من «ابن حجر» تدريس الشافعية بها إلى أن سعى في إظهار كتاب الوقف وقد سكت

(١) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٤٣٦ وما بعدها، الضوء اللامع تر ٥٤٥ ج ١٠ ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) حاجي خليفة. كشف الظنون ج ٢ ص ٩٩٠ وفيه قوله: «... وقد جرد الشيخ شهاب الدين ابن حجر منها - أي من سيرة الملك المؤيد - الأبيات الركيكة بلا وزن فبلغت نحو أربعمائة بيت في كتاب وسماه قدی العین من نظم غراب البین - وكان بينها منافسة».

(٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ج ٣ ص ٥٨ وما بعدها، وهو غير «شمس الدين محمد الهروي الذي أشار «ابن حجر» في حوادث حولية سبع وثلاثين وثمانمائة إلى أنه أراد أن يتقصى من قدره بإغراء بعض الناس، فابن الله ذلك وحاق المكر السيء بأهله - نفسه» ج ٣ ص ٥١٥.

عن الشرط المذكور فاعيدت إليه^(١). و «الونائي» وقد سعى في انتزاع تدريس الصلاحية من «ابن حجر» في عوده من الشام منصرفًا عن قضائهما وتنازل «ابن حجر» له عنها برغبته^(٢)، وسعي «البهاء ابن حجي» على «ابن حجر» جهراً في توليه لمنصب القضاء وإن لم يصب مرماه^(٣)... مما مر بك آنفًا في موضعه من هذا البحث.

ثالثاً - علاقاته بطلبيته وتلامذته :

كثيراً ما كان «ابن حجر» يرشد طلبيته إلى المحدثين والمسندين ويحضهم على القراءة عليهم، والتحمّل عنهم، وربما شكوا إليه جفوة بعضهم وعدم طواعيته لهم في القراءة، فيكتب له يرغبه في التحديث، ويحضه عليه مؤكداً في الاهتمام بشأن تلامذته^(٤). مع حرصه على عدم ذكر تلميذه وإن صغر إلا بصاحبنا فلان^(٥). وغالباً ما كان يعين الطالب بالكتابة بيده لما يروم من أجوبة بعض المسائل أو سرد للأسانيد... فإذا ما قصده أحدthem وقد فرغ من درسه وهم بدخول بيته وقف له لا يفارقه حتى يكون هو المفارق وإن امتد وقوفهم إلى أبعد من ساعة^(٦). كما كان كثير العارية لهم بكتبه - التي غالباً ما كان يفتدي بها كتب الأوقاف - حتى لقد ضاع منها بسبب ذلك ما يزيد على مائة وخمسين سفراً التمسها في السوق فلم يحصل معظمها^(٧). بل ربما طلب منه أحدهم نسخة من بعض الأجزاء الحديثية مفردة التماساً للحقيقة، حيث توجهه إلى مكان بعيد فها يتيسر له إذ ذاك طلبه فيعمد إلى قطع نسخة من مجموع بخطه ليرسلها إليه^(٨).

(١) انظر ص ٦١-٦٢ حاشية رقم ٧ من هذا البحث.

(٢) انظر ص ٦٢ من هذا البحث.

(٣) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٨١.

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٩ أ.

(٥) نفسه ق ٢٨٠ ب.

(٦) نفسه ق ٢٧٨ ب.

(٧) نفسه ق ٢٨٠ أ.

(٨) نفسه ق ٢٧٩ أ.

(٩) نفسه ق ٢٧٨ ب.

وغالباً ما كان يقصده طلبه وقد استعاروا من غيره كتاباً فقد - رجاء تفريج كربهم لدى المعير بما استكتبهم إياه فيقوم لهم بذلك^(١). وكثيراً ما كان يتفقد الطلبة - لا سيما الغرباء والوافدين عليه - منفقاً فيهم، معيناً لهم بكتبه وهداياه وما شاكل ذلك، ويكتب لطلبه في الإجازات وغيرها ما يكون مشجعاً لهم على الانكباب على العلم وقد شحدت همهم^(٢) ويقوم - كذلك - بعيادتهم في مرضهم^(٣) - ويصبر عليهم في حال مرضه. فلقد مكث في مرض موته مدة وهو لا يعلم به بعض من يقرأ عليه ليلاً مراءة لخاطره مع تحمله ل الكبير مشقة في ذلك، إلى أن أعايا فأعلمه بلطف^(٤).

(١) من ذلك أن أحد تلامذته «العز الحسني» قد استكتبه «التاج البلقيني» في كتاب استعاره من والده، وقد ضاع من تحت يد الناسخ فخشى من القاضي، وذكر ذلك «لابن حجر» فقام معه في الفحص عنه عند الكتبين ونحوهم رجاء الظفر به لизول ما عند تلميذه من الكرب بسبب فقده، لكن مع كبير الجهد المبذول لم يدركه، فحيث بدأ حصل نسخة منه وعاونه بورق أو ثمنه حتى جدد منه نسخة.

وقريب الشبه من ذلك ضياع مجلد من «تاريخ الإسلام للذهبي» من نسخة «الزبيني عبد الباسط» وهي بخط «البدر البشتكى» فلما بلغه علم ذلك من ضياع المجلد منه بادر وأخذ المحل من نسخة الأصل بال محمودية وتوجه به مع الورق وأجرة النسخ إلى «البشتكى» فشرع في تكميله واتفق قبل انقضاء الكتابة أن وجد المجلد فامتنع من إعلام البدر بذلك حتى لا يتعطل عليه ما كتب - السحاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٦ أ.

(٢) من ذلك ما كتبه لمحمد بن بدل بن محمد، البدر الأردبيلي التبريزى، وقد عرض جملة من الكتب عليه، وقرأ عليه قطعة جيدة من أول البخاري قائلاً: «... الشیخ الفاضل، الحفظة الكامل، العالم الباهر الماهر، مفخرة أهل مصره، وغرة نجوم عصره»، وقوله: «... أعانه الله على الانتفاع بما حفظه، وأوزعه شكر نعمته لما أودعه واستحفظه». - السحاوي الضوء اللامع ج ٧ ص ١٤٩ تر ٣٧٢.

وصفه كتابة للبهاء العلقمي في عرضه «باللقطة المهرة، أعمجوية العصر ذكاء، نادرة الدهر نجابة ورواء، أسعد الله جده، وأقر به عين أبيه، ورحم جده». - السحاوي. نفسه ج ٧ ص ٢١٨.

وصفه لابن الزين المشهدي (ت ٨٨٩ هـ. / ١٤٨٤ م.) «بالفاضل العلامة البارع المحدث المفن فخر المدرسین عمدة المتفتنین» - نفسه ج ٧ ص ١٨٠.

(٣) السحاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٦ ب - ٣٧٧.

(٤) نفسه ق ٢٧٨ أ.

الفصل السابع

مقومات شخصيته

صفاته الأخلاقية والخلقية :

كان «ابن حجر» - رحمه الله - ربعة، أبيض اللون، منور الصورة، مليح الشكل، صبيح الوجه، كث اللحية أبيضها، حسن الشيبة نيرها، صحيح السمع والبصر، ثابت الأسنان نقها، صغير الفم، قوي البنية، عالي الهمة، خفيف المشية^(١) ذا رشاقة زائدة^(٢) شجي الصوت، جيد الذكاء، عظيم الحدق، كثير الصمت لضرورة، شديد الحياة - يتعبه الحلاق قليل الدرابة من أجل إدارة رأسه فلا يضيق به . . لكن يمحكي لصاحبه أنه لو دار لكان أسهل، ويتنور بيده، ويقص شاربه وأظافره بنفسه، ويتولى غالباً حمل الإبريق لل موضوع ونحوه، وصب الماء على جسده مع وجود من يكفيه المؤنة في ذلك، قليل الدخول إلى الحمام - لا يواجه أحداً بمكره مع الصدع بالحق، وقوة النفس فيه، مفضلاً للسلام، لا يتأنق في مأكله ومشربه، ولا في آنيته، يأكل العلقة من الطعام، واليسير من

(١) أشار «السخاوي» إلى أن «ابن حجر» كان خفيف المشية ولو عند إقباله على الملوك ونحوهم، وقيامهم له بمجرد بصرهم عليه، فإنه لا يزيد على المعتاد . . وربما نقم الأعداء عليه ذلك - المصدر السابق.

(٢) أشار «السخاوي» إلى أنه ما كان أرشق من «ابن حجر» في الجلوس على الحجر وهو يتوضأ، وإلى أنه قبل وفاته صعد لعيادة أحد هم فصار يقصد درجتين درجتين مشيراً إلى أن ذلك أروح له - نفسه.

الغذاء، لكنه يتقوى بالسكر، ويميل إلى القصب ميلاً قوياً، قصير الشارب، حسن العمة، ظريف العذبة، لا يتألق في الرفيع من الثياب، مع بصر جيد في تفضيل ملبيه، خبيراً بأمور دينه ودنياه، ذا عقل وحلم ودرية بالأحكام والمداراة للناس، قليل الرغبة في العمارة، بل وفي شراء العقار يحتال في الأماكن التي يأخذ فيها المسكن على الذهب يجعله في إماء قبل وضع شيء فيه، ثم يختتم عليه بما يكون حائلاً بينه وبين ما يوضع فيه، ثم يملاً بما يكون مناسباً للظرف من سمن ونحوه... فلا يفطن إليه^(١). منبسطاً في التنزه مع صحبه ورفقته وربما لاعبهم^(٢).

تواضعه مع معرفته لقدر نفسه:

أثارت مقدرة «ابن حجر» العلمية، وتحصيله للعلم على هذه الصورة المبسوطة في البحث بعض تلامذته - الأمير تغري برمش الفقيه (ت ٨٥٢ هـ. ١٤٤٩ م) - فسألته مرة: «هل رأيت مثل نفسك؟»، فقال له: «قال الله تعالى: ﴿فَلَا ترْزُكُوا أَنفُسَكُم﴾» (النجم: ٣٢)^(٣).

كما سأله بعض أصحابه: «أنت أحفظ أم الذهبي؟» فسكت، فما كان ذلك إلا تواضعاً منه، لأنه - رحمه الله - حكي أنه شرب ماء زمزم لما حج لينال مرتبة الحافظ الذهبي، قال: ثم حججت بعد مدة فوجدت من نفسي طلب المزيد على تلك المنزلة، فسألته رتبة أعلى منها. وقد تحقق رجاؤه، وشهد له بذلك غير واحد^(٤).

ولما تحول من الكاملية إلى البيبرسية لقيه أحد نزلائها قائلاً: «يا سيدي

(١) ابن تغري بردى. المنهل الصافي ج ١ ق ١٦٢ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٣، السخاوي. الجوواهر والدرر ق ٢٨٠ أ - ٢٨١ ب، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٣.

(٢) السخاوي. الجوواهر والدرر ق ١٨٢ أ.

(٣) نفسه ق ٣٣ ب، التبر المسبوك ص ٢٣٠، الذيل على رفع الإصر ص ٨٦.

(٤) السخاوي. الجوواهر والدرر ق ٣٣ ب، السيوطي. طبقات الحفاظ ص ٣٨٠.

وحشت الكاملية»، فأجابه: «الكاملية مشتقة من الكمال» - يعني ولست كاملاً^(١).

ولكنه مع تواضعه، كثيراً ما كان ينوه بمكانته العلمية، ولا يصبر على من يحاول انتقادها أو تصغير جانبها، من ذلك ما كان بينه وبين «الشمس الهروي»، وما شعر به بعد إسناد «العلم البليقيني» إليه تنفيذ مكتوب الخشابية، ويوم عزله السلطان عن مشيخة البيبرسية، وعندما أراد بعض الرفاق تعيمه يوم الختم - ختم صحيح البخاري - عليه كي لا ينفرد بالمجلس دونه - على نحو ما هو بين في العلاقة بالأقران من هذا البحث.

ضبطه للسانه وكظمه لغيفه :

كما كان كاظم للغيف، لا يظهر عليه الغضب إلا نادراً، جلداً على ريب الزمان، متلقياً له بصدره^(٢).

ومن أمثلة ذلك أن بعض خصومه عقب على مؤلفه «المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس» في تصنيف جمه، وبالغ في ذكره بالفاظ لا يقابلها عليها إلا الذي أنطقه بها فاطلعاً «ابن حجر» على ذلك، فكتب عليه ما نصه: «لا شكوى إلا إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسينا الله، واشتمل هذا التصنيف على نسبة مصنف الأصل إلى أشياء نسبة المعرض عليها إليها، لا تجتمع في آدمي - فيها يغلب على الظن - فللله الأمر، وسردها وهو نحو خمسين صفحة خارجة عن السب والدعاة عليه، وكذا سب ولده والدعاء عليه، فلم يتعرض «ابن حجر» له بلفظة فاحشة ولا بكلمة سوء ولا تشاغل بردتها، بل وكل الأمر إلى من يجازي المسيء، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً^(٣).

وكان بعض الشعراء قد عاون في المصنف - المشار إليه - على الرغم من

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨٠ ب.

(٢) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٥٥.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨٦ ب.

وصل «ابن حجر» له، وبالغ في هجوه، فما احتمل أتباع «ابن حجر» وولده وأمروا باحضاره، فاحضر، وبلغه ذلك فتغيظ عليهم وأمرهم بصرفه مكرماً بعد أن أنعم عليه بشيء من الدنيا، وضبط ما يحصل له منه فكان ألف درهم كل شهر^(١).

وذهب يوماً إلى مدرسته لالقاء درسه - على جاري عادته - فوقف من وراء الشباك معتوه يسمى «العرباني» و«ابن حجر» في المنكوتيرية في تلامذته، فأخذ المعتوه في السب الفاحش والألفاظ القبيحة، فقال: نقوم إلى أن يفرغ أو يروح. ونهض فدخل من باب الخلوة ورد بابها يسيراً، فترك المعتوه الشباك وانصرف، فظن «ابن حجر» توجهه بالكلية ففتح باب الخلوة ووقف، وإذا بالمعته قد أقبل من باب المدرسة، وزاد على ما كان عليه. فقال: ما بقي إلا الانصراف، وأغلق الباب وترك المخلوب فيها هو فيه ساعة، ولم يمكن - مع كل هذا - أحداً من التعرض له، بل سمع به تلك الليلة وقد أمسكه بعضهم بأعون الوالي - لا لهذا السبب - فأرسل إليه وأطلقه^(٢).

واجتاز - يوماً - في طائفة من جماعته بباب جامع الغمري، فبدت من شخص وقف ببابه - يوصف بالجذب - كلمات فيها: «عمائم كالأبراج، وأكمام كالإخراج والعلم عند الله»، فرام بعض جماعته منه تعذيره بالحبس ونحوه فامتنع قائلاً: هذا مجذوب يسلم له حاله.

هذا مع من أصابه الجذب أو غيره الخبر، وأضعافه مع الحاسدين وغيرهم من المنافسين على المنصب، الذين نازعوه مكانته العلمية وهم دونه، أو في وظائفه وقد شق على أنفسهم أن لا يكونوا هم المستأثرین بمعاليمها، مما فصل في موضعه من هذا البحث.

تحريه في مأكله ومشربه:

حرص «ابن حجر» قدر مستطاعه على أن لا يأكل حراماً، أو ما فيه شبهة

(١) المصدر السابق ق ٢٦٩ ب.

(٢) نفسه ق ٢٧٠ .

الحرام ولذا فإنه كان يتحرى في وظائفه ما كان أقرب إلى الحلال ليأكل من معاليمها، بل لقد كان يميز المعاليم بعضها من بعض بالإشارة بنقطة أو نقطتين . . ونحو ذلك^(١). ولا يتناول شيئاً مما يهدى لبيته^(٢). فإذا ما اضطر إلى الحضور في الولائم والمهمات ونحوها - مما الغالب على أربابها عدم التوقي - يوهم أنه يأكل، وربما أعطى هذا وهذا من يكون جالساً على السماط من الأتباع ونحوهم مما بين يديه بحيث يسر صاحب المهم - غالباً - أما هو فلا يدخل في جوفه من ذلك شيئاً لبيته^(٣).

وتشير المصادر إلى أن السلطان كان قد رتب له في السفرة الشمالية وأثناء المقام بحلب راتباً من اللحم يؤتى إليه به كل يوم، فكان لا يأكله، ولكن يشتري له غيره إلى أن فني ماله - هناك - فعمل حينئذ القسماط يأكله بسكر ونحوه، ومن معه يأكلون اللحم المرتب لهم على السفرة التي يأكل السلطان عليها^(٤).

كما كان يتغنى عن تعاطي معلوم الخطابة بالقلعة أيام قضائه بسبب ضعف الوقف^(٥).

وكان يعطي خادمه ما يشتري به له شيئاً من المأكولات ويوصيه أن لا يكلف البائع لأكثر مما يعطيه باختياره^(٦). ويسأله مع ذلك عن مصدر أكلته، فإذا ما نسي السؤال واستطاب الأكل منه - ظناً منه أنه مما جرت العادة بأكله يلقي الله في خاطره السؤال عنه قبل تمام أكله، فإذا ما ذكرت له جهة التي لا يجب الأكل منها استدعي بطلست وقال: أفعل كما فعل أبو بكر - رضي الله عنه - ثم يتقيا ما في بطنه^(٧).

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٧ ب.

(٢) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٥٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٦ ب.

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٦ ب، ٢٦٧ ب.

(٤) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٥٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٧ ضا.

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٧ أ.

(٦) نفسه ق ٢٦٧ ب.

(٧) نفسه ق ٢٦٦ أ.

بره وتصدقه :

أما بره وتصدقه على خلق الله - على اختلاف طبقاتهم - فقد وردت فيه روايات وقصص متعددة، مفادها أنه كان كثير البر مواظباً على الصدقة.

من ذلك أنه كان يعطي بعض جماعته مالاً جزيلاً ليفرقه على طلبه ونحوهم ويدفع هو بجماعة آخرين، كما كان يجتمع عنده الفقراء في يوم من السنة معلوم فيتولى - غالباً - بنفسه التفرقة عليهم، أو بحضوره، ويتفقد أنساً من المعتبرين في العلم وغيرهم بالإرسال إلى محالهم، ويتفقد - كذلك - في كل قليل المحابيس ويصالح عنهم من ماله، ويسهل للفقراء من الجيران، ويشتري في رمضان عسلاً وسيراً تفرق على الناس توسيعة في نفقة الشهر، وفي العيد الزبيب وغيره، وفي عيد الأضحى يرسل بالضحايا إلى الفقراء والمحاجين، أو يفرق فيهم ما يساوي مائة دينار ويابلغ في إخفاء كل هذا نشداناً لحصول صدقة السر^(١).

وربما ضيع بعض ماله، أو سرقه من جانبه لاعواز لديه^(٢) فلا يعذر هذا ولا يكشف ستراً ذاك مع تتحققه لفعلهما ومعاينته له.

إكثاره من العبادة وعدم تخليه وقته منها:

وطبيعي أن يكون «ابن حجر» وقد حاز لقب شيخ الإسلام، والحافظ والمحدث حتى صار عليها عليه - ملزماً للعبادة، ومثلاً يقتدي به، فلقد كان قواماً بالليل متهدجاً حتى في حال سفره وترحاله، واشتداد المرض به إلى أن عجز عن ذلك تماماً^(٣) لا يترك جماعة إلا قهراً عنه^(٤) كثير الصوم^(٥) حريصاً على عدم تخليه وقته من العبادة^(٦).

(١) المصدر السابق ق ٢٧٤ ب - ٢٧٥ ب.

(٢) نفسه ق ٢٧٨ أ.

(٣) نفسه ق ٢٨٦ أ، ٣٢٠ ب.

(٤) نفسه ق ٣٢٠ أ.

(٥) ابن تغري بردى. النجوم الراهرة ج ١٥ ص ٥٣٣.

(٦) السخاوي. الجواهر والدرر ج ٣٥ أ - وفيه أمثلة لذلك.

ولعل هذا هو الدافع لدى «ابن تغري بردى» إلى القول فيه: «...
وبالجملة فإنه أحد من أدركنا من الأفراد»^(١).

الموضوعية والإنصاف في البحث:

على الرغم من أن ثقافة «ابن حجر» وعلومه كانت سلفية، وغالب قضايا وتصوفات مجتمعه كانت كذلك، فإنه قد انسليخ بفكرة من بيته وصار سباقاً لعصره في التحرر، والتحرز عن التعصب الذي كثيراً ما أهلك العلماء، وأوقع بهم في زلات كثيرة عرفت بالكائنات التي عقدت لها المجالس، واحتوت أخبارها مصنفات التاريخ في عصرها، وحوكم فيها الكثيرون منهم فأهينوا وعدبوا، أو لقوا حتفهم.. لكنه كان على خلاف ذلك - حال تلبسه بالقضاء وغيره من المناصب المشاركة في الحكم على هؤلاء وغيرهم - يتحرز عن التعصب والانقياد للإجماع الخاطيء، ميلاً إلى الحق بل والمعاداة فيه - على نحو ما أثبت في تلبسه بالقضاء من هذا الباب.

ويضاف إلى ذلك أنه كان منصفاً في البحث ولو على نفسه، لا يستنكف من سماع الفائدة ولو من صغار الناس أو آحاد الطلبة، بل يستحسنها ويأمر الحاضرين بسماعها^(٢).

(١) ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٣.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨٦ أ.

الفصل الثامن

مرضه ووفاته

ابتدأ المرض بابن حجر - رحمه الله - في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة للهجرة^(١) بعد أن فرغ من مجلس الإملاء - يوم الثلاثاء الموافق الحادي عشر من الشهر - ورجع إلى منزل أم أولاده - وكان قبل قد تعشى عند إحدى زوجاته . - فقدمت له العشاء فيما امتنع من الأكل مراعاة خاطر أهله، فشقق ذلك عليه وتغير مزاجه وأصبح ضعيف الحركة، وإن استمر مكتوماً ولا يعلم به أحد . . . يطلع إلى المدرسة للصلوات والإقراء، بل لقد حضر في اليوم المناظر آخر مجالس إملائه على الرغم من توعكه . فلما اشتد به الوعك، وتضرر بالكتمان كثيراً أفصح عن مرضه، وخشي الأطباء أن يتناولوه مسهلاً لأجل سنه، فأشير بلين الحليب فتناوله فلانت الطبيعة قليلاً، وأدى ذلك إلى نشاط يسير ونوع خفة، سر «ابن حجر» بها . . لكن عاوده الكتمان، وتزايد به الألم وصار «يحس شيئاً ثقيلاً على معدته» فتخلف عن صلاة عيد الأضحى، وهو الذي لم يترك الجمعة ولا جماعة، وإن تمكّن في اليوم الثالث بعده من صلاة الجمعة برواق البسملة من جامع الحاكم، والتوجه إلى إحدى زوجاته حيث استعطف خاطرها في انقطاعه عنها وحاللها واسترضها، وكأنه كان قد شعر بدنو أجله . .^(٢)

(١) ابن فهد المكي . الحظ الالحاظ ص ٣٣٧ ، السخاوي . الجوهر والدرر ص ٣١٩ .

(٢) نفسه ص ٣٣٩ ، ق ٣١٩ أ - على التسوالي . . . حيث أشار «السخاوي» (الجوهر والدرر) ق ٣٢٠ أ) إلى أن «ابن حجر» - رحمه الله - كان «إذا خبر بالمنامات وشبها ما يدل على صحته . .

يقول : أما أنا فلا أراني إلا في تناقض ، وما أظن الأجل إلا قد قرب ، ثم ينشد :

وبعدها تزايد به المرض، وتردد إليه الأطباء، وصار مشغولاً بمطالعة «القانون» وغيره من كتب الفن، ومناظرة الأطباء..^(١) لكن ما أفاد، لقد عظم الكرب، واشتد الخطب^(٢) وعجز «ابن حجر» حتى عن التوضوء، وصار يصلي الفرض جالساً، وترك قيام الليل وانتابه الصرع^(٣). فهرع الناس كبارهم وصغرهم من: أمراء، وقضاة، ومبashرين، وعلماء، وطلبة، وصلحاء.. إلىه أفواجاً لعيادته والسلام عليه^(٤) وما أن كانت ليلة السبت من أواخر ذي الحجة بعد العشاء بنحو ساعة^(٥) وقد جلس من حوله سبطه وبعض أصحابه يقرأون «يس»

= ثاء الثلاثاء مني أوهنت بدني فكيف حالى بعد ثاء الثمانين
ويقول: اللهم حرمتني عاليتك، فلا تحرمني عفوك.

كما يشير «ابن فهد المكي». (لحظ الألاظف ص ٣٣٩) إلى أن «ابن حجر» في أواخر مرضه بأيام يسيرة عاده قاضي القضاة «سعد الدين ابن الدبرى الحنفى» فسأله عن حاله، فأنشده أربعة أبيات من قصيدة للإمام أبي القاسم الزمخشري، وهي :

فاجعل المي خير عمري آخره وارحم عظامي حين تبقى ناخرة ولت باوزار غدت متواترة فيحار جودك يا إلهي زاخرة (من الكامل).	قرب الرحيل إلى ديار الآخرة وارحم مبيتي في القبور ووحدني نانا المسيكين الذي أيامه تلئن رحمت فأنت أكرم راحم
--	--

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٠، أ.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه ق ٣٢٠ ب.

(٤) نفسه ق ٣٢١ أ - حيث عد «السخاوي» من حضر إليه: الأمير دولات باي والقاضي ولي الدين السقطي، والشريف يحيى بن العطار، والقاضي كمال الدين البارزي، والقاضي بدر الدين العيبي، والشيخ مدين، والنذر ابن التنسي.

(٥) اختلفت المصادر في تحديد يوم الوفاة، فيبينا يشير «ابن طولون» - القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٦ - و «السيوطى» - نظم العقيان ص ٥١ - إلى أن وفاته كانت في الثامن عشر من ذي الحجة، نرى أن «ابن إياس» - بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ - يجعلها في التاسع عشر من ذي الحجة، على حين أن «ابن فهد المكي» - لحظ الألاظف ص ٣٣٧ - و «ابن تغري بردى» - النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٧٤ ، والمتهل الصافي ج ٢ ص ٦٢ أ - و «السخاوي» - الجواهر والدرر ق ٣٢١ ب، =

مرة، ويعيدون أخرى إلى قوله تعالى: «سلام قولًا من رب رحيم» - حتى فارقت الروح الجسد إلى بارئها فتولى أحدهم تغميضه، وشغل ولده - في اليوم التالي لموته - بتجهيزه وغسله.

وكانت تلك ساعة عظيمة، وأمراً مهولاً.. لقد وقع النوح في سائر النواحي - حتى من أهل الذمة - وقفلت الأسواق، وغلقت الحوانيت^(١) وشوهدت له جنازة - لم تكن بعد جنازة «ابن تيمية» إلى وقته أخلف منها^(٢).. وحرز من مشي فيها نحو خمسين ألفاً أو يزيدون، وقد تولى من بينهم الأمراء مقدمو الألوف - حمل نعشة، وجهد الشخص الشديد الذي يتمكن من الوصول إلى نعشة أن يمس النعش برأس أصبعه^(٣).

مشت تلك الجنازة المهيبة في خفر وسكون وجلال شاقة طريقها نحو مصلي المؤمني^(٤). وهناك افترق الناس سماطين ليجتاز النعش من بينها إلى حيث تلقى

= والتبر المسبوك ص ٢٣٣ - و «ابن العماد الخبلي» - شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٣ - يجعلون وفاته في الثامن والعشرين من ذي الحجة.

وهي نقول لا يرتاح إلى إثبات أحدها لوقوع هذا الاختلاف والتضارب فيها، فضلاً عن أن بعض من أرخ ليوم الوفاة قد أسقط اليوم من ترجمته لابن حجر في موضع آخر من مؤلفاته مكتفيًّا بقوله: «توفي في ذي الحجة سنة اثنين وخمسين وثمانمائة» - ابن تغري بردي. الدليل الشافي ق ١٢ السحاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٤٠، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٤، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٨١ - وتابعهم على ذلك «الشوكانى» - البدر الطالع ج ١ ص ٩٢.

كما أن بعضهم قد ناقض نفسه في موضع آخر (ابن تغري بردي). حوادث الدهور (ختارات بور) ج ١ ص ٤٠) حيث جعله يوم الثامن عشر من ذي الحجة.

(١) ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ص ٦٢، السحاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢١ ب.
(٢) السحاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ.

(٣) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٣، المنهل الصافي ج ١ ق ٦٢، السحاوي.
الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٣، طبقات الحفاظ
ص ٣٨٢.

(٤) تقع مصلي المؤمني تحت القلعة بالرمل، وهي منسوبة إلى منشئها الأمير سيف الدين بكتمر بن =

السلطان له، وقد أشار إلى أمير المؤمنين - الخليفة العباسي - بالتقدم للصلوة عليه^(١). وبعدها توجهوا به إلى محل الذي عين لدفنه^(٢) فدفن هناك^(٣). وأقام الطلبة والقراء والوعاظ على قبره أسبوعاً لعمل الختمات وانشاد المراثي على كثرتها^(٤) وقد أعطى بترتبته من المأكل وشبها شيئاً كثيراً^(٥).

أما خارج وطنه، فكانت صلاة الغائب عليه «مكة»، و«بيت المقدس» و«الخليل»، و«حلب» و«دمشق».. وغيرها^(٦).

ولمحبة الناس إياه ظنوا أن الخضر - عليه السلام - قد شهد جنازته^(٧) كما نسبوا إليه جملة من المنامات التي رويت له في حياته وبعد موته^(٨) وترغوا بصوت

== عبدالله المؤمني - علي باشا مبارك. الخطط التوفيقية. ج ٥ ص ١٢٣ .

(١) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣٧، ابن تغري بردي. المهل الصافي ج ١ ق ٦٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ، التبر المسبوك ص ٢٣٣ ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٨، الضوء اللماع ج ٢ ص ٤٠ ، ابن طولون. القلائد الجوهريه ج ٢ ص ٤٥٦ .

(٢) وهو «تبرية بني الخروي المقابلة بجامع الديلمي والسوتوتين بين تربة الإمام الشافعي والشيخ مسلم السلمي - ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣٨ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ ، التبر المسبوك ص ٢٢٣ ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٨ - ٨٩ ، ويلاحظ أن قبره يتبع - حالياً - قارة سيد عسل. - شاكر محمود. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته .. ج ١ ص ١٩٤ .

(٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ .

(٤) ذكر «السخاوي» في الجواهر والدرر فيضاً من مراثي الشعراء فيه منسوبة إلى كل من «الشيخ محبي الدين الكافيaggi»، و«برهان الدين البقاعي» و«ابن أبي السعود المنوفي»، و«الشهاب الحجازي»، و«الشهاب المنصوري»، و«أبي هريرة بن النقاش الأصم» و«ابن الأوجاعي» و«ابن عامر الأشليمي»، و«الزين ابن عبد المطلب»، و«الشمس البهري»، و«القيم القسالي»، و«المحب ابن القطان»، و«سبط ابن حجر» ..

(٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ ب .

(٦) نفسه .

(٧) نفسه ق ٣٢٢ أ ، التبر المسبوك ص ٢٣٣ .

(٨) البقاعي. عنوان الزمان ص ٥٩ - ٦١ ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٣ - ٣٢٤ ب .

مفعم بالحزن والأسى بمرثية بعضهم فيه^(١) وقد ساحت أحفانهم دمعاً^(٢).

(١) هو «أبو الطيب أحمد بن محمد بن علي الانصاري الخزرجي، المعروف بالشيخ شهاب الدين الحجازي» (ات ٨٧٥ هـ. / ١٤٧١ م)، ومرثيته في «ابن حجر» مطلعها:

كل البرية للمنية صائرة وقفولها شيئاً فشيئاً سائرة
والنفس إن رضيت بما ربحت وإن لم ترض كانت عند ذلك خاسرة
(من الكامل)

وقد ذاعت بخصوصية الوعاظ والعامنة لها، بحيث لم يشتهر غيرها. ابن فهد المكي. لحظ
اللحوظ ص ٣٣٩، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ ب، الضوء اللامع ج ٢ ص ١٤٧،
السيوطى. حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٧٣ - ٥٧٤.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ ب.

الباب الثاني

منهج «ابن حجر العسقلاني» في كتابه «الإنباء»

الفصل الأول : المخطة العامة للكتاب

الفصل الثاني : طبيعة الكتاب وأسس انتقاء مادته

الفصل الثالث : العلاقة بين الترجمات والحوادث في الكتاب

الفصل الرابع : مصادر مادة الكتاب

الفصل الخامس : النقد التاريخي في الكتاب

الفصل السادس: العلاقة بين «الإنباء» ومؤلفات التاريخية الأخرى

لابن حجر العسقلاني

الفصل الأول

المخطة العامة للكتاب

وصف الكتاب

يعد «إباء الغمر» من أهم ما خلف «ابن حجر» من مؤلفات تأريخية لكونه الكتاب الوحيد الذي اشتمل على الحوادث والترجم، وكان «ابن حجر» معاصرًا لحيزه الزماني، مشاركًا للكثير من حوادثه، مدركاً لمعظمها، مما جعله ينفرد بذلك عن مؤلفين له معاصررين هما «ذيل الدرر»، و«المجمع المؤسس»، حيث اقتصرَا على الترجم، إهمالاً لذكر الحوادث فيها تفصيلاً. وإن وردت عرضاً في الترجم باعتبارها مشكلة لبعض عناصره، مكونة لمادتها.

ويبدو أن «ابن حجر» لم يشرع في تدوين حولياته حال وقوع حوادثها أو حدوث وفياتها، وإنما كان ذلك يحدث - غالباً - بعد انقضاء أمد طويل على وقوعها^(١) كما أنه كان دائم الرجوع إلى حولياته، معدلاً - سواء بالإضافة أو

(١) يتأيد ذلك بقوله في ترجمة «ابن خطيب القلعة الحموي» (ت ٧٧٤ هـ. / ١٣٧٣ م.): «... وأخر من يجيء من أسد عنه: موقع الحكم بحماء، شرف الدين بن المغизل، لقيته في سنة ست وثلاثين وثمانمائة بها - ابن حجر، إباء الغمر ج ١ ص ٥٥ تر ٤٧، قوله في ترجمة «ابن الصائغ الحنفي» (ت ٧٧٦ هـ. / ١٣٧٥ م.): «... وأدركت أنا في الجامع نحو هذا العدد لكنهم لا يحضررون أصلاً، بل يأخذون المعلوم من وقف الجامع، ثم قطعوا في أواخر دولة الأشرف، ثم أعيد بعضهم في دولة الظاهر» - نفسه ج ١ ص ٩٥ - ٩٦، قوله في حوادث حولية إحدى وثمانين وسبعمائة: «... واستقر تدريس الحديث بيده، ثم استقر فيه ولده إلى أن صار إلى كاتبه» - نفسه ج ١ ص ١٩٥ ، قوله في حوادث حولية ثمان وثمانين وثمانمائة: «... وفي شعبان أسلم نصراوي يقال

بالحذف - ولذا فإن صفحات الكتاب قد تداخلت المعلومات فيها في مواضع كثيرة، من إحالات في المتن إلى تتمات في سائر الجوانب، وإضافات لترجمات فاته تدوينها في صلب الكتاب ومتن الصفحات، أو كثير من الحوادث التي اطلع عليها في كتب ومؤلفات الغير كابن خطيب الناصرية - على سبيل المثال^(١).

كما كان كثير الضرب على المعلومات الواردة في المتن وجوانب الصفحات - كذلك - حتى لقد وصل به الأمر في ذلك إلى الضرب على كثير من الترجمات المكتملة لتأيي وقد عدلت في زوايا الصفحات المضروب عليها فيها - في ثوب جديد كماً وكيفاً.

كما كان كثيراً ما ينص على الترتيب^(٢) أو التحويل إلى حولية أخرى^(٣) وقد دون إحدى الترجمات في غير موضعها من الوفيات سهواً.

لـ ميخائيل من أهل مصر، فقرر ناظر المتجر السلطاني، وحصل للناس منه ضرر كبير، وسيأتي ما آل إليه أمره في سنة تسع وثمانين» - نفسه ج ١ ص ٣١٧، قوله في حوادث حولية تسع وثمانين وسبعمائة: «... وفيها ضربت الفلوس التي أحدها جركس الخليلي، وجعل اسم السلطان في دائرة فتفاءلوا له من ذلك بالحبس، فوقع عن قرب، ووقع نظيره لولده الناصر فرج في الدنانير الناصرية» - نفسه ج ١ ص ٣٢٥، قوله في حوادث حولية اثنين وتسعين وسبعمائة: «... وفي صبيحة هذا اليوم - عاشر صفر - استقر كريم الدين بن عبد العزيز - الذي تزوجت أنا ابنته بعد هذا بست سنين - ناظر الجيش...» - نفسه ج ١ ص ٣٨٤ - ٣٩٥، قوله في حوادث حولية سبع وتسعين وسبعمائة: «... وفيه أمر شيخ - الذي صار بعد ذلك سلطاناً (أمير) أربعين، وأمر نوروز تقدمة ألف» - نفسه ج ١ ص ٤٨٧، قوله: «... وفي آخر هذه السنة رحلت إلى ثغر الأسكندرية فسمعت بها من... وأقمت بها إلى أن رحلت هذه السنة، ودخلت في السنة التي تليها عدة أشهر» نفسه ج ١ ص ٤٩٥.

(١) نفسه ج ١ ص ٥.

(٢) نفسه ق ٦٦ ب (هامش أيمين) حيث ينص في ترجمة «إبراهيم بن سرايما الكفرماوي» (ت ٧٨٦ هـ / ١٣٨٥ م.) إلى ضرورة ترتيبها، ويقابلها في مطبوعة القاهرة ج ١ ص ٢٩٢ ترا.

(٣) نفسه ق ٦٣ ب، حيث أشار في ترجمته «لا سماويل بن بردس» (ت ٧٨٦ هـ / ١٣٨٥ م.) - وقد وردت ضمن وفيات حولية خمس وثمانين وسبعمائة - إلى ضرورة التحويل، ويقابلها في مطبوعة القاهرة ج ١ ص ٢٩٢ ترا.

كل هذا - لا شك - جعل مؤلفه مختل الترتيب، وإن ظهر ذلك جلياً في القسم الخاص بتدوين الوفيات من كل حولية. بل لقد أتت آخر حوليات الكتاب، حولية خمسين وثمانمائة - مختلة الترتيب، مخالفة للمنهج المتبعة في الحوليات السابقة لها حيث تداخلت فيها المعلومات، وانحازت فيها الحوادث بالترجمات.

وهذا يشير - دون أدنى شك - إلى أن «ابن حجر» قد ترك كتابه في المسودة، وإلى أنه لم يكن قد أكمله بعد، وإلا لما وقف به عند نهاية حولية خمسين وثمانمائة، ولما أتت هذه الحولية على تلك الكيفية.

وتلك مسؤولية القيمة على عاتق نسخ الكتاب وناشريه، فاضطروا بذلك ورائعوا رغبة المؤلف في الترتيب والتبويب - قدر الإمكان.

تاريخ كتابة الأنباء:

لا يعرف ابتداء «ابن حجر» بالكتابة في «أنباء الغمر»، وإن كان أقدم تاريخ ورد في المتن مؤرخاً لمادته يرجع إلى «شعبان سنة ست وثلاثين وثمانمائة»، كما لا يعرف تاريخ الفراغ من كتابة آخر حولياته، وهو لا يريب بعد الخمسين وثمانمائة أو في نهايتها.

عنوان الكتاب:

لا يحتاج عنوان الكتاب وهو: «أنباء الغمر بأنباء العمر» إلى تحقيق أو جهد في نسبة إلى المؤلف، وانتساب الكتاب إليه، ذلك أن «ابن حجر» قد أثبته في خطبة الكتاب، وبقي الكتاب إلى وقتنا في صورته الأولى بخط مصنفه، ولكن قد يكون في حاجة إلى زيادة توضيح وتفسير.

فالغمر ، جمع غمر - بفتح الغين أو كسرها أو ضمها، وجواز تحريك ميم المفرد - وهو: غير المحرب للأمور^(١).

والأنباء - بكسر المهمزة - إخبار المتكلم سواه الخبر^(٢).

(١) ابن منظور. لسان العرب ج ٦ ص ٤٣١٥.

(٢) نفسه.

والأنباء، جمع نبأ، وهي الأخبار التي ينبيء بها المتكلم غيره^(١).

وعلى ذلك فالمعنى الذي يتضمنه العنوان هو:

«إخبار اللاحقين بأخبار عصره».

النسق الفي لإنباء

.. هكذا ترك «ابن حجر» كتابه «إنباء الغمر» مسودة لم يمهله الأجل ليبيضها أو يكملها، فكانت تلك مسؤولية ملقة على عاتق النساخ الذين وجدوا أمامهم كمًا هائلًا من الورق والمعلومات، فلم يتيسر لهم تحريره إلا في مجلدين أو ثلاثة دون مراعاة لرغبة المؤلف في تجزيء الكتاب، ذلك أن «ابن حجر» قد نص على تجزيء الكتاب - في ذيل حولية ثمانمائة - قائلاً: «.. الثاني من إنباء الغمر للفقير إلى عفوبه القدير أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الأصل المصري، فيه أول سنة إحدى وثمانمائة»^(٢). وهو ما يشير إلى أنه كان يتولى تحريره في مجلدين تستفتح ثانيتها بحولية إحدى وثمانائة للهجرة باعتبارها بداية القرن هجري جديد.

وتلك رغبة متعلقة بنظرية شمولية لديه عالج بها التاريخ لعصره، واقتضته أن يخرج مؤلفاً مستقلًا لأعلام قرن كامل، أرخ فيه لهذا القرن من خلال تراجم الأعلام^(٣) لأن دراسة قرن كامل تكون أقرب إلى الرؤية على اعتبار طول المدة بما يbedo فيها من العوامل الفاعلة والمنفعلة في الحوادث، مما يتبع فرصة للحكم الشمولي على هذا القرن أو ذاك.

وإن كان قد تأتي له هذا في «الدرر الكامنة» - باعتباره شاهد عيان لفترة من نهايته - لا بأس بها - وباطلاعه على مراجع التاريخ لهذا القرن - فإنه من غير المعقول أن يتطرق له ذلك بالنسبة لقرن التاسع الهجري، فتلك مسألة آجال.

(١) المصدر السابق ج ٥ ص ٣٢٩٥.

(٢) ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٥.

(٣) هو كتاب «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، وسوف يرد التعريف به.

ولذا فإنه قد سلك طريقاً وسطاً، فخرج الكتاب على سنوات العمر، ثم عمد بعد ذلك إلى التاريخ للقرن التاسع الهجري.

ولا محل للتساؤل - هنا - عن عزوفه في الجزء الأول من الكتاب عن التاريخ بدأية بالقرن الثامن ما دامت المسألة مسألة تاريخ في وحدات زمانية أمدها مائة عام، لأن «ابن حجر» كان قد أرخ لهذا القرن - الثامن - حقيقة من خلال الترجمة لأعلامه في «الدرر الكامنة» مما يجعله في غير حاجة إلى سرد حوليات له على النحو الوارد في «الإنباء»، كما أن ابتداء «الإنباء» بالتاريخ للقرن الثامن كله عمل غير ذي جدوى بالنسبة له، فالكتاب بصورته التي أرادها له مؤلفه «يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلاً على تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير فإنه انتهى في ذيل تاريه إلى هذه السنة - ٧٧٣ هـ». ^١ ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلاً على الوفيات التي جمعها الحافظ تقي الدين ابن رافع، فإنها انتهت - أيضاً - إلى أوائل هذه السنة^(١).

ويتأيد ذلك - كذلك - فضلاً عن وجود عبارته آنفة الذكر - في ذيل حولية ثمانمائة - بافتتاحية حولية إحدى وثمانمائة بما يشير إلى بداية فعلية لمجلدة تالية عن استهلال بالبسملة والحمدلة متبع بقائمة استقرارات وظيفية يأتي على رأسها السلاطين والملوك وغيرهم من أرباب الدولة والمتغلبين عليها لتكون بمثابة تعريف بأبرز الشخصيات التي سوف تسند إليها الأعمال الجارية على مسرح الحوادث في العالم الإسلامي للوقوف على دور كلِّ وتفهمه من خلال حوليات تالية، وبعدها نجده يفصل بين قائمة الاستقرارات - تلك - وبين ما سوف يتبعها من تسلسل للحوادث الفرادي قائلاً: «ذكر الحوادث فيها...»^(٢) وهو ما نعدم نظيره في حوليات؛ سابقة أو لاحقة على هذه الحولية، اللهم إلا في حولية ثلاثة وسبعين وسبعمائة المتقدمة لحوليات الكتاب كله، حيث استهلت بقائمة مثيلة لتلك، ثم اتعبت بقوله: «... فمن الحوادث في هذه السنة...»^(٣).

(١) ابن حجر. إنماء الغمرج ١ ص ٥.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٣٧.

(٣) نفسه ج ١ ص ٩.

ولو لم يكن البدء الأنف الذكر مقصوداً منه لهذا الغرض لتكرر ذلك في حوليات لاحقة لحولية إحدى وثمانمائة، فوجد على غراره وما ألحق به ثالث ورابع من «إنباء الغمر» . . وهكذا.

لكن هذا التجزيء يجعل المجلدة الأولى من الكتاب غير متناسقة مع لاحقتها من حيث عد الأوراق فيها، فضلاً عن الحوليات في كل، حيث أن المجلدة الأولى وقد ابتدأت بعد المقدمة بحولية ثلاثة وسبعين وسبعمائة، وانتهت بحولية ثمانمائة قد احتوت على ثمان وعشرين حولية فقط، على حين أن المجلدة الثانية وقد ابتدأت بحولية إحدى وثمانمائة وانتهت بحولية خمسين وثمانمائة قد احتوت على خمسين حولية، وهو ما لا يتأق معه التناسق الفني بين المجلدين.

وهذه النظرة الفنية لم تكن تعنيه البتة، فتجزيء الكتاب لا يخضع لديه للشكلية البحثة التي يراعي فيها التنسيق الفني بين مجلديه، وإنما هي مسألة منهج توجهه نظرة تأريخية شاملة ملحة على هذا التجزيء، وتظهر - كذلك - في العمد إلى الشمول الموضعي لموضوعات حوادث حولياته.

ويؤيد ذلك أنه لم يراع التناسق بين عدد الصفحات أو كمية المعلومات الواردة في الحولييات - فرادى، فقد تطول حولية^(١) وتقصر أخرى^(٢) وتكون ثلاثة ربيعة لا هي بالطويلة ولا بالقصيرة . .^(٣) فضلاً عن إغفال النسق الفني في البناء الداخلي للحولية منفردة، حيث لا يوجد مثل هذا التناسق بين الترجم وحوادث من حيث المساحة الشاغلة لها، والعدد فيها، كما يلاحظ تباين ذلك في النوع الواحد، فقد يقصر الترجمة أو الخبر ليشغل أقل من السطر^(٤) وقد

(١) من نماذج ذلك حولية ثلاثة وثمانمائة للهجرة.

(٢) من نماذج ذلك حولية خمسين وثمانمائة للهجرة.

(٣) من نماذج ذلك حولية إحدى وعشرين وثمانمائة للهجرة.

(٤) كنحو قوله في وفيات حولية خمس وسبعين وسبعمائة: «عمر بن تقى الدين السعودى، شيخ خانقة بكتم، مات في ذي الحجة» - إنباء الغمر ج ١ ص ٦٧ تر ٢٤ - قوله في وفيات حولية ثمان وسبعين وسبعمائة: «إبراهيم بن عبدالله العجمي، أحد من كان يعتقد بدمشق» - نفسه ج ١ تر ٣ ص ١٣٤ - قوله في حوادث حولية اثنى عشرة وثمانمائة: «... وفي تاسعه صرف =

يظلوها ليزيدا على الصفحة . . (١) .

وهذا طباعي لدى كتاب الحوليات الإسلامية التقليديين - بصفة عامة - ومنهم «ابن حجر»، لأن ذلك خاضع قبل كل شيء لطبيعة كاتبها، وتوفره على المصادر، وتتوفر المصادر له، فضلاً عن نوع المعلومة المدونة، وجدارتها بالتسجيل على الإسهاب أو الإقتضاب حسب مقاييسه هو، ومفهومه للتاريخ، وفهمه لها. بل لا يتأتى ذلك للمؤرخ الحديث والمعاصر إلا بتكلف ربما أفسد عليه ما يناظر به من عمل .

وهكذا فإن هذه النظرة المنهجية لديه لم تكن - للأسف - متفهمة لدى نسخ الكتاب وناشريه، فتخطوا التصنيف المعتبر لدى كاتبه إلى تقسيمات أخرى على نحو ما هو بين قبلي .

هذا من حيث تجزيء الكتاب، أما من حيث تنظيمه فإن «ابن حجر» قد رتبه على مقدمة (٢) تتبعها معلومات نظمت على الحوليات المتتابعة الإفراد ابتداء بحولية ثلاثة وسبعين وسبعمائة - وهي سنة مولده - وإنقضاء بحولية خمسين وثمانمائة - أي قبل وفاته بنحو عامين - مراعياً فيها أن تذكر الحوادث وترجم

= ابن شعبان عن الحسبة، وأعيد الطويل» . . هكذا مجرداً - المصدر السابق ج ٢ ص ٤٣٢ - على عكس ما فعل بغيره من الاستقرارات الوظيفية المتعلقة بالبرهان ابن جماعة وغيره - راجع: العلاقة بين الترجمات والحوادث من هذا الباب .

(١) من نماذج الترجمات المطولات في «الإنباء» ترجمته لابن حجي الحسبياني - ج ٣ تر ٦ ص ١٨ - ٢٠ - والمجد الفيروزبادي ج ٢ تر ١٦ ص ٤٧ - ٥٠ - والعجل بن نعير - ج ٣ تر ٢٠ ص ٢٦ - ٢٧ - وفتح الله بن نفيس ج ٣ تر ٢٤ ص ٢٩ - ٣٠ .

ومن نماذج الحوادث المطولات ما تعلق بسفرة آمد (السفرة الشمالية) - نفسه ج ٢ ص ٤٩٢ . وما بعدها، وغزوة رودس - نفسه ج ٩ ص ٢٠٠ وما بعدها .

(٢) وتحتوي على البسمة والدعاء والشهادتين، ونسبة الكتاب إلى مؤلفه ثم تعريف بالكتاب وبمصادره والمدف منه، والإشارة إلى تعديله لادمه بعد اطلاعه على ذيل ابن خطيب الناصرية على تاريخ ابن العديم في سفرة آمد .

الوفيات منفصلة عن الأخرى من حيث النسق الترتيبسي^(١) ولذا نجده يفصل بين الحوادث والترجم في الحولية الواحدة بعنوانات هي : «ذكر من مات في سنة . . .» ، «ذكر من مات سنة . . . من الأعيان» ، ذكر من مات سنة . . . من الأكابر» ، «ذكر من مات في هذه السنة من الأكابر» ، على أن عبارة «ذكر من مات سنة . . . من الأعيان» غالبة الشيوع في مؤلفه .

وقد تكون بعض الحوليات طبيعة خاصة تقتضيه التمييز بين نوعين من ترجم الوفيات الكائنة فيها ، على نحو ما فعل بوفيات حولية ثمان وسبعين وسبعمائة ، حيث وردت تحت عنوانين هما : «ذكر من مات في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة من الأعيان»^(٢) ، «وفيها مات من الأمراء: . . .»^(٣) وما فعل بوفيات حولية ثمانمائة ، حيث وردت الوفيات موزعة فيها على عنوانين هما : «ذكر من مات في سنة ثمانمائة من الأعيان»^(٤) ، «ذكر من مات في سنة ثمانمائة من الأجناد»^(٥) .

ويلحق بهذا البناء الداخلي للحوليات - فيما يختص بترجم الوفيات - تنظيم الترجم والوفيات في الحولية الواحدة على حروف الهجاء^(٦) معتبراً اسم المترجم له فحسب ، وليس اسم الشهرة سواء كانت الشهرة في لقبه أم كنيته ، اللهم إلا إذا غاب عنه اسم المترجم له ، أو تخوف من أن يسبب ذلك ليساً لدى مطالع حولياته^(٧) وهذا لا يتأقى معه التسلسل التأريخي للوفيات داخل

(١) وإن ترجم بعض الوفيات في القسم الخاص بالحوادث من حوليات الكتاب - راجع : العلاقة بين الترجم والحوادث من هذا الباب .

(٢) ابن خجر . إنباء الغمرج ١ ص ١٣٤ .

(٣) نفسه ج ١ ص ١٣٧ ، ١٣٩ .

(٤) نفسه ج ٢ ص ٢٢ .

(٥) نفسه ج ٢ ص ٢٣ .

(٦) وإن اختل ذلك في بعض مواضع منها وفيات حولية ٨١٣ هـ . - نفسه ج ٢ ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

(٧) وأكثر ذلك يتعلق بالمعتقددين (المتصوفة) وأمراء الملاليك ، ومنه الترجمة على اسم الشهرة مغفلأً الاسم الأصلي لكل من «حسام الدين الصفدي» - نفسه ج ٣ تر ١٣ ص ٢٤ - و «نجم ابن =

الحولية الواحدة حسب الأيام والشهور المتعاقبة - الواقع فيها الوفاة - على نحو ما ورد لدى مصادر معاصرة له^(١) وإن تميز بسهولة الكشف عن المترجم له إذا ما عرفت سنة الوفاة واسم المترجم له على الصواب.

أما الحوادث فإنه راعى فيها أن تأتي متتابعة التسلسل في صدر حولياتها وقد فصل بين حولية وأخرى بقوله: «سنة (كذا)».

لكن قد تتصدر بعض الحوادث حولية بعينها باعتبار نوعيتها المغايرة لسائر الحوادث المتتابعة الإفراد، أو لغبتها على فكر المؤرخ أو عصره. وهنا نجده قد فصل بين تلك الحوادث المتميزة وبين غيرها من الحوادث المتعاقبة بما يشير إلى ذلك، كنحو قوله في حولية ثلات وتسعين وسبعمائة وقد تصدرتها «الأخبار المنطاشية»: «ذكر بقية الحوادث الكائنة في هذه السنة»^(٢) وقوله في حوادث حولية ثلات وثمانمائة وقد تصدرتها أخبار «ترلنك»: «ومن الحوادث غير قصة

= عبدالله القابوسي - نفسه ج ٣ ص ٨٤ تر ١٧ - و «شاهين الأفرم» - نفسه ج ٣ تر ٦ ص ٤٣ و «نوروز» - نفسه ج ٣ تر ١٧ ص ٥٠ - وقد يترجم للوفاة في موضوعين: على الاسم، ثم على اسم الشهرة، أو العكس - مع الإحالـة في الموضع الثاني على الموضع الأول، كما فعل بترجمته «عبدالله بن محمد بن سهل الم Rossi المغربي» وقد ترجم على الاسم - نفسه ج ١ تر ٢١ ص ١٨٤ - ثم على اسم الشهرة محـيـلاً على الأول قائلاً: «نهار الذي كان يعتقد بالاسكندرية ، وهو عبدالله تقدم» - نفسه ج ١ تر ٤٢ ص ١٨٩ - وترجمته لقرا يوسف - ضمن وفيات حولية ثلات وعشرين وثمانائة تحت اسم «قرا يوسف بن قرا محمد التركماني» - نفسه ج ٣ تر ٨ ص ٢٣٠ - ثم الترجمة له في موضع آخر بالإحالـة قائلاً: «يوسف قرا محمد التركماني المعروف بقرا يوسف بن بيرم خجا، تقدم في قرا يوسف» نفسه ج ٣ تر ٢٣ ص ٢٣٦ - وترجمته لكل من: «أحمد بن محمد بن موسى بن سند» - نفسه ج ١ تر ٩ ص ٥١٥ - و «صدقة بن محمد فتح الدين» - نفسه ج ١ تر ٢٤ ص ٥١٧ - ضمن وفيات حولية ثمان وتسعين وسبعمائة - ثم العود للترجمة لها ثانية - في الحولية نفسها - على اسم الشهرة محـيـلاً على الأول قائلاً: «أبو سعد بن سند، اسمه محمد. أبو دقن، اسمه صدقة. تقدما» - نفسه ج ١ تر ٥١، ٥٢ ص ٥٢١.

(١) كما فعل المقرizi في «السلوك»، وابن حجي في تاريخه، وصاحب حوليات دمشقية - نشرة د. حسن حبشي.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمرج ١ ص ٤١٤.

تمرنك»^(١) قوله في حوادث حولية اثنى عشرة وثمانمائة، وحوالية ثلاثة عشرة وثمانمائة: «ذكر حوادث أخرى غير ما تعلق بالمتغلبيين»، «ذكر الحوادث الخارجية عن حروب المتغلبيين»^(٢) وقد أفرد صدرها للصراع بين «شيخ محمودي» وغيره من كبار أمراء المماليك ونواب السلطنة، وبين «الناصر فرج» وحربه لهم. قوله في حوادث حولية ثمان وعشرين وثمانمائة: «ذكر غزاة قبرس الأولى»^(٣) ليفصل بين أخبارها وما سبقها من الأخبار الفرادى المتواالية التتابع، قوله في حوادث حولية ست وثلاثين وثمانائة: «ذكر السفرة الشمالية»^(٤) ميزاً لها عن حوادث أخرى تسبقها، ثم اتبعها بنوع آخر من الحوادث المعونة بقوله: «ذكر الحوادث في غيبة السلطان الأشرف بالقاهرة»^(٥). وجعه لحوادث تعلقت بغزو رودس سنة سبع وأربعين وثمانائة في موضع واحد لتبعها حوادث ذات نوعية مغايرة وقد سبقت بقوله: «ومن الحوادث بعد أن سافر الغزا...»^(٦) وهكذا.

لكن - مع ذلك - فإن الملاحظ من استقراء الحوادث ومقابلتها بمثلاتها في كتابات غيره من المؤرخين المعاصرين:

١ - أنه لم يكن دقيقاً في تاريخ أو عرض الكثير من حوادث كتابه.

٢ - أن التاريخ والعرض للحوادث لم يسر على وثيره واحدة.

وحتى لا يطول الحديث في هذا الموضوع ويخرج بنا عن الخطة العامة للبحث فإنه سوف يكتفي باختيار خمس حوليات لدراستها كمثال - للتدليل على هذه الملحوظة وهي سنة ٧٧٣ هـ. - على اعتبار أنها أولى حوليات الكتاب، والمقطوع به أن دور «ابن حجر» فيها كان دور الناقل من كتابات سواه، ولم

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٤١.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٤٣٠ ، ٤٥٩ - على التوالى.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٣٤٦.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٤٩٢.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٥٠٠.

(٦) نفسه ج ٩ ص ٢٠٠.

يعاين أحداث هذه السنة لكونه ولد فيها - وسنة ٨٠٠ هـ. - باعتبار أنها تمثل نهاية القرن ويمكن أن يقال فيها أن «ابن حجر» قد مزج فيها بين ما التقطه بنفسه من الحوادث وبين ما أخذه من بطون الكتب - وسنوات متأخرة من حوليات كتابه يكتفي فيها بسنة ٨٤٥ هـ. - لأن لها طابعاً خاصاً - وسنة ٨٤٩ هـ، وسنة ٨٥٠ هـ. - وتمثلان آخرتان حوليات الكتاب.

حيث نجده قد نهج في حولية ثلات وسبعين وسبعمائة للهجرة نهجاً هو:

* - إغفال تاريخ الحوادث بنسبتها إلى اليوم أو الشهر الذي وقعت فيه باستثناء ثلاثة مواضع - اكتفاء بنسبتها إلى السنة، قائلاً: «... فمن الحوادث في هذه السنة...»^(١)، أو «وفيها...»^(٢) أو «وفي هذه السنة...»^(٣) أو «وأتفق في هذه الأيام...»^(٤).

٢ - أما المواقع المؤرخة، فقد أتى موضع منها مؤرخاً بنسبة الحدث إلى الشهر دون تحديد اليوم قائلاً: «(وفي صفر...)»^(٥) بينما أرخ باليوم في الموضع الثاني، وبالليلة في الموضع الثالث قائلاً: «... وفي أول يوم من جمادي الآخرة...»^(٦)، «وفي ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول...»^(٧).

أما حولية ثمانمائة للهجرة، فإنه قد اتبع فيها نهجاً أكثر وضوحاً في عدم الدقة من هذا وهو:

١ - اختلال تسلسل الأيام في الشهر الواحد، ومن أمثلة ذلك ما ورد بخصوص الحوادث التي أرخها بدبي الحجة، حيث أتت على النحو التالي:

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٩.

(٢) نفسه ج ١ ص ٩، ١٠، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦١، ١٥، ١٤، ١٢، ١٠، ٩.

(٣) نفسه ج ١ ص ١٧.

(٤) نفسه ج ١ ص ١٩.

(٥) نفسه ج ١ ص ١١.

(٦) نفسه ج ١ ص ١٦.

(٧) نفسه ج ١ ص ١٧.

- في أواخر ذي الحجة^(١).
- في سابع عشرى ذى الحجة^(٢).
- في السابع والعشرين من ذى الحجة^(٣).
- في الثالث من ذى الحجة^(٤).
- في أول يوم من ذى الحجة.
- فلما كان في الثامن من ذى الحجة.

٢ - الاختلال في تتابع الشهور في الحولية الواحدة:

حيث وردت الشهور المربعة للحوادث على النحو التالي: (بعد اسقاط الحوادث المنسوبة إلى السنة دون تاريخ باليوم والشهر):

المحرم / صفر / شعبان / ربيع الأول / صفر / جمادى الأولى / جمادى الآخرة / شعبان / رمضان / شوال / ذى القعدة / ذى الحجة / ربيع الأول / جمادى الأولى / ربيع الآخر.

ومعنى ذلك:

- أ - أن حوادث شهر صفر قد أتت في ثلاثة مواضع من الحولية: بعد المحرم مباشرة، لتقطعها حوادث شعبان وربيع الأول.
- ب - أن حوادث شهر شعبان أتت في موضعين: بعد صفر مباشرة، ثم يعترضها أشهر: ربيع الأول، وصفر، وربيع الأول، وصفر، وجمادى الأولى، وجمادى الآخرة، - بحوادثها.
- ج - أن حوادث شهر ربيع الأول قد أتت في موضع ثلاثة: في موضعين يعترضها شهر صفر بحوادثه، ثم بعد الشهور التالية بما تحمله من حوادث المؤرخة بها: صفر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة - شعبان - رمضان - شوال - ذى القعدة - ذى الحجة.

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢١.

(٤) نفسه.

د - أن حوادث جمادي الآخرة قد أتت في موضعين تفصل بينهما حوادث:
جمادي الآخرة - شعبان - رمضان - شوال - ذي القعدة - ذي الحجة - ربيع
الأول.

ومعنى ذلك أنه لا يمكن الكشف عن حادث وقع في أي من شهور السنة بدون قراءة الحولية بتمامها للوقوف على المطلوب منها. كما أن هذا ربما يشير إلى أن مفهومه من التاريخ للحوادث هو مجرد إثباتها في حيز الحول الواقع فيه دون تتابع أو ترتيب زمني يسير فيه على وتيرة واحدة^(١).

٣ - أن «ابن حجر» قد أغفل تاريخ الحوادث تارياً تماماً اكتفاء بنسبتها إلى الشهر الواقع فيه، أو بنسبتها إلى السنة متجاهلاً التأريخ باليوم والشهر - ومن أمثلة الاتجاه الأول - التأريخ بالشهر مع إغفال اليوم: «في المحرم . . .»^(٢)، «. . . في ربيع الأول»^(٣)، «في صفر . . .»^(٤)، «في جمادي الآخرة . . .»^(٥)، «في شعبان . . .»^(٦)، «في رمضان . . .»^(٧)، «في شوال . . .»^(٨)، «في ذي القعدة . . .»^(٩) - ومن أمثلة الاتجاه الثاني، وهو نسبة الحوادث إلى سنة وقوعها مع إغفال اليوم والشهر قوله: «وفي هذه السنة . . .»^(١٠)، «وفيها . . .»^(١١).

(١) ربما وقع ذلك في الكتاب لتركه له في المسودة، وهي صورة لفكرة وقت التأليف الأول للمعلومات، وهذه الدراسة الوصفية مبنية عليها لأنها العمل الراهن الواقعي، أما ما كان في الغيب لو عاش «ابن حجر» لتصنيفه في البيضة فلا يمكن إدراكه ليوصف. ويلاحظ أن مثل ذلك المثبت في المتن قد وقع في كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لأدم متر، الذي جمع تلاميذه أوراق مسودته ونشروها بعده.

(٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٨.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه ج ٢ ص ١١.

(٦) نفسه ج ٢ ص ١٢.

(٧) نفسه.

(٨) نفسه ج ٢ ص ١٤.

(٩) نفسه ج ٢ ص ١٦.

(١٠) نفسه ج ٢ ص ٩.

(١١) نفسه ج ٢ ص ٩، ١٢، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢.

٤ - كما قد تأتي الحوادث مؤرخة تقربياً - منسوبة إلى أوائل أو وسط أو أواخر الشهر - وليس على وجه الدقة، كنحو قوله:

«وفي أوائل ذي القعدة...»^(١)، «وفي وسط هذا الشهر...»^(٢) «وفي أواخر ذي الحجة...»^(٣).

٥ - لكن على العكس من ذلك قد أتت بعض الحوادث المؤرخة باليوم والشهر نحو قوله: «وفي الثامن من المحرم...»^(٤)، قوله: «وفي العشرين من ربيع الأول...»^(٥)، أو باليوم والشهر واليوم من الأسبوع، كنحو قوله: «وفي ليلة الجمعة ثامن شعبان...»^(٦)، أو باليوم والشهر الهجري مقابلاً بالشهر القبطي، كنحو قوله: «وفي سابع عشر صفر الموافق الثالث عشر (من) هاتور...»^(٧). وقد يكون التاريخ - كذلك - بالوقت من اليوم حسب توقيت الصلوات، كنحو قوله: «فلما كان في الثامن من ذي الحجة العصر...»^(٨).

أما حولية خمس وأربعين وثمانمائة فإنه لم يخل التاريخ باليوم والشهر من السنة بحدث واحد.

وكذا حولية تسع وأربعين وثمانمائة، إذا ما استثنى موضعان أرخ فيهما بالشهر دون تحديد اليوم فائلاً: وفيه... (أي في المحرم)»^(٩) قوله: «وفي هذا الشهر...»^(١٠).

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٠.

(٤) نفسه ج ٢ ص ٧.

(٥) نفسه ج ٢ ص ١٠.

(٦) نفسه ج ٢ ص ١٢.

(٧) نفسه ج ٢ ص ١٠.

(٨) نفسه ج ٢ ص ٧٢١

(٩) نفسه ج ٩ ص ٢٣١.

(١٠) نفسه ج ٩ ص ٢٣٥.

أما حولية حسين وثمانمائة فإنه قد أرخ فيها الحوادث تأريخاً كاملاً مع ملاحظة أنه قد أدمج فيها الوفيات المؤرخة على أنها من الحوادث الواقعه في هذه السنة^(١).

من كل هذا نصل إلى الآتي :

١ - أن «ابن حجر» قد أدى بحوادثه مسلسلة الحوليات والشهور والأيام من داخلها على التتابع في الحوادث المتأخرة جداً من حوليات كتابه، أما المتقدمة منه فإنها لم تؤرخ على وتيرة واحدة، حيث ظهر فيها الآتي :

أ - الاختلال في تتابع الأيام والشهور.

ب - التأريخ بالتقريب مغفلًا الدقة - أحياناً - ودقيقاً في كثير منها حيث لم يكتف بالتاريخ بالشهر أو بتجزئه إلى أول وآخر ووسط أو باليوم أو الليلة، وإنما بما يقابلها من شهور السنة القبطية خاصة في الحوادث المتعلقة بالنيل أو الأرصاد والأفلاك. وقد يؤرخ - كذلك - بالوقت تبعاً لمواعيد الصلاة كالعصر^(٢) أو ما كان قبل صلاة الجمعة، أو أواخر النهار^(٣).

٢ - أنه قد نقل بعض الحوادث من حولياتها إلى حوليات أخرى غير الواقعه فيها أو كررها، وهو ما سوف يبحث في موضوع الدقة في النقل من الفصل الخاص بالمصادر من هذا البحث.

النسق التعبيري للكتاب

كان لاطلاع «ابن حجر» على الكثير من علوم و المعارف عصره، و تميزه فيها خاصة فيما تعلق بالعربية - أدباً ونحواً وصرفًا وبلاغةً - وإنشاده للشعر وروايته له واطلاعه على ثناذج أدبية وأساليب متعددة لكتاب مختلفين، وأخذه

(١) المصدر السابق ج ٩ ص ٢٤٥ - ٢٥١.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢١، ٣٩، ٤٨، ٩٣.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٠٨.

جل مادة كتابه عنهم - أثره في إسلوب «الإنباء»، حيث بدت عباراته وضاحكة، عالية الأسلوب تامة المعنى، متخيصة الألفاظ، فصيحتها.. مما جعل أسلوبه يتيمز بخصائص منها:

١ - فصاحة اللفظ ومعجميته:

كعنحو: قوله: «صفعة»^(١)، «رجيفة»^(٢)، «الكامن»^(٣)، «فسخطوها»^(٤)، «تبطل»^(٥)، «يتuan المتجز»^(٦)، «اشتورووا»^(٧)، «يتفلل»^(٨)، «عنوة»^(٩)، «انهبط»^(١٠)، «جأر»^(١١)، «مزجي البضاعة»^(١٢)، «أججوا ناراً»^(١٣)، «شدر مذر»^(١٤) ..

٢ - تخير الأساليب البلاغية نشداناً لعلو الإسلوب والمحافظة على بلاغته:

كعنحو قوله في حولية ست وثمانمائة على سبيل الطباقي: «... . وفيها مات محمد سلطان بن تنكر بن اللنك... . فمات بعد الوصول والظفر بابن عثمان،

(١) ابن حجر. إناء الغمرج ٢ ص ٨، والصفع بسط الرجل كفه ليضرب بها قفا الإنسان أو بدنه - ابن منظور. لسان العرب ج ٤ ص ٤ . ٢٤٦١

(٢) نفسه ج ٢ ص ٩ ، أي فزعه - ابن منظور ج ٣ ص ١٥٩٥ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ١٠ ، أي المختفي - ابن منظور ج ٥ ص ٣٩٣٣ .

(٤) نفسه ج ٢ ص ١٨ ، أي استقلوها - ابن منظور ج ٣ ص ١٩٦٤ .

(٥) نفسه ج ٢ ص ٤٤ ، أي تعطيل ذلك - ابن منظور ج ١ ص ٣٠٣ .

(٦) نفسه ج ٢ ص ٤٢ ، أي يتحمله على شدة - ابن منظور ج ٤ ص ١٣٤٦ .

(٧) نفسه ج ٢ ص ١٣٤ ، أي تشاوروا - ابن منظور ج ٤ ص ٢٣٥٨ .

(٨) نفسه ج ٢ ص ١٤٥ ، أي تفلتوا منهزمين - ابن منظور ج ٥ ص ٥٤٦٦ .

(٩) نفسه ج ٢ ص ٢٠٨ ، أي قهراً - ابن منظور ج ٤ ص ٣١٤٤ .

(١٠) نفسه ج ٢ ص ٢٥٩ ، أي انخفض - ابن منظور ج ٦ ص ٤٦٠٥ .

(١١) نفسه ج ٢ ص ٢٦٩ ، أي رفع صوته - ابن منظور ج ١ ص ٥٢٨ .

(١٢) نفسه ج ٣ ص ٤٦ ، أي قليل البضاعة (من العلم) - ابن منظور ج ٣ ص ١٨١٥ .

(١٣) نفسه ج ٣ ص ٦٩ ، أي أهباها وأشعلها - ابن منظور ج ١ ص ٣٠ .

(١٤) نفسه ج ٢ ص ٢٢٦ ، أي ذهبوا في كل وجه - ابن منظور ج ٤ ص ٢٢٢٠ .

فبدل فرح اللنك ترحاً وحزن عليه حزناً عظيماً^(١)، قوله بشأن سيل مكة - ضمن حوادث حولية اثنتين وثمانمائة - على سبيل التشبيه فالإستعارة: «... وفي ليلة الخامس العاشر من جمادي الأولى حصل بمكة مطر عظيم انصب كأفواه القرب، ثم هجم السيل فامتلاً المسجد حتى بلغ إلى القناديل، وامتلاً، ودخل الكعبة من شق الباب»^(٢). قوله في ترجمة «المجد الفيروزبادي» - ضمن وفيات حولية سبع عشرة وثمانمائة - على سبيل إستعمال الصفة للمبالغة في الكثرة: «... ولقي بغيرها - أي بغير مكة - من البلاد جمأً من الفضلاء، وحمل عنهم شيئاً كثيراً»^(٣)، قوله في حوادث حولية أربع وثمانمائة مستعملاً جناس الإشتراق فالمبالغة والإستعارة: «... فأخذ - ترلنك - بغداد عنوة يوم الأضحى، فضحى بذبح المسلمين إلى أن جرت بدمائهم دجلة، وبنيت ببرؤوسهم عدة مسلات»^(٤).

٣ - تضمين العبارات بعض التعبيرات البليغة، شائعة الإستعمال لدى بلغاء الكتاب:

كتحو قوله: «... ودبّت عقارب التشاحن بينهم إلى أن دبر الأمراء الجدد الأمر»^(٥)، قوله: «... فتزايـد البلاء على أهلـ البلد، وندموا حيث لا ينفع الندم»^(٦)، قوله: «... وفيـه - أي فيـ ذي القـعـدةـ سـنةـ أـرـبـعـ وـثـمـانـ مـائـةـ - خـرـجـ الـأـمـرـاءـ عـنـ بـكـرـةـ أـبـيـهـ»^(٧)، قوله: «... فـقـيلـ أـرـادـواـ بـذـلـكـ قـصـ جـنـاحـهـ»^(٨)، قوله: «... وـعـادـواـ بـخـفـيـ حـنـينـ»^(٩).

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٨.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٩٨.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٥٠.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٢٠٨.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٩٤ - ٩٥.

(٦) نفسه ج ٢ ص ١٣٨.

(٧) نفسه ج ٢ ص ٢٠٧.

(٨) نفسه ج ٢ ص ٦٩.

(٩) نفسه ج ٣ ص ٦٩.

٤ - توارد الكثير من اصطلاحات وتعبيرات العصر في سياق عباراته :

ومن ذلك قوله : «خلع عليه»^(١)، «انكسر»^(٢)، «نفي بطالاً»^(٣)، «ضرب مقترباً»^(٤)، «عصر»^(٥)، «وسط»^(٦)، «التسعيط»^(٧)، «سمر»^(٨)، «رسم عليه»^(٩)، «الكشف عنها استولى عليه»^(١٠)، «جرس»^(١١)، «نودي عليه»^(١٢)، «دق الكؤوسات»^(١٣)، «صنائق»^(١٤)، «الكتابية الصغار»^(١٥)، «مغل الأماء»^(١٦)، «سماط»^(١٧)، «تفصيلة»^(١٨)، «مراسيم بساميغ»^(١٩)، «ميسم اللحم»^(٢٠).

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠١.

(٢) نفسه ج ٢ ص ١٦.

(٣) نفسه ج ٢ ص ١٩.

(٤) نفسه ج ٢ ص ١٠٤.

(٥) نفسه ج ٢ ص ١١٢.

(٦) نفسه ج ٢ ص ١٨.

(٧) نفسه ج ٢ ص ٨.

(٨) نفسه ج ٢ ص ٢٠.

(٩) نفسه ج ٢ ص ٢٠٠.

(١٠) نفسه ج ٢ ص ٢٠٠.

(١١) نفسه ج ٢ ص ١٠٤.

(١٢) نفسه ج ٢ ص ٢٠١.

(١٣) نفسه ج ٢ ص ٩٥.

(١٤) نفسه ج ٢ ص ١٢.

(١٥) نفسه ج ٢ ص ٢٠.

(١٦) نفسه ج ٢ ص ٩٤.

(١٧) نفسه ج ٢ ص ١٢.

(١٨) نفسه ج ٢ ص ٢٣٧.

(١٩) نفسه ج ٢ ص ٢٣٨.

(٢٠) نفسه ج ٢ ص ٢٠٧.

٥ - التأثر بالقرآن الكريم والإقتباس منه:

كناحه قوله: «... ويحتمل الصحة ليقضي الأمر المقدم: إنما نحن لهم
ليزدادوا إثناً»^(١)، قوله: «... وفيه هرب نجم الدين ابن حجي مفاضباً
لనائبها»^(٢)، قوله: «... فلما جن عليهم الليل...»^(٣)، قوله: «... مات بسبب
صاعقة سقطت على حصنه المسمى قوارير من زجاج فارتاع من صوتها فتوعك
ثم مات في السادس عشر جمادى الآخرة. قال الله تعالى (و) تبارك: «وَيُرْسِلُ
الصواعق فَيُصَبِّبُ بِهَا مَن يشاء»^(٤).

٦ - تضمين الكتاب الكثير من أبيات الشعر، سواء من انشاده^(٥) أو روايته عن غيره:

بل وتوجيه تلك الشواهد الشعرية وجهة تاريخية نقدية.

٧ - الابتعاد عن السجع والتکلف في اللفظ:

الذي غالباً ما أفسد المعنى وأغلق العبارة لدى غيره من المؤرخين^(٦) -
وإن حافظ في مواضع متعددة من «الإنباء» على منقوله المسجوع، على الرغم من
عمده إلى التصرف في النسق التعبيري المصاحب لكثير من منقولاته»^(٧).

ومن أمثلة ذلك قوله - نقاًلاً عن ابن حبيب - في ترجمة «البهاء السبكي»

(١) المصدر السابق ج ١، ص ١٩، ويقابلها: سورة آل عمران، آية ١٧٨.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٣٧، ويقابلها: سورة الأنبياء، آية ٧٨.

(٣) نفسه ج ٢ ص ١٩٥، ويقابلها سورة الأنعام، آية ٧٦.

(٤) نفسه ج ٢ ص ٣٣١، ويقابلها: سورة الرعد، الآية ١٣.

(٥) كناحه ما ورد من شعر له في رثاء الزين العراقي - نفسه ج ٢ ص ٢٧٧ ، والسراج البليغاني
والعرائي - نفسه ج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ - قوله في الناج والعلم البليغين - ضمن حوادث حولية
خمس وعشرين وثمانمائة - نفسه ج ٣ ص ٢٨٠ ، قوله معرضاً بالعنيفي في مناسبة سقوط منارة
المقidiyah - نفسه ج ٣ ص ١٤٦ .

(٦) كابن حبيب في كتابه «درة الأسلام في دولة الأترارك».

(٧) راجع الفصل المعقود للمصادر من هذا البحث.

(ت ٧٧٣ هـ. / ١٣٧٢ م.): «... وقال ابن حبيب: إمام علم، زاخر اليم،
مقررون الجم، وفضله مبذول لمن قصد وأم، وقلمه كم بباب عدل فتح، وكم
شمل معروف منح»^(١).

والحق أن «ابن حجر» كان معجباً بكل أسلوب أبي يبتعد به كاتبه عن
اللحن الظاهر، ولعل هذا كان دافعاً له على انتقاد «البدر العيني» في مقدمة
«الإنباء»^(٢)، بل والتصرف في النسق التعبيري للعديد من منقولاته عن مصادره
ارتفاعاً بعيارتها.

٨ - استعمال المختصرات في الترجم والحوادث:

سواء في الإسناد إلى المصادر، أو في الألفاظ والتعبيرات المؤدية للمعنى،
كنا هو قوله: «قال القاضي في الذيل»^(٣) مشيراً بذلك إلى قاضي حلب «علاء
الدين بن خطيب الناصري» في مؤلفه «الدر المتنبب في تكميلة تاريخ حلب»
الذي ذيل به على تاريخ «ابن العديم»^(٤)، قوله في حوادث حولية ثمانائة:
«... ووصل تغري بردى - الذي كان نائب حلب فأعطي إقطاع شيخ الصفوی،
ونفي شيخ إلى القدس بطلاً، واستمر بپرس - ابن أخت السلطان - أمير مجلس
عواضًا عن الصفوی»^(٥). ويلاحظ الإختصار في الاسم على الشق الأول منه،
فالثاني على التابع، ويمثله قوله: «تمرنك»^(٦)، و«تمر»^(٧)، و«النك»^(٨)،

(١) ابن حجر، إنماء الغمرج ١ ص ٢٣.

(٢) نفسه ج ١ ص ٤، حيث ورد فيها قوله: «... وربما قلد - أي ربما قلد العيني ابن دقماق - فيما
يهم فيه حق في اللحن الظاهر، مثل أخلع على فلان».

(٣) نفسه ج ٣ ص ٣٩٦.

(٤) راجع: طرق الإسناد إلى المصادر من هذا البحث.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٨.

(٦) نفسه ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٧) نفسه ج ٢ ص ٢٢٥.

(٨) نفسه ج ٢ ص ١٨.

والنسبة إليه في قوله: «ابن اللنك»^(١)، و«ولد تمر»^(٢)، وقوله: «اللنكية»^(٣) و«التمرية»^(٤).

٩ - المزاوجة في التدوين التاريخي بين الأرقام والحرروف:

ومنه قوله في ترجمة «الجمال المكي» (ت ٨١٥ هـ. / ٢١٤١٣ م.): «... ولد سنة ٧٤٢... . ومات في سابع شهر رجب سنة خمس عشرة وثمانمائة»^(٥).

١٠ - ضبط الأسماء في الأعلام والأنساب والأمكنة بالحروف وليس شكلاً بالقلم:

كنا نحو قوله: «جمال الدين المكي الحلوى - بفتح المهملة واللام الخفيفة - المعروف بابن العليف - بهممة لام وفاء مصغر...»^(٦)، وقوله: «... عبد الله بن عمر بن مجلبي بن عبد الحافظ البيتليدي - بفتح الموحدة وسكون التحتانية، وفتح المثناة بعدها لام مكسورة خفيفة ثم تحتانية ساكنة»^(٧)، وقوله: «... وهو من شقان - بضم المعجمة، وتشديد القاف وآخره نون - من السواحل بين جدة وحلي»^(٨)، وقوله «... محمد بن أبي بكر المالكي الكتامي - بضم الكاف وتخفيف المثناة - إلى حارة كتامة من القاهرة»^(٩).

١١ - الإفصاح عن رأيه وانفعالاته بعبارات وألفاظ سافرة:

كنا نحو قوله: «... فإن الأيام لم تمض إلا قليلاً حتى طرق (تلنك)

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٨.

(٢) نفسه ج ٢ ص ١٩.

(٣) نفسه ج ٢ ص ١٥٩.

(٤) نفسه ج ٢ ص ٢٣٦.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٥٣٢.

(٦) نفسه ج ٢ ص ٥٣٢.

(٧) نفسه ج ١ ص ٥١٨.

(٨) نفسه ج ١ ص ٤١.

(٩) نفسه ج ٩ ص ٨٥.

البلاد، فلا حول ولا قوة إلا بالله»^(١)، قوله: «... فدخل الفرنج البلد في شعبان من هذه السنة - سنة سبع عشرة وثمانمائة - ونقلوا ما كان بها حتى الكتب العلمية... وتركوها قاعاً خراباً، ومع ذلك فهي بآيديهم فلا قوة إلا بالله»^(٢). قوله: «... وفيها - أي في سنة سبع وثمانمائة - مات الطاغية ترلنك الخارجي... فأخذه أسر البول فتمادي به حتى هلك بالقولنج وأراح الله منه»^(٣)، قوله: «... الحطي الحشبي، ملك الحبشة الكافر، لا رحم الله فيه بغرز ابرة»^(٤).

كما أن من التعبيرات ما يظهر تطهيره من بعضهم، نحو قوله: «... وكان مشئوم النقية، ما كان في عسكر قط إلا انهزم، ولا حفظ له أنه ظافر في وقعة قط»^(٥)، ومنها قوله مبيناً عن شماتته: «... فاستخلص منه أموالاً جمة، منها في يوم واحد مائة وخمسون ألف دينار، وأخرجت ذخائره على النحو الذي كان هو يدبره في أمر محمود سواء»^(٦).

١٢ - استعمال اصطلاحات وختصرات المحدثين :

كنا نحن قوله في روايته للخبر. في بعض المواقع: «أخبرني ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم الحنفي إذنا، وكتبه من خطه، قال: أخبرني الشيخ شمس الدين بن الصائغ أنه شاهد بجامع عمرو أكثر من خمسين متصدراً يقرأ عليهم الناس العلوم. قلت: وأدركت أنا في الجامع...»^(٧)، قوله تبياناً لمرويات إحدى ترجمات وفياته^(٨): «... وقرأ علي أحمد بن العماد وأبي بكر بن العز -

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١١٠.

(٢) نفسه ج ١ ص ٤١.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٩٩.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٥٦٢.

(٥) نفسه ج ٥١.

(٦) نفسه ج ٢ ص ١٢.

(٧) نفسه ج ١ ص ٩٥ تر ٧٦.

(٨) نفسه ج ٩ ص ١٧٨ فيها يختص بابن الطحان الحنبلي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م).

شيخنا بالإجازة - محمد بن الرشيد وعبد الرحمن - ابن السبط - كتاب التوكيل لابن أبي الدنيا، قالا: أنا العماد أبو عبدالله محمد بن يعقوب الجرائدي، ويحيى ابن سعد، قالا أنا عبد الرحمن بن مكي وعلي بن أبي بكر بن يوسف بن عبد القادر الخليلي جزءاً في فضل ركعتي الفجر وغير ذلك من أمالي القاضي أبي عبدالله المحاملي: أنا محمد بن غازي بن الحجازي أنا يحيى بن محمد القرشي أنا عبد الصمد بن محمد الأنصاري أنا عبد الكريم بن الخضر السلمي أنا الخطيب بسنده»^(١).

١٣ - التكرار: ويأخذ أشكالاً ثلاثة هي :

أولاً - تكرار عنصر الخبر مما يتسبب في ركاكة بعض العبارات، كنحو قوله: «... واستقر ولده برهان الدين - واسمه أحمد الحنفي - في امرتها، وكان برهان الدين واسمه أحمد الحنفي اشتغل بيلاده»^(٢).

ثانياً - تكرير الخبر في أكثر من موضع - في الحولية - وأهلاً، كنحو قوله في حوادث حولية أربع وتسعين وسبعيناً: «... وفيه - من صفر منها - جهز حسن الكجكيني بهدية إلى صاحب الروم»^(٣) ثم عوده إلى إثبات الخبر - في الحولية نفسها - بالصورة التالية: «... وفيها أرسل السلطان نائب الكرك حسن الكجكيني إلى ابن عثمان صاحب الروم بهدايا جليلة»^(٤).

ثالثاً: الخطأ في التاريخ بنقل الخبر من حوليته إلى غيرها، فيكون بذلك قد أرخ له في موضعين: الأول على وجه الصواب، والثاني بجانب له، كنحو قوله في حولية ثمانين: «... وفي جمادي الأولى انتزع السلطان الأسكندرية من ابن الطبلاوي وأعيدت لناظر الخاص»^(٥) ثم عوده إلى ذكر ذلك في الحولية التالي لها - سنة ٨٠١ قائلًا: «... وفي جمادي الآخرة انتزع السلطان الأسكندرية من ابن

(١) المصدر السابق.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٤٠.

(٣) نفسه ج ١ ص ٤٣٤.

(٤) نفسه ج ١ ص ٤٣٩.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٢١.

الطلابي وأعادها لنظره الخاص».. (١) ويلاحظ التباين في التاريخ فيما - فضلاً عن اختلاف الاستناد إلى حول الواقع فيه الحدث - في الشهر كذلك.

٤- التبييض لمواضع كثيرة في الكتاب:

ولما كان «ابن حجر» قد ترك «الإنباء» في مسودته، فإنه من الطبيعي أن ترد فيه مواضع وقد تركت فيها فراغات لاكمالها - فيما بعد - فكان منها ما تعلق باكتمال الخبر وتميمه، كنحو قوله: «... وفي هذا اليوم - أول المحرم سنة سبع عشرة وثمانمائة - هبت ريح شديدة تلها رعد عظيم وبرق ومطر وبرد ملاً وجه الأرض، كل واحدة قدر... وأكبر من ذلك»^(٢). ومنها ما تعلق باكتمال اسم المترجم له، كنحو قوله: «... أحمد بن... البشبيسي»^(٣)، ومنها ما تعلق بضبط التواريχ سواء في المولد - نحو قوله: «... ومولده في... وحسن وسبعمائة»^(٤)، أو الوفاة - كنحو قوله: «... وقد تقدمت وفاته في...»^(٥) - أو الاستقرار في الوظيفة - كنحو قوله: «... وكان استقر في التوقيع سنة... فقام في ذلك... أربعين سنة»^(٦)، أو ضبط تاريخ أعمالهم - كنحو قوله: «... فثارت بينهما الفتنة في شوال... وكان لهم وقعة»^(٧) - ومنها ما تعلق بتقدير ثقافة المترجم له وتقيد شيوخه، كنحو قوله: «... وسمع الحديث من... وتقدم في الفقه»^(٨)

١٥ - التناقض في بعض التراكيب والعبارات:

ومنها قوله: «... وفي أوها - أول سنة خمس وثمانمائة - استولى ترلنك

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٨.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٣٥

(٣) نفسه ج ١ ص ٤٩٧ تر ٨.

١٩٤ ص ٩ ج نفسم (٤)

(٥) نفسه ج ٣ ص ٤٠٩ تر ٦.

١٨١ ص ٩ ج نفسم

(٧) نفسه ج ٢ ص ٣٦٥ تر ١٤.

(٨) نفسه ج ٣ ص ٣٧٩ تر ٩.

على أبي يزيد بن عثمان وأسره وأسره ولده موسى، ثم قتل أبو يزيد... ومات أبو يزيد بن مراد في أسر نمر، وكان مطلقاً فأدركه أجله إما من القهر أو من غيره»^(١).

١٦ - الشمول الموضوعي :

لما كانت نظرة «ابن حجر» للتاريخ نظرة شمولية، فإنه كان دائم الخروج على تنظيم حولياته، عمداً إلى إعطاء نظرة شاملة يكتمل فيها الحدث بتتابعه وتسلسل عناصره في موضع واحد، حيث يعمد إلى الربط بين عناصر الخبر الواحد لتكتمل صورته، وإن تفرقت عناصره في حوليات مختلفة متخطياً بذلك الحيز الزماني الذي اخترط مادة كتابه، وهو مع هذا مدرك لذلك بملح عليه، مشير إليه.

والدليل على ذلك قوله - في حوادث حولية ثلاثة وسبعين وسبعمائة - بخصوص تملك «برلنك» وقد أتى في موضع واحد بحوادث متعلقة بذلك امتدت بين حوليتي ثمان وعشرين وسبعمائة، وثلاث وسبعين وسبعمائة المؤرخة بها: «... وسيأتي ذلك في ترجمته سنة سبع وسبعين وسبعمائة وإنما جمعت هذه الأخبار مع أنها لم تكن في سنة واحدة لتسهل معرفتها على من أراد أن يعرف أولية اللنك»^(٢).

وهو بهذا يكون قد أشار إلى مبتغاه من الشمول الموضوعي لموضوع حوادثه:

- معرفة أولية الخبر بضم عناصره وتفسيره .
- تواليه .

ولذاك فإنه - غالباً - ما يشير في ثانياً مثل تلك الموارد إلى السببية كنحو قوله: «وكان السبب...»^(٣)، «والسبب في ذلك...»^(٤)، وكان أصل

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) نفسه ج ١ ص ٢١.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٩.

(٤) نفسه ج ٢ ص ٢٦٤.

ذلك...»^(١)، «وأصل ذلك...»^(٢).

وقد يكون الهدف من الشمول الموضعي لموضوع الحوادث هو توجيهها وجهة نقدية، حيث لا يكون فيها متبوعاً لسلسل عناصره، وإنما مفصحاً عن حال المتعلق به الحدث، كنحو قوله - في حوادث حولية سبع وثمانمائة بخصوص زواج «شيخ المحمودي» من أخت «الناصر فرج» لأمه: «... وفيها في جمادي الأولى جهزت بنت تنم، وهي أخت الناصر لأمه إلى الشام، وتلقاها زوجها - نائب الشام - شيخ، فدخلت في جمادي الآخرة، فدخل بها وأولدها ومات عنها، وتزوجت بعده بعض الأمراء الصغار، وماتت في عصمتها سنة ست وثلاثين»^(٣). وهو هنا يتبع حالة ولا يدون خبراً، وإنما ورد الخبر على هنالك الصورة بين زفاف فترمل فزواج فموت ..

وقد يكون الشمول الموضعي لموضوع الحدث موظفاً للإبانة عن تعاطفه مع إحدى الشخصيات السياسية، والتأثير على مطالع تاريخه وقد تقرر لديه دوافع ذلك استناداً إلى مظاهر طبيعية، كنحو قوله في حوادث حولية أربع وثمانمائة: «... وفي رجب منها ظهر كوكب كبير قدر الثريا له ذئابة ظاهرة النور جداً، فاستمر يطلع ويغيب، ونوره قوي يُرى مع ضوء القمر حتى رؤي بالنهار في أوائل شعبان، فأوله بعض الناس بظهور ملك شيخ محمودي، فإنه نقل في هذه السنة بعد خلاص يشبك إلى نيابة دمشق عوضاً عن آقبغا الجمالي في ذي القعدة، وقرر في نيابة طرابلس بعد دمرداش، واستقر قدم شيخ بدمشق فلم يزل يترقى بعد ذلك حتى ولي السلطنة، واستمر بعد هذه الحادثة عشرين سنة - كما سيأتي تفصيله - أميراً سلطاناً...»^(٤).

وهو بهذا لا يسجل أرصاداً فلكياً، وإنما يوظفه لخدمة غرض نقيدي بحث كما يظهر من سياق العبارة، ومن تغير ألفاظها.

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٤) نفسه ج ٢ ص ٢٠٦ .

وقد يكون الشمول الموضعي متعلقاً برواية الأخبار وتتبع الإخبار عنها والتاريخ لها كنحوقوله: «... وكانت الواقعة في الخامس عشر ذي القعدة ووصل خبرها إلى الشام في ذي الحجة، ووصل إلى مصر في أواخرها»^(١).

كما أن «ابن حجر» في طريقه إلى الشمولية التاريخية قد اتبع طريقة تقليدية لدى الكتاب الحوليين، لم تخرجه عن التنظيم الحولي المعتبر لديهم، وهي الإحالة في الترجم والحوادث على معلومات فائتة أو لاحقة في كل، وهو ما سوف يدرس تفصيلاً في العلاقة بين الترجم والحوادث من هذا الفصل.

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٥٧.

الفصل الثاني

طبيعة الكتاب وأسس انتقاء مادته

طبيعة الحوادث وأسس انتقاء مادتها :

اشتمل «الإنباء» على الحوادث الواقعة في الفترة من سنة ثلات وسبعين وسبعمائة، إلى سنة خمسين وثمانمائة، أي الفترة الأخيرة من حكم السلطان «الأشرف شعبان»، و«الظاهر برقوق»، و«الناصر فرج»، و«المؤيد شيخ المحمودي» و«الظاهر ططر» و«الأشرف برسباي»، وجاء من سلطنة «الظاهر جقمق».

ولم يقف «ابن حجر» به عند الحوادث السياسية - فقط - وإنما تناول معها الأوضاع السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والإجتماعية، والدينية، والثقافية.. ليس في مصر والشام وحدهما، بل وفي الحجاز، والعراق، واليمن، والمغرب العربي، وسائر بلدان العالم التي كانت لها علاقات بالمجتمع الإسلامي - إذ ذاك - أو بدولة المماليك على وقته، عاماً إلى إيجاد نوع من الشمول النوعي ، والشمول المكانى لحوادث حولياته ، وإن استأثرت حوادث دولة المماليك - في هذه الفترة - بالحيز الكبير من كتابه ، باعتبار أنها دولة الخلافة ، وباعتبار أن «ابن حجر» قد ولد على أرضها ، ونشأ فيها ، وعاش في كنفها .

كما أنه لم يفرد مكان الصدارة في حولياته لنوع معين من الحوادث ، وإنما كان ذلك قسمة مشتركة بين سائر الأنواع الواردة في كتابه ، المشكلة مادته ، اللهم

إلا أن تكون مثل تلك الحوادث المفردة بالصدارة في بعض الحالات غلبةً على عصره أو فكره، لما لها من تأثير على الرأي العام في وقته^(١).

ولذا نجده يعني إبتداء بأولى حلقات الكتاب، وانتهاءً بآخر حلقاته بإيراد قوائم الإستقرارات الوظيفية، وما يطرأ عليها من تغيرات، باعتبار أن تلك الوظائف أو المناصب سوف يكون لها تأثير في تحريك الكثير من الحوادث المنسوبة إلى شاغليها.

كما أورد الكثير مما تعلق بترقي أو عزل الأمراء والجناد^(٢).

ويلاحظ أن «ابن حجر» لم يورد هذه الإستقرارات - في كثير من الأحيان مجردة، وإنما كان معيناً بالكشف عن ما يعتريها من الإختلال أو الإستقرار، والإنتظام معللاً ونافداً، ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية تسع وثمانمائة: «... وقع في هذه السنة، والتي قبلها، والتي بعدها من تلاعيب الجهلة منصب الحسبة ما يتعجب من سماعه، حتى إنه في الشهر الواحد يليه ثلاثة أو أربعة، وسبب ذلك أنهم فرضوا على المنصب مالاً مقرراً، فكان من قام في نفسه أن يليه يزن المبلغ المذكور ويخلع عليه، ثم يقول آخر فيزن ويُصرف الذي قبله، واستمر هذا الأمر في أكثر دولة الناصر فرج»^(٣).

كما كان حريصاً على ذكر ما تعلق بهذه الوظائف من رسوم تقضي باستحداث منصب - كنحو قوله في حوادث حولية اثنين وثمانين وسبعمائة: «... وفي الثالث من ذي الحجة أفرد (الظاهر برقوم) للذخيرة والمتجر، وخاصة الخاص، والمستأجرات والأملاك - ناظراً، وهو أول من أفرد بذلك»^(٤) - أو الجمع بين

(١) ابن حجر، إحياء الغمرج ٢، ص ١٣٣ - ١٤٠، حيث أفرد بالصدارة في حولية اثنين وثمانمائة غالبة المغول على حلب ودمشق، ثم أتبع ذلك بباقي الحوادث وقد عنونت بقوله: «ومن الحوادث غير قصة قرلنك...».

(٢) نفسه ج ١ ص ١٣١، ١٥٦، ٢٣٢.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٣٦٠.

(٤) نفسه ج ١ ص ٢١٩.

وظيفتين على غير عادة - كنحو قوله في حوادث حولية ست عشرة وثمانائة : «... وأضيفت الحسبة إلى صدر الدين بن الأدمي ، وهو أول من جمع بين القضاء والحسبة»^(١) أو تبظيل بعض الوظائف - كنحو قوله في حوادث حولية ست وثمانائة : «... وفيها رسم بإبطال القاضيين : المالكي والحنبي من القدس ، فأبطلا منه ، ومن غزة»^(٢).

لكن مع هذا فإنه لا يمكن أن نستخرج قوائم استقرارية مطردة ومنتظمة لتلك الوظائف أو المناصب الواردة في حوادث حولياته فيما عدا منصبي الخلافة والسلطنة .

كما أورد الكثير مما تعلق بالناحية السياسية ، سواء فيما يخص علاقات الدولة المملوکية بالغول والصلبيين (الفرنج) والتركمان والجيشة وأولاد الكنزر والعراق .. مورداً تفصيلات عن هذه النواحي ، وما يحدث فيها من تقلبات سياسية وعسكرية ، وإنصالات بالدولة المملوکية ، سواء بالإغارة والحرروب أم بالتراسل وتبادل المدايا والزيارات .

كما كان معيناً بذكر الكثير مما تعلق بالناحية السياسية داخلياً ، سواء بالنسبة للتغير على منصب السلطنة ، نتيجة لوفاة سلطان سابق وتقليل سلطان لاحق بعهد منه أو نتيجة لتغلب مدبر المملكة أو أتابك العسكر على المنصب أو بخروج بعضهم على سلطانه وحربه ، مما يؤدي إلى عزله وسجنه أو قتيله وتولي غيره .

وكذا الإفصاح عن إطاعة الأمراء ونواب السلطنة للسلطنين ، وعلامة هذه الطاعة أو تأليفهم على السلطان ، وتطاولهم عليه ، وانتقادهم من السلطنة المركزية بالعاصمة . مشيراً إلى ما يتبع ذلك من التغير في كثير من المناصب ، وإنزال الكثير من أنواع العقوبات كالقبض^(٣) والسجن أو الحبس^(٤)

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١١ .

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٣) نفسه ج ١ ص ١٥٦ .

(٤) نفسه ج ١ ص ١٥٤ .

والاعتقال^(١) أو النفي^(٢) والإهانة^(٣) والضرب^(٤) والتقييد بقيد ثقيل^(٥) والتسمير^(٦) والتلوسيط^(٧) والعصر^(٨) والتشعيط^(٩).. فضلاً عن الحوطة على الموجود^(١٠) والمصادرات^(١١). وهو ما يتبع في مثل هذه الحالات، وفي حالات التقصير والعزل من بعض المناصب في الإدارات المملوكة.

كما أبرز الكثير من أعمال السلاطين تصديقًا لثلث تلك الحالات، وكذا ما يقع في أيامهم من حروب أو إغارات العربان على تخوم البلاد وإفسادهم فيها وتصديقهم لهم، وما يكون في عهدهم من الفتوحات.

وأبان عن تصرفاتهم - وكذا الأمراء والممالئ - المتصلة بالشرع والدين من إعزاز بجانبه أو انتهاكه أو تطاول عليه وما يكون من الجور والفساد الواقع من الممالئ أو أرباب المناصب والولايات وتشكي الأهالي منهم للسلطان أو ثوراتهم عليهم.

وهو مع هذا لا يغفل رد فعل مثل تلك الحوادث السياسية وغيرها لدى الرأي العام (رجل الشارع) ووقعها على أنفس الناس.

كما اهتم بإبراز أعمال السلاطين والأمراء فيما يختص بالعمارة والبناء، سواء ببناء المدارس أو الجوانع والوكالات والحمامات وبعض البيمارستانات

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٠.

(٢) نفسه ج ١ ص ٤٥.

(٣) نفسه ج ١ ص ١٧٠.

(٤) نفسه ج ١ ص ٢١٦.

(٥) نفسه ج ١ ص ٢٧٦.

(٦) نفسه ج ١ ص ١٥٨.

(٧) نفسه ج ١ ص ١٧٢.

(٨) نفسه ج ٢ ص ١٢.

(٩) نفسه.

(١٠) نفسه ج ١ ص ٢١٦.

(١١) نفسه ج ١ ص ١٧٠.

والأبراج والأسوار والجسور والقناطر والترع وما يستجد من العمارة أو إصلاح
للقلعة أو تجديد الحكم.

وهو مع هذا لم يغفل الجانب الخاص من حياة السلاطين، ذاكراً
لمرضهم^(١) وتعافيهم^(٢) وسرحاتهم (تنزهاتهم)^(٣) وخروجهم للصيد^(٤)
وحضورهم المواكب^(٥) والأعياد^(٦) والموالد^(٧) وإقامة الزيارات لهم^(٨) وما يقع لهم
ولكبار موظفيهم من الزيميات^(٩) وما يتبع ذلك من التبشير بإنجاح الذكور
(الأولاد)^(١٠) وعمل المهمات لظهورهم (ختانهم)^(١١) وكذا لعبهم بالأكرة^(١٢)
والرمح^(١٣) وغيره.. وشربهم المسكرات^(١٤) وعيادتهم المرضى من الخاصة^(١٥)
والعامة بالمارستان^(١٦).

كما اهتم بإثبات الكثير من المراسيم الصادرة عن الإدارة المملوكية فيما
يتعلق بتمييز الأشراف^(١٧) أو ما يستجد من اللباس لكتاب الأمراء^(١٨) أو التغير في

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٢٧، ١٢٨، ٥٣٠، ج ٢ ص ٣٨، ٣٩٩، ج ٣ ص ٣١٨، ١٥٤.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٣١٦، ج ٣ ص ٢١٧.

(٣) نفسه ج ١ ص ٢٦٢، ج ٣ ص ١٥، ١٥٥، ٢٠١، ٣٠٠.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٤٥٥.

(٥) نفسه ج ١ ص ٥٢٤.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٢٠٢.

(٧) نفسه ج ١ ص ٤٨٧، ج ٣ ص ١٦٢، ٣٠٠.

(٨) نفسه ج ٢ ص ٣٧.

(٩) نفسه ج ١ ص ٣١٢، ٣١٣، ٢/٥١٥، ٢/٢٣٩، ٢/١٩٩، ٣/١٣.

(١٠) نفسه ج ٣ ص ١٦٢.

(١١) نفسه ج ١ ص ١٠٣، ج ٢ ص ١٤.

(١٢) نفسه ج ٢ ص ١٥.

(١٣) نفسه ج ١ ص ٢٣١.

(١٤) نفسه ج ١ ص ٤٨٧.

(١٥) نفسه ج ١ ص ٣٨٦، ٥٢٧.

(١٦) نفسه ج ٣ ص ١٦٣.

(١٧) نفسه ج ١ ص ١٠.

(١٨) نفسه ج ١ ص ١٥.

اللباس تبعاً للإختلاف في الفصول^(١) أو تحديد عدد الشهود ونواب الحكم^(٢) أو إستعمال دواب الحمل والإنتقال^(٣) أو شرب مشروب جديد^(٤) أو تقييد زواج بعض الطوائف^(٥) أو تبطيل بعض المكوس والضمادات^(٦) أو تسيير بعض السلع^(٧) أو تحجير بعض الأصناف^(٨) أو عدم البيع بالنسية (بالأجل)^(٩) أو القيود على بعض الموظفين - ك مباشرة الديوان، وقد صدر برسول بعدم إسنادها إلى نصارى^(١٠) - أو كيفية الدعاء في خطبة الجمعة للسلطان^(١١)، بل، وحتى ما يخص مبك الكلاب.^(١٢)

وكذا تسجيل أحوال النيل والحالة الاقتصادية في مصر والقاهرة^(١٣) والشام^(١٤) ودمشق^(١٥) وحلب^(١٦) والحجاج^(١٧).

وما يتبع ذلك من إختلاف وتغاير في أسعار بعض العملات^(١٨) أو الشروع

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٠.

(٢) نفسه ج ١ ص ٢١٨.

(٣) نفسه ج ١ ص ٤٠٢.

(٤) نفسه ج ١ ص ٣٥١.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٩٠.

(٦) نفسه ج ٢ ص ٢٣٨.

(٧) نفسه ج ٢ ص ٢٣٨.

(٨) نفسه ج ٣ ص ٤٢٣.

(٩) نفسه ج ٣ ص ٢٧٢.

(١٠) نفسه ج ٣ ص ٢٧١.

(١١) نفسه ج ٣ ص ٩٢.

(١٢) نفسه ج ١ ص ١٩١.

(١٣) نفسه ج ١ ص ١١٥، ١/٢٥٧.

(١٤) نفسه ج ١ ص ٣٤٩.

(١٥) نفسه ج ١ ص ٢١٨.

(١٦) نفسه ج ١ ص ٧٦.

(١٧) نفسه ج ١ ص ٢٣٦.

(١٨) نفسه ج ٢، ص ٣٧، ٤٦١، ٤٨٧.

في تبطيلها^(١) واستجداد عملات أخرى^(٢) أو حدوث زيف فيها يؤدي بها إلى الفساد^(٣).

وما يكون من مجاعات يعز فيها القوت وتؤكل الميّة، فضلاً عن القحط والكلاب^(٤) ويختطف فيها الخبز من أسطح الأفران^(٥) والغلال من المراكب بالموانيء^(٦) وما تتحذه الدولة، وأهل المروءة من تدابير لمعالجة مثل تلك الحالات، سواء بالنفقة في الفقراء والمحاجين^(٧) أو بجلب الحبوب من أماكن توفرها، والإلزام ببيعها ولو بالخسران^(٨) وكذا الزام الميسير من الناس بإطعام المحجاجين، كل حسب ما يتحمل ويطيق^(٩)، وفك المحبسين على الديون^(١٠) وتكفين الموتى من الطرحاء والفقراء ودفهم^(١١).

وما يصاحب ذلك في بعض الأحيان من تعديلات في الإستقرارات الوظيفية خاصة منصب المحتسب^(١٢) إرضاء للعامة وتسكيناً للحال.

واهتم - كذلك - بذكر بعض النكبات المتسيبة عن الفيضانات المفرطة^(١٣)

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٠١.

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٣٥، ج ٢ ص ٤٠٣، ج ٣ ص ١٢٥.

(٣) نفسه ج ١ ص ٤٣٩، ج ٢ ص ٥١.

(٤) نفسه ج ١ ص ١٠٤، ١٣٢.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٦٩.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٧٠.

(٧) نفسه ج ١ ص ٥٠٧، ٥٠٨، ج ٢ ص ٣٨، ج ٣ ص ٨٥.

(٨) نفسه ج ٣ ص ٧٢.

(٩) نفسه ج ١ ص ٧١.

(١٠) نفسه ج ٢ ص ٢٥٣.

(١١) نفسه ج ٢ ص ٢٦٠.

(١٢) نفسه ج ١ ص ٥٩.

(١٣) نفسه ج ١ ص ٦٢، ٦٣.

والحرائق^(١) وتهدم بعض المباني والدور^(٢) وخسوف بعض المدن^(٣) والطواحين والأمراض^(٤) وما يصاحب ذلك من غلاء في أسعار البطيخ وبعض المرطبات، والسكر النبات، والزيت الحار، أو إختفاء وندرة كل باعتبار أنها من الأدوية المستخدمة في العلاج، وكذا تزايد الموق في الكبار والصغار من الإنسان والحيوان^(٥).

كما اهتم بأمر الحاج وما يتبع ذلك من تجهيز الكسوة^(٦) وتجديد ثوب المحمل^(٧) وإدارته^(٨) والعادة في ذلك^(٩) وتعيين أمير الحاج^(١٠) وعودة مبشرة^(١١) وحج بعض الشخصيات الهامة^(١٢) وما يصادف الحجيج من مشاق: كالامطار والسيول^(١٣) أو العطش والحر^(١٤) أو النهب في الطريق^(١٥) أو الإزدحام المفضي إلى الموت^(١٦) أو ما قد يصادفهم هناك من الغلاء المفرط^(١٧). أو يقع لهم من مضائقات أمير الحاج عينه^(١٨).

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٥.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٧٤.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٣٥٩.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٤.

(٥) نفسه ج ٣ ص ١٤٣.

(٦) نفسه ج ١ ص ٤٠١، ج ٣ ص ٢٠٠.

(٧) نفسه ج ١ ص ٢٧٧.

(٨) نفسه ج ٣ ص ٥٥١.

(٩) نفسه ج ٣ ص ١٣٥.

(١٠) نفسه.

(١١) نفسه ج ٣ ص ٢٧٩.

(١٢) نفسه ج ٣ ص ٧٧.

(١٣) نفسه ج ١ ص ٣٤٧.

(١٤) نفسه ج ١ ص ٣٣.

(١٥) نفسه ج ١ ص ١٠٦، ١٠٧.

(١٦) نفسه ج ١ ص ٢٦٠.

(١٧) نفسه ج ١ ص ١٩٠.

(١٨) نفسه ج ١ ص ١٧.

كما كان مهتماً بالإفصاح عن مجاهدات الدولة حين إصلاح طريق الحاج وتجديده عمارة مناسكه^(١) وكذا بيان ما قد يختلف من التنازع بشأن كسوة الكعبة^(٢). بالإضافة إلى تسجيل خروج الركب الرجبي^(٣).

ولم يخل حوادث حولياته من إثبات ما تعلق بظهور البدع كادعاء أحدهم النبوة^(٤) أو ظهور بعض الخوارج^(٥) أو المستخفين بعقول الناس المغررين بهم^(٦).

وكذا ما يقع من التناقض على الولايات الدينية^(٧) والتحاسد بين العلماء إلى الحد المؤدي إلى الإنحطاط والإسفاف^(٨) وما يتبع ذلك من رمي بالكفر^(٩) والزنقة^(١٠) وعقد المجالس لبحث الكائنات، وإجراء المحاكمات^(١١).

كما أبان عن الكثير مما تعلق بالعوام (الزعر) سواء فيما يختص بعلاقتهم بالسلطات، حيث نصرتهم لبعض المتخاصمين والمحاربين بانحيازهم لجانبهم والرمي على سواهم ونقض داره ونبهه^(١٢) أو فيما يتعلق بفضولهم في تناقل الأخبار وشاعتها^(١٣) أو ما يكون من خروجهم عن الشرع، كنحو تزوج امرأة برجلين في

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٣٦، ج ٣ ص ٥٤٢.

(٢) نفسه ج ١ ص ١٧٨.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٧٥.

(٤) نفسه ج ١ ص ١٩٦.

(٥) نفسه ج ٢ ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٩٩.

(٧) نفسه ج ١ ص ١٧٨.

(٨) نفسه ج ١ ص ٢٩٠.

(٩) نفسه ج ١ ص ٢٦٢.

(١٠) نفسه ج ١ ص ٧٦.

(١١) نفسه ج ١ ص ٩.

(١٢) نفسه ج ١ ص ١٩٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٣١٧.

(١٣) نفسه ج ١ ص ١٥١، ١٩١.

آن واحد، شارطة لأحدهما الليل والآخر النهار^(١) أو إشاعتهم الفساد وتكالبهم عليه في الحفلات العامة، وموالد بعض الصالحاء^(٢) أو ممارستهم للفسق والفجور في سلم الجامع في جرأة يتعجب منها^(٣) أو إشاعتهم الفساد وبثهم الزعر والرعب في القلوب نتيجة لما يتخطفونه وقت الفوضى وأيام الانحلال^(٤) وتخطفهم الأطفال وختفهم طمعاً في ملبوسهم^(٥) واحتياطهم في إخراج الضائع^(٦) وكذا التكلم من وراء حائط إيهاماً بتحضير جان^(٧) طلباً للرزق بغير الطريق الحلال.

واهتم - كذلك - بإثبات الكثير مما تعلق بأهل الذمة (اليهود والنصارى) من أحكام سواء فيما يختص بهدم بعض كنائسهم أو أديرتهم^(٨) أو التضييق عليهم في بعض الأوقات^(٩) أو دخولهم الإسلام، ثم إرتدادهم عنه، وما يتبع ذلك من تطبيق أحكام شرعية عليهم^(١٠) أو إنصافهم في قضيائهم وإن كان في ذلك إثارة للشعور العام^(١١) أو تجاوزهم للحدود المskوت عليه^(١٢) وما يقوم به بعض رهبانهم من مباريات فكرية مع المسلمين..^(١٣) وكذا حفلات عرسهم وأعيادهم^(١٤).

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٨.

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٥١.

(٣) نفسه ج ١ ص ٤٩٧.

(٤) نفسه ج ١ ص ٢٣٧، ٣١٧.

(٥) نفسه ج ١ ص ٦١.

(٦) نفسه ج ١ ص ١٣٠.

(٧) نفسه ج ١ ص ١٩٨.

(٨) نفسه ج ١ ص ١٧٧.

(٩) نفسه ج ١ ص ٢٢٠.

(١٠) نفسه ج ١ ص ٩.

(١١) نفسه ج ١ ص ٤٨٩.

(١٢) نفسه ج ١ ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(١٣) نفسه ج ١ ص ٤٥٧ ..

(١٤) نفسه ج ١ ص ٢٧٣.

كما أورد الكثير مما تعلق بترجمته الذاتية من زواج، ورحلة في طلب العلم وحج ومجاورة، وتولى بعض المناصب، والمخاصصة فيه.. على نحو ما مرت آنفًا.

وكذا الكثير مما تعلق بالظواهر المناخية والطبيعية ، كالحر الشديد^(١) والبرد القارس^(٢) والرياح والعواصف^(٣) والأمطار والسيول^(٤) وما يصاحبها من رعد وبرق أو سقوط برد وتزلق طرقات والخوض في الوحول والماء، وتصدع الدور، وإتلاف الزروع. وكذا كسوف الشمس وخشوف القمر^(٥). وظهور أو إحتفاء النجوم والكواكب وغيرها من المذنبات^(٦). وتحديد بدايات ونهايات الشهور العربية بتراقي الهلال^(٧).

ومع ذلك فإن «ابن حجر» قد إهتم بذكر بعض الحوادث الغريبة التي لا نعدم لها نظيرًا في كتابات سواء من كتاب الحوليات الإسلامية التقليديين: معاصرین وسابقین^(٨)، يسند بعضها إلى مصدره، ناعتاً لها بأنها من العجائب أو

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣.

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٦٤.

(٣) نفسه ج ١ ص ٦٢.

(٤) نفسه ج ١ ص ٢١٧.

(٥) نفسه ج ١ ص ١٣٠.

(٦) نفسه ج ١ ص ١٧٥.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٤٧٥ - ٤٧٦.

(٨) من ذلك ما ورد في كنز الدرر ج ٧ ص ٣٤٢، ٣٤٣ - لابن أبيك الدواداري مسندًا إلى رسول ملك التمار من ذكر لبعض العجائب والمستغربات ومنها وجود أقوام ليس لهم رؤوس، وأعيانهم وأفمامهم في مناكبهم، بالإضافة إلى زراعة بعضهم في الأرض بزرًا يتولد منه الغنم كما يتولد دود الحرير، وهذا النوع المتولد لا يعيش سوى شهرين على شاكلة النباتات ولا يتناصل.

وما أورده المقرizi - السلوك ج ٤ ص ٩٢١ - ضمن حوادث حولية سبع وثلاثين وثمانمائة من أنه «طلق رجل من بني مهدي بأرض البلقاء امرأته وهي حامل فنكحها رجل غيره، ثم فارقاها، فنكحها رجل ثالث، فولدت عنده ضفدعًا في قدر الطفل، فأخذوه ودفونه خوف العار» ..

المستغربات . . من ذلك ما ورد في حوادث حولية ثمانين وسبعمائة من بعث الحياة في ميت بعد إدخاله القبر وصيروته يحدث الناس بما رأى وعاين^(١) . وما ورد في حوادث حولية اثنين وثمانين وسبعمائة من انقلاب وجه عايش بإمام جماعة وهو يصل إلى وجه خنزير^(٢) . وما ورد في حوادث حولية ثلاثة عشرة وثمانمائة من شرب رجلين من العوام الخمر وقد أصبحا محروقين، ولم يوجد منها نار ولا أثر حريق في غير يديهما وبعض ثيابهما وقد مات أحدهما وفي الآخر رقم . .^(٣) وما ورد في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة من تحول بنت إلى ذكر بعد إكمال سنها خمس عشرة سنة^(٤) . وما ورد في حوادث حولية ثلاثة وعشرين وثمانمائة من ذبح جمل بغزة فأضاء اللحم كما تضيء الشموع^(٥) . وما ورد في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة من أمطار السماء - بشيزر - ثعابين^(٦) .

ويلحق بذلك - كذلك - ولادات غريبة الكيفية شاعت في ثنايا حوادث بعض حوليات الكتاب ، ومنها ما ورد في حولية عشرين وثمانمائة من ولادة جاموس بلقيس لمولد «برأسين وعينين وأربعة أيدي وسلسلتي ظهر ودبر واحد ورجلين اثنين لا غير وفرج واحد أنثى والذنب مفروق باثنين»^(٧) . وما ورد في حوادث حولية خمس وعشرين وثمانمائة من ولادة فاطمة بنت القاضي جلال الدين البليقيني ولداً «حتى له ذكر وفرج أنثى . . . وقيل إن له يدين زائدتين ثابتتين في كتفه ، وفي رأسه قرنان كقرني الثور»^(٨) . وما ورد في حوادث حولية سبع وثلاثين وثمانمائة من ولادة امرأة - كانت قد طلقت وهي حامل فكتمت حملها وتزوجت

(١) ابن حجر . إحياء الغمرج ١ ص ١٧٨ .

(٢) نفسه ج ١ ص ٢١٠ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٤٥٩ .

(٤) نفسه ج ١ ص ٧٣ - ٧٤ .

(٥) نفسه ج ٣ ص ٢٢٤ .

(٦) نفسه ج ١ ص ٧٣ .

(٧) نفسه ج ٣ ص ١٣٧ .

(٨) نفسه ج ٣ ص ٢٦٦ .

ثم طلقها الزوج فتزوجت بثالث - مولنوداً صورته صورة الضفدع في قدر الطفل»^(١).

والملاحظ أن الغالبية العظمى لهذا النوع من الحوادث إنما تعبّر عن شعور ديني من نوع خاص هو السائد في عصره، فهي تمثل كرامات لبعض المعتقدين^(٢) أو عقوبة لفساد ليكون في ذلك عبرة وعظة، أو تستر على فعل جاهم.. وإن كان منها ما يرد على سبيل الظرفة والتنذر، ومنها ما لا يتوقع حدوثه حتى من بعض معاصريه الذين إنتقدوه لا يراد مثل هذه الواقع العجيبة.

ويبدو أن «ابن حجر» قد أدرك تطرق الشك إلى تصديقها، مما دفعه إلى العمد في إسنادها إلى مصادرها - في الغالب الأعم - نصاً على أنها من العجائب أو مستغربات الحدوث. حتى يرى ساحتها منها.

ونتيجة لثقافته التاريخية الواسعة، وولعه بالتاريخ منذ صباه - على نحو ما أوضح في ترجمته - فإنه قد وجد في بعض أحداث عصره مناسبة للمقارنة بينها وبين مثيلاتها في سنوات أخرى فائتة، فاعتمد في ذلك بعض المصادر المتقدمة، من ذلك قوله في حادث حولية بنت وسبعين وسبعين بشأن بنت تذكرت: «... وفيها: أحضر عيسى بن باب جك وإلى الأشمونيين وكان يسكن عند جامع آل ملك بالحسينية إلى الأمير منجل بنتاً له عمرها خمس عشرة سنة فذكر أنها لم تزل بنتاً إلى هذه الغاية فأنسد الفرج وظهر لها ذكر وأنثيان واحتملت شاهدوها وأمر باليباسها ليس الرجال وسمها محمدًا وأمرها بلزوم خدمته، وأقطعها إقطاعاً وشاهدتها جماعة من أصحابنا. رأيت بخط ابن دقماق: رأيته غير مرّة وتكلمت معه. وقصتها شبيهة بالقصة التي ذكرها ابن كثير في أواخر ذيل تاريخه من وقوع نحو ذلك بدمشق، وأنه كلّمها بعد أن صارت رجلاً ووجد في الكلام أنوثة ووفور الحياة الذي طبع عليه النساء باق. قلت: وقع في عصرنا نظير ذلك في

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٥١٢.

(٢) نفسه ج ١ ص ٥٠ تر ٣١ فيما يخص الكازروني

سنة اشتين وأربعين وثمانمائة»^(١). وهو بذلك يربط بين ثلاث وقائع متماثلة حدثت في أزمنة متفاوتة ساقتها إليه إطلاعاته على مصادرها فأثبتتها جريأً على معهوده في العمد إلى الشمول الموضعي والموضوعي للكثير من مادة كتابه.

وقد تكون المقابلة بين حادثتين سابقة ولاحقة بينهما فاصل زمني كبير يزيد على قرن من الزمان، ليس يعني الشمول الموضعي أو الموضوعي، أو الجمبع بين حادثتين متماثلتين على سبيل الظرفة والتندر، وإنما لتوكيد خبر قد يتطرق الشك إليه لاستغراب حدوثه، فضلاً عن توثيق مصدره، ومثال ذلك قوله بخصوص برد حوران - ضمن حوادث حلولية ست وعشرين وثمانمائة: «... وفي العشر الأواخر من المحرم وقع في ضواحي حوران برد كبار على صورة خشائش الأرض، والماء كخنفسة...». وغير ذلك، هكذا ذكر علاء الدين ابن أبي الشوارب الشاد بتلك الناحية أنه شاهد ذلك. وقد ذكر الحافظ علم الدين البرزالي في تاريه في حوادثه في سنة عشر وسبعمائة أنه وقع ببارين من عمل حماه - برد كبار على صفة حيوانات مثل حية وسبع وعقارب وطيور مختلفة وصفة رجال في أوساطهم شبه حوائص، وأنه أثبت محضراً على قاضي الناحية واتصل بقاضي حماه»^(٢).

كما أن عمنه إلى تعديل رجال عصره الواردين ضمن وفياتهم وتقيمه لثقافتهم وبمعنى أعلم: النقد التأريخي في أرخب صوره، جعله يقابل بين أعمالين أدبيتين لما في تخيلته من ثقافة أدبية واسعة أبى عليه إلا أن تنطهر في بعض الجوانب من كتاباته، ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حلولية ثلاث وثمانين وسبعمائة بخصوص كائنة «ابن القمّاح اليزار»: «... وكانت سلامته من القطع»^(٣) من العجائب، وفي ذلك يقول بدر الدين ابن الصاحب أضمونا، وكان يبلغه أنه عشر فانكسرت يده:

قالوا بآن يد القمّاح قد كسرت فاعلنت أختها بالوئيل والغير

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٧٣ - ٧٤. (٢) نفسه ج ٣ ص ٢٩٨. (٣) أي قطع اليد جزء بما سرق.

**تأخر القطع عنها وهي سارقة فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر
(من البسيط)**

وقد اهتم ذلك برمته من البيتين السائرين في تاريخ ابن خلkan:

**إن العماد بن جبريل أخا علم له يد أصبحت مذمومة الأثير
تأخر القطع عنها وهي سارقة فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر^(١)**

طبيعة الترجم وآسس انتقاء مادتها:

أشار «ابن حجر» في مقدمة كتابه إلى أنه سوف يفصل «في كل سنة أحوال الدول من وفيات الأعيان»^(٢)، وأورد في كل حولية عنوانات تدرج تحتها ترجمات الوفيات مشيراً إلى أنها سوف تكون «للأعيان» أو «للأكابر». . وهو بهذا يشير إلى أن أولى خطوات «الإنتقاء» هي الشهرة، أيًّا كانت في المنصب أو الوظيفة أو الحرفة، في العلم أو الجهل به، في الحفظ وجوده القرحة، في الرياسة والوجاهة، في اللعب والتمهر فيه، في الإلتزام بالدين أو في التهتك فيه والخروج عليه.

وتلك نظرة نسبية لا تخضع لمعيار واحد تقاس به، فما يراه «ابن حجر» جديراً بالإنتقاء والتسجيل على أنه من المشاهير أو الأعيان، قد يراه غيره هملاً بين الناس أو قد يقره عليه، ولذا تفاوت الترجمات من حيث العدد وتغيرت في الحولية الواحدة المسجلة لدى مصادر معاصرة.

على أنه يمكن أن نميز له في هذا الموضوع منهجاً في إنتقاء الترجمات وإيرادها يضيف إلى عامل الشهرة عوامل أخرى، وهي:

(١) المصدر السابق ج ١ ، ص ٢٣٧ ، ويقابلها في المصدر ابن خلkan. وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤
تر ٧) والبيان لأبي محمد عبد الحكم بن إبراهيم بن منصور بن مسلم العراقي في العماد بن جبريل المعروف بابن أخي العلم - وكان صاحب ديوان بيت المال بمصر، وكان قد وقع فانكسرت يده.

(٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٤ .

١ - الشمول النوعي :

يعنى أنه لم يقصر ترجمات الوفيات على نوع واحد من الأعلام المشاهير سواء في الجنس أو في الأصل أو في الديانة أو في المذهب أو في المنصب أو في الوظيفة، أو في الحرفة، أو في العلم والمعرفة.. ولذا نجده يتترجم للرجال وللنساء، للمسلمين وللأقباط، للمشتريkin معه في المذهب الشافعى وللمتمذهبين بغيره، وإن اختلف معهم في الأهواء والنحلـة، للمتمسـكين بالدين المحافظين عليه وللمـاجـنـينـ المـتـهـتكـينـ فيهـ.

بل لقد ترجم لكل فئات الناس - تقريباً - من خلفاء^(١) وسلطـينـ وملوك^(٢) ونوابـ سلطـنةـ وولاـةـ أقالـيمـ ومتـغلـبـينـ عـلـىـ الـبـلـادـ وـكـشـافـ^(٤) وأـمـرـاءـ^(٦) وزـرـاءـ^(٧) وـحـجـابـ^(٨) وـدـوـيـدـارـيـةـ^(٩) وـنـظـارـ^(١٠) وـنـقـباءـ^(١١) وـمـوقـعينـ^(١٢) وـمـباـشـرـينـ^(١٣) وـغـيـرـهـمـ منـ أـرـبـابـ الـوـظـائـفـ فيـ الإـدـارـةـ الـمـلـوـكـيـةـ^(١٤) ، بالإـضـافـةـ إـلـىـ

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٤٥ تر ١٩.

(٢) نفسه ج ١ ص ٤٦٧ تر ٤٥ ، ٤٧٨.

(٣) نفسه ج ١ ص ٤٦٢ تر ٣٢.

(٤) نفس ج ١ ص ٤٧٩ تر ٤.

(٥) نفسه ج ١ ص ٢٨٤ تر ٢٥.

(٦) نفسه ج ١ ص ٤٨٠ تر ١٢.

(٧) نفسه ج ١ ص ٤٦٦ تر ٤٦.

(٨) نفسه ج ٣ ص ٥٠٧ تر ١٢.

(٩) نفسه ج ١ ص ٤٦٨ تر ٤٦.

(١٠) نفسه ج ١ ص ٥٣٦ تر ٢٨.

(١١) ومنـهـمـ «ـنـقـباءـ الـحـكـمـ»ـ جـ ١ـ تـرـ ١٧ـ صـ ٥١٦ـ وـ«ـنـقـباءـ الـأـشـرـافـ»ـ جـ ١ـ صـ ٤٩٦ـ وـ«ـنـقـباءـ الـمـذاـهـبـ»ـ جـ ٣ـ صـ ٤٤ـ صـ ١٢١ـ.

(١٢) نفسه ج ١ تر ٢٩ ص ٤٦٣.

(١٣) نفسه ج ٣ ص ٢٣ - ٢٤ تر ١٢.

(١٤) وـمـنـهـ:ـ المـهـمـنـدارـ -ـ نـفـسـهـ جـ ٣ـ صـ ٢٢١ـ تـرـ ٢٨ـ -ـ وـالـإـسـتـادـارـ -ـ نـفـسـهـ جـ ١ـ صـ ٥٤٢ـ تـرـ ٥٥ـ -ـ وـوـكـيلـ بـيـتـ الـمـالـ -ـ نـفـسـهـ جـ ٣ـ تـرـ ١٥ـ صـ ٥٢٨ـ -ـ وـشـادـ الـمـاـكـنـ -ـ نـفـسـهـ جـ ١ـ صـ ٥٤٠ـ تـرـ ٤٦ـ -ـ وـشـادـ الـخـاصـ -ـ نـفـسـهـ جـ ١ـ تـرـ ١٢ـ صـ ٥٣٣ـ -ـ وـشـادـ الـواـحـاتـ -ـ نـفـسـهـ تـرـ ١٦ـ جـ ١ـ صـ ٥١٦ـ -ـ وـشـادـ =

القضاة^(١) ونواب الحكم^(٢) والشهداء أو العدول^(٣) والمحتبين^(٤) والفقهاء^(٥)
والمحدثين والمبيندين^(٦) والمدرسین^(٧) والمعلمین^(٨) وأئمة المساجد^(٩) والخطباء^(١٠)
والقراء^(١١) والمؤذنین^(١٢) وخدام الصوفية^(١٣) والمعتقدين^(١٤) ومتوّلي عقود
الأنكحة^(١٥) والأطباء^(١٦) والكلالين^(١٧) والعلماء^(١٨) والأدباء^(١٩) والشعراء^(٢٠)

= الشريخاناه - المصدر السابق ج ٣ تر ١٥ ص ١٢٧ - وشاد الزرداخاناه - نفسه ج ٣ ص ١١٤ تر ٢٨٤ -
والخازنار - نفسه ج ١ ص ١٨٢ تر ١٠ - ومقدم الماليك - نفسه ج ١ ص ١٠٠ ج ٢ تر ٩٦ ،
ص ١٢٥ تر ٧٦ - ومقدم البريدية - نفسه ج ١ تر ١٠ ص ٣٨٤ - والرؤام - نفسه ج ١ تر ٣٣
ص ٢٨٨ .

- (١) نفسه ج ١ تر ٣٧ ص ٥٠٣ .
- (٢) نفسه ص ١١٥٠١ تر ٢٩ .
- (٣) نفسه ج ١ ص ٤٨٢ تر ٢١ .
- (٤) نفسه تر ٣ ج ١ ص ٤٩٦ .
- (٥) نفسه ج ١ ص ٤٥٨ تر ٣ .
- (٦) نفسه تر ٨ ص ٥٣٢ .
- (٧) نفسه ج ١ ص ٥٠٤ .
- (٨) نفسه ج ١ ص ٥٣٨ تر ٣٩ .
- (٩) نفسه ج ١ ص ٥١٤ تر ٥ .
- (١٠) نفسه ج ١ ص ٤٥٨ .
- (١١) نفسه ج ١ ص ٤٩٧ تر ٦ .
- (١٢) نفسه ج ٢ ص ١٢٠ تر ٤٢ .
- (١٣) نفسه ج ١ ص ٤٨٢ تر ٢٠ .
- (١٤) نفسه ج ١ ص ٤٨٠ تر ٧ .
- (١٥) نفسه ج ٢ ص ٣١٣ تر ٢٣ .
- (١٦) نفسه ج ١ ص ٤٨١ تر ١٧ .
- (١٧) نفسه ج ١ ص ٥١٤ تر ٨ .
- (١٨) نفسه ج ١ ص ٥٢١ تر ٤٦ .
- (١٩) نفسه ج ١ ص ٣٨٧ تر ٤٤٣ .
- (٢٠) نفسه ج ٢ ص ٥٣٢ - ٥٣٣ تر ٢٥ ..

والمؤرخين^(١) وندماء السلاطين^(٢) والمعنىين^(٣) والناسخ^(٤) والوراقين^(٥) وأصحاب الحرف والأصناف^(٦) والتسيجار^(٧) والحمالين^(٨)... من ذوي فرباء، أو نمل لا تجمعهم به علاقة^(٩) من جمعتهم حوادث عالمه واندرجت وفياتهم تحت السنة التي أرخوا بها.

لكن مع ذلك فإنه قد آثر المحدثين والمسندين، بالكثير كماً وكيفاً بحكم الإنماء إليهم، ولقد أفصح عن ذلك إبتساء، حيث قال في مقدمة «الإنباء» «...، مستوعباً لرواية الحديث، خصوصاً من لقنته أو أجاز لي»^(١٠).

٢ - الشمولي المكافي:

كان لولع «ابن حجر» بالحديث النبوى، وحرصه على تقدير الرواية والسماع، والارتحال في سبيل ذلك - داخلياً وخارجياً - وظروف عصره التي أوجدت في مصر المملوكية جمعاً من العلماء في كافة المهارات والتخصصات ومن مختلف الجنسيات، وإطلاعه على كتابات مؤرخين مختلفي الجنسيات بين مصريين ودمشقين، وحلبيين، ومغاربة، ومكيين... أثره في توسيعات الترجم الواردة في «الإنباء»، حيث لم تكن الترجمة فيه وفقاً على المصريين وإنما نجده قد ترجم فيه الكركي والمقدسى والصوري والبلبى والمدمشى والمدمذنى، ولكل من شهر في حيز العالم الإسلامي - شرقه وغربه - ما دام قد أطلع على ترجمته وضبط

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٤٨١ تر ١٦.

(٢) نفسه ج ١ ص ٥٣٣ تر ١٣.

(٣) نفسه ج ١ ص ١٦٣ تر ١٦٤ تر ١٩.

(٤) نفسه ج ٢ ص ٣١٣ تر ٢٤.

(٥) نفسه ج ١ ص ٥١٨ تر ٢٦.

(٦) نفسه ج ١ ص ٤٦٣ تر ٢٧.

(٧) نفسه ج ١ ص ٥٣١ تر ٢.

(٨) نفسه ج ١ ص ٥٤٣ تر ٥٨٣.

(٩) راجع : المشاهدة والمشاركة من الفصل الخاص بالمصادر من هذا الباب.

(١٠) نفسه ج ١ ص ٤.

سنة وفاته. بل لقد كان حريصاً على ذلك إلى حد مراسلة المؤرخين في تلك البلدان لضبط وفيات مشهورتها والوقف على ترجماتهم.^(١)

عناصر الترجمات

أدى التباين في ترجمات «الإنباء» بين الطول والقصر، والإقتضاب والإسهاب والإختلاف في نوعية الأعلام المترجم لهم، ومدى توفر مصادر ترجمتهم لدى «ابن حجر» وتوفره على مصادره، وصلته بالمترجم لهم، وطبيعة علاقاته بهم . . إلى الإختلال والتباين في مادة الترجمات . . لكن مع ذلك فإنه يمكن التعرف على السمات العامة المقدرة لديه في بناء هذه المادة المشكّلة للترجمات في «الإنباء» من خلال دراسة ترجمات «الإنباء» ككل للوقوف على عناصرها، مع ملاحظة أن تلك العناصر لا تجتمع في موضع واحد - غالباً - وإنما يرد أكثرها في ترجمة، وببعضها في أخرى، كما أن هذا لا يخضع للإسهاب أو الإختصار في مادة الترجمات، فقد تحتوي ترجمة طويلة على عناصر أقل من مثيلتها القصيرة، حيث أن الطول والقصر في الترجمات راجع قبل كل شيء إلى التبسيط والإسهاب، أو الإقتضاب والإمساك في العنصر الوارد فيها وليس إلى عدد العناصر الحاوية لها. كما أن هذه العناصر لا ترد - عادة - مرتبة فيسائر الترجمات حسب ورودها هنا.

في إذا ما تقرر هذا، فإنه يمكن الإشارة إلى أن أهم عناصر الترجمات لديه هي :

١ - الاسم :

وهو غالباً ما يتتصدر الترجمة وقد تسلسل ليشمل: إسم المترجم له فوالده فأجداده، كنحو قوله: «أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن سيد بن غشم بن عزوان بن علي بن سرور بن مشرف بن تركي»^(٢)، أو يرد ثلاثياً، وقد ذكر فيه إسم المترجم له فوالده فجده، كنحو قوله: «أحمد بن علي بن السيس»^(٣)، وقد

(١) راجع الفصل الخاص بالمصادر من هذا الباب للوقوف على المسائلة والمكانتة وعلاقتها بذلك.

(٢) ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ١٨ تر ٦.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٢٠ تر ٧.

يرد ثانياً ليحتوي على إسم المترجم له فوالده، كنحو قوله: «جابر بن عبد الله»^(١). وقد يقتصر في الإسم على العلم المترجم له فحسب مغفلًا إسم الأب والجد، كنحو قوله: «أحمد الخالدي»^(٢)، قوله: «أسبغا الزردكاش»^(٣).

ولعل هذا كان متوقفاً على صبلته بالترجم لهم لديه، وتتوفره على مصادر ترجماتهم، فالملاحظ أن الترجمات التي وردت الأسماء فيها مطولات وقد تسلسل النسب فيها، من بين هؤلاء الذين أجازوا له، أو لغيرهم من ترجمتهم «ابن حجر» عنهم.

كما يلاحظ أن «ابن حجر» كان دقيقاً في إثبات الإسم وتتبع سلسلة النسب، حتى مع أخيه مادته عن المترجم له عينه، ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله في ترجمة «المجد الفيروزبادي (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥ م)»: «... كان يرفع نسبة للشيخ أبي إسحاق الشيرازي - صاحب التبيه - ويدرك أن عبد عمر أبو بكر بن أحمد بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق، ولم أزل أسمع مشائخنا يطعنون في ذلك مستندين إلى أن أبو إسحاق لم يعقب، ثم ارتقى الشيخ مجد الدين درجة فادعى بعد أن ولى القضاء باليمن مدة طويلة أنه من ذرية أبي بكر الصديق، وزاد إلى أن قرأت بخطه لبعض نوابه في بعض كتبه: محمد الصديقي . ولم يكن مدفوعاً عن معرفة ، إلا أن النفس تأبى قبول ذلك»^(٤).

٢ - اللقب :

كما كان «ابن حجر» حريصاً على إيراد الألقاب مع ما يضاف إليها كنحو قوله: «رضي الدين»^(٥)، «حسام الدين» ، «عفيف الدين»^(٦)، وليس

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣ تر ١٢.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٢٢ تر ٩.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٧٧ تر ٣.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٤٧ تر ٣.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٢٣ تر ١١.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٢٤ تر ١٣.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٢٥ تر ١٧.

، «الرضي»، و«الحسام»، و«العفيف»، كما اعتاد كثير من المؤرخين.

وهو غالباً ما يقتصر على لقب المترجم له فحسب، وإن تسلسلت الألقاب في بعض مواضع لترجمة رباعية، كنحو قوله: «عز الدين بن شرف الدين ابن عز الدين بن بدر الدين»^(١)، أو ثلاثة، كنحو قوله: «عفيف الدين بن القاضي تقي الدين بن الشيخ شهاب الدين»^(٢)، أو ثنائية - مكتفياً فيها بلقب المترجم له ووالده - كنحو قوله: «شهاب الدين بن علاء الدين»^(٣).

٣ - الكنية :

وتعد الكنية وقد اقتصر فيها على المترجم له فحسب، كنحو قوله: أبو العباس»، و«أبو حامد»، و«أبو طاهر»، و«أبو الفتح»، و«أبو أحمد»^(٤)، مع ملاحظة أن تلك الموضع قليلة قياساً بالإحصاء العبددي لترجمات الأنبياء.

٤ - اسم الشهرة:

قد يشتهر المترجم له بغير اسمه العلم، وقد تكون شهرته بغير لقبه أو كنيته، وهنا نجد «ابن حجر» قد أورد اسم الشهرة مسبوقاً بقوله «المعروف ب...»، أو «الشهير ب...»، أو «الملقب ب...»، كنحو قوله: «المعروف بالمدني»^(٥) وقوله: «المعروف ب حاجي فقيه»^(٦) وقوله: «الملقب القطعة»^(٧)، وقوله: «الشهير بابن الأديب»^(٨).

(١) المصدر السابق بج ٣ ص ١١٥، تر ٣٢.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٢٥ تر ١٧.

(٣) نفسه ج ٣ ص ١٨ تر ٦.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٨ تر ٤.

(٥) نفسه ج ٣ ص ١١٨ تر ٣٨.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٧٨ تر ٦.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٣١ تر ٢٨.

(٨) نفسه ج ٣ ص ١٠٦ تر ١٢.

وقد يأتي هذا الإسم في سياق الكلام دون تنصيص، كنحو قوله: «محمد ابن عزيز بن الوعظ...»^(١)، وقوله: «محمد بن محمد بن محمد الشافعي الحموي، ناصر الدين بن خطيب نقرین»^(٢)، وقوله: «محمد بن محمد بن عبدالله، شمس الدين بن مؤذن الزنجيلية»^(٣). ويلاحظ أنه في المثال الأول قد أورد اسم الشهرة ضمن اسم المترجم له، بينما نجده في المثالين الثاني والثالث قد أورده قرین اللقب.

كما أنه كثيراً ما يضبط هذا الاسم بالحرروف، كنحو قوله: «المعروف بابن زقاعة - بضم الزياء، وقد يجعل سيناً وتشديد القاف»^(٤)، أو يحرص على تفسيره وتبيين معناه، كنحو قوله: «ابن شنبـل - بضم المعجمة وسكون النون بعدها موحدة مضمومة - وهو مكيال القمح بحمص»^(٥).

٥ - النسبة :

وتكون بنسبة المترجم له إلى القبيلة، كنحو قوله: «المخزومي»^(٦) أو بنسبةه إلى المدينة، كنحو قوله: «الصالحي»^(٧)، أو إلى المحلة، كنحو قوله: «التباني»^(٨)، أو إلى معتقه - خاصة إذا كان مملوكاً أو أميراً - كنحو قوله: «يلبغا الناصري»^(٩) أو إلى الجنس ، كنحو قوله: «الرومـي»^(١٠) أو إلى المذهب، كنحو

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٦ تر ١٤.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٨٣ تر ١٦.

(٣) نفسه ج ٣ ص ١٢٠ تر ٤١.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٧ تر ٢.

(٥) نفسه ج ٣ ص ١٨ تر ٤.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٤٥ تر ١٣.

(٧) نفسه ج ٣ ص ١٦ تر ١.

(٨) نفسه ج ٣ ص ٨٣ تر ١٥.

(٩) نفسه ج ٣ ص ٥١ تر ١٩.

(١٠) نفسه ج ٣ ص ١٠٧ تر ١٣.

قوله: «الشافعي»^(١) و«الحنفي»^(٢) و«الحنبي»^(٣) و«المالكي»^(٤)، أو إلى العقيدة، كنحو قوله: «المعتزي»^(٥)، أو إلى الديانة - خاصة إذا كان من غير المسلمين - كنحو قوله: «القبطي»^(٦).

وهو حريص على ضبط موضع النسبة - كذلك - وتفسيرها في مواضع كثيرة كنحو قوله: «العواري - بفتح المهملة والواو الخفيفة»^(٧)، قوله: «المقدسي»، الناصري، الباعوني. وناصرة من عمل صفد... وباعونة قرية بالقرب من عجلون»^(٨).

وقد تتوالى النسب إلى الموضع، كنحو قوله: «الأسكندراني»، ثم المصري»^(٩)، و«الخليلي»، ثم الدمشقي»^(١٠) ليكون المقصود بالإنتساب إلى الأول تحديد الأصل الذي انحدر منه المترجم له، وبالثاني الموضع الذي ولد ونشأ فيه.

٦ - الموطن:

كما كان «ابن حجر» حريصاً على ذكر الموضع الذي نزله المترجم له أو استقر فيه - ماله من أهمية في ضبط وتقيد السماع^(١١) - ولذا ورد في ترجمات

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣ تر ١٠.

(٢) نفسه ج ٣ ص ١٦ تر ١.

(٣) نفسه ج ٣ ص ١٧ تر ٣.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٢٦ تر ١٨.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٢٤٤ تر ١٦.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٢٥ تر ١٥.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٣١ تر ٢٩.

(٨) نفسه ج ٣ ص ٢٠، تر ٨.

(٩) نفسه ج ٣ ص ٣٢ تر ٣٠.

(١٠) نفسه ج ٣ ص ١٧ تر ٣.

(١١) نفسه ج ٣ ص ٢١ تر ٨، حيث نجده يحدد مكان اللقاء بشيخه قائلاً: «... وقد اجتمعت به ببيت المقدس».

كثيرة من «الإنباء» ما يفيد ذلك، ومنها قوله: «نزل المدينة»^(١)، و«نزل مكة»^(٢).

٧ - الألقاب العلمية والصفات الأصيلة:

وقد تتبع هذه العناصر أو تخللها بعض الألقاب العلمية أو الصفات الدالة على أصالة المترجم له وعراقة نسبه، كنحو قوله: «الكاتب المجد»^(٣) و«القاضي»^(٤) و«المخطيب»^(٥) و«الفقيه»^(٦) و«المقريء»^(٧).

٨ - المولد:

ويأتي في أوائل أو أواخر الترجمات على حد سواء^(٨)، ويعد من العناصر الهامة لديه لما له من قيمة في الإستدلال على لقاء الشيوخ والإطمئنان إلى الرواية والسماع. ولعل في المثال الآتي - وقد أورده «ابن حجر» في «الإنباء» ضمن ترجمة «الرواقى» (ت ٨٣٠ هـ. / ١٤٢٧ م.) - ما يدلل على ذلك:

«... قال القاضي علاء الدين: كان صالحًا خيراً ناسكاً سليكاً، يستحضر أشياء حسنة عن الصوفية، واجتمعت به بطرابلس فأنسدنه، وساق له عن أبي حيان قصيدة... وهي في نحو العشرين بيتاً لا تشبه نظم أبي حيان ولا نفسه، ولا يتصور لهن ولد سنة سبع وأربعين أن يسمع من أبي حيان الذي مات قبل ذلك بمنية؛ ولقد عجبت من خفاء ذلك على القاضي علاء الدين ثم حسبت أن

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣ تر ١٠.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٢٤ تر ١٤.

(٣) نفسه ج ٣ ص ١٨ تر ٥.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٢٠ تر ٥.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٢٤ تر ١٤.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٢٦ تر ١٨.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٤١ تر ٩.

(٨) نفسه ج ٣ ص ٣١٢. حيث نجده قد أورد العنصر الخاص بالتاريخ لمولد المترجم له أواخر ترجمته.

يكون بين الرواقي وأبي حيان واسطة، وقد زعم أنه أنسدحه العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام. قال: أنسدنا أبو حيان - ولا نعرف أن ابن هشام أخذ عن أبي حيان شيئاً، بل كان يجتنبه. قال: وكان الرواقي يقيم بحمماه ويأتي طرابلس، ثم بلغني أنه توجه إلى القدس فأقام به ومات ما بين ثمان وتسع وعشرين»^(١).

ولذا لا يستغرب مع هذا عنابة «ابن حجر» بتقييد تاريخ الميلاد خاصة لدى العلماء والمحاذين.

لكن مع أهمية هذا العنصر وإدراك قيمته نجده قد سلك فيه طرقاً هي :

أ - التاريخ له على وجه الإكتمال بذكر اليوم والشهر والسنة، كنحو قوله: «ولد ليلة التاسع والعشرين من جمادي الآخرة سنة خمس وأربعين»^(٢) ونادرًا ما يكون ذلك.

ب - التاريخ بالشهر والسنة، كنحو قوله: «ولد في ذي الحجة سنة ٧٦٢»^(٣).

ج - التاريخ للمولد إكتفاء بالسنة - فقط - كنحو قوله: «وكان مولده في سنة ٧٦١»^(٤).

د - لكن مع ذلك فإنه لا يجزم بالتاريخ في مواضع كثيرة، بل يكون تقديره على وجه التقرير نصاً على ذلك، كنحو قوله: «ولد سنة ستين تقريباً»^(٥).

كما أنه معنى بتحديد محل الميلاد كلما تيسر له ذلك، ومن أمثلته قوله: «ولد سنة . . . بغرة»^(٦)، وقوله: «ولد في . . . بالمدينة»^(٧).

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٨٦ - ٣٨٧ تر ٣.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٣٩٣ تر ١٥.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٣١١ تر ٣.

(٤) نفسه ص ٣١٢ تر ٤.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٣٤٠ تر ٢١.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٣٢١ تر ٢٩.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٣٣٥ تر ١٠.

ويلاحظ أنه كان دائم السؤال عن تاريخ الميلاد لمن يترجم له سواء بسؤال المترجم له عينه، كنحو قوله: «... لأنه ذكر أن مولده سنة ٧٢٢»^(١)، أو بسؤال أهله وذويه، كنحو قوله: «... وسألت أخاه شمس الدين - أحد من ينوب بدمياط في الحكم عن النائب بها - عن مولده فذكر أنه ولد سنة ٤٣ وأنه أسن من القاضي زين الدين بعشرين سنة. ولست أرتاب في مجازفته في كل ذلك»^(٢).

ولقد كان كثير التدقيق في ذلك - حسبما يستدل من المثال قبل السابق وما يفهم من قوله: «... ولد سنة ثمانين - على ما كتب بخطه - لكن وجد له حضور فيها، فيحتمل أن يكون ولد في التي قبلها، ولكن وجد بخط البرزالي أن مولده في رجب سنة اثنتين وثمانين. وهذا هو المعتمد، ولعل ذلك أخ له»^(٣).

١٩ - تقدير عمر المترجم له :

إذا ما خفي عليه تحديد تاريخ ميلاد المترجم له، فإنه - غالباً - ما يجتهد في تقدير عمره حال الوفاة، كنحو قوله: «مات في صفر وقد جاوز السبعين»^(٤)، وقوله: «وأظنه قارب السبعين»^(٥).

ويتحدد عمر المترجم له على وجه الدقة في مواضع كثيرة كما تشير إلى ذلك تعبيراته، ومنها قوله: «مات في رجب وله سبع وخمسون سنة»^(٦).

١٠ - الوفاة :

لم يكتف «ابن حجر» بإيراد الوفيات وقد انتظمتها الحوليات دون تاريخ

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٧٣ تر ٨.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٤٨٦ تر ٣.

(٣) نفسه ج ١ ص ١٤٣ تر ٥٥.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٠٧ تر ١٦.

(٥) نفسه ج ٩ ص ١٩٣.

(٦) نفسه ج ٣ ص ١٥٢ تر ٢١.

ها - في مواضع كثيرة - على سبيل الإكتمال: باليوم من الأسبوع ومن الشهر والشهر، كنحو قوله: «مات في ليلة الجمعة رابع عشرى ربيع الأول»^(١)، أو بذكر اليوم من الشهر فالشهر، كنحو قوله: مات في حادى عشر شوال»^(٢)، وقد يكتفى بالتاريخ لها بالشهر مغفلًا ذكر اليوم الواقعة فيه، كنحو قوله: «مات في صفر من هذه السنة»^(٣).

وقد ترد الوفيات مؤرخة بنصف وأواسط وأواخر وسلح الشهر، كنحو قوله «مات في نصف ذي الحجة»^(٤).

وقد يرد تاريخ الوفاة على وجه التقرير، كنحو قوله: «مات في آخر هذه السنة»^(٥)، قوله: «... بلغني أنه مات في أول سنة إحدى وعشرين بيذد وكان خرج من الحمام فمات فجأة، وأرخمه الشريف الفاسي في سنة عشرين، والله أعلم»^(٦).

وربما وردت الترجمات في بعض مواضع غير مؤرخة اكتفاء بنسبتها إلى الحولية الواقعة فيها، كنحو ما فعل بترجمة «أسبينا الزردكاش»^(٧) و«طوغان الحسني»^(٨) أو بالتأكيد على وقوعها في ذات الحولية، كنحو قوله: «مات في هذه السنة»^(٩).

وقد يذكر موضع الوفاة كنحو قوله: «وتحول إلى زيد فمات بها»^(١٠).

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٢١ تر ٤٣.

(٢) نفسه ج ٣ ص ١٠٤ تر ٥.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٧٦ تر ١.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٠٤ تر ٤.

(٥) نفسه ج ٣ ص ١٥٠ تر ١٥.

(٦) نفسه ج ٣ ص ١٨٠ تر ١٠.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٧٧ تر ٣.

(٨) نفسه ج ٣ ص ٨١ تر ٩.

(٩) نفسه ج ٣ ص ١٢٢ تر ٥٠.

(١١) نفسه ج ٣ ص ٨٢ تر ١٢.

وكثيراً ما يعني «ابن حجر» بتحديد كيفية الوفاة من موت طبيعي أو قتل^(١) بل والعلة المتسبب عنها الوفاة، كنحو قوله: «مات... مطعوناً»^(٢)، «مات في الطاعون»^(٣)، «مات... بعلة ذات الجنب»^(٤)، «اعتلت بالقولنج الصفراوي فتمادى به إلى أن مات»^(٥). «مات... مبطوناً»^(٦)، «مات مسلولاً»، ويقال إنه سقى السم»^(٧). وكذا حال المترجم له عند موته من حيث: العمل والإشتغال أو التبطيل والعزل، كنحو قوله: «مات... بطلاً»^(٨) قوله: «مات معزولاً»^(٩)، قوله: «فلم تطل مذته حتى مات بعد تسعه أشهر من وزارته»^(١٠)، قوله: «وولي تدريس الحديث بالأشرفية إلى أن مات»^(١١) قوله: «مات وهو أمير بدمشق»^(١٢)، أو المكانة لدى الوجاهة والدولة كنحو قوله: «وكان آخر عمره عين الحنابلة»^(١٣)، قوله: «وانتهت إليه رئاسة الفقه ببلده إلى أن مات في هذه السنة»^(١٤) أو من حيث السفر والإقامة، كنحو قوله: «فمات متوجهاً إلى

(١) حيث ينص على القتل في الترجمات ليفرق بين هذه الموتة، والموت الطبيعي كنحو قوله - المصدر السابق ج ٣ ص ١١٧ تر ٣٥ - «مات مقتولاً»، قوله: «قتل صبراً» نفسه ج ٣ ص ٢٥٦ تر ٥ - قوله: «مات تحت الردم» - نفسه ج ٣ ص ٤١٣ تر ١٦ - قوله: «توجه إلى حصار بعض القلائع فأصابه حجر في جبهته فصرعه» - نفسه ج ٣ ص ٢٩٣ تر ٢٤ .

(٢) نفسه ج ٣ ص ١٠٥ تر ٥٨.

(٣) نفسه ج ٣ ص ١٠٦ تر ١٢.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٢٠ تر ٤٠.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٢٩٥ تر ٣٠.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٢٨٨ تر ١٧.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٢٣١ تر ٩.

(٨) نفسه ج ٣ ص ١٠٧ تر ١٣.

(٩) نفسه ج ٣ ص ١٢٠ تر ٤٠.

(١٠) نفسه ج ٣ ص ١١٠ تر ٢٢.

(١١) نفسه ج ٣ ص ١٤٩ تر ١٢.

(١٢) نفسه ج ٣ ص ٣٣٥ تر ٩.

(١٣) نفسه ج ٣ ص ١٥٢ تر ٢٠.

(١٤) نفسه ج ٣ ص ٢٣٥ تر ٢٠.

الحج في شوال»^(١)، قوله: «ثم حج فلما رجع مات وهو قافل»^(٢) أو من حيث الإهانة والتغريب، كنحو قوله: «فأخرج على حمار فمات في أثناء الطريق غريباً طريراً»^(٣) أو من حيث حالته النفسية، كنحو قوله: «وجاور في آخر أمره فمات بها منطويًا»^(٤)، أو من حيث التمرض والضعف أو الموت الفجاءة من غير علة أو خوفاً من القهر، كنحو قوله: «... ثم قدم القاهرة بآخرة فوعك ومات بالبيمارستان»^(٥)، قوله: «مات بعد مرض طويل»^(٦)، قوله: «مات في عصر يوم السبت بعد أن أقام أكثر من عشرين يوماً ملقي على قفاه لا حراك به إلا في بعض الأحيان، يحرك يده كالعايث أو ينطق بما لا يفهم، وصار يجرع السوق ونحوه بالسует فلا ينزل إلى جوفه من ذلك إلا اليسير، وكان قبل ذلك قد أفرط به بالإسهال حتى انحطت قوته، ثم عرض له الصرع فأقام في أول مرة زماناً طويلاً بحيث أرجف بموته، ثم أفاق منه مختبلاً، ثم عاوده بعد سبعة أيام فازداد انحطاطاً واستمر يعاوده حتى يئس منه كل من حوله من النساء والرجال والأطباء، وفي كل نوبة من الصرع يرجف بموته ويتهيأ الناس لذلك، ثم يتحرك...»^(٧)، قوله: «... كان خرج من الحمام فمات فجأة»^(٨) وقوله: «قرأت... إن سب موته أنه عقد عند برقوق مجلس بسبب الأوقاف، فتكلم الضياء - وهو المترجم له - بكلام قوي فغضب منه برقوق وأجابه بجواب حشن خاف منه على نفسه، فلما رجع إلى الشيخونية ثم رجع إلى بيته مرض واستمر إلى أن مات»^(٩) أو من حيث ضيق ذات اليد أو اليسر، كنحو قوله: «مات

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١١٤ تر ٢٨.

(٢) نفسه ج ٣ ص ١٤٩ تر ١٤.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٢١١ تر ٢٨.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٢٠٤ تر ١.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٢١٠ تر ٢٢.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٢٣٢ تر ١٥.

(٧) نفسه ج ٩ ص ١٦ - ١٧.

(٨) نفسه ج ٣ ص ١٨٠ تر ١.

(٩) نفسه ج ١ ص ١٨٤ تر ١٧.

وعليه ديون كثيرة»^(١)، قوله: «وخلف تركية جيدة ورثها أخوه»^(٢)، قوله: «وخلف مالاً كثيراً جداً»^(٣) أو من حيث تبيان حاله بالنسب للأهل والأخوة، كنحو قوله: «وهو آخر إخوته موتاً»^(٤) قوله: «مات الجمال المصري في ذي القعدة وخلف عشرين ولداً ذكراً»^(٥)، قوله: «ومات له في حياته أكثر من خمسين ولداً وما مات حتى تضعضع حاله»^(٦)، قوله: «وماتت في عصمته... وهي آخر أولاد الظاهر لصلبه وفاة»^(٧). أو ما يكون قد عرض له في آخرته من آفة الحرف والخلط، أو العمى - لما لبيان ذلك من أهمية في تعديل المحدثين وجراحهم - ومنه قوله: «وكان قد أضر بآخرة وحصل له خلط ثقل منه لسانه فصار كلامه قد ينافي بعضه بعد أن كان لسانه كما يقال كالمبرد»^(٨)، قوله «وكان قد أضر قبل موته»^(٩)، قوله: «وكان بعض من يتغىّب عليه ينسبة إلى الحرف والتغيير، ولم يقع ذلك»^(١٠)، أو ما قد يعتريه من الوسواس كنحو قوله: «وابتل بالوسواس في الطهارة حتى انحل بدنه وأفسد ذهنه وثيابه، وتأسف هو، كل ذلك، ولم ينزل مبتلي به حتى مات»^(١١).

كما أنه كثيراً ما يعني بذكر ما يتبع الوفاة من جنازة ودفن مفصحاً عن وقوع ذلك في أنفس الناس ونفسه، محدداً لوضع الدفن، كنحو قوله: «ودفن عند باب

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٩ تر ١٨.

(٢) نفسه ج ٣ ص ١٣٤ تر ٥٢.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٢٣٦ تر ٢٢.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٨٢ تر ١٦.

(٥) نفسه ج ٣ ص ١٥١ تر ١٨.

(٦) نفسه ص ٣٨٨ تر ٧.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٣١٥ تر ١٠.

(٨) نفسه ج ٢ ص ٢٣ تر ٢.

(٩) نفسه ج ٢ ص ٣٧٦ تر ٤٦.

(١٠) نفسه ج ٣ ص ٢٣ تر ١٠.

(١١) نفسه ج ١ ص ٤٩ تر ٣٠.

القرافة، وكان الجموع في جنازته حافلاً جداً^(١)، وقوله: «فاتفق أنه فجأه الموت في رابع جمادى الأولى، وأسف الناس عليه، وكانت جنازته حافلة»^(٢)، وقوله: «وكانت جنازته حافلة ودفن بالصوفية»^(٣)، وقوله «ومشي الناس في جنازته من منزله - بالخراطين - إلى الرملة، ولم يصل السلطان عليه لأنَّه كان في غاية الضعف آنذاك»^(٤)، وقوله: «ماتت ودفنت في المدرسة التي استجدها (الأشرف برسبي) بالحريرين، وصلَّى عليها أمام باب الستارة، وتقدم الشافعي للصلوة عليها والسلطان والأمراء وغيرهم خلفه. وكانت جنازتها حافلة، وقريءَ عليها ليلاً ونهاراً»^(٥)، وقوله: «رجع إلى بلده فمات به، وأسفنا عليه - رحمه الله تعالى»^(٦)، ومرثيته في الزرين العراقي^(٧).

أو على العكس من ذلك، ما يكون حدث لجنته من تمثيل أو تكبيل، كنحو قوله: «مات مقتولاً بالقاهرة، وحشى جلده تبناً، وحمل إلى صفد في ذي الحجة»^(٨).

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٠٩ تر ١٩.

(٢) نفسه ج ٣ ص ١٨١ تر ١٢.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٢٠٩ تر ١٦.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٢٣٣ تر ١٦.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٣٣٨ تر ١٧.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٣١٦ تر ٦.

(٧) نفسه ج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٧٩، تر ١٩، ومنها قوله:

أصار الدمع جاراً للماقي
وروح الفضل قد بلغ التراقي
ويذر الصبر يسري في الم悲哀
ينادي الصبر: هي على افتراق
يهون عليه مع رجوى التلاقي
فهذا صبره مر المذاق
بسوق أولى العلم إلى السياق

مصال لم بنفس للخناق
فروض العلم بعد الزهوذ
وبحر الدمع يجري في اندفاق
وللأحزان بالقلب اجتماع
وكاد الصبر أن يدفع بضرر
فاما بعد يأس من تلاقي
لقد عظمت مصيبةنا وجلت

(الوافر)

(٨) نفسه ج ٣ ص ١١٧ تر ٣٥.

وكذا ما يتبع الوفاة من تصرف في تركته - على نحو ما مر - أو تصرف في وظائفه، كنحو قوله: «ولما مات قررت وظائفه - كلها - بيد ولده علي وهو صغير جداً، فاستنيب عنه حاله جلال الدين ابن الملقن»^(١).

١١ - النشأة والتكونين :

وتحتختلف المادة المكونة لهذا العنصر تبعاً للإختلاف في نوعية المترجم لهم، وطبيعة صلة «ابن حجر» بهم، حيث تكون المكونات الأولى للعلماء والمحدثين ونحوهم مغايرة لها لدى الأمراء والسلطانين.

وللوقوف على ذلك، فإنه يمكن الإشارة إلى أنه قد ترجم بعض أعلام الصنف الأول قائلاً - بخصوص نشأة وتكونين «البرهان التنوخي» (ت ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٥ م) : «... أجاز له إسماعيل بن مكتوم، وأبو بكر ابن عبد الدائم وعيسي بن عبد الرحمن المطعم، وأبو نصر الشيرازي، والقاسم ابن عساكر ومحمد بن مشرف، وست الفقهاء بنت شكر، وجمع كبير يزيدون على الثلاثمائة ثم طلب الحديث بنفسه فسمع الكثير من أبي العباس الحجار، وبعد الله بن الحسين بن أبي التائب، والحافظين: البرزالي والمزي، والبنديجي وخلق كثير يزيدون على المائتين. وعني بالقراءات فأخذ عن البرهان الجعبري وابن نصحان والبرقي، ثم رحل فأخذ عن ابن أبي حيان وابن السراج وأبي العباس المرداوي، ومهر في القراءات وكتب هؤلاء له خطوطهم بها. وتفقه على البارزي بحماء، وابن النقيب بدمشق، وابن القماح بالقاهرة، وغيرهم. وأذنوا له، وأفاد وحدث قدیماً»^(٢).

كما ورد هذا العنصر في ترجمة «الزين العراقي» (ت ٨٠٦ هـ. / ١٤٠٤ م) على النحو التالي: «... حفظ التنبيه في الفقه، واستغل بالفقه والقراءات، ولازم المشايخ في الرواية، وسمع في غضون ذلك

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٤ تر ٤.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٢ تر ٢.

من عبد الرحيم بن شاهد الجيش وابن عبد الهادي وعلاء الدين التركمانى، وقرأ بنفسه على شهاب الدين بن الباب، وتشاغل بالتخریج، ثم تنبه للطلب بعد أن فاته السماع من مثل يحيى بن المصري آخر من روی حديث السلفي عالياً بالإجازة، ومن الكثیر من أصحاب ابن عبد الدايم والنجيب وابن عارف، ولكنه أدرك أبي الفتح الميدومي فأكثر عنه، وهو من أعلى مشائخه إسناداً وسمع أيضاً من ابن الملوك، وابن القطروانى، ثم رحل إلى دمشق فسمع من ابن الخبراز، ومن أبي العباس المرداوى، ونحوهما. وعني بهذا الشأن ورحل فيه إلى دمشق وحلب والحجاج^(١).

بينما نجده قد أورد هذا العنصر في ترجمة «بهرام بن عبدالله الدميري» (ت ٨٠٥ هـ. / ١٤٠٣ م.) على النحو التالي:

«... أخذ عن الشيخ خليل وغيره»^(٢).

وفي ترجمة «سارة بنت علي بن عبد الكافى السبكى» (ت ٨٠٥ هـ. / ١٤٠٣ م.) على النحو الآتى:

«... أسمعت من أحمد بن علي الحريري، وزينب بنت الكمال وغيرهما سمعت على أبيها أيضاً»^(٣).

وبدراسة هذه النماذج الأربع يدرك الآتى:

أولاً - أن «ابن حجر» قد ذكر الشیوخ تارة بأسمائهم، وتارة بما اشتهروا به من أسماء كنحو قوله: «إسماعيل بن مكتوم» و«أبو بكر بن أحمد بن عبد الدايم» و«عيسيى بن عبد الرحمن المطعم» و«أحمد بن كشتغدي».. وقوله «البرزاوى» و«المزي» و«البندينجي» و«القزويني» و«السبكي» و«الجزري» و«الميدومي» و«ابن نباتة» و«الشيخ خليل». مستندأ إلى معرفة أصحاب الفن

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٦ تر ١٩.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٤٢ تر ٩.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٤٣ تر ١١.

بهم، ومفترضاً في المطالع لتأريخه معرفتهم، ومن ثم إدراكمهم.

ثانياً - أنه قد تبسيط في ذكر الشيوخ في مواضع كما في المثال الأول واقتضب في مواضع أخرى، كنحو قوله في المثال الرابع: «أخذ عن الشيخ خليل». مع ملاحظة أنه يقتصر في إيراد الشيوخ على المشاهير منهم متبعاً ذلك بقوله: «... وجمع كبير يزيدون على الثلاثمائة»، و«خلق كثير يزيدون على المائتين» و«مشايخ العصر»، و«غيرهم»، «وآخرون»، و«الكثير من أصحاب...» و«نحوهما»، «وغيرهما»، «وغيره».

ثالثاً - أنه قد عني - في بعض مواضع - بذكر المكان المأخذ فيه علم المترجم له، كنحو قوله في المثال الأول: «وتفقه على البارزي بخمهاب وابن التقيب بدمشق، وابن القماح بالقاهرة».

رابعاً - أنه قد يذكر بعض محفوظاته أو مسموعاته، كنحو قوله في المثال الثالث «حفظ التنبيه».

خامساً - الاعتناء بذكر بعض صيغ التحمل والسماع - لما لها من أهمية لدى المحدثين ونحوهم، ومن ذلك قوله:

«أجاز له»، «أذنوا له»، «أذن له»، «سمع»، «سمعت»، «اسمعت»،
«عوض»، «قرأ بنفسه على...»، «أخذ»، «لازم»، «كتب هؤلاء خطوطهم
بها».

سادساً - التدليل على ما قد يكون فات المترجم له من سمع، وتبيين ما لسماعه من قيمة، كنحو قوله في المثال الثالث: «وتشاغل بالتخرير، ثم تنبه للطلب بعد أن فاته السمع من مثل يحيى بن المصري - آخر من روی حدیث السلفي عالیاً بالإجازة - ومن الكثير من أصحاب ابن عبد الدايم والنجیب وابن عارف. ولكنه أدرك أبا الفتح المیدومی فأکثر عنه، وهو من أعلى مشايخه إسناداً».

سابعاً - ذكر أهم العلوم والفنون التي تتشكل منها ثقافته، كنحو قوله في

المثال الأول: «طلب الحديث بنفسه... وعني بالقراءات... وتفقهه»، وإشارته في المثال الثالث إلى اشتغال «الزين العراقي» بالفقه والقراءات والحديث.

ثامناً - الإِبَانَةُ عَنْ مَقْدَارِ هَذَا الْعَمَلِ وَمَكْنَهُ مِنْهُ، كَنْحُوكُولِهِ فِي الْمَثَالِ الْأَوَّلِ «مَهْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ، وَكَتَبَ هُؤُلَاءِ لَهُ خَطُوطَهُمْ بِهَا».

ويلاحظ أن هذه التفصيات ترد مجتمعة في عنصر الترجمة في موضع وترد متفرقة في مواضع أخرى.

أما الصنف الثاني، وهم السلاطين والأمراء، فإن المعلومات الواردة بخصوص طبيعة تكوينهم ونشأتهم قليلة - قياساً بما ورد في ترجمته للعلماء والمحدثين، ومن أمثلة ذلك قوله بخصوص ترجمة «العجل بن نعير» (ت ٨١٦ هـ / ١٤١٤ م): «... نشأ في حجر أبيه، ثم لما بلغ العشرين فارقه ومال إلى جكم، ولما وقع بين جكم وبين ابن صاحب الباز حضر نعير في نصر ابن صاحب الباز، والباز وابنه مع جكم^(١) قوله بخصوص ترجمة «المؤيد شيخ محمودي» (ت ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م): «... كان قدومه القاهرة على ما أخبرنا به في السنة التي قدم فيها أنص والد برقوم، فعرض على برقوم قبل أن يتسلط فرام من صاحبه بيعه فاشتط في الثمن، وكان ابن اثنين عشرة سنة، ولكن كان جميل الصورة، فاتفق موت الذي جلبه فاشتراه محمود تاجر الماليك بشمن يسير وقدمه لبرقوم فأعجبه واستمر ينسب لمحمد وتربي في الماليك الكتابية، ثم جعل خاصكيأ ثم جعل من السقاة، ونشأ ذكياً، فتعلم الفروسية في اللعب بالرماح ورمي الشاب والضرب بالسيف والصراع، وغير ذلك. ومهر في جميع ذلك»^(٢).

١٢ - منزلة المترجم له ومكانته:

وتتحدد هذه المنزلة للمترجم له بعبارات ناعنة نقلها عن مصادره، كنحو

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦ تر ٤٠.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٥٦ تر ٦.

قوله : « قال شهاب الدين الزهري في حياة شرف الدين الشربيني وغيره : ليس في البلد من أخذ العلوم على وجهها غيره » - فيما نقله عنه في ترجمته للشهاب الملكاوي ^(٣) (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ مـ) - أو في مواضع أخرى بعبارات وملحوظات له ، خاصة في ترجمته لمؤلفاته الذين أخذ عنهم أو اتصل بهم وشاهدهم ، أو شاركهم في بعض المناصب العلمية والوظائف الدينية كنحو قوله : « سمع منه شيخه الحافظ الذهبي » ^(٤) بشأن الترجمة لشيخه « البرهان التنوخي » (ت ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ مـ) ، قوله في ترجمته لشيخه « السراج البلقيني » (ت ٨٠٥ هـ / ١٤٠٣ مـ) : « وانتهت إليه الرياسة في الفقه والمشاركة في غيره ، حتى كان لا يجتمع به أحد من العلماء إلا ويعرف بفضله ووفر علمه وحدة ذهنه . . . وكان معظمًا عند الأكابر ، عظيم السمعة عند العوام ، إذا ذكر البلقيني خضعت الرقاب حتى كان الشيخ جمال الدين الأسنوي يتوقى الإفتاء مهابة له لكثرة ما كان ينقب عليه في ذلك » ^(٥) . قوله في ترجمته « لابن الشاهد المنجم » (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ مـ) : « . . . انتهت إليه الرياسة في حل الزبيج وكتابة التقاويم » ^(٦) .

أما من حيث المكانة لدى العامة والخاصة في الدولة فقد وردت له بعض تعبيرات منها : « له عند العامة بدمشق قبول زائد » ^(٥) وهو في حق « ابن الأقرع » (ت ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ مـ) ، قوله في ترجمة « أبي عبد الله الكركي » (ت ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ مـ) : « . . . وصاحب السلطان في الكرك فارتبط عليه واعتقده ، ثم قدم عليه فعظمته جداً ، وكان يسكن في مخزن في إصطبل الأمير قلمطاي الدويدار ، وإذا ركب إلى القلعة ركب على فرس بسرج ذهب وكنبوش ذهب من مراكيب السلطان » ^(٦) . قوله في ترجمة « المشتب » (ت ٨٠١ هـ)

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٣ تر ٩.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٣ تر ٢.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٤٢٦ تر ٢١.

(٤) نفسه ج ٢ ص ٧٧ تر ٥٩.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٢٩ تر ٣٢.

(٦) نفسه ج ٢ ص ٢٩ تر ٣٤.

الأكابر على سبيل المزاح ويختملون ذلك له»^(٢).
«... وللملك الظاهر وغيره فيه اعتقاد كبيـن»^(١). قوله في ترجمة
«يوسف الهمذاني الكردي» (ت ٨٠٢ هـ. / ١٤٠٠ م.): «... وكان يكثر شتم

١٣ - وظائفه:

كما كان «ابن حجر» معنياً في كثير من الترجمات بتتبع وظائف المترجم له وتنقله فيها، كنحو قوله في ترجمته لأحد الخلفاء: «... ولـي الخلافة في أيام تنـبـك بعد قتل الأشرف عوضاً عن المتوكـل، ثم خـلع، ثم أعاده الظـاهر بعد القـبـض على المتوكـل في سـنة ثـمان وـثمانـين وـسبـعينـة، ثم صـرف في جـمـادي الـأـوـلى سـنة إـحدـى وـتسـعينـين فـلـزـم دـارـه إـلـى أـن مـات»⁽³⁾. قوله بـخـصـوصـ أحد السـلاـطـين: «كان من مـالـيـك الـظـاهـر، ثم صـارـ في خـدـمة اـبـنه النـاصـر إـلـى أـن خـرج إـلـى الـبـلـاد الـحـلـبـية بـسـبـبـ جـكـمـ، فـلـمـ رـجـعـ النـاصـر إـلـى مـصـرـ استـمـرـ طـرـمـعـ جـكـمـ ثم لـا قـتـلـ جـكـمـ استـقـرـ أمـيرـاـ بـحـلـبـ - وـتـرـبـغاـ الـمـشـطـوبـ يـوـمـئـذـ النـائـبـ بـحـلـبـ - فـاستـمـرـ فـيـها مـدة طـوـيـلةـ وـهـوـ فـيـ أـثـنـاءـ ذـلـكـ يـتـمـيـ لـنـورـوزـ إـلـى أـنـ وـقـعـ بـيـنـ شـيـخـ وـبـيـنـ نـورـوزـ وـانـكـسرـ نـورـوزـ وـاسـتـمـرـ مـعـ المؤـيدـ، فـلـمـ اـقـتـسـاـ الـبـلـادـ بـعـدـ قـتـلـ النـاصـرـ قـدـمـ مـصـرـ مـعـ المؤـيدـ وـاسـتـمـرـ فـيـ خـدـمـتـهـ إـلـى أـنـ تـسـلـطـنـ وـحـاـصـرـهـ مـعـ النـورـوزـيـةـ وـهـوـ يـظـهـرـ خـدـمـةـ المؤـيدـ وـيـدـارـيـهـ وـبـيـالـغـ فـيـ ذـلـكـ إـلـى أـنـ أـمـرـهـ طـبـلـخـانـاهـ، ثم أـمـرـهـ تـقـدـمـةـ. ثم لـا تـوجـهـ لـقـتـالـ قـابـايـ اـسـتـنـابـهـ بـالـإـسـطـبلـ، ثم لـا مـاتـ المؤـيدـ اـسـتـقـرـ نظامـ الـمـلـكـ ... ثم تـسـلـطـنـ»⁽⁴⁾. قوله بـخـصـوصـ أحدـ الـأـمـرـاءـ: «... فـلـمـ قـتـلـ الأـشـرـفـ أـمـرـ بـحـلـبـ نـائـبـاـ، ثم عملـ بـدـمـشـقـ تـقـدـمـةـ ثم نـيـابةـ حـمـاهـ، ثم عملـ نـيـابةـ الشـامـ سـنةـ ثـمـانـينـ، ثم نـابـ فـيـ صـفـدـ، ثم طـرـابـلسـ، وـتـنـقلـتـ بـهـ الـأـحـوالـ، وـعـملـ نـيـابةـ طـرـابـلسـ مـدةـ، ثم قـبـضـ عـلـيـهـ وـسـجـنـ بـهـ، ثم أـفـرـجـ عـنـهـ يـلـبـغاـ النـاصـريـ

(١) المصدوقي الساقي ج ٢ ص ٧١ تر ٣٢.

٧٤ ص ١٣٢ تر (٢) نفسه ج ٢

(٣) نفسه ح ٢ ص ٧١ ت ٣٤، وهو «أبي يحيى» المعتصم بالله العباسي» (ت ٨٠١ هـ. / ١٣٩٩ م).

^{٤٤}) نفسه ح ٣ ص ٢٥٧ ت ٧ ، وهو «الظاهر بن عبد الله الظاهري» (ت ٨٢٤ هـ . / ١٤٢١ م) .

وتوجه معه لنصر وولاه نيابة حلب . . . فلما استقر الظاهر في السلطنة الثانية أحضره إلى القاهرة وقدمه واستمر أتابك العساكر، ثم غضب عليه في أول سنة ثمانمائة واعتقله بالأسكندرية إلى أن مات في رمضان^(١) قوله بخصوص بعض العلماء: «ولي قضاء غزة، ثم قضاء حلب، ثم قضاء العسكر بالقاهرة، ثم قضاء القدس، ثم مات بالقاهرة»^(٢) قوله: «ناب في الحكم وهو شاب، ودرس وأفتي وولي افتاء دار العدل وتدرис الشيخونية المنصورية . . . ثم ولـي قضاء الشافعية استقلالاً»^(٣).

كما كان كثيراً ما يقيس الوظيفة بالترجم له، كنحو قوله: «وكان بيده عمالة المودع الحكمي فشأنه هذه الوظيفة»^(٤) أو يقيسه بالوظيفة، كنحو قوله: «. . . وكان متـساهلاً في أحكامه»^(٥). وما إلى ذلك مما سوف يدرس تفصيلاً في الفصل العقود للمصادر التاريخية من هذه الدراسة.

١٤ - أعماله :

ويقتصر «ابن حجر» على إثبات أهم الأعمال، وهي تختلف - كذلك تبعاً للتبـين في الوظائف، واختلاف النوعيات المترجم لها لـديه، ومن ذلك ما اثبت في ترجمة «أمير علي» (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ مـ)، وكان طيباً معالجاً من قوله: «ويقال عالج ثمانى مائة وعشـرة أرطال»^(٦)، وفي ترجمة «علي بن أبيك» (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ مـ) وقد كان شاعراً من قوله: «. . . وقد يقع له المقطوع النادر كقوله مضمـناً:

مليح قام يجذب بـان فـمال الغـصن منعطفاً عـلـيـه

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٧١ تر ٨١، «وهو كمشبغاً الحموي».

(٢) نفسه ج ٢ ص ٣٧٧ تر ٥٠، وهو «موفق الدين الرومي» (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ مـ).

(٣) نفسه ج ٢ ص ١٨١ تر ٩٢، وهو «صدر الدين المناوي» (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ مـ).

(٤) نفسه ج ٢ ص ٣٧٤ تر ٤١، وهو «تقي الدين الدجوي» (ت ٧٠٩ هـ / ١٤٠٧ مـ).

(٥) نفسه ج ٣ ص ٢٠٦ تر ٦، وهو «علم الدين ابن المنجا» (ت ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ مـ).

(٦) نفسه ج ٢ ص ٧٥ تر ٥١.

وميل الغصن نحو أخيه طبع وشبه الشيء من جذب إليه^(١)
(من الوافر)

وقوله في ترجمة «كمشينا بن عبد الله الحموي» (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م) وهو أمير تنقل في الوظائف حتى استقر أتابكاً للعسكر: «... وهو الذي جدد سور حلب وأبوابها، وكانت خراباً من وقعة هولاكو»^(٢) قوله في ترجمة «شيخ بن عبدالله المحمودي» (ت ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م) وكان سلطاناً: «وكان من سجن من مماليك الظاهر في فتنة منطاش بخزانة شمائل فندر إن نجاه الله منها أن يجعلها مسجداً، ففعل ذلك في سلطنته»^(٣). قوله في «قرا يوسف» (ت ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م) وكان متغلباً على بلدان الشرق «... استولى بعد اللنك على عراق العرب والعجم، ثم ملك تبريز وبغداد وماردين وغيرها من البلاد واتسعت مملكته حتى كان يركب في أربعين ألف نفس»^(٤) قوله في ترجمة «السراج البلقيني» (ت ٨٠٥ هـ / ١٤٠٣ م) وقد كان من فقهاء العلماء: «... ولم يكمل من مصنفاته إلا القليل، لأنه كان يشرع في الشيء فلسعة علمه يطول عليه الأمر حتى كتب من شرح البخاري على نحو من عشرين حديثاً مجلدين، وكتب على الروضة عدة مجلدات، وعلق بعض طلبه من خطه حواشي شيخه بالروضة خاصة مجلدين»^(٥) قوله في ترجمة «الزرين العراقي» (ت ٨٠٦ هـ / ١٤٠٤ م) وكان المنظور إليه في علم الحديث: «... وصنف تخريج أحاديث الأحياء، وأكمل مسودته الكبرى قدماً، ثم بيضه في نحو نصفه، ثم اختصره في مجلد واحد، وبيضه وكتب منه النسخ الكثيرة، وشرع في إكمال شرح الترمذى لابن سيد الناس ونظم الألفية في علم الحديث لابن

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٥ تر ٥٢.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٨١ تر ٧١.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٢٥٦ تر ٦.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٢٣٠ تر ٨.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٢٤٦ تر ٢١.

الصلاح وشرحها، وعمل عليها نكتاً وصنف أشياء أخرى كباراً وصغراء^(١). وهكذا.

ويلاحظ أن «ابن حجر» لم يكتف بإثبات أبرز أعمال المترجم له، بل وتتبع مؤلفاته أو أجزاءها ودراستها في كثير من الأحيان، ومن ذلك قوله في ترجمة «تاج الدين الحميدي» (ت ١٣٨٦ م . / ٧٨٨ هـ) : «... ورأيت بخطه تذكرة في نحو الستين مجلدة، وعبارة عامة وخطه رديء جداً»^(٢) وقوله «ورأيت بخطه نسخة في مجلدة واحدة من صحيح البخاري في غاية الحسن»^(٣) ناعتاً لإحدى أعمال «شمس الدين الموصلي» (ت ١٣٧٣ م . / ٧٧٤ هـ) وقد شاكل ذلك مما سوف يفصل في موضعه من هذا البحث^(٤).

١٥ - السجايا والصفات:

ويعني فيه بذكر ما يتصل بهيئة المترجم له من شكل ذميم أو صورة حسنة أو وجه مليح أو منظر بغي . . وملبس حسن أو هيئة رثة، أو ما يتصل بأخلاقه من إتصاف بالشهامة والشجاعة ووفر العقل والسكنون وحسن الخلق والجد الذي لا يعرف الهزل أو ما كان عكس ذلك، أو ما يتصل بطبعاته من إتلاف للمال واسراف فيه أو حب له وضنه به، ومن الرجوع إلى الحق والعدل والجور وشدة الطيش . . وما إلى ذلك^(٥).

١٦ - علاقاته بالأهل والأقران:

كما أن «ابن حجر» كثير العناية بالتبنيه على أهله ومن تجمعهم به علاقة سواء من يكون قد ترجم لهم في الإنباء سابقاً أو لاحقاً أو من غيرهم كنحو قوله

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٦ تر ١٩.

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٢١ تر ٤.

(٣) نفسه ج ١ ص ٥٣ تر ٣٩.

(٤) سوف يرد ذلك تفصيلاً في الفصل المعقود للمصادر من هذا البحث.

(٥) ورد ذلك تفصيلاً في الفصل المعقود للنقد التاريخي من هذا البحث.

في ترجمة «السراج البلقيني» (ت ٨٠٥ هـ / ١٤٠٣ مـ) : «... لازم ابن عقيل وتزوج بنته سنة اثنين وخمسين»^(١). قوله في ترجمة «الفخر الكركي» (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ مـ) : «... ثم دخل مصر فأقام بها مدة وتزوج بنت العلامة جمال الدين ابن هشام»^(٢) وقوله في ترجمة «أبي المعالي الشيباني» (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥ مـ) : «وقد تقدم ذكر أخيه جار الله بن صالح»^(٣) وكان قد ترجمه في حولية خمس عشرة وثمانمائة^(٤). مع ملاحظة أنه في هذه الترجمة المشار إليها - ترجمة جار الله ابن صالح - قد أشار إلى متعلق بها في ترجمة سواه قائلاً: «وهو الذي قال فيه صدر الدين الأدمي البيتين المشهورين، وسنذكرهما في ترجمته»^(٥) والبيتان هما:

يا متهمي بالصبر كن منجدي
أنت خليلي فبحق الهوى
ولا تطل رفضي فإني عليل
كن لشجوني راحماً يا خليل
(من السريع)

وقد ورد في ترجمته للصدر الأدمي ضمن وفيات حولية ست عشرة وثمانمائة^(٦).

١٧ - علاقات ابن حجر بالترجم لهم:

كما أن «ابن حجر» لا يغفل إثبات علاقاته بالترجم لهم، مبيناً رأيه فيهم، جرحًا وتعديلًا، أو نقدًا وتقويًا، ورأى هؤلاء فيه - كذلك - وهو ما درس تفصيلاً في موضوعي المشاهدة والمشاركة، والنقد التاريخي من هذا البحث. ومن أمثلته قوله: «... وقدم القاهرة مراراً آخرها في الرسلية عن الملك المؤيد - قبل

(١) ابن حجر. إناء الغمرج ٢ ص ٢٤٦ تر ٢١.

(٢) نفسه ج ٢ ص ١٧٠ تر ٦٨.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٤٣ تر ٧.

(٤) نفسه ج ٢ ص ٥٢٧ تر ١٠.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٥٢٧ تر ١٠.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٢٨ تر ٢٢.

سلطنته - سنة ثمان، وحصل نسخة من تعليق التعليق وشهد لي في عنوانها بالحفظ وكتب خطه في أصلي^(١). - وقد ورد في ترجمته «لابن حجي الحسباني» (ت ٨٦ هـ / ١٤١٤ م). .

ولعل هذا العنصر من أهم عناصر الترجمات لدى الدارسين لابن حجر ومنهجه التاريخي ، لما له من دور كبير في إبراز ذاتية كاتبه بالكشف عن علاقاته بالترجم لهم - لديه - وارتباطه بهم بالقراءة أو الرواية أو الإسناد وكذا اتصاله بالأحداث وأطلاعه على أحوال الدول وأسرارها، حيث لم تكن علاقاته منحصرة في دائرة الطلب والإشتغال، وإنما كانت له علاقات أكيدة بالسلطانين ومن دونهم من الأمراء والوجهاء ، على نحو ما هو بين في ترجمته من هذا البحث.

التوازن الزمني

.. ومع ذلك فإننا لا نجد توازناً زمنياً بين حوليات الكتاب - أحدها وترجماته لأن «ابن حجر» لم يكن من بين هؤلاء الذين يأخذون بالشكليات - على نحو ما هو مبين قبل - ولأن ديدنة في الإلتزام بمنهج يلح به على تقرير شمولي لأحوال عصره فضلاً عن أن هناك من الأسباب ما يجعل نشدان التوازن بين حوليات متعددة الحدوث ، كطبيعة الحوادث الواقعة - في كل حول - وجدارتها بالتسجيل أو الإهمال ، والحروب والطوعين والأوبئة وما يتبع عنها من كثرة القتل والمتوفين .

لكن للإفصاح عن منهجه في هذا الموضوع يمكن الإشارة إلى أنه قد أورد في حوادث حولية ثلاثة وسبعين وسبعيناً قوله - بخصوص غلبة تمرينك على إقليم خوارزم : «... واستولى اللنك على خوارزم فخر بها كدأبه في غيرها من البلاد»^(٢). ثم عمد بعد ذلك إلى توكييد هذه الخصيصة الملازمة «لتمرينك» كلما ستحت له الحوادث بذلك ، فقال في حوادث حولية ثمانائة : «... وفيها نازل

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٩ تر ٦.

(٢) نفسه ج ١ ص ٢١.

ترنلنك الهند فغلب على دلي - كرسى المملكة - وقتل وفتوك على عادته وخرب^(١). ثم ألح على توكيد ذلك بقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانائة: «... وهجم عسكر ترنلنك البلاد فأضروا فيها النار وأسرروا النساء والصبيان وبذلوا السيوف في الرجال والأطفال حتى صار المسجد الجامع كالمحجزة»^(٢)، «... وجافت النواحي من كثرة القتلى منهم وكانت الأرجل لا تطأ إلا على جثة إنسان، وبني من رؤوس القتلى عدة مآذن منها ثلاثة في رابية ابن خجا»^(٣)، و قوله: «... ومات في هذا الشهر - أي الذي تغلب فيه ترنلنك على الشام - من لا يحصى عدده إلا الله - تعالى - فمنهم من مات حريراً، ومنهم من عجز عن الهرب فمات جوعاً، ومنهم من توجه هارباً فمات أعياء، ومنهم من كان ضعيفاً فاستمر إلى أن مات»^(٤).

وهذا لا يتقرر إلا بإيراد شاهد له، والشهادة كثيرة، لكن أبلغها أثراً وتقريراً في نفس المطالع لتاريخه - قائمة الوفيات الواردة تلو حوادث حولية ثلاث وثمانائة وقد احتوت على هذا التصنيف للموق^(٥).

ترى لو عمد إلى الموازنة بين عدد الترجمات فيها قياساً بغيرها من حوليات الكتاب يصيب مرماه؟ .. إنها نظرة مبتكرة في التاريخ، نظرة شمولية تبدو فيها لحوادث والترجم و قد تعافت في تقرير منهجه والإلحاح عليه، فالهدف إذاً ليس شكلياً تلزم فيه الحقيقة بارتداء لباس من التنسيق الفني .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٩

(٢) نفسه ج ٢ ص ١٣٥ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٣٩ .

(٥) راجع: العلاقة بين الترجم و الحوادث من هذا الباب .

الفصل الثالث

العلاقة بين الترجمات والحوادث في «الإنباء»

توجد علاقات وثيقة بين مادة «الإنباء»: أحداثه وترجماته، لم تأت عفوية أو ارتجالية، وإنما كان وراءها أصبع «ابن حجر» التي وجدت في مناسبة الوفاة فرصة لاستخدامها في تحقيق هذه الغاية. وهي مثبتة فيه على الأوجه التالية:

أولاً - العلاقة الزمانية بينهما:

توجد بين الترجم والحوادث في حيز الحولية الواحدة علاقة زمانية لاشتراكيها من حيث الواقع والحدث في حيز زمني واحد، وهو الحول الواقع فيه كلاهما. باعتبار أن الوفاة ذاتها حدث تاريخي . فالعلاقة بينها علاقة إثبات وتوزيع لحوادث ذات نوعيات مختلفة من حيث التوصيف، الأولى: تحتوي على أخبار متنوعة بين سياسية وإدارية وثقافية.. والثانية: ذات تنوع مماثل - تقريباً - من حيث التوصيف، بيد أنها تتفوق عليها من حيث المخرج لحملها سمة مشتركة هي : الإخبار عن الوفاة ومفارقة الحياة المألفة ، مما جعلها تجتمع في حيز مكان واحد، يلي - غالباً - الأحداث المذكورة في الحولية الواحدة، ويكون ذيلاً عليها. وإن تناشرت بعض ترجمات الوفيات وأخبارها في صدر الحوادث أو خلال سردها.

ثانياً - العلاقة من حيث الموضوع :

وهذه العلاقة السالفة اقتضت من «ابن حجر» توزيع معلوماته التاريخية

الواردة في مؤلفه على جزئي الكتاب: أحداشه وترجماته متبوعاً خطوات، وسالكاً مسالك منها:

أ - الترجمة بالإحالة الكلية على الحوادث: وفيها يرد اسم المترجم له في الوفيات مجردًا - في الغالب الأعم - من أية معلومات، اكتفاء بالإحالة إلى الحوادث، التي غالباً ما تكون سابقة على ترجمته. ومن أمثلة ذلك ما ورد في ترجمة «أبجاي اليوسفى» ضمن وفيات حولية خمس وسبعين وسبعمائة، حيث ذيل على اسمه بالعبارة التالية: «... . تقدمت ترجمته في الحوادث»^(١)، وما ورد في حولية ثمان وسبعين وسبعمائة حيث ترجم للملك «الأشرف شعبان» بقوله: «... . مات مقتولاً في ذي القعدة، وقد تقدم ذكره في الحوادث. عاش أربعين وعشرين سنة»^(٢).

ب - الإحالة إلى الحوادث في تصاعيف الترجمات: وفيها يحيل في تصاعيف ترجماته إلى الحوادث، مكتفيًا فيها بهذه الإحالات، أو يلخص ما تعلق بشخصية المترجم له محلياً إلى تفصيلاتها في الحوادث. ومن ذلك ما ورد في حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص ترجمة «ابن غرام» من إحالة إلى الحوادث قائلاً: «... . تقدم ذكر قتله في الحوادث»^(٣). يزيد بذلك خبراً أشار فيه إلى تسميره وإنزاله، وضرب مالايك «بركة» له بالسيوف، ثم تعليق رأسه بعد مقتله على باب زويلة، نتيجة لاتهامه بقتل «بركة» بغير إذن له، وإن أظهر خط الأمراء بذلك^(٤).

ج - الإحالة في الحوادث إلى ترجمات الوفيات: ويتجلى ذلك من خلال تتبع بعض الإحالات الواردة في «الحوادث» ردًا على «الترجمات»، ومنها ما ورد في حوادث حولية تسع وثمانين وسبعمائة في معرض الإخبار عن السبب في عزل

(١) ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر (ط. القاهرة) ج ١ ص ٦٤.

(٢) نفسه ج ١ ص ١٤٠.

(٣) نفسه ج ١ ص ٢٢٧.

(٤) نفسه ج ١ ص ٢١٥.

«أبي البقاء» من القضاة من قوله: «... وقرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيري أن سبب عزل أبي البقاء ما تقدم من قضية أمين الحكم^(١)، والقضية المشار إليها وردت في ترجمة «أحمد بن محمد الزركشي» - أمين الحكم بالقاهرة - الواردة ضمن ترجمات وفيات حولية ثمان وثمانين وسبعمائة مسندة إلى المصدر عينه، حيث يقول: «... وضاع للأيتام عنده أموال عظيمة»، قرأت بخط تقي الدين الزبيري أنها تزيد على ثلاثة ألف درهم تكون نحوًا من خمسة عشر ألف دينار، فبيع موجوده فكان دون النصف.

قلت: والذي تحرر لي أن المقاصلة وقعت على ربع وسدس عن كل درهم. وبلغ السلطان ذلك فأسرّها في نفسه على القاضي حتى عزله في السنة التي بعدها^(٢).

د - الترجمة لبعض الوفيات في الحوادث: حيث ورد ذلك مع إدراك «ابن حجر» له ونصه عليه في أكثر من موضع بعبارات منها: «تقدمت ترجمته في الحوادث»، «تقديم ذكره في الحوادث»، «تقديم في الحوادث»، «وقد ذكر في الحوادث»، «مضي ذكره في الحوادث»^(٣).

ه - التكامل بين الترجمات والحوادث: حيث تميز «الإنباء» بجمع حشد كبير من المعلومات التاريخية التي حاول مؤلفه إيداعها فيه مجتنزًا فأدت موزعة على الحوادث والترجمات، وكان بذلك يؤرخ بالحدث والترجمة معاً.

وسوف أقتصر في هذا الموضع في إيراد الأمثلة منعاً للتطويل مكتفيًا بإيراد مثالين أحدهما يتعلق بخبر لا يمكن تقديره واكتماله إلا بتعلق له في ترجمة إحدى الوفيات، وهو «ضميان المغاني»، والثاني يتعلق بعلم لا تُعد ترجمته مكتملة في باهها مدركاً قيمتها - على الوجه المرجو - إلا بتتبع ما ورد بخصوصها في

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣١.

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٢٢.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٣٢٨ - ٣٣٠ - حيث ترجمته «لابن غراب» في الحوادث من حولية ثمان وثمانمائة للهجرة.

الحوادث ، وهو «برهان الدين ابن جماعة» ، حيث أن «ابن حجر» لم يكن يؤرخ للأحداث المتعلقة به بالبطة ، وإنما كان يتتبع جوانب حياته بالترجمة والبساط مهياً نفس المطالع لتقدير المعلومات الواردة في ترجمته في سنة الوفاة.

وأما بخصوص «ضمان المغاني» فلقد وردت معلومات عنه في مواضع ثلاثة هي : حوادث حولية «خمس وسبعين وسبعمائة» حيث قال: «... وفيها في صفر أبطل الملك الأشرف ضمان المغاني ومكس القراريط التي كانت في بيع الدور، وقريء بذلك مرسوم على المنابر، وكان ذلك بتحريك الشيخ سراج الدين البلقيني ، وإعانته أكمل الدين وبرهان الدين ابن جماعة ، ويقال: إن السلطان توعك فأشاروا عليه بذلك فاتفق أنه عوفي فأمضى ذلك واستمر»^(١). وفي حوادث حولية ثمان وسبعين وسبعمائة حيث ورد قوله: «... فيها ترضي السلطان ثم تعاف ثم انتكس... وفي أثناء ذلك كان ابن آقبغاً أص تكلم في إعادة ضمان المغاني ، فبلغ ذلك برهان الدين ابن جماعة فغضب وامتنع من الحكم فتكلم الشيخ سراج الدين البلقيني وغيره مع السلطان في ذلك فأنكره وأمر بإبطال ذلك من مصر والشام وقبض بعد مدة يسيرة على ابن آقبغاً أص ونفي إلى الشام وصودر. وكان ضمان المغاني من القبائح الشنيعة ، ما كان أحد يقدر يعمل عرساً حتى يغرم قدر عشرين إلى ثلاثين مثقال ذهب ، وكانوا بمصر والقاهرة لا تغيب مغنية عن بيتها - ولو إلى زيارة أهلها - إلا أنأخذ منها الضامن لها رشوة . وأما ببلاد الريف فكان للمغاني حارة مفردة يعمل فيها من الفساد جهراً ما يقبح ذكره ومن اجتاز بها غلطاً ألزم بأن يزني بخاطئه فإن لم يفعل فدى نفسه بشيء»^(٢).

المفهوم - إذن من هذين الموضعين - أن ضمان المغاني كان من الأشياء مستحبة الحدوث ، وأن الذي ساعد على إبطاله إعانته بعض العلماء للسلطان على إبطاله في ساعة ضعف وقرض يعافي السلطان فيها وينتكس .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٥٨ - ٥٩.

(٢) نفسه ج ١ ص ١٢٧.

لكن هذا المفهوم يعد ناقصاً - تماماً - بدون إضافة بعد جديد له لا يوجد إلا في تراجم الوفيات، حيث ورد في ترجمة «دنيا بنت الأقباغي» المغنية الدمشقية - ضمن وفيات حولية تسع وسبعين وسبعمائة - ما نصه: «... وهي كانت من أعظم الأسباب في إسقاط مكس المغاني، سالت السلطان في ذلك فأجاب إليه، ثم أراد ابن آقبغا أصـنـعـإـعادـتـهـ فـتـكـلـمـ الشـيـخـ ضـيـاءـ الدـينـ والـشـيـخـ سـراجـ الدـينـ الـبلـقـيـنيـ معـ الأـشـرـفـ وهوـ ضـعـيفـ فـأـنـكـرـ عـلـىـ ابنـ آـقـبـغاـ أـصـنـعـ ذـلـكـ واستـمـرـ إـبـطـالـهـ»^(١).

وهكذا لا يمكن اعتماد الحوادث وحدها في هذا الموضوع وأمثلته بدون الرجوع إلى التراجم لاستكماله وتتبع خيوطه وأبعاده.

أما بخصوص العلم المشار إليه وهو «برهان الدين، ابن جماعة» فإننا نجدنا مع «ابن حجر» وقد ترجم هذه الشخصية الفذة من خلال تدوينه للأحداث المتعلقة به - عن عمد وقصد إلى ذلك - وإنما لأنـتـ تلكـ الحـوـادـثـ مجردـ كـمـيـلاـتـهاـ فيـ مواـضـعـ كـثـيرـةـ منـ كـتاـبـهـ...ـ حيثـ نـطالـعـ فيـ أولـيـ حـوليـاتـ كـتابـهـ - سـنةـ ثـلـاثـ وـسـبـعـينـ وـسـبـعـمـائـةـ - وـحتـىـ سـنةـ تـسـعـينـ وـسـبـعـمـائـةـ حلـقاتـ منـ جـوانـبـ تـرـجمـتـهـ تـشـبهـ إلىـ حدـ كـبـيرـ حلـقاتـ مـسـلـسلـةـ فيـ حـبـكـةـ قـصـصـيـةـ تـبـرـزـهـ أـمـامـاـنـاـ فـارـسـاـذـ شـخـصـيـةـ تـارـيخـيـةـ مـتـفـرـدـةـ فيـ عـصـرـهـ؛ـ وـالـسـرـ فيـ تـفـرـدـهاـ هوـ إـتـيـانـهاـ بـماـ لـيـدـ مـأـلـوـفاـ فيـ عـصـرـهاـ وـإـنـ كـانـ مـأـلـوـفاـ أـنـ يـرـدـ مـنـهـاـ مـثـلـ ذـلـكـ.

وأشار «ابن حجر» في حولية ثلاثة وسبعين وسبعمائة إلى خبر هذا نصه: «... وفيها استقر القاضي برهان الدين ابن جماعة في قضاء الشافعية عوضاً عن أبي البقاء السبكي... واستمر المنصب شاغراً إلى أن وصل الخطيب برهان الدين ابن جماعة في خامس جمادى الآخرة»^(٢).

يمكـنـنـاـ أـنـ نـعـتـبـ هـذـاـ خـبـرـ مـفـيدـاـ فيـ مـوـضـعـهـ،ـ تـامـاـ لـمـقـصـدـهـ،ـ فـهـوـ مـاـيـشـاـ مـلـلـ

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٦٤.

(٢) نفسه ج ١ ص ١٣ - ١٢.

ما ورد في غيره من حالات الاستقرارات الوظيفية، وكان فيه كفاية لو أن «ابن حجر» كان يبتعي من إيراده الأخبار مجردة عن ذات القائمين بها، لكنه عمد إلى ما هو أبعد من ذلك . . إلى الترجمة لابن جماعة بسرد أخباره، ولذا نجده يذيل على هذا الخبر بقوله: «... وكان برهان الدين - حين عُزل أبو البقاء - بدمشق زائراً لأهله من ربيع الأول ورجع بعد خمسين يوماً بعد أن فوض له النائب نظر القدس والخليل فخالفه البريدي في الطريق، فأمره النائب بلحاقه إلى القدس فللحقه، فخطب في السادس عشر من جمادي الأولى خطبة بلغة تعرض فيها لتوديعهم فأبكاهم وتوجه على البريد، فلما اجتمع بالسلطان عرض عليه المنصب، فاشترط شروطاً كثيرة فالالتزام بهـا، ولبس الخلعة وركب في حشمة عظيمة وأبهة زائدة، فراح الناس إلى تهنته حتى القاضي المعزول فرحاً منه به لعلمه ببرياته وحسن سياسته»^(١).

ليس الهدف إذاً لدى «ابن حجر» مخصوصاً في إيراد خبر عن استقرار وظيفي من مئات الأخبار الواردة بخصوص ذلك في سائر جوانب الكتاب، ولكن منْ وراء ذلك بُعد آخر هو التعريف تباعاً بهذه الشخصية حتى تكتمل أعمالها فلا يكون بعدها إلا التعريف بأبرز مكوناتها، لقد ذيل على هذا الخبر الخاص بالإستقرار الوظيفي بأمور أبرزت الآتي:

- ١ - موضع الآتي وأصله، حيث وجوده في دمشق «زائراً لأهله».
- ٢ - وظائفه فيها قبل توليه قضاء الشافعية «الخطابة» بالإضافة إلى «نظر القدس والخليل».
- ٣ - شعبيته في موضعه، وفي الموضع المنقول إليه: «فخطب . . خطبة بلغة تعرض فيها لتوديعهم فأبكاهم»، «فراح الناس إلى تهنته».
- ٤ - عزمه وقوه إرادته وغلبة شخصيته «فلما اجتمع بالسلطان عرض عليه المنصب فاشترط شروطاً كثيرة فالالتزام بهـا».

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٣.

٥ - مكانته في نفوس الخاصة وال العامة «ولبس الخلعة وركب في حشمة عظيمة وأبهة زائدة» وفرح الناس به بالإضافة إلى خروج القاضي المعزول لتلقيه «فرحاً منه به».

٦ - بيان ما يتمتع به من سمعة علمية ، فخطبته «بلغة» ، كما أن له «رياسة وحسن سياسة» .

هكذا أوضح عن خبر وهو الإستقرار الوظيفي ، ثم قرنه بعلومات لا يأس بها عن هذه الشخصية في أول جوانب التعريف بها .

ونترك هذه الحولية وهذا الموضع لنجدنا مرة ثانية مع «ابن.جماعة» في حولية ست وسبعين وسبعمائة ، حيث يطالعنا «ابن حجر» عنه بخبر مفاده: «... وفي رابع عشرى ذى الحجة عزل القاضي برهان الدين ابن جماعة نفسه من القضاء بسبب تشقيل بعض الأمراء عليه في أمر بعض الموقعين فراسله السلطان فامتنع فأرسل إلى بهادر - أمير آخرور - فحلف عنده بالطلاق أن السلطان حلف بالطلاق أنه إن لم يجب إلى العود نزل إليه إلى بيته وألزمه به ، فلم ينزل به إلى أن ركب معه إلى القلعة فاجتمع بالسلطان فسألته أن يعود وألحّ عليه فكان آخر كلامه الإمهال إلى أن يستخير الله - تعالى - في ليلته ، فلما أصبح طلع إلى القلعة في الخامس والعشرين من ذى الحجة واشترط شروطاً أجابه السلطان إليها ونزل في أبهة عظيمة إلى الغاية وازدادت مهابته وتصميمه في الأمور»^(١).

في هذا الموضع - كذلك - لم يأت الخبر مجردأ ، وإنما ربط «ابن حجر» بينه وبين شخصية «ابن جماعة» بعد أن تتبعه في يومين متتاليين أوضح في الإخبار عنها بالآتي :

تصمييم «ابن جماعة» في الأمر ، فهو لا يقبل «تشقيل بعض الأمراء عليه في أمر بعض الموقعين» فاندفع يعزل نفسه والسلطان يراسله فيمتنع ويرسل إليه مغلظاً الأيمان في العود فلا يكون طلوعه إليه إلا بعد جهد جهيد «فلم ينزل به إلى أن

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٧٣

ركب معه إلى القلعة» والسلطان يسأل ملحاً في العود و«ابن جماعة» لا يكون منه إلا الإرجاء و«الإمهال إلى أن يستخير الله - تعالى في ليلته».. كل هذا لا ينزل من مكانته لدى الناس، حتى لو كان منهم السلطان «فلما أصبح طلع إلى القلعة... واشترط شروطاً أجابه السلطان إليها» وإنما يكون معه الإجلال والتعظيم حيث «نزل في أبهة عظيمة إلى الغاية» وكذا زيادة مكانته في نفوس الناس، وزيادة اعتداده بعمله «وازدادت مهابته وتصميمه في الأمور».

وكان «ابن حجر» قبلها قد أورد له دوراً في إبطال «ضممان المغاني» و«مكس القراريط»، فأظهر له ولرجال الدين دوراً في رفع المعاناة عن الناس وصوناً لهم من القبائح.

ثم نجدنا مع «ابن جماعة» في موضع آخر من الحوادث وقد ترسخت مكانته في الأذهان، حيث ورد بخصوصه في حوادث حولية تسعة وسبعين وسبعمائة ما نصه: «... وفي شعبان عزل القاضي برهان الدين ابن جماعة نفسه عن القضاء لوقوع هذه الفتنة، وكان قد انقطع عن حضور المواتك»^(١).

وهنا يتضح مدى اعتداده بنفسه وبوظيفته، ونجدنا للمرة الأولى مع «ابن حجر» وقد أورد خبراً عن «ابن جماعة» مجرداً، ولعل السر في ذلك مرده إلى ترسيره قبلها في الأذهان لطبيعة «ابن جماعة» وتصرفاته، مما جعله ليس في حاجة إلى تذليل أو تعليق في هذا الموضوع.

ولا يتركنا نبحث عن مصيره ولكن يشير بعد برهة إليه بقوله: «... وتوجه ابن جماعة إلى القدس على الخطابة والتدرис كعادته»^(٢). مع خط البلقيني عليه.

وفي حولية إحدى وثمانين وسبعمائة نجدنا مع «ابن جماعة» في خبر هو: «... وفيها توجه فخر الدين إياس في طلب برهان الدين ابن جماعة لشکوى

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٥٦.

(٢) نفسه.

الناس من سيرة ابن أبي البقاء، فوصل في أواخر صفر، فخرج للقاء وطلع بصحبته إلى برقوق... ثم طلب صبيحة قدومه إلى القلعة وخلع عليه ونزل في موكب حافل في ثلاثة عشر من الأمراء الكبار فارتजت له القاهرة بحيث كان أعظم من يوم المحمل، وبasher بحرمة ومهابة أعظم من المرة الأولى...^(١).

وفي هذا الموضوع - أيضاً - أفصح «ابن حجر» عن مكانة «ابن جماعة» لدى السلطة والناس في عصره، حيث أعادته السلطة إلى القضاء وقد عزل برغبته لا برغبتها، ثم تجمل معه في تكريمه تجملاً زائداً، حيث يحفيه الأمراء وقد خلع عليه، ويكون من الناس ما لا يعهد مع مثله حتى مع السلطان «بحيث كان أعظم من يوم المحمل» وكل هذا لا يثنى عن مباشرة عمله «بحرمـة ومهـابة أـعـظم» وفي ذلك إبراز لجوانب مهمة من حياته وسماته وعلاقاته بأحداث وشخصيات عصره. مضافة إلى الإخبار عن علاقاته بأقرانه.

ثم نجدنا مع «ابن جماعة» في موضع آخر في صراعه مع القاضي الخنفي، وفي غيره عن ترتيبات «ابن جماعة» مع نوابه... إلى أن نجد «ابن جماعة» وقد عزل نفسه من القضاء حرضاً على كرامته، وذلك في حولية أربع وثمانين وسبعمائة، حيث يشير إلى امتناع «ابن جماعة» من الحكم إثر خلاف مع برقوق الذي كان قد افتعل ذلك معه لأنه «كان يعرف قوة نفس برهان الدين ابن جماعة فخشى ألا يوافقه إذا رام أن يتسلط، ويعارضه فلا يتنظم أمره فعمل على عزله وتولية من لا يخالفه لكونه هو الذي أنشأ ولايته»^(٢)، ثم يشير بعد ذلك إلى استقراره في قضاء الشام بعد موت «أبي البقاء»، ودخول «ابن جماعة» دمشق قاضياً... حتى يصل بنا إلى أحداث حولية تسعين وسبعمائة لنجدنا أمام خبر هو:

«... وفيها استقر سري الدين الملاقي... في قضاء الشافعية عوضاً عن

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٩٠.

(٢) نفسه ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

برهان الدين ابن جماعة، وحمل إليه التقليد إلى دمشق في أواخر شعبان. «^(١)» هكذا-مجردًا.

وهنا نتساءل: أين ذهب «برهان الدين ابن جماعة»؟ ولم استقر غيره في منصبه؟ وهل توجه على عادته إلى الخطابة والتدريس بالقدس؟

لا يتركنا «ابن حجر» لكل هذه التساؤلات، وإنما يطالعنا في نفس الحولية وفي أولى ترجمات وفياتها بترجمة متممة لأنباء عنه مكملة لهذا الخبر^(٢). لقد مات «ابن جماعة» فلا أقل من التعريف بمكونات هذه الشخصية الفذة التي تعاطف معها وعبر بموافقتها مطالعه. ولذا فإن ترجمته له تحتوي على العناصر التالية:

- ١ - سلسلة نسبه.
- ٢ - المولد والوفاة تاریخاً.
- ٣ - مناهل علمه.
- ٤ - وظائفه، ومكانته العلمية.
- ٥ - شغفه بجمع الكتب ومصائرها بعد وفاته. وإن وردت أخبارها كذلك - في أخبار وترجمات غيره^(٣).
- ٦ - قرضه للشعر.
- ٧ - امتداح أهل عصره له.

وبمضاهاة عناصر هذه الترجمة، وما ترجم «لابن جماعة» في أحداث حوليات «الإنباء» يمكننا أن نستخلص الآتي:

١ - إدراك «ابن حجر» للعلاقة بين الترجم والحوادث مما جعله يحيطيء معلوماته ويوزعها على أحداث وترجمات الوفيات في حولياته، حيث وجدناه في حقيقة الأمر يترجم لابن جماعة حيث يورد أخباره.

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٥١.

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٥٥.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٢٩٩، ج ٣ ص ٣٥٦.

٢ - عمد بأسلوبه وطريقة عرضه لمعلوماته إلى شحن القاريء عاطفياً ليتجاوب مع هذه الشخصية حتى تساير مراحل كتاباته عنها كي يصل إلى غرضه من الحبكة التاريخية، ولذا وجدنا أنفسنا مع «ابن حجر» وقد أورد «ابن جماعة» باديء ذي بدء استقراراً وظيفياً بحكم عزل غيره، ووجدنا أنفسنا في آخر الحوليات المتعلقة «بابن جماعة» معه في استقرار وظيفي لغيره في موضع عمله، مجهول السبب لتكون الترجمة «ابن جماعة» في ذيل الحولية عينها بمثابة الخبر المتمم لسائر الحوادث. ويكون بذلك قد جعل إيراد الوفاة مترجمة في هذا الموضع خبراً متمماً ومكملاً لسائر الأخبار الدائرة حول هذه الشخصية، تماماً كما جعل مواضع الحوادث جوانب للصورة الكلية لشخصية المترجم له لا تكتمل إلا بترجمته ضمن الوفيات لافصاحها عن دوافع هذه الشخصية، والسبب في توجيهها هذه الوجهة وهو مع ذلك، وفي دقة متناهية لا يكرر نفسه، اللهم إلا في موضع توضيح وتقدير منه له: «... ثم خطب إلى قضاء الديار المصرية فوليه مرتين بصراة وشهامة وقوة نفس وكثرة بذل وعزل نفسه مراراً ثم يسأل ويُعاد حتى هم السلطان في بعض المرات أن ينزل إليه بنفسه ليترضاه»^(١).

و - علاقة السببية : حيث تظهر العلاقة بين الترجم وحوادث في هذا الجانب متمثلة في ذكر الأوبئة والطاعونين، أو الفتنة والحروب وما يعقبها من سرد لوفيات تكون مرتبة عليها، وتكون الحوادث متسببة فيها، وتكون الوفيات تبعاً لذلك توكيداً لمثل هذا النوع من الحوادث ، وتقريراً لها.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في حوادث حولية تسع عشرة وثمانمائة، حيث أشار إلى وباء الطاعون قائلاً: «... وابتدا الطاعون بالقاهرة فبلغ في نصف صفر كل يوم مائة نفس، ثم زاد في آخره إلى مائتين وكثير ذلك حتى كان يموت في الدار الواحدة أكثر من فيها، وكثير الوباء بالصعيد والوجه البحري حتى قيل إن أكثر أهل هو هلكوا (وكثير) في طرابلس حتى قيل إنه مات بها في عشرة أيام عشرة آلاف نفس... وكذلك وقع في القدس وصفد وغيرها»^(٢).

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٥.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٧٨.

ويتقرر مفهوم ذلك بما ورد في ذيل الحولية نفسها من إيراد سرد لترجمات الوفيات تتلاحم في خواتمها - غالباً - عبارات «مات مطعوناً»، «مات في الطاعون»، «مات بالطاعون». ومن هؤلاء الذين ماتوا بالطاعون: أصيل الدين الأشليمي، وابن الأديب الشافعي، وابن الجيتي، وابن يوسف الكردي الدمشقي، وأمين الدين الطرابلسي، وجلال الدين الخشبي المدني، وابن علوى الحسپاني، والعز ابن جماعة، والشمس ابن القطنان، والنجم الحنبلي، والكومريشي، وابن قلاف الدين الحلواي، وقطب الدين الأبرقوهي، وابن ساري الهواري، ويوسف المارديني^(١).

ولا يخفى ما هؤلاء من ذوات وشخصيات وملكات متنوعة، بالإضافة إلى تبادل أصقاعهم ومنهم من «اشتد أسف الناس عليه، ولم يختلف بعده مثله»، كما أن منهم من كان «مشكور السيرة نبيها في فنه».. مما يوضح فداحة الخسارة والخطب الجلل.

أما ما يتعلق بالوفيات التي تكون الفتنة والنكبات السياسية والخربية سبباً فيها، فمنها ما ورد بخصوص طروق «المغول» للشام وتغلبهم عليها، حيث ورد في حولية ثلاثة وثمانمائة ما نصه: «... فلما بلغ ذلك لتمرنك نازل حلب... والتقى الجمuan... وقت الهزيمة على العسكر الإسلامي... وهجم عسكر تمرنك البلد فأضيرموا فيها النار وأسروا النساء والصبيان، وبذلوا السيف في الرجال والأطفال حتى صار المسجد الجامع كالمحجزرة... ثم تعدى أصحابه إلى نهب القرى المجاورة والتقارب والإفساد فيها... واجتلت النواحي من كثرة القتل منه، وكادت الأرجل ألا تطا إلا على جثة إنسان، وبين من رؤوس القتلى عدة مآذن منها ثلاثة في رابية ابن خاجا، وهلك من الأطفال الذين أسرت أمها لهم، ومن الجموع أكثر من قتل»^(٢).

ثم نجدنا مع وفيات الحولية ذاتها وقد انعكست على ترجماتها هذه الأخبار،

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٠٥ - ١٢٤.

(٢) نفسه ج ٢ ص ١٣٤ - ١٣٦.

حيث أشار في ترجمته لابن علي التادلي - قاضي المالكية بدمشق - إلى أن موته كان «بعد أن حضر الوعنة مع اللنكية وجرح جراحات فحمل فمات قبل سفر السلطان من دمشق»^(١)، وفي ترجمة «إبراهيم بن مفلح» يشير إلى دوره في النكبة قائلاً: «... ولما طرق اللنك الشام كان من تأخر بدمشق فخرج إلى اللنك وسعى في الصلح وتشبه بابن تيمية مع غازان، ثم رجع إلى دمشق، وقرر مع أهلها أمر الصلح فلما يتم له أمر، وكثير ترداده إلى اللنك ليدفع عن المسلمين فلم يجب سؤاله وضياعه عند رجوعهم... ومات بعد الفتنة بأرض البقاع»^(٢). وهذه العبارة تضفي بُعداً تاريخياً على حدث ورد بخصوص دوره في الحوادث وهو: «... فأغلق أهل دمشق أبوابها، وركبوا أسوارها وتراموا مع اللنكية فقتل منهم جماعة، فأرسل تمرلنك يطلب من أهل البلد رجالاً عاقلاً يتكلم معه في أمر الصلح، فأرسلوا إليه القاضي (برهان الدين بن مفلح)، فرجع وأخبر أنه تلطّف معه في القول، وسألته في الصلح فأجابه، فأطاعه كثير من الناس، وأبى كثير منهم فأصبحوا... وقد غالب رأي من أراد الصلح... فكتب لهم أماناً قريء على المنبر يتضمن أنهم آمنون على أنفسهم وأهاليهم، وفتح الباب الصغير واستحفظ عليه بعض أمراء تمرلنك لئلا ينهب التتار البلد... فتزايّد البلاء على أهل البلد، وندموا حيث لا ينفع الندم»^(٣).

كما انعكست على مادة الوفيات - في هذه الحولية - جوانب متعددة من الأحداث اللنكية في الشام حيث أتت الوفيات مسيبة عن غزو التتار وتعذيبهم لذواتها، ثم أضافت بُعداً آخر لتلك الحوادث، فمن الناس من فر خوفاً من الوعنة، ومنهم من عوقب فمات تحت العقوبة أو إثرها وإن تعددت العقوبات، ومنهم من أُعيد للعقاب فنجاه الله ببعير ليعتقد ويختلي سبيله، ومنهم من أُسر فقتل غرقاً أو صبراً أو قتلاً، ومنهم من فك أسره وأطلق، ومنهم من ابتي في ماله

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٠.

(٢) نفسه ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥١.

(٣) نفسه ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٨.

وأهله وولده، ومنهم من تعامل مع العدو فحصل له سعود أو نحوه، ومنهم من كانت النكبة سبباً في غناه وتكثير ثروته^(١).

وخلالص القول أن «ابن حجر» قد جعل وشائج صلة بين «حوادث» و«ترجمات» كتابه، باعتبار أنه يتوكى التاريخ بالحدث والترجمة معاً، وساعدته على ذلك أمور لعل أهمها:

- ١ - أنه كان يكتب حولياته بعد انتضاء أمد بعيد من حدوثها، مما جعل الرؤية للأحداث كلها مكتملة تحت ناظريه، على العكس من هؤلاء الذين يكتبون الحوادث في ذات السنة من وقوعها مما جعلها تأتي متراصة في شكل يوميات.
- ٢ - مشاركته في هذه الأحداث واتصاله بها ويكثر من الشخصيات المشاركة فيها مما جعله يربط بينها وبين الحوادث.

٣ - حرصه على الشمول الموضعي للأحداث حولياته، حيث لم ترد أخباره في موضعها مجردة، وإنما أتت - في غالبيتها - مقرونة بعلاقتها ومسبباتها مما اضطره أن يورد جوانب عديدة من ترجم الأفراد والشخصيات فيها، فوجد نفسه في الكثير من الترجمات ليس بمكتنته الإتيان بجديد في إخباره عن وفياتهم، فلم يترجم لهم إلا إحالة إلى تلك الجوانب التي شابت أحداهم في مواضع الأحداث، أو فصل بين جانبيين من حياتهم، الجانب الأول متعلق بمشاركتهم في الحوادث محياً إلى تلك المواضع في ترجماتهم، والجانب الثاني متعلق بمكوناتهم الشخصية والمؤثرات الثقافية والبيئية وغيرها.

٤ - فضلاً عن أن «ابن حجر» ليس بمكتنته الفصل بين الترجم والحوادث باعتبار أن أصحابها هم الذين شاركوا في الحوادث تأثيراً وتأثيراً. فالعلاقة إذن طبيعية فيما بينهم.

(١) راجع بشأن ذلك وفيات حولية ثلاثة وثمانمائة.

الفصل الرابع

مصادر مادة «الإنباء»

أولاً - أنواع المصادر

١ - المشاهدة والمشاركة :

كان لأخذ «ابن حجر» عن عدد - لا بأس به - من العلماء والمحاذين والمشتغلين . . وغيرهم، وتوليه العديد من المناصب الهاامة في ظل الإدارة المملوکية، وب مجالسته للسلاطين والخلفاء والرؤساء ومن دونهم من رجالات الدولة والشخصيات المرموقة في عصره - خاصة فيما بعد سنة اثنتين وثمانمائة للهجرة^(١) - أثره في مادة الكتاب، حيث أتيحت له فرصة جمع مادة واسعة النطاق، محتوية على جملة لا يستهان بها من النصوص الجيدة التي وصلت إلينا ممزوجة بذاتية موردها، على اعتبار أن عنصر المشاهدة وابراز الذات من خلاها واضح فيها، بين للعيان، ولعل هذا كان مدركاً لدى كاتبها، مرتبط - لديه كذلك - بنهج دقيق في إيراد الموارد، واضح القسمات بين الجوانب والأغراض، وإنما امتد إلى تصدير تلك النصوص بالفاظ دالة على المعاصرة ومداها^(٢) ملحقة على الرابط

(١) أشار «ابن حجر» في ترجمته «للشمس الإنخائي السعدي» ج ٣ ص ٣٢ - ٣٣ تر ٣١ إلى أنه حتى سنة اثنتين وثمانمائة لم يكن يدمن الإجتماع بأحد من الرؤساء.

(٢) إعنى «ابن حجر» في الغالب الأعم ببيان المعاصرة ومداها معتمداً في ذلك على عبارات منها:

«رافقي كثيراً، «لazمت شيخنا عشر سنين»، «لazمته من سنة ستين إلى أن مات، «زورته وأنا صغير»، «لazمته طويلاً»، «رأيته بزبيد في الرحلة الأولى»، «إجتمعت به مراراً»، «لقيته وسمعت =

بينها وبين ذاتية موردها^(١) كنحو قوله في الكثير من ترجم السوفيات : «رأيته» ، «شاهدته» «لقيته» ، «اجتمعت به» ، «اجتمع بي» ، «رافقني» ، «لازمني» ، «صحيحته» ، «على ما أخبرني به»^(٢) ، «حدثنا»^(٣) ، «سمعت منه»^(٤) ، «اجتمعت به وصليت خلفه مراراً»^(٥) ، «... وقد ذرته وأنا صغير وسمعت كلامه ودعالي»^(٦) ، «... وكنت أظن أنه لا يفهم الاتحاد حتى اجتمعت به فرأيته يفهمه ويقرره ويذاع إلينه»^(٧) ، «... وحضرت جنازته والصلوة عليه في نحو سبعة أنفس لا غير»^(٨) ، «... سمعت منه وكتب لي تقريراً حسناً على بعض تخاريبي»^(٩) ، «... وحضر معنا المجلس العقود للهروي»^(١٠) ، «... رأيته يجعل الكتاب في كمه ويقرأ ما فيه من غير أن يكون شاهده»^(١١) ، «... ثم جهز معه المحمل في سنة ثمانائة فرافقته وسلمنا من العطش»^(١٢) ، «... وقد طارحني غياث الدين بمقاطيع عديدة وألغاز وترفقنا في السفر»^(١٣) ، «... وكانت بيننا مودة أكيدة اتصلت نحوها من ثلاثين سنة وبيننا مطارحات وألغاز، وسمعت من لفظه أكثر منظومه ومتشوره»^(١٤) ، «... ذكر

= منه قليلاً» ، «إجتمعت به مرة» .. ما يشير إلى كون علاقاته بهم كانت أكيدة أو عابرة كما أنه قد نص في بعضها على موضع اللقاء ومكانه «بزيyd» أو «بدمشق» أو «بالاسكندرية» أو «في بيت أحدهم» أو في «داره» ..

(١) يلاحظ ذلك إبتداء بوفيات حولية ثمان وبسبعينية للهجرة.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٥١ تر ١٨ .

(٣) نفسه ج ٣ ص ٤٥ تر ١٠ .

(٤) نفسه ج ٢ ص ٥٠٠ تر ٢٤ .

(٥) نفسه ج ١ ص ٤٦٣ تر ٢٦ ، ٣٥٧ / تر ٣٠ .

(٦) نفسه ج ٢ ص ٢١٥ تر ٢٢ .

(٧) نفسه ج ٢ ص ٢٨٢ تر ٧ .

(٨) نفسه ج ٢ ص ٣٣٣ تر ٧ .

(٩) نفسه ج ٣ ص ١١٦ تر ٣٢ .

(١٠) نفسه .

(١١) نفسه ج ٢ ص ١٦٠ تر ٣١ .

(١٢) نفسه ج ٣ ص ١٢٦ تر ٥٧ .

(١٣) نفسه ج ٣ ص ١٨٦ تر ٢٤ .

(١٤) نفسه ج ٣ ص ٢٠٨ تر ١١ .

لي قبل أن يتسلط في ليلة المولد النبوى في ربيع الأول من هذه السنة (سنة ٨٢٤هـ). أنه كان في آخر الدولة المؤيدية في الليلة التي مات في صبحها المؤيد قد ضاقت يده... وأمرني أن أكتب هذه الواقعة في التاريخ فإنها أرجوحة»^(١).

وأشبه ذلك مما هو كثير الذيوع في مؤلف «الإنباء».

٢ - المشافهة :

وطبيعي أن ترد لدى «ابن حجر» منقولات عن طريق المشافهة منسوبة إلى بعض السلاطين والملوك، وأرباب الدولة في مصر والشام، وكذا عن شيوخه ورفقته وصحبه، على اعتبار أن بيته وبينهم تعااماً، وأن المشتغل بالتاريخ لا يغطي إطلاعه على المصادر المكتوبة وإن كثرت من تحيص الخبر بالتقاط كل ما من شأنه توضيح مبهم، أو إكمال عنصر سكتت عنه هذه المصادر، أو حتى توكيد مادة كتاباته بمقابلتها بمصادر أصلية تحملها إليه المشافهة من صاحب الترجمة عينه أو شاهد عيان لواقعية حضرها و«ابن حجر» عنها غائب، أو اتصال المشاهد بالخبر أو المترجم له، على اعتبار أنه معاصر له محتك به، مشارك في الحدث، أو لكونه من قرابة المتوفى المترجم له ضمن وفيات حولياته، فضلاً عن أن طبيعة «ابن حجر» الحافظ الذي لا يضاري في سعة الحفظ وشموليته وثباته قد اقتضت منه الاعتماد بصورة موسعة على المشافهة كمصدر لمادة كتابه - أحدها وترجماته - لأن العالم بفهم عصره لا يكون عالماً كبيراً ما لم يكن حافظاً، ومادة الحفظ - غالباً - ما تكون المشافهة ولذا فإن «ابن حجر» لم يكتف بما تتوفر لديه من مشاركة في الحوادث - على نحو ما مر - ومن مادة مكتوبة، وإنما عمد إلى الروايات الشفهية التي شاعت في كتابه، بل لقد كان منها ما هو منسوب إلى بعض أصحاب التوارييخ المكتوبة كابن الفرات^(٢) وابن خلدون^(٣) والصلاح

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٨ تر ٧.

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٩٠.

(٣) نفسه ج ١ ص ٤٩٢، ٣/٣١٩.

الأفهسي^(١) وابن خطيب الناصرية^(٢) وتقي الدين المقرizi^(٣) والبدر العيني^(٤) .. وغيرهم. ولو أنه استعفى نفسه من هذه القاعدة لكان له في كتاباتهم غنية عن المشافهة.

ولذا نجده يورد مادة موسعة عن شخص المترجم له على لسانه حتى ولو كان سلطاناً كالمؤيد شيخ المحمودي^(٥) والظاهر ططر^(٦) ومن دونه من أعيان عصره أو عن أرباب الدولة في عصره كأبي بكر بن نقيب الأشراف، وكان يباشر كتابة السر^(٧) ونقيب الأشراف بطرابلس بدر الدين بن جمال الدين البلدي^(٨) ومسعود الكبجاتي^(٩) وكريم الدين بن عبد العزيز ناظر الجيش^(١٠) وعلاء الدين بن أبي الشوارب الشاد بماردين^(١١) وكاتب السر كمال الدين^(١٢) وموقع الحكم بحماه شرف الدين بن المغيزيل^(١٣) والصاحب بدر الدين بن نصر الله^(١٤) والقاضيين ناصر الدين البارزي^(١٥) وشمس الدين البساطي^(١٦) والمحتسب دولت خجا^(١٧)

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٨٨ .

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢١٠ ، ٢٩١ .

(٣) نفسه ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٧٠ .

(٥) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٦ .

(٦) نفسه ج ٣ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٧) نفسه ج ٣ ص ٤٣٩ .

(٨) نفسه ج ٢ ص ٩٤ .

(٩) نفسه ج ٢ ص ٢٤٤ .

(١٠) نفسه ج ١ ص ٤٨ .

(١١) نفسه ج ٣ ص ٢٩٨ .

(١٢) نفسه ج ٣ ص ٤١١ .

(١٣) نفسه ج ١ ص ٥٥ .

(١٤) نفسه ج ٢ ص ٤٧٧ .

(١٥) نفسه ج ٣ ص ٢٥٤ .

(١٦) نفسه ج ٣ ص ٤٧١ .

(١٧) نفسه ج ٩ ص ١٠ .

أو عن شيوخه فيما نقلوه عن سواهم، وما عرفوه عنهم كالزین العراقي^(١) وابن القطان^(٢) والسراج البلقيني^(٣) والعز ابن جماعة^(٤) وقاسم بن علي المالقی^(٥) وأبی عبدالله محمد بن أبی بکر^(٦) .. وغيرهم أو عن رفاقه وصحبه على اختلاف تخصصاتهم مثل: «البدر البشتكی»^(٧) و«ابن الفرکاح»^(٨) و«شمس الدين الفيومي الكتبی»^(٩)، و«الجمل المصری»^(١٠)، و«تاج الدين ابن الظريف»^(١١)، و«عيسى بن حجاج»^(١٢)، و«نور الدين الرشیدی»^(١٣)، و«برهان الدين ابن رفاعة»^(١٤)، و«ابن زقاعة»^(١٥)، و«جمال الدين ابن العراقي»^(١٦)، و«عز الدين السنباطي»^(١٧)، و«ابن النبیه»^(١٨)، و«شرف الدين التباني»^(١٩)، و«ابن الفصیح»^(٢٠)، و«صلاح الدين بن نصر الله»^(٢١)، و«عبد الرحمن

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٤٩.

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٨.

(٣) نفسه ج ١ ص ١٣٥.

(٤) نفسه ج ١ ص ٢٤٢.

(٥) نفسه ج ١ ص ٢٤٩.

(٦) نفسه ج ٩ ص ٢٣٩.

(٧) نفسه ج ١ ص ٥٠.

(٨) نفسه ج ١ ص ٦٥.

(٩) نفسه ج ١ ص ٣٥٥.

(١٠) نفسه ج ١ ص ٤٠٨.

(١١) نفسه ج ٢ ص ١١٧.

(١٢) نفسه ج ١ ص ٤٩٨.

(١٣) نفسه ج ٢ ص ٢٧٧.

(١٤) نفسه ج ١ ص ٢٣٠.

(١٥) نفسه ج ٣ ص ٤٣.

(١٦) نفسه ج ٢ ص ٧٠٩.

(١٧) نفسه ج ٣ ص ١٠٦.

(١٨) نفسه ج ٣ ص ١٤٦.

(١٩) نفسه ج ٣ ص ٣٠٠.

(٢٠) نفسه ج ١ ص ٢٦٥.

(٢١) نفسه ج ٣ ص ٤١٠.

البريزبي»^(١) ، و«شمس الدين الأسيوطى»^(٢) ، و«نور الدين الأنباري»^(٣) ، و«نجم الدين البالسى»^(٤) ، و«أحمد القصين»^(٥) ، و«البقاعي»^(٦) ، و«عبد الرحمن البشتكى»^(٧) ، و«البكرى»^(٨) ، و«ظهير الدين الطرابلسى»^(٩) .. ومنهم الكاتب، والشاعر، والأديب، والمحدث، والمحفى .. ، كما أن منهم المصرى، والشامى، والبريزبي، والعراقي مما يلقي الضوء على أهمية مثل هذا المصدر في كتابات «ابن حجر» التأريخية.

كما أنه عمد في ترجمة وفيات حولياته إلى قربة المتوفى^(١٠) المترجم له لالتقاط ما يتعلق بعناصر ترجمته سواء كان الملتقط عنه ذلك ابنه^(١١) أو أخيه^(١٢) أو ابن أخيه^(١٣) أو يباشر وظيفة عنده^(١٤) أو من مصادر جلبه - خاصة إذا كان ملوكاً - كما فعل في ترجمته «للظاهر برقوق»^(١٥).

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٠٩.

(٢) نفسه ج ١ ص ٢٠٣.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٥٢٤.

(٤) نفسه ج ١ ص ٥٠.

(٥) نفسه ج ١ ص ٤٥ ..

(٦) نفسه ج ٣ ص ٥٠١.

(٧) نفسه ج ٨ ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٨) نفسه ج ١ ص ٥٣٦.

(٩) نفسه ج ٩ ص ٧٧.

(١٠) نفسه ج ٢ ص ٧٧.

(١١) نفسه ج ١ ص ٢٤٠ . ٩/١٥.

(١٢) نفسه ج ٣ ص ٤٨٦ ..

(١٣) نفسه ج ٣ ص ٣٣٦.

(١٤) نفسه ج ١ ص ٢٦٥ نقلأً عن «ابن الفصيح» وكان نقىباً عند المترجم له في هذا الموضع، وج ٣ ص ٤٢٧ نقلأً عن خادمه «فائز الطواشى الحبشي» وكان المترجم له في هذا الموضع هو بالحاج له، وج ٣ ص ٤٨٩ نقلأً عن صحبه ومريديه.

(١٥) نفسه ج ٢ ص ٦٦ نقلأً عن «الخواجا عثمان» الذي أحضره من بلاد الجركس.

٣ - المسائلة والمكاتبة :

وتكون بسؤال «ابن حجر» عن مسألة ما بصورة شخصية استناداً إلى معرفة المسئول - فيها يظن - بموضوع المسائلة، ومن أمثلة ذلك: قوله: «... وسألت أخاه شمس الدين - أحد من ينوب بدミニاط في الحكم عن النائب بها - عن مولده فذكر أنه ولد سنة ٤٣٤، وأنه أسن من القاضي زين الدين بعشرين سنة»^(١).

ويلاحظ أن «ابن حجر» كان دائم السؤال للكثيرين من ترجم لهم ضمن وفيات حولياته فيها يتعلق بموالدهم، ونسبهم، وثقافتهم^(٢).

وقد تكون المسائلة عن طريق المكاتبة، حيث كانت الإتصالات جارية بين العلماء سبباً المعنين منهم بالتاريخ والتراث فيما يختص بإرسال المعلومات من بلد آخر بغية الوقوف على الحوادث ومتابعة أخبار العلماء أول بأول^(٣)، ولقد استفاد «ابن حجر» من ذلك كثيراً وأفاد^(٤) ومن الأمثلة المعتبرة عن ذلك قوله في صدر كتابه معدداً مصادره: «... . وغالب ما أودعته فيه ما شاهدته أو تلقيتها من أرجع إليه^(٥) وقوله في ترجمته للسلطان «أويس» ضمن وفيات حولية ست وسبعين وسبعمائة: «... . كتب إلى المؤرخ حسن بن إبراهيم المشيء الحصني...»^(٦) وقوله في ترجمة «أبي عبدالله بن القماح التونسي» ضمن وفيات

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٨٦.

(٢) نفسه ج ١ ص ١٤١.

(٣) بشار عواد معروف، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام ص ٣٨٨، المنذري وكتابه التكميلة لوفيات النقلة ص ٢٧٩ وما بعدها.

(٤) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية، حيث يشير إلى مراسلة «ابن حجر» له بالوفيات ضمن ترجمة «العز ابن جماعة» ق ١٩٣ أ، و«ابن القطان» ق ١٩٥ أ، و«البرهان البيجوري» ق ١٩٨ أ، و«ناصر الدين الجهني» ق ٢٠٨ أ.

(٥) ابن حجر، إنباء الغمرج ١ ص ٤.

(٦) نفسه ج ١ ص ١٨٣.

حولية سبع وثلاثين وثمانمائة: «... وكتب إلى بوفاته الشيخ عبد الرحمن البشتكى من تونس قال: ...»^(١).

٤ - الإجازات والسماعات:

كان لحصول «ابن حجر» على عدد وفير من الإجازات العلمية أثره في حوليات كتابه، لاحتوائها على مادة كتبت بخط المجيز تتضمن - عادة - معلومات دقيقة عن اسمه ونسبه، وموالده، وشيوخه.. استفاد «ابن حجر» منها كثيراً في تراجم حولياته كما استفاد - كذلك - من الإجازات القدمة التي كتبت لغيره، ومن الأمثلة على ذلك قوله: «... ولد سنة ثمانين على ما كتب بخطه»^(٢)، وقوله: «... كذا وجدته بخطه»^(٣).

كما أنه في بحثه عن تقويم رجال عصره - المترجم لهم لديه - وفي عمله على جرهم وتعديلهم قد بحث واطلع على سمعاهم وأسانيدهم فانعكس ذلك - أيضاً على مادة كتابه، حيث اتخذ من تلك السمعات والأسانيد مصدراً له، ومن الأمثلة على ذلك قوله: «... رأيت بخط المجد (الفيروز أبادي) في طبقة سمع عليه...»^(٤).

٥ - الوثائق والخطوط:

كما أفاد ابن حجر توليه العديد من المناصب الهامة في عصره واتصاله بالشخصيات المرموقة - آنذاك - في اطلاعه على العديد من الوثائق - التي ضاعت أصوتها - أو التي استكتبها من أصحابها أنفسهم مضمناً كل ذلك كتابه «الإنباء» نصاً أو تلخيصاً، ومن أمثلة ذلك قوله: «... ما طرق سمعي أحسن من قوله في الرسالة التي كتبها لل بشتكى لما صاد السمكة وهي رسالة طويلة جاء

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٣١.

(٢) نفسه ج ١ ص ١٤٣.

(٣) نفسه ج ١ ص ٢٢٨.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٢٨٦.

فيها . . .^(١)، قوله في ترجمته للشيخ «برهان الدين الشامي» - ضمن وفيات حولية ثمانمائة: «. . . سمع منه شيخنا الحافظ الذهبي - وكان شيخنا أخبرني بذلك، فكنت أتعجب منه حتى رأيت الطبقة، ثم وجدته حدث عنه في ترجمة أبي العباس المرداوي في سير النبلاء . . . ثم رأيت الجزري نقلها في معجمه عن شيخنا»^(٢).

٦ - جامع الشيوخ والطلبة :

عادة ما كان يجمع الشيوخ والصحاب ما يستفيدونه في مجالس الإملاء أو ما يتتخذونه من التصانيف التي يطلعون عليها^(٣) ويدونون ما يلحوظونه من حوادث مجتمعهم أو يفيدون عن وفيات عصرهم^(٤) في كراسات لم يصلنا معظمها بعد، وإن وصلتنا نقول بعض المؤرخين عنها، ومنهم «ابن حجر» الذي اتخذ منها مصدراً لحولياته ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله: «. . . وذكرت بما قال ابن الصايغ ما قرأت بخط الفارقي التارج الزبيدي . . .»^(٥)، قوله: «. . . قال الشيخ بدر الدين الكلستاني في حقه ومن خطه نقلت. . .»^(٦)، قوله: «. . . قرأت في مجموع لطيف بخط بعض رفاقنا . . .»^(٧).

والملاحظ أنه لم يطلق عليها اسم كتاب، ولكنها وردت قرين اسم:

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٤٤٤.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٧٨ تر ٦٢.

(٣) من النماذج الباقية للدلالة على ذلك مجموع «ابن خطيب الناصري» خط. الحالدين بالقدس - رقم ٣١ تراجم، ويحتوي على نقول وفوائد له انتزعت أو التقطت من كتب شتى منها: «المورد العذب»، و«شرح الأحكام للعرافي»، و«تاريخ ابن العديم»، و«تاريخ مصر لابن عبد النور الخلبي»، و«ذيل العراقي على الذهبي»، و«ذيل ولده عليه»، و«درة الأسلام لابن حبيب»، و«الوافي بالوفيات للصفدي»، و«تاريخ ابن خلدون».

(٤) ابن حجر. إحياء الغمرج ١ ص ٩٩.

(٥) نفسه ج ١ ص ٩٦.

(٦) نفسه ج ١ ص ٣٨٣.

(٧) نفسه ج ٢ ق ٢٥٦ ب.

«مجموع» أو «خط» مما يشير إلى أنها ليست مؤلفات مستقلة ذات عنوانات خاصة، وإن كان قد أطلق على بعض الكتاب المنقول عنها لديه لفظة «خط» للدلالة على أنها بخطوط مؤلفيها توثيقاً لها.

٧- المؤلفات السابقة :

تعد المؤلفات السابقة البنية الأساسية لكتابه، والمورد الرئيس لمادته - خاصة في الفترة المبكرة منه الممتدة بين سنتي ثلث وسبعين وسبعمائة، وحتى سنة اثنين وثمانمائة للهجرة^(١) بالإضافة إلى كونها من الموارد المهمة للحواليات، اللاحقة لاعتمادها في تدوين الكثير من أحداث حولياته وعناصر ترجماتها. فلقد كتب من بعضها «ما ليس عنده» آ^(٢) وما وجده بخط من يثق به من مشايخه ورفقته^(٣) مما لم يحضره^(٤) أو للمقارنة بين أحداث عصره وما يقابلها من أحداث فائتة ولذا نجده قد استوعب الكثير منها أو شاع نقله عنها في مؤلفه.

على أن قائمة الموارد التي صدر بها كتابه^(٥) لا تعطينا صورة حقيقة لموارد الكتاب المكتوبة، وإن مثلت أهم تلك الموارد كما وكيفاً. ولذا فإنه لا يمكن حصر هذه المصادر - ولو بصورة تقريرية - إلا من خلال جرد مادة الكتاب: أحداثه وترجماته ومقابلتها بالمسار المشابه لتمثل في:

- ابن خلكان (ت ٦٧١ هـ. / ١٢٨٢ م.)^(٦) في كتابه «وفيات الأعيان».

- المؤيد صاحب حماه (ت ٧٣٢ هـ. / ١٣٣٩ م.)^(٧).

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٣، حيث أشار إلى أنه حتى هذه السنة لم يكن يدمن الإجتماع بأحد من الرؤساء.

(٢) نفسه ج ١ ص ٥.

(٣) نفسه ج ١ ص ٤.

(٤) نفسه ج ١ ص ٥.

(٥) نفسه ج ١ ص ٤ - ٥.

(٦) لم ينقل «ابن حجر» عنه إلا في موضع واحد من الإناء - ج ١ ص ٢٣٧ - ويقابل له لدى مصدره ط. بيروت ج ١ ص ٣٤.

(٧) نقل عنه ابن حجر في الإناء في موضع واحد - من كتابه المختصر في أخبار البشر (مط.). - ج ٣ ص ٤٥٧.

- العُم البرزالي (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ مـ).^(١)
 - شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ مـ).^(٢)
 - التقى ابن رافع (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ مـ).^(٣)
-

(١) هو «القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يداس البرزالي». جمع شيوخه في معجم حافل بلغ بضعاً وعشرين مجلدة عن أكثر من ثلاثة آلاف شيخ، امتدحه الذهبي قائلاً:

إن رمت تفتيش الخزائن كلها
ونعمت أشياء في الوجود وما روا
وطهور أجزاء بدت وعواي
طالع أو اسمع معجم البرزالي
(من الكامل)

كما امتدحه ابن حبيب بقوله:
يا طالبا نعت الشيوخ وما رروا
دار الحديث انزل تجد ما تبتغي
ورأوا على التفصيل والإجمال
لك بارزاً في معجم البرزالي
(من الكامل)

وهذا المؤلف ينقل عنه ابن حجر في ثلاثة مواضع من الإنباء هي ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ج ٣ ص ٣٩٨.

(٢) هو المحافظ «شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي». ترك في التاريخ عدة مؤلفات منها «المعجم المختص الذي ينقل عنه ابن حجر في الإنباء ج ١ ، صفحات: ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ٢٤٤ ، ٢٩٧ ، ٤٠٩ ، وأبان الذهبي في آخر كتابه تذكرة الحفاظ عن محتواه قائلاً، ... وقد ألفت معجماً لي يختص بن طلب هذا الشأن - أي علم الحديث النبوى - من شيوخي ورفاقى فاستوعبت من له أدنى عمل، وبينت أحواهم» - ج ٤ ص ١٥٠٠ ، وذكره ابن حجر في الدرر الكامنة قائلاً: «... وخرج لنفسه المعجم الكبير والصغير والمختص بالمحديثين، فذكر فيه غالب الطلبة من أهل عصره وعاش الكثير منهم بعده إلى نحو أربعين سنة، وخرج لغيره من شيوخه ومن أقرانه ومن تلامذته» ج ٣ ص ٤٣٧ - كما نقل عن مؤلف آخر له هو «المعجم الكبير» وهو مازال مخطوط. (مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم: ٤٦٢).

(٣) هو «محمد بن رافع بن أبي هجرس بن محمد بن شافع بن محمد بن نعمة بن قديان بن منير بن كعب السلامي ، تقى الدين أبو المعالي بن رافع الصمدي الحوراني الأصل المصري المولد والمنتسب ، نزيل دمشق».

ترك مؤلفات عديدة في التاريخ منها معجمه في أربع مجلدات ، أشار كل من الحسيني وابن قاضي =

- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ. / ١٣٧٣ مـ.) في البداية والنهاية.
 - ابن الخطيب السلماني (ت ٧٧٦ هـ. / ١٣٧٤ مـ.)^(١).
 - الحسن بن حبيب (ت ٧٧٩ هـ. / ١٣٧٧ مـ.) وولده^(٢).
 - محب الدين الحنفي (ت ٨١٥ هـ. / ١٤١٢ مـ.)^(٣).
 - ابن الفرات الحنفي (ت ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٥ مـ.)^(٤).
-

= شهبة وابن حجر إلى أنه «في غاية الإتقان والضبط مشحون بالفوائد، ويشتمل على أزيد من ألف شيخ»، وذيلًا على تاريخ بغداد لابن الدبيسي في ثلاث مجلدات أو أربع، كما جمع كتاباً في الوفيات ذيل به على تاريخ البرزالي من سنة ٧٧٣ هـ. - وأشار ابن حجر إلى أنه كثير الفائدة.

ويبدو أن مؤلفاته التاريخية قد ضاعت كلها باستثناء هذا الذيل حيث يشير ابن قاضي شهبة وابن العماد الحنفي إلى ذلك قائلين: «... وصنف ذيلًا على تاريخ بغداد لابن النجاش (في) أربع مجلدات، وقد عدم هو والمجمجم في الفتن»، كما يشير د. بشار عواد إلى ذلك قائلًا: «... ولا يعرف لهذا الذيل وجوداليوم سوى عدد من الترجمات انتخبها التقى الفاسي مثل ٢٠١ ترجمة نشرها عباس العزاوي»، وأما ذيله على البرزالي فموصوف في فهرست الكتبخانة.
وراجع: الوفيات. ت. صالح مهدي عباس. بيروت، الرسالة، ط ١، ١٩٨٢.

ويبدو أن ابن حجر كان دائم النقل في الإنماء عن معجمه.

(١) هو «محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني اللوسي، أبو عبدالله، لسان الدين، ابن الخطيب».

وينقل ابن حجر عنه في الإنماء من كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة» أئمته ترجمته لابن خلدون في الإنماء - راجع الإسناد إلى المصادر من هذا الفصل.

(٢) هو «الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن عمر بن شريح بن عمر الدمشقي الأصل الحلبي، أبو محمد بدر الدين».

له مؤلفات متعددة في التاريخ، اعتمد ابن حجر منها في الإنماء - «درة الأسلام في دولة الأترارك» - مط. وذيل ولده طاهر عليه - مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٠١١.

(٣) هو «محمد بن المحب عبدالله بن أحمد بن المحب عبدالله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، ثم الصالحي الحنفي».

نقل عنه ابن حجر في مواضع متفرقة من الحوليات المتقدمة من الإنماء غير محمد للكتاب المنقول عنه أو موضع النقل بالنسبة إليه، ومؤلفاته ما تزال مفقودة حتى الآن.

(٤) هو «محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الحنفي، ناصر الدين، المعروف بابن الفرات المصري».

=

- ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)^(١).
- ابن دقمان (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م)^(٢).
- التقى الزبيري (ت ٨١٣ هـ / ١٤٠٦ م)^(٣).
- محب الدين ابن الشحنة (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م)^(٤).

= أشار ابن حجر في غير موضع من مؤلفاته التاريخية إلى أن ابن الفرات كان لهجاً بالتاريخ فكتب تاريخاً كبيراً جداً يضم بعض بعضه فأكمل منه المائة الشامنة ثم السابعة ثم السادسة. ثم شرع في الخامسة، وفرغ من تبییض المائة الرابعة فأدركه الوفاة. وإلى أنه - أي ابن حجر - «قد انتفع بما تضمنت المجلدات المبیضة في الإطلاع على كثير من الوقائع والتراث، وإن كان في عبارته قصور».

كما أشار في مقدمة كتابه «الإنباء» إلى اعتماده عليه في حولياته.

وهو تاريخ موسع اعتمد ابن الفرات فيه على من سبقه من المؤرخين - خاصة ابن دقمان - وعني فيه بتسجيل الكثير من نصوص الوثائق التي اطلع عليها بالإضافة إلى المکاتبات وما التقطه من الروايات الشفهية أو شاهده من مجريات الدولة مما اکسبه تفوقاً كبيراً جعله معتمد المقرizi وابن قاضي شهبة والبدر العیني في مؤلفاتهم التاريخية المعاصرة. حيث شاع النقل عنه لدیهم ولدی ابن حجر نصاً أو تلخيصاً.

(١) نقل ابن حجر عن كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأکبر» المعروف بتاريخ ابن خلدون في موضع واحد من الإنباء ج ١ ص ١٩٣ - أثناء الترجمة للسان الدين ابن الخطيب ، كما نقل عنه مشافهة في موضع آخر - ج ١ ص ٤٩٢ من الإنباء .

(٢) هو «إبراهيم بن محمد بن أیدمر بن دقمان، صارم الدين القاهري الحنفي».

له مؤلفات كثيرة في التاريخ اعتمد ابن حجر في النقل والتاريخ منها للكثير من حوليات المتقدمة من الإنباء كتابه «نزهة الأنام في تاريخ الإسلام»، وما تزال الأجزاء المعاصرة - المتقول عنها لدیه - مجھولة المكان .

(٣) هو «عبد الرحمن بن محمد بن عبد الناصر بن هبة الله بن عبد الرحمن التقى أبو محمد القرشي الزبيري المحلي ثم القاهري الشافعي، المعروف بابن تاج الرياسة».

أشار ابن حجر إلى أنه «عمل تاريخاً حسناً» وهو الذي ينقل عنه في كثير من حوليات الإنباء، بيد أنه ما زال مفقوداً.

(٤) هو «محمد بن محمد بن محمود بن غازی بن أيوب التركي الحسّانی الأصل الخلبي الحنفي، محب الدين أبو الوليد».

- ابن حجي الحسبياني (ت ٦٨١٣ هـ / ١٤١٣ م.)^(١).
- الشريفي الأقهسي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م.)^(٢).

= له مؤلفات في التاريخ منها: تاريخ اختصر فيه تاريخ أبي الفداء، المؤيد صاحب حماد، مع التذليل عليه إلى زمانه على طريق الاختصار، أسماء «روض المناظر في علم الأوائل والأواخر» - أشار في مقدمته إلى أنه جعل له «كالباب مفتاحاً ومصراً عين وحاجة، أما المفتاح ففي بدء خلق الدنيا وأما المصراً الأول ففي مدة ما بين هبوط آدم - عليه السلام - إلى الهجرة والثانية إلى آخر مدة يقدرها الله، والخاجة تشتمل على ما هو كالعيان مما يكون في آخر الزمان».
ويلاحظ انتهاء المصراع الثاني بسنة ٨٠٦ هـ.

وتوجد لهذا الكتاب نسخة خطية محفوظة بمكتبة سراي أحد الثالث برتكيا رقم: ٢٩٠٢
كتبت سنة ٨٧٥ هـ، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٧٠ تاريخ.

وهذا الكتاب نقل ابن حجر عنه في مواضع يسيرة من الإنباء - راجع الإسناد إلى المصادر من هذا البحث.

(١) هو «أحمد بن حجي - بكسر المهملة والجيم الثقلية - بن موسى بن أحمد بن سعيد بن عشم ابن عزوان بن علي بن سرور بن مشرف بن تركي الحسبياني شهاب الدين».

وأشار ابن حجر وتلميذه السخاوي إلى أنه «جمع فوائد في علوم متعددة في كراسات كثيرة، وترك مؤلفات منها: أسماء مشائخه مجرداً في بعض جماعاته على حروف المعجم، وكتاباً سماه الدارس من أخبار المدارس يذكر فيه ترجمة الواقف وما شرط، ومن درس بالمدرسة إلى آخر وقته، وأشار ابن قاضي شهبة إلى أنه «كتاب نفيس يدل على كثرة إطلاع»، كما كتب ذيلاً على تاريخ ابن كثير بدأ فيه من سنة إحدى وأربعين وسبعيناً، يذكر فيه حوادث الشهر ثم من توفي فيه، وهو مفيد جداً كتب منه ست سنين ثم بدأ من تسع وستين وسبعيناً فكتب إلى قبيل وفاته بكثير. وكان قد أوصاني - أي ابن قاضي شهبة والحديث له - بتكامل الحرم المذكور فأكمنته وأخذت التاريخ المذكور وزدت عليه حوادث وتاريخ المصريين وغيرهم بقدر ما ذكر الشيخ وتراجم أكثر من التي ذكرها بكثير. ويسقط الكلام في ذلك في سبع مجلدات كبار اختصرتها في نحو نصفه».

ويبدو أن التاريخ المذكور قد فقد مع بعض كتبه في غزو المغول للدمشق، ولم يبق ما يشير إليه إلا ما نقل عنه في تاريخ ابن قاضي شهبة، الذي غالباً ما ترد فيه عبارات ابن حجي مسندة إليه.

كما أنه لا يمكن مع هذا التتحقق من أن ابن حجر قد اقتصر في النقل في الإنباء عن هذا التاريخ - تاريخ ابن حجي - وليس عن غيره كذلك.

(٢) هو «خليل بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الأقهسي، غرس الدين وصلاح الدين أبو الصفا».

- الشريف الفاسي (ت ٨٣٢ هـ. / ١٤٢٨ م.)^(١).
- البرهان الحلبي (ت ٨٤١ هـ. / ١٣٤٧ م.)^(٢).
- ابن خطيب الناصرية (ت ٨٤٣ هـ. / ١٤٤٠ م.)^(٣).

= أشرا ابن حجر إلى أنه كانت بيته وبين الأقهسي - هذا - صحبة في بعض أسفارهما للسماع بمكة ودمشق، كما أشار السخاوي إلى أنه كانت بينها مatarحات وإلى أن كلامها سمع على الآخر أوقرأ عليه.

ولقد بلغ من اعتداد ابن حجر به حداً جعله يشير في ترجمته، إلى أنه «أمثل رفقتنا مطلقاً». كما يشير إلى أن الأقهسي قد كتب ثبتاً انتفع ابن حجر به في تاريخه وهو ما لا يعرف موضعه حتى الآن.

(١) هو «محمد بن أحمد بن علي بن أبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن سعيد بن عبد الملك، التقي، أبو عبدالله وأبو الطيب الفاسي المالكي». وأشار ابن حجر إلى أنه «رافقه في السماع جداً بمصر والشام واليمن وغيرها وإلى أنه كان يوده ويعظمه ويقوم معه في المهمات» بل لقد وصلت الصداقة بينها إلى الحد الذي جعل ابن حجر يذيل على ترجمته بقوله: «... ولقد ساعني موته وأسفت على فقد مثله، فالله الأمر».

اعتنى بأخباربلاده وترجم أعيانها، وكتب في ذلك عدة تواريخ منها شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين كما ذيل على سير أعمال البلاء للذهبي، ويشير في النقل في الإنباء عن المؤلفين المذكورين قبل هذا الذيل دون تنصيص.

(٢) هو «إبراهيم بن محمد بن خليل، برهان الدين أبو إسحق، المعروف ببسط ابن العجمي». أشار السخاوي إلى أنه كتب «ثبتاً كثير الفائدة... فيه المام بترجم شيوخه، ونحو ذلك، بل رأيته ترجم جماعة من قرأ عليه ورحل إليه».

ويبدو أن هذا المؤلف هو الذي ينقل ابن حجر عنه في الإنباء، وهو الذي يشير ابن حجر إليه بقوله: «... قد أفرد له مشيخة ذكر فيها أحوال شيوخه ومرؤياتهم ليستفيدها الرحالة». وهو ما زال مفقوداً لعصرنا، غير مدرك مكانه.

(٣) هو «علي بن محمد بن سعد بن علي بن علي بن عمر بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف ابن يعقوب بن علي بن هبة الله بن ناجية الطائي الحلبي الشافعي، علاء الدين أبو الحسن». ومن مؤلفاته «الدر المنتخب في تكميلة تاريخ حلب» أشار في مقدمته إلى أنه جعله «ذيلاً مختصراً» على «ابن العديم»، ورتبه على خمسة فصول الأول في حلب وأسمائها ومن بناها وألقابها، والثاني في ذكر حدودها وأعمالها، والثالث في ذكر فضائلها وخصائصها، والرابع في فتحها، والخامس في =

^(١) - التقى المقرizi (ت ٨٤٥ هـ. / ١٤٤١ م.)

^(٢) - ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ. / ١٤٤٨ م.)

بُهْرٌ وَقِيَّهَا وَمَسْجِدُهَا وَمَعَابِدُهَا... تَتَلَوَّهَا تَرَاجِمُ «مَنْ هُوَ مِنْهَا أَوْ مِنْ بِلَادِهَا أَوْ اجْتَازَهَا مِنْ الرُّوَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفَضَلَاءِ وَالرَّؤْسَاءِ، وَمَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَالْعَبَادِ، وَمَنْ نَزَلَهَا وَاجْتَازَهَا أَوْ بِعَامِلِهَا مِنْ أَهْلِ الشِّعْرِ وَالْإِنْشَادِ، وَمَنْ دَخَلَهَا أَوْ مَلَكَهَا مِنَ السَّلَاطِينَ أَوْ وَلِيهَا مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالنَّوَابِ وَالْقَضَاءِ، وَمَنْ وَفَدَ إِلَيْهَا أَوْ إِلَى مَعَالِهَا مِنْ فَضَلَاءِ غَيْرِهَا مِنَ الْبَلَادِ وَمَنْ كَانَ بِهِ مَبَاشِرَةً مِنَ الْأَعْيَانِ أَوْ وَقْعَةً اشْتَهِرَتْ عَنْهُ... ابْتِداءً مِنْ كَانَتْ وَفَاتَهُ سَنَةُ ثَمَانِ وَخَمْسِينَ وَسَمْتَاهُ إِلَى زَمْنِهِ مَرْتَبًا لِهِمْ عَلَى حُرُوفِ الْهُجَاءِ فِي الْاسْمِ وَاسْمِ الْأَبِ وَالْجَدِ... لِيَكُونَ أَسْهَلُ لِلِّكْشِفِ... ذَاكِرًا لِلْمَلَاحِمِ بِاسْمِ مَنْ اشْتَهِرَ بِهِ، وَكَذَلِكَ النَّوَازِلُ وَالنَّوَادِرُ فِي تَرْجِمَةِ مَنْ تَوَفَّى فِي السَّنَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا» - الدَّرِ المُتَخَبِّبُ ج ٢ ق ١٤. وَيَقْعُدُ فِي مجلَدَيْنِ.

ويلاحظ أن ابن حجر كان دائم النقل عنه.

وكما أن «ابن حجر» كثير النقل عنه، فإن ابن خطيب الناصرية قد جعل ابن حجر مصدراً له - ص ٣٩ . . . وغيرها - كما أنه ترجم لابن حجر في تاريخه، وأشار إلىأخذ كل منها عن الآخر سواء في قدوة «ابن حجر» لحلب في سفرة آمد مع السلطان الأشرف برباس، أو في قدوة ابن خطيب الناصرية القاهرة ونزلوه على ابن حجر (ق ١٠٦ ب - ١٠٩ أ)، كما أن ابن حجر يذكر في مقدمة الإنباء «أنه طالع تاريخ ابن خطيب الناصرية - في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وثمانمائة كله من المبيضة، ثم من المسودة»، وأنه الحق فيه أشياء كثيرة، وسمع من صاحبه وسمع هو منه - إنماء الغمرج ١ ص ٥.

(١) ترك جملة من المؤلفات التاريخية كالخطط «المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار» وعقد الجواهر والأسفاط في ملوك مصر والفسطاط، والمقفي ، والسلوك لعرفة دول الملوك، والعقود الفريدة في ترجم الاعيان المفيدة.

وعن هذين المؤلفين الآخرين ينقل ابن حجر في الإنباء حيث يشير ابن حجر إلى ذلك، وإلى وجود علاقة وطيدة بينها وصلت إلى حد المزاورة بل واستفسار المقريزي منه عن ما غمض عليه.

كما أن ابن حجر قرظه في بعض مؤلفاته - حيث أشار في معجمه وذيل تاريخه المسمى (ذيل الدرر الكامنة) إلى أن له «تصانيف باهرة وخصوصاً في تاريخ القاهرة، فلئن أحيا معالها وأوضحت مجالها، وجدد مأثرها وترجم أعianها»، وفي الإنماء قوله: «... ونظر في عدة فنون وأولع بالتاريخ فجمع منه شيئاً حسناً».

(٢) هو «أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب الأصي،
الدمشقي، الشافعي».

- البدر العيني (ت ٨٥٥ هـ. / ١٤٥١ م.)^(١).
.. وغيرهم^(٢).

ثانياً - الإسناد إلى المصادر

١ - الإشارة إلى المصادر:

اعتنى «ابن حجر» بذكر مصادره سواء في صدر كتابه^(٣) أو من خلال حولياته: أحداها وترجماتها، مسندأً منقوله عنها - في الغالب الأعم إليها - على الرغم من غزارة مادتها وكثرة المنقول منها.. لكنه كان في معظم الأحيان يسند المنقول إلى المؤلف مع اغفال ذكر كتابه، كنحو قوله: «قال القاضي تقي الدين الشهبي...»^(٤)، أو: «قال القاضي تقي الدين الأسطي...»^(٥)، أو «ذكره ابن

= ترك كثيراً من المؤلفات التاريخية منها طبقات الشافعية، والتاريخ الكبير الذي ابتدأ فيه من سنة مائتين إلى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة، كما ذيل على تاريخه من سبقه ابتداء بسنة إحدى وأربعين وسبعمائة إلى سنة نيف وعشرين وثمانمائة في ثمان مجلدات، ثم اختصره في مجلدين ثم اختصر المختصر في مجلدة، كما كتب حوادث زمانه إلى قبيل وفاته.

ويلاحظ أن ابن حجر قد أخذ عن التقي ابن قاضي شبهة في الإناء نقاً من التاريخ الكبير، وطبقات الشافعية.

(١) هو «محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود أبو الثناء»، وأبو محمد، العيني العيتاني».

ترك في التاريخ مؤلفات منها «عقد الجمان»، وهو تاريخ كبير رتب على السنين في عشرين مجلداً، ثم اختصره في ثلاثة مجلدات، والتاريخ الصغير في ثمان مجلدات.

اعتمده ابن حجر في التاريخ لكثير من حوادث وترجمات حولياته، كما أنه كان دائب النقد له.

(٢) كالشريف الأسيوطى (ت ٨٥٩ هـ. / ١٤٥٥ م.)، وعلي بن إبراهيم الأ müd (ت ٨٥٩ هـ. / ١٤٥٥ م.) وجمال الدين بن السابق (٨٧٧ هـ. / ١٤٧٣ م.).

(٣) ابن حجر، إناء الغمرج ١ ص ٤، ٥.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٩.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٤.

قاضي شهبة»^(١)، أو «... ترجمه الشيخ تقى الدين المقرىزى»^(٢)، ... ولا يخفى ما لهؤلاء من مؤلفات متعددة في التاريخ الحوى، والطبقات، والتراجم، مما لا يتحدد معه المصدر المنقول عنه بسهولة، خاصة وإن «ابن حجر» لم يعتمد إلى النقل الحرفي لمادة مصادره - في غالبية الأحيان - على نحو ما سوف يُرى - وإنما كان دائم التصرف في منقوله الذي ربما نقله فكرة دون تقيد بال قالب التعبيري المصاحب لها، بل ربما نسب المنقول إلى مبهم لا يترجح رده إلى مصدره على وجه الدقة، ولكن تخميناً كقوله: «... قال القاضي ...»^(٣) وهو ما لا يفهم منه أي القضاة يعني .. قاضي الخنبلة محب الدين أم قاضي حلب علاء الدين بن خطيب الناصرية، أم القاضي العثماني الصفدي المعروف بابن القوت، أم القاضي تقى الدين الزبيري، أم القاضي تقى الدين الأستاذ المعروف بابن قاضي شهبة، والكل قد نعثهم في كتابه بالقاضي .. لكن يرجع نسبته إلى ابن خطيب الناصرية بمقابلته بمنقول آخر ورد في «الإنباء» أشار فيه إلى ما يؤيد ذلك، حيث قال: «... قال القاضي في الذيل ...»^(٤) يعني بذلك ذيل تاريخ حلب المسمى «الدر المستحب في تكميلة تاريخ حلب»، له، ونظير ذلك الإسناد إلى المبهم، والمحتاج إلى ترجيحه على وجه التخمين قوله: «... أرخه مؤرخ الشام»^(٥)، ولعل المقصود به «ابن قاضي شهبة»، كما لا يتحدد المقصود بقوله في موضوع آخر: «... هكذا ترجمه قرييه»^(٦) إلا بمقابلته بما ورد في الضوء اللامع للسحاوي»^(٧) ليكون «عبد الرحمن القلقشندي».

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٣١٧.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٢٢٨، ٢٩٦.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٣٣٢.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٣٩٦.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٤٦٣.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٣٩٥.

(٧) السحاوي. الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٠٢.

هذا عن نسبة المنسوب إلى المؤلف دون أن يحدد كتابه، خاصة إذا كان المؤلف قد صنف أكثر من كتاب - على نحو ما مر.

على أنه قد اتبع ذلك - أيضاً - مع صاحب المؤلف الواحد، وهو ما يجعل البغية في الإهتداء إلى المصنف بعيدة المنال خاصة إذا كان البحث عن ترجمة له مما يقابلها الإنفاق، ومن أمثلة ذلك قوله: «... قال محب الدين البصري ...»^(١) وقوله: «قرأت بخط عبد الرحمن الحلاي الشافعى القزويني ...»^(٢)، وقوله «قال الشيخ شهاب الدين الملاكوى ...»^(٣).

وربما نقل عن مؤلف دون نسبة الكتاب إليه بعنوانه الموضوع له مكتفياً بذكر كلمة «تاریخه» أو «ذیله»، كما فعل مع البدر العینی أو «العینتابی» و «ابن خطیب الناصریة»، حيث المقصود بتاريخ العینتابی: «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»، وبذیل ابن الخطیب، أو ابن خطیب الناصریة، أو تاريخ حلب أو تاريخ ابن الخطیب «الدر المتخب في تکملة تاريخ حلب».

ومع ذلك فإنه قد اهتم بنسبة بعض منقوله إلى مصادره على وجه قريب من الإكمال كنحو قوله: «قال لسان الدين ابن الخطیب في تاريخ غرناطة ...»^(٤) قاصداً بذلك كتابه: «الإحاطة في تاريخ غرناطة»، وقوله: «... ذكره محمد بن عبد الرحمن العثماني قاضي صفت في طبقات الفقهاء»^(٥).

ويبدو أن هذه الطريقة في إيراد المصادر كانت مألوفة على عصره، فضلاً عن أن ما يعمي علينا الإهتداء إلى تحديده لعله كان ذائع الصيت على عصره.

٢ - الإشارة إلى موضع النقل:

لا يعني ذلك إشارة «ابن حجر» إلى رقم الصفحة أو السطر المنسوب عنه

(١) ابن حجر إنباء الغمرج ٣ ص ٢٨٢.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٥٠٦.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٢٣.

(٤) نفسه ج ٢ ص ٣٤٠.

(٥) نفسه ج ١ ص ٣٢.

لأن هذه الطريقة في الإسناد إلى المصادر ليست إلا من معطيات المنهج العلمي المعهود به حديثاً، فضلاً عن أن هذا العمل كان متعدد الحصور في عصر لم تعرف فيه الطباعة ولم تشع فيه الكتب بطبعاتها المختلفة، بل يكون شيئاً من العبث ومضيعة للوقت في عصر المخطوطات التي يتحكم في عدد صفحاتها واقتنائها، بل والإطلاع عليها إمكانيات متملكها وكتابتها ومادة الورق وأدوات الكتابة مما يجعل الوقوف على الصفحة - المعتبرة حسب هذه الإمكانيات - صعب المنال إذا ما حدثت. ناهيك عن مشقة الحصول على المصدر عينه، وإنما المعنى بذلك هو الموضوع المحدد المنقول عنه - في أي حولية أو ترجمة من الترجم، بحيث يمكن تحديده بسهولة لكل من كان عارفاً بتنظيم المصدر ومنهجه، ولذا نجد «ابن حجر» ليس في حاجة إلى تحديد موضع النقل بالنسبة لترجم الوفيات إذا ما عرفت سنة الوفاة لوجود تطابق بينه وبين المصدر في هذا الجانب، وإن كان قد نص على ذلك الموضوع في الترجم التي اختلف مع مصادرها في تحديد سنة الوفاة، ونبه على أوهامها فيما يختص بذلك، كنحو قوله: «... . وذكره ابن حجي في تاريخه في حوادث سنة ثمان وثمانين قال... ». (١) قوله: «... . فقرأت بخط محمد بن يحيى بن سعيد في شيخوخ حلب سنة ثمان وأربعين أن... ». (٢)

أما فيما يختص بالأحداث فإنه قد حدد موضع المنقول إذا ما كان هناك فارق زمني بين الخبر وما يصاحبه من زمن وبين الحولية التي تتنظم، كنحو قوله: «... . وقد ذكر الحافظ علم الدين البرزالي في تاريخه في حوادثه في سنة عشر وسبعمائة... ». (٣) قوله: «... . ولم يحفظ فيما مضى مثل ذلك إلا في سنة ست عشرة فإن الملك المؤيد صاحب حماه ذكر في تاريخه». (٤)

وقد يحدد موضع النقل في موضع التطابق الزمني للخبر مع الحولية المنتظمة له في كتابه ومصدره معاً، فهو نحو قوله في حوادث حولية ثمان وثمانمائة: «وقد

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٢.

(٢) نفسه ج ١ ص ٤٣.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٢٩٨.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٤٥٧.

بسط العيني وأظهر التعصب فيها لحكم لأنه كان ينتمي إليه، فقال في حوادث ذي الحجة سنة ثمان . . .»^(١).

٣ - بداية النقل وانتهاؤه :

أشار «ابن حجر» إلى بدايات ونهايات ن قوله بعبارات واصطلاحات معبرة عن ذلك أتت لصيغة المنقول وسابقة له نحو قوله: «قال»، «ذكر»، «أرخه»، «هذا بخلاف قول»، «قرأت بخط»، «قرأت في كتاب»، «وكتب عنه»، «ذكر في تاريخه قال»، «قال . . . ومن خطه نقلت» . . . الخ مما يشير إلى أن المتبع نقلًا عن مصدر بعينه، كما أود نصوصاً متبوعة بما يشير إلى أحدها عن مصدر بعينه مما يتحدد معه دون أدنى لبس مصدرها ابتداء وانتهاء، نحو قوله: «. . . قاله ابن حجي»^(٢)، «. . . نقلت هذا من خط الشيخ تقى الدين المقرizi»^(٣)، «. . . نقلته من ذيل تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية»^(٤)، «. . . نقلت ترجمته من ابن قاضي شهبة»^(٥).

كما كان يورد منقولات مقصورة بين تعبيرين اصطلاحيين يفيد أولهما أن المتبع من مصدر بعينه فيتحدد بذلك بداية، بينما يشير الثاني إلى إنتهاء النقل صراحة أو ضمناً، من ذلك قوله: «. . . ذكره الذهبي في المعجم المختص فقال . . . انتهى»^(٦)، «قرأت بخط تقى الدين الزبيري وأجازيه : . . . انتهى»^(٧).

أو يفصل بين منقول مسند إلى مصدره وبين ما سوف يتبعه من قوله هو، كنحو قوله: «قرأت بخط ابن القطان وأجازيه قال : . . . قلت : . . .»^(٨)، قوله:

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٧ ، ويقابلها لدى العيني . عقد الجمام ج ١٩ ق ٨١ ب - ٨٢ .

(٢) نفسه ج ٢ ص ٧٤ .

(٣) نفسه ج ٣ ص ٢٩٦ .

(٤) نفسه ج ٣ ص ٢٦٣ .

(٥) نفسه ج ٣ ص ٤١٣ .

(٦) نفسه ج ١ ص ١١٧ .

(٧) نفسه ج ١ ص ٢٧٧ .

(٨) نفسه ج ١ ص ١١٣ - ١١٢ .

«قرأت بخط الشيخ تقي الدين ابن قاضي شهبة قال: ... قلت...»^(١).

أو يفصل بين منقول وآخر بإيراد النصوص المتتابعة الإسناد في صدرها أو عجزها إلى المصادر، وهي غالباً ما تكون قصيرة، نحو قوله: «... نقلت ترجمته من ابن قاضي شهبة، ونقلت من خط غيره...»^(٢)... وهكذا.

كما أنه كثيراً ما تقابلنا كلمة «قال» متخللة للمنقول مقطعة له مشيرة بدورها إلى أن مصدر النقل ما زال ملازماً، كنحو قوله: «... قال القاضي تقي الدين الشهبي: كان يكتب السلطان فيما يريده، فيرجع الجواب بما يختار، وانضبطة الأوقاف في أيامه، وجعل للفقهاء مالاً كانوا لا يصلون إليه قبله، وانتزع شيخة الشيوخ من ابن أبي الطيب كاتب السر. وقال - أيضاً - وقعت له أمور تغير خاطر برقوق عليه منها - وكان طلب اقتراض مال للأيتام فامتنع - فعزل في جمادي الآخرة سنة ست وتسعين بعدما باشر ستين شهراً، وعقدت له بعد عزله مجالس ولفقوا عليه قضايا، فلم نسمع عليه مع كثرة من تعصب عليه أنه ارتضى في حكم ولا أخذ من قضاة البر شيئاً، ثم أنه بعد ذلك ولي خطابة القدس مدة، ثم ولاه الناصر خطابة دمشق والمشيخة، ثم أضاف إليه القضاء في صفر سنة اثنين عشرة، ثم صرفه شيخ بعد ثلاثة أشهر، قال: وكان خطيباً بليغاً له اليد الطولى في النظم والنشر والقيام التام في الحق، وكتب بخطه كثيراً وجمع أشياء»^(٣).

وتكرير الكلمة «قال» في سياق منقوله عن مصدره لا تشير إلى اختصار أو استخراج ما سوف يتبعها منه، أو الحفاظ على حرفيّة المنقول من لفظ مصدره، أو حتى تجمیع هذا الجانب من ترجمة «أبي العباس الباعوني» من متفرقات أنت في مصدره دوناً جمع - كما قد يتبدّل للوهلة الأولى لذهن المطالع لها، حيث أن النص المنقول متتابع لدى مصدره ومنقول من موضع واحد، وهذا هو ذا النص المقابل لمنقول «الإنباء» ليتضطلع ذلك:

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٢.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٤١٣.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٢٢.

» . . . وكان يكاتب السلطان بما يريده، فيرجع الجواب بما يختاره، وانضبطة الأوقاف في أيامه، وحصل للفقراء معااليم كثيرة، ودرس التفسير والفقه في مدارس القضاة وغيرها، وولي مشيخة الشيوخ، انتزعها من كاتب السر ابن أبي الطيب - في شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين - ثم وقعت له أمور أوجبت تغير خاطر السلطان عليه، منها: أنه طلب منه أن يقرضه من أموال الأيتام شيئاً فامتنع فعزله بعدما باشر ستين ونصفاً في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وكشف عليه، وعقدت له مجالس وحصل في حقه تعصب، واتفقت عليه قضيaya باطلة أظهر الله تعالى براءته منها، ولم يسمع عنه مع أكثر أعدائه أنه ارتشى في حكم من الأحكام، ولا أخذ شيئاً من قضاة البر - كما فعله من بعده من القضاة - ثم ولـي خطابة القدس مدة طويلة، ثم خطابة دمشق ومشيخة الشيوخ غير مرة، ثم ولـي الناصر القضاء في صفر سنة الثـي عشرة وثمانمائة فلم يكنـه إجراء الأمور على ما كان عليه أولاً، لتغيـر الأحوال واختلاف الدول، ثم صرفـه الأمـير شـيخ عـند استـيلـائـه عـلـى دـمـشـق فـي جـمـادـى الـآخـرـة مـن السـنـة، وـفـي فـتـنـة النـاصـر ولـي قـضـاء الـدـيـار الـمـصـرـية مـن بـعـد الـحـصار، ثـم انـقـضـ. وـكـان خـطـيـباً بـلـيـغاً لـه الـيد الـطـوـلـي فـي النـظـم وـالـنـثـر مـع السـرـعة فـي ذـلـكـ، وـكـان مـن أـعـظـم أـنـصـارـ الـحـقـ وأـعـوـانـهـ - أـعـزـ اللـهـ تـعـالـى بـهـ الـدـيـنـ، وـكـفـ بـهـ أـكـفـ الـمـفـسـدـينـ - وـكـان ظـاهـرـ الـدـيـانـةـ، كـثـيرـ الـبـكـاءـ، وـكـتـبـ الـكـثـيرـ بـخـطـهـ وـجـمـعـ أـشـيـاءـ^(١).

وهكذا فإن تخلل لفظة «قال» للنص ليس المراد منها إلا الإعلام بأن النص المنقول ما زال متتابعاً، وأن مصدره ما زال ملازماً.

وينسحب ذلك على كثير من النقول الشائعة في مؤلفه، والتي اتبـعـ فيها الطـرـيقـةـ نفسـهاـ^(٢).

لكن مع هذا لا تزال بداية التـقـلـ وـانتـهـاؤـهـ تـشـكـلـ مـنـزلـقاًـ لـلـدـارـسـينـ فـي تـرـاثـاـ

(١) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٨٥ ب.

(٢) ابن حجر. إنـباءـ الـغـمـرـجـ ١ ص ٤٨ ، ٥٢ ، ٨١ ، ٩٥ ، ١١٢ ، ١١٣ - ٣٦١ ، ٣٦٠ ، ج ٢ ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٤٧ ، ٣٣٤ ، ٤٥٦.

العربي الإسلامي من هذا النوع المبحوث فيه، فلقد وردت نصوص وعبارات مطولة لدى «ابن حجر» في «الإنباء» دون نسبة إلى مصدر بعينه في موضع يتراجع معه - للوهلة الأولى - أنها ليست إلا من بنات فكره، خاصة إذا ما قورنت بما عرف من دقة كاتبها - على هذا النحو - في الإننسباب إلى المصادر، ويبدو أن هذه طريقة كانت مألوفة ومتبعة في عصره، وأنها من غير المعيب لديهم. ومن الأمثلة الموضحة - على طوها - ما ورد في «الإنباء» بخصوص ترجمته «لتاج العجمي» - ضمن وفيات حولية سبع وثمانمائة - بقوله:

«تاج بن محمود (العجمي) الأصفهاني، الشيخ تاج الدين العجمي نزيل حلب. قدم من بلاد العجم حاجاً، ثم رجع فسكن في حلب بالمدرسة الرواحية وأقرأ بها النحو، ثم اثنا عشر عليه الطلبة فلم يكن يتفرغ لغير الاشتغال، بل يقرئ من بعد صلاة الصبح إلى الظهر بالجامع (الأموي)، ومن الظهر إلى العصر بجامع منكلي بغرا، ويجلس من العصر إلى المغرب بالرواية للإفتاء.

وكان عفيفاً، ولم يكن له حظ، ولا يطلع على أمر من أمور الدنيا، وأسر مع اللنكية فاستنقذه الشيخ إبراهيم صاحب شماخي وأحضره إلى بلده مكرماً فاستمر عنده إلى أن مات في ربيع الأول.

أخذ عنه غالب أهل حلب وانتفعوا به، وقد شرح المحرر في الفقه وأقرأ الحاوي.

قرأت بخط القاضي علاء الدين في تاريخه: سأله عن مولده في سنة إحدى وثمانين مائة فقال: لي الآن اثنان وسبعون سنة^(١).

المطالع لهذه الترجمة يتراجع لديه أن منقول «ابن حجر» عن «ابن خطيب الناصرية» ينحصر في ذيل الترجمة المسند إلى المصدر تبعاً لقول «ابن حجر»: «... قرأت بخط القاضي علاء الدين في تاريخه ...» لكن الدراسة المقارنة تثبت خلاف ذلك، حيث أن الترجمة بكاملها مأخوذة عن «ابن خطيب الناصرية» وأن

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠١ تر ٥.

تصرف «ابن حجر» في مصدره بإبدال بعض ألفاظ النص، وتعديل النسق الترتيبية له في موضع واحد، وهو المتعلق بذكر مؤلفات المترجم له.

وهذا هو نص «ابن خطيب الناصرية» ليتضح ذلك:

«تاج الدين بن محمود العجمي الأصفهاني الشافعي الملقب: تاج الدين شيخنا - ورد من بلاد العجم إلى حلب، ثم توجه إلى الحجاز، ثم عاد إلى حلب فسكن بها بالمدرسة الرواحية، وولي تدريس النحو بها، وكان إماماً عالماً ورعاً صنف وأفci وشغل الطلبة بجامعي الأموي ومنكلي بغـا، وكان يشغل في علوم كثيرة وله على المحرر شرح، وألف شرحاً على ألفية ابن مالك في النحو، لكنه ليس بطائل ، وغير ذلك.

كانت أوقاته مستغرقة بالعبادة من بكرة النهار إلى وقت الظهر - في الغالب - يشغل بالجامع الأموي ، من الظهر إلى العصر بجامع منكلي بغـا، ومن العصر إلى المغرب يجلس للإفتاء بالمدرسة الرواحية . . .

وكان عزيزاً، ونفسه عفيفة، لم يكن له مطعم إلى الدنيا، واستمر على ذلك إلى حين مجيء التتار إلى حلب قاصداً سيراً إلى ترلنك، ثم أن الشيخ إبراهيم - صاحب شماخى - طلبه من ترلنك واستدعاه إلى بلاده مكرماً فتوجه معه إليها، واستمر هناك إلى أن توفي بشماخى في أثناء شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانمائة، وكان رحمة الله تعالى أحد مشائخى الذين قرأت عليهم، وكنت كثير الإجتماع به .

سألته عن مولده - في سنة إحدى وثمان مائة - فلم يستحضره، وقال: لي الآن اثنان وسبعون سنة - رحمة الله تعالى»^(١).

. . وهكذا فإن طرقه في نسبة منقوله إلى مصادره وإن تحددت معها هذه اللمع والنقل المنسوبة لا تكفي في حصر كل منقوله عن مصادره، فضلاً عن تحديد بداية القول ونهايتها، وبالتالي لا يمكن الإعتماد على مثل تلك النقول في

(١) ابن خطيب الناصرية. الدر المتنبـج ١٩٢ ق ١.

بناء هيكل تركيبي لتلك المؤلفات الضائعة التي استوعبها أو نقل عنها في «الإنباء» على اعتبار أنه قد تصرف فيها سوء من حيث النسق الترتيبي أو التعبيري زيادة واختصاراً على نحو ما سوف يأتي.

٤ - دلالات النقل عند عدم التصريح به :

على أنه في حالة عدم إسناد المنسوق إلى مصدره بأي من الطرق السالفة يمكن أن نتلمس لدى كثير من النصوص الواردة في «الإنباء» بعض العبارات والألفاظ الإصطلاحية الدالة على المصدر المنسوق عنه، وهي غالباً ما تعبّر عن مصدر واحد وتنحصر في قوله: «أرخه...»، «ترجمه...»، «كتب عنه...»، «ذكره...»، «نوه به...»، «أثني عليه...»، «أخذ عنه...» وكان يطريه».

ومن أمثلة ذلك قوله: «... سمع منه شيخنا العراقي وهو الذي أرخه»^(١)، «... أرخه طاهر بن حبيب»^(٢)، «وقوله: «... أخذ عنه القاضي بدر الدين العيني وهو الذي ترجمه»^(٣)، «... عمل لها ولدتها الشيخ تقى الدين (المقريزى) ترجمة جيدة وحدث عنها عن أبيها من شعره»^(٤)، «... وكتب عنه الشيخ برهان الدين من فوائده»^(٥)، «وقوله: «... ذكره القاضي علاء الدين في تاريخه»^(٦)، «وقوله: «... وكان قد صحب التاج السبكي فنوه به»^(٧)، «وقوله: «... وأثني عليه القاضي علاء الدين في تاريخ حلب»^(٨).

وللدلالة على صدق ذلك يمكن مقابلة بعض النصوص والتراثات الواردة في «الإنباء» متبعاً فيها هذه الطراقيمة بالمصدر المشار إليه، والمرجح الأخذ عنه -

(١) ابن حجر. إناء الغمرج ١ ص ٢٩.

(٢) نفسه ج ١ ص ١٦٤.

(٣) نفسه ج ١ ص ٥٢١.

(٤) نفسه ج ٢ ص ٣٣.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٣٣٢.

(٦) نفسه ج ١ ص ١٨٣، ج ٢ ص ١٢٧، ج ٣ ص ٧٧.

(٧) نفسه ج ٢ ص ٢٤.

(٨) نفسه ج ١ ص ٦٥.

حسب هذه القاعدة - حيث نجد أن «ابن خطيب الناصرية» قد ترجم «أحمد المقرىء الحلبي» على النحو التالي: «أحمد الحموي المقرىء نزيل حلب، رجل صالح دين ورع، أقام بحلب عدة سنين يقرئ الناس القرآن وهو مقبل على التلاوة والعبادة والورع، غير ملتفت إلى الدنيا بالكلية، وكان من عباد الله الصالحين الورعين، وهو شيخي في قراءة القرآن، سكن في المسجد الكائن بجوارنا - بالقرب من مدرسة شاذ بخت النوري - ثم انتقل إلى الخانقة الشمسية فسكنها إلى أن رحل منها - قبل واقعة ترلنك - إلى بيت المقدس فسكنه، ثم انتقل إلى طرابلس، ثم إلى دمشق، ولم يكن متزوج إلى ذلك الوقت - فيما علمت - ثم إنه رجع إلى طرابلس وتزوج بها، وتوفي وجاء الخبر بوفاته إلى حلب في شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة، وصلي عليه بجامع حلب صلاة الغائب - رحمة الله تعالى»^(١).

فلما ترجم «ابن حجر» في «الإنباء» ضمن وفيات حولية سبع عشرة وثمانمائة عمد إلى «ابن خطيب الناصرية» آخذًا في الترجمة عنه انتقاء، دون زيادة على مصدره قائلاً: «أحمد بن أحمد المقرىء الحلبي ، اعتمى بالقرآن، وكان يقرئ بمسجد يجاور الشاذبختية بحلب مدة، ثم تحول من حلب إلى القدس قبل الواقعة العظمى ، وانتقل إلى دمشق وأقام بها، ثم إلى طرابلس فأقام بها، واستمر إلى أن مات في شوال سنة ٨١٧ - أثني القاضي علاء الدين في تاريخه على خيره ودينه»^(٢).

ومن ذلك قوله في ترجمة «ابن خاص التركي» - ضمن وفيات حولية تسع وثمانمائة: «أحمد بن قاضي الترك الحنفي ، شهاب الدين ، أحد الفضلاء المتميزين من الحنفية ، مات في هذه السنة بالقاهرة، وأخذ عنه بدر الدين العيني المحتسب وكان يطريه»^(٣). ويقابل ذلك لدى مصدره قوله: «الشيخ شهاب الدين أحمد

(١) ابن خطيب الناصرية الدر المتنبج ج ١ ق ١٤٩ ب.

(٢) ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ٤١ - ٤٢.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٣٦١.

ابن خاص التركي الحنفي ، كان مشتغلاً بالفقه والحديث ليلاً ونهاراً ، وكتب كثيراً ، ودرس وجامع . ومات في هذه السنة بالقاهرة»^(١) وهو ما يشير إلى أن «ابن حجر» قد ترجمه عن «العيني» على الرغم من افتقار مصدره - في هذا الموضع - إلى بسطة في القول ، وأنه لم يفتد إلى جانب ترجمته لدى مصدره إلا كون «العيني» من تلامذته .

٥- الإهتمام بموارد المصادر التي ينقل عنها:

عمد «ابن حجر» إلى إثبات منقوله مستنداً إلى مصادره الأصلية في موارده توثيقاً لها ولادة كتابه - كذلك - ولعل في ذلك إدراكاً منه بأهمية هذا العمل في توضيح أو تعليم أفضلية المصدر الذي ينقل عنه على السواء وخصوصيته وإن تعاصراً، ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية ست وسبعين وسبعيناً نقلًا عن «ابن حجي» بخصوص طاعون دمشق: «... فذكر الشهاب ابن حجي أن يعقوب الدلال بسوق الخيل أخبره أنه رأى الجن عياناً على خيل كالجراد المتشير وبأيديهم رماح في بعض أزقة الصالحة وطاعونهم وطاعونه، وصار يتحدث بذلك ويختلف الناس بين مصدق ومكذب فطعن هو ومات عن قرب ورئي في بدنها أثر طعنات . قال: أخبرني بذلك من ولی غسله»^(٢).

وهو هنا يورد الخبر مصاحباً لمصادر توثيقه لدى المصدر المنقول عنه سواء بحسبه لدلائل بسوق الخييل، أو من ولي غسله لا توثيقاً للخبر في حد ذاته فحسب، بل وبرئاهة لساحة «ابن حجي» وتوثيقاً له. وقد كانت بينهما صحبة وزراورة.

وقوله في ترجمة الشيخ «زين الدين الحلاني» - ضمن وفيات حولية ست وثلاثين وثمانمائة - نقلًا عن «ابن خطيب الناصرية»: «... قاله القاضي علاء الدين . قال : واجتمعت به فرأيته عالماً بالفقه والمعانى والبيان والعربىة ، وله صيت كبير فى بلاده ، وكان عالماً ، فرأيت بخط عبد الرحمن بن محمد الحلاني الشافعى

(١) العنة، عقد الجمان ق ٨٨٪.

(٢) ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ٧٦ - ٧٧.

القزويني أنه يروي البخاري عن قاضي المدينة عن الحجار ولم يسمعه، وأنا أظنه
شيخنا زين الدين بن حسين»^(١).

وفي المحافظة على مصدر مصدره هنا اقتضاء لمعهود «ابن حجر» من الأمانة
العلمية مضافة إلى المحافظة على اجتهاد مصدره في نقطة عميت عليه في المصدر
الأصلي بشأن تقدير ما يحمله المترجم له وتقدير اشتغاله. إن أصاب في اجتهاده
فلا بأس، وإن خطأ فالعهدة عليه فيما أورده، وليس على «ابن حجر» ويعيد
ذلك عبارته في غير هذا الموضع قرير منقوله عن بعض مصادره: «... والعهدة
فيه عليه»^(٢).

ثالثاً - طرق النقل

عالج «ابن حجر» منقوله عن مصادره المكتوبة بطرق شتى يمكن حصرها
في الآتي:

١ - الإلتزام الحرفي بمادة مصادره قدر إمكانه:

و فيه يعمد «ابن حجر» إلى مصدره ينقل منه حرفيًا، مع الحفاظ على
النسق الترتيبى للمعلومة المنقوله في «الإنباء»، أو يعمد إلى منقول بينه وبين ما في
«الإنباء» تشابه كبير من حيث اللفظ والنحو الترتيبى للفكرة.

من ذلك ما ورد في ترجمته لأبي نعيم العامري الغزي - ضمن وفيات
حولية اثنين وعشرين وثمانمائة من قوله:

«... قال القاضي تقي الدين الأسدى: جرت له محنـة سـنة خـمس وـتسـعين
وـحجـ وـجاـورـ ثـلـاثـ مـرـاتـ، وـنـابـ فـيـ الـحـكـمـ بـعـدـ الفـتـنـةـ اللـنـكـيـةـ وـاستـمـرـ، وـبـاـشـرـ

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٠٦ تر ١٠، ويراجع بشأن التثبت من أن اصطلاحات القول هي للمصدر
الأصلي - الضوء اللامع ج ٤ ص ١٥٥، وحاشية د. حسن حشيشي رقم: ٦ ج ٣ ص ٥٠٦ من
الإنباء.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمرج ٢ ص ٤٧٣.

المرستان والجامع فانحط بسبب ذلك، وكان فصيحاً ذكياً جريئاً مقداماً وبديهته أحسن من رؤيته وطريقته جميلة، وبasher الحكم على أحسن وجه»^(١).

ويقابل مقولته في المصدر الأصلي لها قول ابن قاضي شهبة:

«... ثم حصلت له محنـة في شهر رمضان سنة خمس وتسعين، وحج وجاور بمكة ثلاثة مرات، ونـاب بعد الفتنة في القضاء واستمر مدة طـويلـة، ونـاب في المـارـستان، وبـاـشـرـ في الجـامـعـ فـانـحـطـ بـسـبـبـ ذـلـكـ، وـكـانـ ذـكـيـاـ فـصـيـحاـ جـريـئـاـ مـقـدـاماـ، بـدـيـهـتـهـ أـحـسـنـ مـنـ رـؤـيـتـهـ، وـطـرـيـقـتـهـ جـمـيلـةـ. وـبـاـشـرـ القـضـاءـ عـلـىـ أـحـسـنـ وـجـهـ»^(٢).

ويلاحظ - هنا - الشبه الكبير بين النصين ، حيث المحافظة على النسق الترتيبـيـ لـلـنـصـ معـ الإـبـدـالـ الطـفـيفـ لـبعـضـ الـكـلـمـاتـ أوـ التـخـفـفـ منـ بـعـضـ الـأـلـفـاظـ ، حيث أـبـدـلـ حـصـلـتـ بـجـرـتـ ، وـالـحـكـمـ بـالـقـضـاءـ ، معـ إـسـقـاطـ بـعـضـ الـأـلـفـاظـ الـتـيـ لاـ يـتـغـيـرـ الـمـعـنـىـ بـإـسـقـاطـهـاـ مـثـلـ قـوـلـهـ: شـهـرـ رـمـضـانـ ، بـكـةـ ، نـابـ فـيـ . كـمـاـ أنهـ قدـ أـدـخـلـ عـلـىـ النـصـ كـلـمـةـ هـيـ «ـالـنـكـيـةـ»ـ نـسـبـةـ لـلـفـتـنـةـ ، وـغـيرـ تـرـتـيـبـ الصـفـاتـ فـسـبـقـتـ فـصـيـحاـ ذـكـيـاـ.

ومـاـيـاثـلـ ذـلـكـ - كـذـلـكـ - قـوـلـهـ بـخـصـوصـ تـرـجـمـةـ «ـالـشـهـابـ الـطـنـدـائـيـ»ـ الـوارـدـةـ ضـمـنـ وـفـيـاتـ حـولـيةـ اـثـتـيـنـ وـعـشـرـيـنـ وـثـمـانـيـةـ: «ـ.ـ.ـ ذـكـرـهـ اـبـنـ قـاضـيـ شـهـبـةـ وـقـالـ: حـفـظـ ماـيـنـيـفـ عـلـىـ خـمـسـةـ عـشـرـ أـلـفـ بـيـتـ رـجـزـ فـيـ عـدـةـ عـلـوـمـ مـنـهـ تـفـسـيرـ الشـيـخـ عـبـدـ العـزـيزـ الـدـيـرـيـنـيـ ، وـنـظـمـ الـمـطـالـعـ لـلـمـوـصـلـيـ»^(٣).

ويـقـابـلـهـ لـدىـ مـصـدـرـهـ قـوـلـهـ:

«ـ.ـ.ـ وـحـفـظـ مـاـيـنـيـفـ عـلـىـ خـمـسـةـ عـشـرـ أـلـفـ بـيـتـ رـجـزـ فـيـ عـدـةـ عـلـوـمـ مـنـهـ تـفـسـيرـ الشـيـخـ عـبـدـ العـزـيزـ الـدـيـرـيـنـيـ ، وـنـظـمـ الـمـطـالـعـ لـلـمـوـصـلـيـ»^(٤).

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠٤.

(٢) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ٢٠٠ أ.

(٣) ابن حجر. إحياء الفجر ج ٣ ص ٤٢٤.

(٤) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ٢٠٠ ب.

وليس خفيأً وجه التطابق بين النصين.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله في ترجمته لتغري برسى الهمشبيغاوى (ت ٨١٥ هـ) : «... قال القاضي علاء الدين في تاريخه : كان عنده عقل وحياة وسكون ، ثم قال أيضاً كان كثير الحياة والسكون ، حليماً عاقلاً مشاراً إليه بالتعظيم في الدولة»^(١).

ويقابل ذلك لدى مصدره قوله :

«... وكان عنده عقل وحياة وسكون... وكان - رحمه الله تعالى - كثير الحياة والسكون ، حليماً عاقلاً ، مشاراً إليه في الدولة - رحمه الله تعالى»^(٢).

ويكاد النصان يتطابقان لولا إدخال «ابن حجر» كلمة «بالتعظيم» على النص واسقاطه عباري الترجمة .

٢ - انتقاء المنقول مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلي :

وفيه يعمد «ابن حجر» إلى إحداث إسقاطات في النص نشداناً للإختصار ، مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلي والنسق الترتيبى للمنقول .

ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة «ابن خلدون» الواردة ضمن وفيات حولية ثمان وثمانمائة :

«قال لسان الدين ابن الخطيب في تاريخ غرناطة : رجل فاضل ، جم الفضائل ، رفيع القدر ، أصيل المجد ، وقرر المجلس ، عالي الهمة ، قوي الجأش ، متقدم في فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، حسن العشرة ، مفخرة من مفاحز المغرب ، قال هذا كله في ترجمته والمذكور في حد الكهولة»^(٣).

(١) ابن حجر. إحياء الغمرج ٢ ص ٥٢٧.

(٢) ابن خطيب الناصرية. الدر المتخبج ١ ٢٩٤ ب - ١٢٩٥.

(٣) ابن حجر. إحياء الغمرج ٢ ص ٣٤٠.

وبالرجوع إلى المصدر الأصلي يتضح أن «لسان الدين ابن الخطيب» قد ترجم «ابن خلدون» في «الإحاطة» فيما يقارب العشرين صفحة^(١) مضمّناً العناصر التالية:

نسب ابن خلدون وأوليته - حاله وصفاته - تكوينه العلمي وشيوخه - انصرافه عن أفريقية منشئه ودخوله المغرب - دخوله غرناطة ومراسلاتة لابن الخطيب وإجابة ابن الخطيب عنها - مؤلفاتها - مقطوعات شعرية له - وصوله إلى بجاية، ثم إنصرافه عنها وتحوله إلى بسكرة - مولده.

ولم يقع إختيار «ابن حجر» إلا على العنصر المتعلق ببيان حاله وصفاته

وهو:

«...هذا الرجل الفاضل، حسن الخلق، جم الفضائل، باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء أصيل المجد، وقرر المجلس، خاصي الزي، عالي الهمة عزوف عن الضيم، صعب المقادمة، قوي الجأش، طامح لقزن الرياسة، خطاب للحظ، متقدم في فنون عقلية لا ونقلية، متعدد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الخط، مغربي بالتجلي، جواد الكف، حسن العشرة، مبدول المشاركة، مقيم لرسوم التعين، عاكف على رعي خلال الأصالة، مفخرة من مفاخر التخوم المغربية»^(٢).

وبالدراسة المقارنة للنص لدى «ابن الخطيب» ومنقول «ابن حجر» عنه

يتضح الآتي:

أولاً - أنه قد حافظ على ألفاظ النص الأصلي إلا في موضعين لا يضار النص بتعديلهما وهما: «رجل فاضل» ويقابلها في النص الأصلي: «الرجل الفاضل» - أي مع حذف أداة التعريف «الـ» في كُلِّيهما - قوله: «ومن مفاخر المغرب» ويقابلها في النص الأصلي المنقول عنه: «من مفاخر التخوم المغربية».

(١) ابن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة ج ٣ ص ٤٩٧ - ٥١٦.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٤٩٧ - ٤٩٨.

ثانياً - أنه أسقط جملة تخلل بين الجمل الواردة في عبارته عن المصدر الأصلي في ثمانية مواضع تحتوي على بعض الصفات التي لا يغنى عن إيرادها سائر الجمل الأخرى الواردة في المثبت لديه وهي : «حسن الخلق، باهر الخصل ظاهر الحياء، خاصل الزي، عزوف عن الضيم، صعب المقادة، طامح لقتن الرياسة، خاطب اللحظ، مغربي بالتجلية، جواد الكف، مبذول المشاركة»، مقيم لرسوم التعين، عاكف على رعي خلال الأصالة». أي ما يعادل منقوله من النص. ولعل دافعه إلى ذلك - مضافاً إلى جريه على طريقته في الاختصار - توهם أن المقصود من عبارته المصدر الأصلي إسداء المديح للمترجم له، وفي المنقول ما يبين ذلك، فضلاً عن بيان حال الرجل وتقويم مصدره له .

ثالثاً - على الرغم من اختصاره للنص على هذه الصورة، فإنه لم يشر إلى ذلك على عادة بعض المؤرخين التقليديين كالذهبي وغيره من قوله في حالة انتقاء أو اختصار النص الأصلي المنقول عنه: «... لخصت ترجمته من...» أو «... هذا معنى ما ذكره ...» وغيرها⁽¹⁾.

وإنما أسنده إلى مصدره قائلاً: «... قال لسان الدين ابن الخطيب في تاريخ غرناطة:...»، معقباً عليه بقوله: «... قال هذا كله في ترجمته» وهو ما لا يفهم منه أنه قد عمد إلى الاستقطابات من النص الأصلي، وإن لم ينتف كون المنقول مستنداً إلى القائل على وجه الدقة باعتبار أنه قد حافظ على لفظ «ابن الخطيب» باستثناء تغيير طفيف في موضوعين - وبمعنى آخر، على اعتبار أنه لم يضيف على النص من عنده ما يجعله يقول ما لم يقله .

٣ - التصرف في النص من حيث اللفظ - تعديلاً وإبدالاً، زيادة واختصاراً مع الحفاظ على النسق الترتيبى للمورد الأساسى للمنقول:

وعلى العكس تماماً مما فعله بنص «ابن الخطيب» في ترجمته «لابن خلدون» نجدنا مع «ابن حجر» وقد عالج مصدرأ آخر نقل عنه في ترجمته للمشار إليه

(1) بشار عواد معروف، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام ص ٤٣٥.

بطريقة أخرى وهو «عقد الجمان» للبدر العيني، حيث قال في ترجمته لابن خلدون ما نصه:

«... قال العيتاني في ترجمة ابن خلدون: مات فجأة بعد أن أعيد إلى القضاء بثلاثة أيام، وكان ديناً فاضلاً، صاحب أخبار ونوادر ومحاضرة حسنة، وله تاريخ مليح، وكان يتهم بأمور قبيحة - كذا قاله»^(١).

وبطاعة هذا المقول المثبت لدى «ابن حجر» عن «البدر» يتضح الآتي:

أولاً - أن الوارد هنا وهو قرابة الثلاثة أسطر من ترجمة البدر لابن خلدون فيها يقارب الـ ١٥ سطراً - وهو جزء من مقولته في ابن خلدون حسب نص ابن حجر: «قال العيتاني في ترجمة ابن خلدون ...»، وبمعنى آخر، وهو ما يشير إلى أنه سوف يعمد إلى اقتضاب النص على صورة من صور الاقتضاب.

ثانياً - أن إردافه المقوله المسندة إلى البدر بقوله: «كذا قال» وقد أتت ذيلاً على مقوله لغيره في المترجم له - ابن الخطيب - يفهم منه أن «ابن حجر» قد أدرك التباين بين المقولتين: الأولى في موضع المدح المفرط والمشرف - أحياناً - والثانية الحالطة بين المديح والقبح في شخص المترجم له، ويفهم منه - كذلك - أنه لم يكن مؤيداً له أو على وجه الدقة معلقاً لرأيه فيه تاركاً للقاريء المقابلة واعتناق ما يريد على سبيل المحايدة وكتمان الرأي أو الامتناع عن إبدائه.

لكن بالدراسة المقارنة بين مادة القول المسندة لدى «ابن حجر» إلى «البدر» وبين ما ورد فعلاً في ترجمة «العيني» لابن حجر^(٢) تتضح أمور أخرى تتعلق بهمبح «ابن حجر» في النقل عن مصادره وهي:

أولاً - أن «ابن حجر» لم يهتم بتحري الدقة في النقل عن مصدره في هذا الموضع، حيث عمد إلى تبديل بعض الألفاظ أو إضافة ألفاظ أخرى على النص

(١) ابن حجر. إحياء الغمرج ٢ ص ٣٤٠.

(٢) العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ١٨٢.

وإن قاربت الألفاظ الأصلية في التعبير عن بغية الكاتب الأصلي في المصدر المنقول عنه كنحو قوله: «مات فجأة بعد أن أعيد إلى القضاء بثلاثة أيام»، ويقابلها في النص الأصلي: «توفي... فجأة وكان قد تولى القضاء قبل موته بثلاثة أيام»، وقوله: «... وكان ديناً فاضلاً، صاحب أخبار ونواذر ومحاضرة حسنة، وله تاريخ مليح» ويقابلها في النص الأصلي المنقول عنه: «... وكان رجلاً فاضلاً صاحب أخبار ونواذر ومحاضرة مليحة، وله تاريخ في سبع مجلدات».

وهنا نلحظ أن «ابن حجر» قد أدخل على النص تعديلات حيث نسب إلى البدر قوله: «ديننا» نعتاً لابن خلدون، وقوله: «مليح» نعتاً لتاريخ ابن خلدون، وهو مما لم يقله، بينما استبدل وصف البدر لأخبار ونواذر ومحاضرات ابن خلدون، « مليحة» بلفظة «حسنة» وهي مرادف لها يؤدي المعنى المطلوب لا شك.

ثانياً - أن هذا القول المنسوب إلى العيني تابي لم يرد في مصدره على هذه الصورة، ولكن «ابن حجر» قد لفق بين جمله لتأتي على هذه الصورة المثبتة لديه،

ثالثاً - أنه في نسبة هذه المقولية إلى البدر بقوله: «قال العيني في ترجمة ابن خلدون» ما يشير إلى أن ما أورده ليس كل ما قاله البدر فيه وهذا صحيح.

رابعاً - أن هذا النص على وجازته يوهم أن كل منقوله عن البدر منحصر في هذا الموضوع المشار إليه والمسند إلى البدر، لكن بمقارنة المادة المكتوبة في ترجمة ابن خلدون لدى «البدر» ومثلتها لدى «ابن حجر» يتضح أن «ابن حجر» قد استوعب ترجمة «البدر» تماماً - على نحو ما يبرهن.

وهكذا فإن «ابن حجر» قد تصرف في النص من حيث اللفظ - تعديلاً وإبدالاً زيادة واختصاراً مع الحفاظ على النسق الترتيبى لمادة مصدرية.

٤ - الالتزام بالحرفيّة للألفاظ - قدر إمكانه - مع تغيير النسق الترتيبى وتعديلاته:

وفيه يوجد تشابه كبير بين ألفاظ منقوله وبين مصدره، ولكن مع تعديل النسق الترتيبى للمصدر الأصلي:

ومن أمثلة ذلك ما ورد في ترجمته لسبط العلائي - ضمن وفيات حولية
عشرين وثمانمائة - من قوله :

«... قال ابن قاضي شهبة في طبقاته : وكتب بخطه على فتوى تدل على
كثرة إستحضاره وجودة تصرفه، ولما سكن الهروي هناك اتصل بينهما شرور
كثيرة وم ráفات وقوى الهروي عليه. مات في آخر هذه السنة عن نحو خمسين
سنة»^(١).
ويقابل ذلك في مصدره قوله :

«... ولا سكن الهروي هناك حصل بينهما شرور كثيرة وم ráفات وقوى
الهروي عليه، وقد رأيت خطه على فتوى وهو يدل على كثرة استحضاره وجودة
تصرفه ... توفي في آخر سنة عشرين وثمانمائة عن نحو خمسين سنة»^(٢).

وهو - هنا - يورد نص مصدره وقد حافظ على لفظه مع تغيير طفيف
اقتضاه المقام وإن عدل النسق الترتيبى المصاحب له.

ويمثل ذلك - كذلك - قوله في حوادث حولية أربع عشرة وثمانمائة
بعخصوص موت السلطان الملك المنصور :

«... قال العيتابي : كان شديد البأس على جواريه لسوء خلقه من غلبة
السوداء عليه، ولم يزل مشغولاً باللهو والسكر»^(٣).
والذى في تاريخ العيتابي قوله :

«... ولم يزل مشغولاً بالسكر والملاهي إلى حين وفاته، وكان شديد البأس
على حاشيته خصوصاً على جواريه^(*) وكان يقتلهم قتلاً عظيماً لسوء خلقه
وغلبة السوداء عليه»^(٤).

(١) ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ١٥٠.

(٢) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ٢٠٣ ب.

(٣) ابن حجر. إنماء الغمرج ٢ ص ٤٨٩.

(*) في الأصل : جواره.

(٤) العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ١١٨.

وقوله في ترجمته لعبد الله بن طيمان - الواردة ضمن وفيات حولية خمس عشرة وثمانمائة:

«... وقال القاضي تقى الدين الشهبي : شرع في جمع أشياء لم تكمل ، واختصر شرح الغزى على المنهاج ، وضم إليه أشياء من شرح الأذرعي ، وقد درس الركنية والعذرائية والظاهرية والشامية»^(١).

ويقابل ذلك لدى مصدره قوله :

«... ثم أنه في آخر أمره أقام بالشام يشغل ويفتي ويصنف ، ودرس بالركنية والعذرائية والظاهرية والشامية الجوانين ، وولي خدامة الخانقاه السيميساطية وشرع في جمع أشياء لم تكمل ، واختصر شرح الشيخ شرف الدين الغزى على المنهاج ولم يشتهر لغلاقة لفظه واختصاره»^(٢).

٥ - التصرف في اللفظ والنحو التربيري معاً :

ويمثله قوله بخصوص «آقبغا القديدي» :

«... وقتل قنباي ، وآقبغا القديدي - المعروف بدويدار يشبك - كان مقدماً عند يشبك ، ثم استقر عند الناصر دويداراً صغيراً وأمره عشرة ، وكانت له وجاهة ومعرفة ويقتدي برأيه في كثير من الأمور . قال العيتابي : كان يدعى الحكمة ووفور العقل مع خبث ومكر وحب لجمع المال ، ولم يشتهر عنه خير ، وحصل في أيام يشبك مالاً جماً ، ثم لم يزل في ازدياد إلى أن مات في ليلة الخميس ثالث عشر شوال ، وخلف شيئاً كثيراً جداً تمول بعده منه جماعة واستولى السلطان على غالبه»^(٣).

والذي في «عقد الجمان» نصه :

«... الأمير آقبغا القديدي - دويدار يشبك الشعباني - كان توفي ليلة

(١) ابن حجر، إناء الغمرج ٢ ص ٥٢٩ - ٥٣٠.

(٢) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية ق ١٨٦ ب.

(٣) ابن حجر، إناء الغمرج ٢ ص ٤٩٠.

الخميس الثالث عشر من شوال منها، ودفن صبيحة غده في تربته التي أنشأها بالصحراء قريباً من تربة الظاهر برقوق، وخلف موجوداً كبيراً، واستولى الناصر على أكثره، وكان رجلاً يدعى المعرفة والخذافة راضياً بعقله ومستحسناً فعل نفسه صاحب خبث ودهاء، ولم يشتهر عنه معروف، وكان حريصاً على جمع الأموال، وجمع كثيراً لما كان دوادار يشيك ثم أعطى أمراً عشرة وتبولى الدوادارية الصغرى للناصر إلى أن توفي»^(١).

وقوله في ترجمته لمحمود القيساني (ت ٧٩٩ هـ) :

«... قرأت في تاريخ البدر أن جمال الدين أول ما قدم نزل في الصرغتمشية قال: وكان بحالة املاق إلى الغاية، ثم وصل إلى ما وصل إليه حتى قال: إنه سمعه يقول: هذا الذي حصل لي غلطة من غلطات الدهر. قال: وكان عنده دهاء مع حشمة زائدة وسخاء، وكان فصيحاً بالعربية والتركية والفارسية، وكان كثير التائق في ملبسه وماكله»^(٢).

والظاهر من هذا النص أن «ابن حجر» يشير إلى أن المقوله الأولى مستخلصة من القراءة، بمعنى أن الصياغة ليست للمصدر الأصلي، على حين ما يليها من لفظ المؤلف الأصلي، خاصة وأنها مسبوقة بكلمة «قال». لكن يظهر اجتهاد «ابن حجر» في صياغة النص فيسائر العبارة، بالفاظ مقاربة، وقد انتقد البدر في صدر كتابه لترجمته، حيث أن منقوله عنه لا ينطابق مع لفظه وهو:

«... وكان رجلاً خلوقاً ذا أدب وخشونة، سخي الكف على الطعام وعلى العطاء لمن يعتني به، وكان عنده ذكاء، ولكن كان قليل المادة، فبقوه ذكائه كان يشارك الناس في البحث، وكان يتكلم بالتركي والعجمي والعربي، قدم الديار المصرية في الدولة الأشرفية، وأقام في مدرسة صرغتمش مدة من جملة الطلبة، وكان على فقر عظيم... فالذى اتفق لهذا ما اتفق لغيره من أبناء جنسه،

(١) العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ١١٧ أ.

(٢) ابن حجر. إحياء الغمرج ١ ص ٥٤٢.

ولذا سمعته يقول: هذا الذي حصل لي من غلطات الدهر... وكان يتكلف في المواكيل الطيبة والملابس الحسنة»^(١).

٦ - النقل بالفكرة مع إغفال العبارة الأصلية لمصدره:

ومن أمثلة ذلك قوله بخصوص ترجمة «نوروز» (ت ٨١٧ هـ.):

«... قال العيني: كان جباراً ظالماً غشوماً يخيلاً - كذا قال»^(٢).

وهي جملة استنتاجية من مقوله «البدر» فيه ونصها:

«... ولكن كان ماسك اليد لأهل العلم والقراء، وكان عنده تجرب عظيم وشمم هائل، ولم يشتهر عنه معروف»^(٣).

وقوله في ترجمته لأسنبلغا الزردكاش (ت ٨١٨ هـ.):

«... قال العيني: كان ظالماً غاشياً لم يشتهر عنه إلا الشر»^(٤).

والذي في مصدره قوله:

«... ولم يشتهر له معروف»^(٥) - فقط.

وقوله بخصوص وباء البقر - الوارد ضمن حوادث حولية أربع وتسعين وسبعمائة نقلأ عن «ابن الفرات» الذي اتخذ مصدرأ لحوادث حولية كلها:

«وفي شعبان وقع الوباء في البقر حتى كاد أقليل مصر أن يفني منها»^(٦).

والذي في مصدره قوله:

(١) العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ٥ ب، ٦.

(٢) ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ٥١.

(٣) العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ٣٥ أ.

(٤) ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ٧٧.

(٥) العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ١٤٢ ص ٧١٤٢.

(٦) ابن حجر. إنماء الغمرج ١ ص ٤٣٧.

«... وفي شهر رمضان المذكور حصل للبقر التي بالزرايب بالقاهرة المحروسة وظواهرها مرض فصارت البقرة بمجرد ما يصيّبها تضطرب وتقع ميتة، ويبلغ الأمر في ذلك أن أبيع كل بقرة كانت تساوي قدماً خمساً درهم بعشرين درهم، ثم تناهي إلى أن أبيع بقرة بخمسة دراهم، ولم يوجد من يشتريها، وسمعت بعض الناس يذكر أن بقرة أباعتها بدرهم، وخلال غالبية الزرايب التي ظاهر القاهرة من البقر وجافت الحارات التي بالقرب من الزرايب لكثره موت البقر ورميها على أبواب الزرايب. وكذلك في الأرياف، وبطفل الطباخين بيع الطبيخ باللحم البكري، وصار الناس لا يشتروا لحم بكري ولا يأكلوه. فسبحان الفعال لما يرید»^(١).

وقوله في حوادث حولية سبع وتسعين وسبعيناً - نقلًا عن ابن الفرات - وقد اتخذه مصدرًا لغالبية حوادثها :

«... وفيه (شعبان) أحضر من دمياط قطعة من مخ سمكة يدخل في كل عين منها رجل ضخم»^(٢).

والذي في مصدره قوله :

«... وفيه شاهدت من مخلوقات الله العجيبة ما أحضر من ثغر دمياط المحروس قطعة عظم من مخ سمكة تشتمل على ميق العينين وبينهما متصل بها قطعة من الخرسن يدخل في كل ميق منها رجل ضخم إلى الغاية أو رجلين، والعظمة محمولة على جمل وما يطيق المشي بها إلا بتتكلف»^(٣).

وما المستخلص من كل هذا أن «ابن حجر» قد عالج مادة مصادره: سواء فيما يختص بالحوادث - على الرغم من تنوعها - أو بالتراجم بطرق شتى وإن

(١) ابن الفرات. التاريخ ج ٩ ص ٣٠٨.

(٢) ابن حجر. إحياء الفرج ج ١ ص ٤٩٣.

(٣) ابن الفرات. التاريخ ج ٩ ص ٤١٠.

كشفت عن شخصيته المصاحبة لكل منقول مدون لديه فإنها لا تعبّر - في الغالبية العظمى منها عن العبارة الأصلية المنقول عنها إلا بالفكرة الحاملة لها، حيث ظهر جلياً تصرفه في النسق التعبيري والترتيبي لمصادره.

رابعاً - نقد المصادر

على الرغم من أن «ابن حجر» قد اعتمد كثيراً من المصادر في بناء مادة كتابه بل ونقل الكثير من عباراتها الناقدة إلى حولياته محافظاً عليها، ناسباً منقوله عنها في الحديث أو الترجمة إليها^(١) فإنه كانت له نظرة في تلك الأخبار المنقوله عنها، عامل بها الحوادث والترجم على أنها جزئيات تخضع لتصديق العقل إياها أو لرده وتفنيده^(٢) كما كانت له نظرة شاملة - كذلك - على المصدر ككل، سواء

(١) كنحو قوله في ترجمة «ابن لاجين الرشيدى» (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ مـ) «... قال القاضي تقى الدين الشهبي : وفدت على شرحه ، وفيه أوهام عجيبة» - إنباء الغمرج ٢ ص ١٦٨ .

وقوله في ترجمة «جمال الدين المالكى» (ت ٨٠٧ هـ / ٤٠٥ مـ) : «... قرأت بخط قاضي البلاد الخلبية القاضي علاء الدين في تاريخها كان إماماً فاضلاً فقيهاً يستحضر كثيراً من التاريخ ... وكان يحب العلم وأهله ..» - نفسه ج ٢ ص ٣٠٦ .

(٢) كنحو قوله في ترجمة «محمود الكلستانى» (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ مـ) : «... ووصفه العيني - كما تقدم - بالطيش والبخل والعجب ، وبالغ في ذمه ، وليس كما قال ، فقد أثني عليه طاهر بن حبيب في ذيل تاريخ والده ووصفه بالبراعة في الفنون العلمية ، وقد قرأت بخطه لغزاً في العلم في غاية الجودة خطأ ونظمـاً ..» نفسه ج ٢ ص ٩٠ .

وقوله في ترجمة «ابن ملاعب الفلكي» (ت ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ مـ) : «... وسمعت القاضي ناصر الدين البارزى يبالغ فى إطرائه ، ووصفه غيره بقلة الدين وترك الصلاة وانحلال العقيقة». نفسه ج ٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

وقوله في ترجمة «شهاب الدين المتولى المالكى» (ت ٨٣٠ هـ / ١٤٢٧ مـ) : «... قال القاضي علاء الدين ... وساق له عن أبي حيان قصيدة ... وهي في نحو العشرين بيتاً لا تشبه نظم أبي حيان ، ولا نفسه ولا يتصور له ولد سنة سبع وأربعين أن يسمع من أبي حيان الذي مات قبل ذلك بعده ، ولقد عجبت من خفاء ذلك على القاضي علاء الدين ..» - نفسه ج ٣ ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

فيها أورده في صدر كتابه^(١) أو في الترجمة لمصدره^(٢) إذا ما صادفت وفاته الفترة
الزمانية لحوليات كتابه، أو في عبارات ناعته للمصدر تأتي غالباً تصيقة المثقول
عنه^(٣).

خامساً - الدقة في النقل

على الرغم من تحري «ابن حجر» الدقة في النقل عن مصادره، وشيوخ
مظاهر ذلك في جوانب كتابه، فإنه قد جانبه الصواب في مواضع كثيرة منه،
حيث أغفل التاريخ التام لبعض الحوادث الواردة تامة التأريخ لدى مصادره^(٤)

(١) كنحو قوله في صدر كتابه: «... وطالعت عليه تاریخ القاضی بدر الدين محمود العینی، وذكر أن
الحافظ عماد الدين ابن کثیر عمدته في تاریخه وهو كما قال، لكن منذ قطع ابن کثیر صارت عمدته
على تاریخ ابن دقماق حتى يکاد يكتب الورقة الكاملة المسؤلية، وربما قلده فيما یهم فيه حتى في
اللحن الظاهر مثل: أخلع على فلان، وأعجب منه أن ابن دقماق یذكر في بعض الحالات ما
يدل على أنه شاهدتها فیكتب البدر کلامه بعینه بما تضمنه، وتکن تلك الحادثة وقعت بمصر وهو
بعيد في عیتاتب...». - إنباء الغمر ج ١ ص ٤ - ٥.

(٢) كنحو قوله في ترجمة «ابن الفرات الحنفي» (ت ٨٠٧ هـ / ٢١٤٠ م.): «... وكان هجا
بالتأريخ، فكتب تاریخاً کبیراً جداً بیض بعضه... وتأريخه في هذا کثير الفوائد إلا أنه بعبارة
عامية جداً». - نفسه ج ٢ ص ٣١٣.

(٣) وهي غالباً ما تكشف عن شخصية صاحب المصنف المثقول عنه، كنحو قوله: «قرأت بخط قاضی
البلاد الخلیجی علاء الدين...»، «أرخه الحافظ»، أو «حافظ العصر...»، أو «أرخه مؤرخ
الشام...» الخ.

(٤) كنحو قوله: «... وفي آخر ربيع الآخر عزل ناصر الدين ابن البرجي عن الحسبة، وأعيد نجم
الدین الطنبیدی» - نفسه ج ١ ص ٤٣٤ - على حين ورد الخبر لدى مصدره تام التأريخ -
هكذا: «... وفي آخر يوم الأربعاء خامس عشری شهر ربيع الآخر - المذکور - أشیع أن السلطان
الظاهر أخلع على القاضی نجم الدين الطنبیدی وأعاده إلى حسبة القاهرة والوجه البحري عوضاً
عن القاضی بهاء الدين ابن البرجي بعد عزله». - تاریخ ابن الفرات ج ٩ ص ١ - قوله:
«... وفي شوال أمطرت السماء مطراً غزيراً حتى خاض الناس في المياه، وذلك في أول يوم من
توت، والشمس في برج السنبولة». - إنباء الغمر ج ١ ص ٤٥٢ - ويقابل ذلك لدى مصدره قوله:
«... وفي عشیة الجمعة الموافق لیوم التوروز - أول توت من الأشهر القبطية - ليلة السبت حادي
عشري شوال المذکور أمطرت السماء بالقاهرة مطراً كثيراً كأفواه القرب حتى خاض الناس في الماء =

وأخطأ التاريخ بعض الحوادث في مواضع أخرى، وقد وردت على وجه الصواب في مواضعها من مصادره^(١) بالإضافة إلى نقله - سهواً - حوادث من حولية إلى أخرى غير التي وقعت فيها^(٢) ناهيك عن التفاوت العددي بين المثبت لديه وبين مصدره - بالنسبة للأفراد والمنقولات المكونة لعناصر الخبر، أو العزوف كلياً عن تحديده^(٣).

= والوحـل» - تاريخ ابن الفرات ج ٩ ص ٣٤٤ - كما أشار مصدره - نفسه ج ٩ ص ٣٨٥ - إلى أن «المناوي» قد عزل عن الحكم في «رابع عشر ربيع الآخر (سنة ٧٩٦ هـ.)»، على حين كان تاريخ ابن حجر لذلك «في ربيع الآخر» - إحياء الغمرج ١ ص ٤٦٩

(١) من ذلك: تأريخه لواقعة وادي شقحب - بين العسكر المصري والظاهر برقوم بحدادي عشر المحرم (سنة ٧٩٢ هـ.) نفسه ج ١ ص ٣٩١ - على حين وردت لدى مصدره - نقاولاً عن ابن دقماق - في «بوم الاحد رابع عشر المحرم» - تاريخ ابن الفرات ج ٩ ص ١٨٦ . بالإضافة إلى جعله دخول الظاهر برقوم إلى غزة في آخر المحرم - إحياء الغمرج ١ ص ٣٩٢ - على حين أن الوارد لدى مصدره - تاريخ ابن الفرات ج ٩ ص ١٨٨ - في مستهل صفر، كما أن «ابن حجر» قد أشار إلى وباء البقر على أنه وقع في «شعبان» سنة ٧٩٤ هـ. إحياء الغمرج ١ ص ٤٣٧ - بينما أرخه ابن الفرات - التاريخ ج ٩ ص ٣٠٨ - بشهر رمضان من السنة ..

(٢) من ذلك: إشارته إلى أن استيلاء الفرنج على جزيرة جربة كان سنة ٧٩٠ هـ. (إحياء الغمرج ١ ص ٣٥١) على حين أن هذا الخبر في حولية التالية لها، و قوله بأن السلطان قد عرض أجناد الحلقة فتشفعوا لدى السراج البلقيني، وابن رفاعة سنة ٧٩٠ هـ. (نفسه ج ١ ص ٣٤٧) وهذا الخبر وارد لدى مصدره في حولية السالفة، وتاريخه لضرب أمين الدين السمسطائي - أمين الحكم - بين يدي السلطان واهانته سنة ٧٩٠ هـ. وقد كان ذلك سنة ٧٨٩. (نفسه ج ١ ص ٣٥٣)، وتاريخه لزيادة المحتبس في الأذان سنة ٧٩١ هـ. (نفسه ج ١ ص ٣٧٨) وصوابه سنة ٧٩٠ هـ. ونقله خبراً عن مقاومة القرشي لبرقوم واقتصاص الشان منه من حولية ٧٩١ هـ. إلى حولية التالية لها (نفسه ج ١ ص ٣٩٥)، وتاريخه لأمر صادر بمنع المعجمين من ركوب الخيل إلا أن يكونوا من الوزراء أو كتاب السر أو لظار الخاص - سنة ٧٩٢ هـ. (نفسه ج ١ ص ٤٠٢) وقد صدر هذا المرسوم سنة ٧٩٣ هـ . ، وتاريخه لعزل البااعونى بابن أبي البقاء سنة ٧٩٧ هـ. (نفسه ج ١ ص ٤٨٦) وصوابه سنة ٧٩٦ هـ.. والجميع نقاولاً عن ابن الفرات مع الخطأ في تاريخ ابن حجر له ..

(٣) من ذلك ما ورد في حولية أربع وتسعين وسبعين مائة من قوله: «... وفيه (في صفر) هجم على بطا النائب بدمشق خمسة أنفس... فقتلواه وأخرجوا من في الحبس...» - إحياء الغمرج ١ ص ٤٣٢ -

كما أنه كرر كثيراً من الأخبار المنقوله عن مصادره في ذات الحولية التي تتضمنها وبينها العبارات متقاربة المعنى^(١) تكشف - لا ريب - عن

= ويقابل ذلك لدى مصدره - ابن الفرات. التاريخ ج ٩ ص ٢٩٧ - «... وفي أواخر صفر - المذكور - حضر بريدي من دمشق وأخبر بأن جماعة من المالكية نحو الخمسة عشر نفراً حضروا مشاة إلى باب قلعة دمشق، فلما وصلوا إلى الباب كانت سيفهم مخبأة فأظهروها وهجموا بباب القلعة ...»، كما يشير ابن الفرات في ذيل الخبر إلى أن الذين أفلتوا من العقاب من هؤلاء المتآمرين «خمسة أنفس ما عرف كيف هربوا»، على حين لم يهتم «ابن حجر» بذلك قائلاً: «... ومسكوا الثائرين، فلم يبقوا منهم إلا من هرب». كما يشير «ابن حجر» - إنباء الغمرج ١ ص ٤٧٠ - إلى أن المبلغ الذي بذلك «البدر بن أبي البقاء» من موعد الأيتام - للظاهر برقوق - في سعيه على المناوي «كان ستمائة ألف»، على حين أن الوارد لدى مصدره - تاريخ ابن الفرات ج ٩ ص ٣٧٧ - هو: «... وفي يوم الأحد العشرين من شهر ربيع الآخر - المذكور - أرسل الوزير ناصر الدين محمد بن كلفت من يقبض من الموعد الحكمي ما اتفق عليه الحال بينه وبين قاضي القضاة بدر الدين بن أبي البقاء الشافعى من قرض أموال الأيتام، فأشيع أنهم قبضوا من الموعد خمسمائة ألف درهم وستين ألف درهم»، ومن مظاهر إهماله التحديد العددى ما ورد في حولية خمس وتسعين وسبعيناً بخصوص قتل نائب الكرك (إنباء الغمرج ١ ص ٤٥٥) من قوله: «... وفي ذي الحجة شكا بعض التجار لنائب الكرك يوسف القشتمري أن جماعة من العشير أخذوا له مالاً من الغنم وغيرها، فركب وتحدث معهم وسألهم أن يعيدوا ما أخذوه فأخذوا البعض، فطلب البقية، فذكروا أنهم لم يأخذوا إلا ذلك، فجمع مشائخهم ليحلفهم، فاجتمعوا، فقبض عليهم فغضب الباقيون فوقعوا فيه فقتلوه، وكان في ناس قلائل». ويقابل ذلك لدى مصدره (تاريخ ابن الفرات ج ٩ ص ٣٤٩) قوله: «وفي جاء ناس تجأر إلى الأمير شرف الدين يوسف القشتمري - نائب السلطنة بالكرك - وذكروا أن قوماً من العشير أخذوا لهم ثلاثة آلاف رأس غنم، فركب ونزل اليهم وطلبهم وتحدث معهم فأحضروا له ألف وسبعيناً رأس غنم، فقال لهم: بقي ألف وثلاثمائة رأس فحلعوا أنهم ما أخذوا إلا هذا القدر، فقال يحضرها مشائخكم يحلفوا، فلما حضروا من مشائخهم عشرة أنفس قبض عليهم ورميهم في زنجير، وكان قد ركب في عشرة أنفس لا غير، ولم يعلم أحد من العسكر بركوبه فلما أرمي مشائخ العشير في الزنجير غضب أهل البلد ورمي أحدهم بسهم نشاب فجرحه، ثم رماه آخر فقتله.

ويمثل النصين بعضهما تتضح أمور هي :

(١) إغفال «ابن حجر» إثبات العدد في الخبر بأكمله واستبداله بعبارات مسقطة له كنحو قوله: «مالاً من الغنم وغيره» عوضاً عن قول مصدره «ثلاثة آلاف رأس غنم»، وقوله: «فأخذوا البعض» عوضاً عن قول مصدره «الف وثلاثمائة رأس»، وقوله: «فجمع مشائخهم» عوضاً عن قول =

مسلكه في اقتضاب الخبر ونقله، حيث أتت الحوادث فيها مهملة التاريخ مرة، ومشتبه التاريخ أخرى، مما يشير إلى أن التاريخ التام للحدث سلباً وإيجاباً لم يكن من الأشياء المعنى بها لديه، عل العكس - تماماً - مما فعله بالنسبة لترجمات الوفيات الواردة في حولياته.

= مصدره: «حضر من مشايخهم عشرة أنفس»، قوله: «وكان في ناس قلائل» عوضاً عن قول مصدره «وكان قد ركب في عشرة أنفس».

تحريفه لبعض الألفاظ وهي «يونس» ويقابلها لديه «يوسف»، «طم»، ويقابلها قوله «له».

ما يشير إلى أنه لم يكن دقيقاً في النقل عن مصدره في هذا الموضع.

من ذلك (إنباء الغمرج ١ ص ٤٥٤) قوله: «... وفيها كانت وقعة بين عرب الكرك ونائبهما فقتل النائب يonus»، ثم تكرير قوله آنف الذكر. قوله في حولية ٧٩٩ هـ. (إنباء الغمرج ١ ص ٥٢٧): «... وفي ثامن شعبان - الموافق لحادي عشر بشنس - أمطرت السماء ب بعد وبرق حتى صارت القاهرة خوضاً، فكان ذلك من العجائب، ودام ذلك في ليالٍ متعددة، وقد وقع مثل ذلك بل أعظم منه في مثل زمانه سنة سبع عشرة وثمانمائة في سلطنة الملك المؤيد»، ثم كرره في حولية عينها (ج ١ ص ٥٢٩) قائلاً: «... وفي هذه السنة أمطرت السماء في حادي عشر بشنس من الأشهر القبطية مطراً غزيراً ب بعد وبرق ودام ذلك في ليالٍ متعددة».

الفصل الخامس

النقد التأريخي في «الإنباء»

- ١ -

اعتنى «ابن حجر العسقلاني» عناية فائقة بالنقد التأريخي، ومارسه في سائر كتاباته التاريخية، سواء كان ذلك في «إنباء الغمر بأنباء العمر» أم في غيره من المؤلفات التاريخية الأخرى - المعروفة لنا - ملحاً عليه بشتى الطرق التي في مكتبه التعبير بها، على اعتبار أنه جزء رئيس وهام من منهجه في الكتابة التاريخية، منطلقاً من مفهومه للتاريخ، وهو مفهوم ذو صلة بالحديث النبوي الذي صار حافظ عصره فيه بلا مدافع وما يتبعه من جرح وتعديل ظلل متبعاً غير منقطع إلى ما بعد وقته. ومن كونه ذواقة للأدب ناقداً له مشاركاً فيه وفي غيره من علوم عصره على كثرتها.

بل كثيراً ما كان هذا المسلك الناقد في الكتابة التاريخية سبباً في تعرضه لكثير من العدوات والمشاحنات^(١).

ولعله يكون مناسباً - والحال كذلك - أن نتعرف على منهجه في النقد التأريخي قبل الخوض في إيراد الجانب التطبيقي له في «إنباء الغمر».

(١) راجع بشأن ذلك: السخاوي. - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٤٦٢ - ٤٧٠، والجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر - خطط. أحمد الثالث ق ٢١٦٨ - ١٨٣، والضوء اللامع ج ٧ ص ٢٢٠.

فلقد وصلتنا فتيا «لابن حجر» ردًا على سؤال سائل تعلق بهذا النوع من الكتابة التاريخية الناقدة - حفظت ضمن مجموع احتوى على ردود مائة لأربعة من أعلام الفتيا في عصره^(١) - ردًا على سؤال السائل عينه، وفيما نقله عنها «الشمس السخاوي» في «الجواهر والدرر» نصاً^(٢)، وفي «الإعلان بالتوقيخ» ضمناً^(٣).

أما سؤال السائل ففحواه:

«ما يقال في مؤرخ يذكر تراجم الناس على ما يعلم منها من خير وشر قاصداً بذكر الشر التنفير من يكون ذلك صفتة مما عساه ينقل عنه في ذلك من أمر ديني، وبما زل فيه تبعاً لهوا، ولا سيما إذا كان هذا المؤرخ ناقلاً عن أحد من تقدمه، وذلك مع استحضاره وخوفه مما ورد في اتباع الهوى وعدم ميله إليه، فاعتراض عليه معترض فقال له: هذا غيبة لا تحمل؟

وأما فتواه فهي:

«الحمد لله. اللهم أهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك.

الذي يتصدى لكتابة التاريخ قسمان: قسم يقصد ضبط الواقع، فهو غير مقيد بصنف منه، ولكن يلزمته التحري في النقل فلا يجزم إلا بما يتحققه، ولا يكتفي بالنقل الشائع، ولا سيما إن ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح، وإن كان في الواقعة أمر فادح في حق المستور، فينبغي أن لا يبالغ في إفشاءه، ويكتفي بالإشارة لثلا يكون المذكور وقعت منه فلتة، فإذا ضبّطت عليه لزمه عارهاً أبداً، فيحتاج المؤرخ أن يكون عارفاً بمقادير

(١) يوجد هذا المجموع في الكتبخانة الأصفية بعيدير آباد بالهند تحت رقم: ٤٤ مجاميع وقد نشره الأستاذ / فؤاد سيد في مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (ج ٢ ص ١٦٢ - ١٧٧) تحت عنوان: «شروط المؤرخ في كتابة التاريخ، خمس فتاوى لم تنشر لخمسة من أعلام القرن التاسع المجري».

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٨٢ .

(٣) نفسه. الإعلان بالتوقيخ ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

الناس وبأحوالهم وبنازلهم، فلا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع.

والقسم الثاني: من يقتصر على تراجم الناس، فمنهم من يعمم، ومنهم من يتقييد، وعلى كل منها أن يسلك المسلك المذكور في حق من يترجمهم، فالمشهور بالخير والدين والعلم لا تتبع مساويه، فإنه غير معصوم، والمستور قد تقدم حكمه، والمجاهر بالفسق والفجور، إذا خشي من ستر حاله ترتب مفسدة كالأغترار بجاهه أو ماله أو بنسبه فيضم إلى من ليس على طريقته. فهذا يجوز له بهذا القصد أن يبين حاله بالنسبة لرفيقه أو أخيه أو قريبه، كأنحويين - مثلاً - اشتهر بالعلم، وأحدهما كان مشهوراً بالفقه والديانة والآخر بعكسه. وربما وجب عليه بيان هذا المجاهر إذا كان هناك من يعتربه.

وقد بسط شيخ الإسلام «النواوي» القول في ذلك آخر كتاب «الإذكار» وبين حال من يباح ذكره بما فيه، وأحال عليه في زياقاته في «الروضة» فمن أراد الوقوف عليه فقد أرشدته إليه. ومن جملته: بيان حال المحدث.

ثم الذي يتقييد بصنف من الناس: تارة يكون محدثاً، وتارة يكون غير محدث، فالمحدث أصل وضع منه بيان الجرح والتعديل، فمن عابه بذكره لعيب المجاهر بالفسق أو المتصف بشيء مما ذكر أو ملبس أو مشارك للماجهر في صفتة فيخشى أن يسرى إليه الوصف.

ثم هذا المحدث يكون تارة بلغ درجة الاجتهد في الجرح والتعديل، وتارة يكون ناقلاً عن غيره.

فالأول: هو الذي تقدم تفصيل حاله. والثاني: يلزمته تحري الصدق في النقل، ولا يعتمد على مجرد التشنيع في كل أحد. فإن للناس أغراضاً متفاوتة، بل ينظر في الناقل فإن كان ثقة ليس بعثتهم في المنقول عنه فليعتمده، وإن سماه فهو لساحته، وإن شكر فيه فليقتصر على الإشارة ولا يجزم بما يتردد فيه، بل يأتي فيه بصيغة التمريض، وإن كان الناقل له من ينسب إلى المجازفة أو كان بينه وبين المنقول عنه حظ نفس فليتجنب النقل عنه، فإن اضطر إلى ذلك فليكشف أمره ويتبرأ من عهده.

وأما كلام أئمة النقل في الجرح والتعديل فأشهر من أن نذكر له أمثلة.

وقد خاض في ذلك من لم يشك في ورعه كالإمام أحمد والبخاري، وهو القائل: «ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة حرام»، ومن المتأخرین الحافظ تقی الدین صاحب الکمال فی معرفة الرجال، الذي هذبه المزی، ولقد كان من الورع بمكان مشهور.

وأما اعتراف من اعترض في ذلك زاعماً أن ذلك غيبة، فإن كان جاهلاً فليعلم، فإن أصر فليؤدب بما يليق، ليرتدع عن الخوض فيها ليس له به علم. وإن كان منسوباً للعلم فاللوم عليه أشد، لأنه يصیر معانداً، فليقابل بما يليق به من الزجر حتى يرجع عن الطعن في البريء، والذب عن المفترى، ويثاب ولي الأمر أیده الله - تعالى - على ذلك. وبالله التوفيق».

من هذه الفتوى - على طولها - يمكن أن نتبين منهجه في إيراد نقاده ونحصره في:

١ - أن مهمته كمحدث تستوجب منه قبل كل شيء إثبات فنه وهو «الجرح والتعديل» بحيث لا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع، وإنما لكل منزل ينزله إياه.

٢ - أنه لا يتأتي له ذلك إلا بالمعرفة بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم، مع التحري في النقل حيث لا جزم إلا بتحقيق، ولا مسلمات في كتابات الغير، ولكن هناك إعمال للفكر - فإن للناس أغراضًا متفاوتة.

٣ - أنه لا يشيع النقل عن مصدر إلا إذا كان صاحبه ثقة، فإن كان غير ذلك فإن فيه طرقاً:

أ - أن يذكر الخبر قرین مصدره جاعلاً العهدة فيه على المصدر، كنحو قوله في ترجمة «أبي يزيد الردماوي الزبيدي» (ت ٨١٣ هـ.): «... نقلت ترجمته من خط الشيخ تقی الدین المقریزی والعهدة فيه عليه»^(١)، وما ورد في حوادث

(١) ابن حجر، إناء الغمر بإناء العمrag ٢ ص ٤٧٣ (من ط. القاهرة).

حولية سبع وثلاثين وثمانمائة من ولادة مطلقة لولد صورته صورة الضفدع في قدر الطفل، وقد أورد الخبر - وكأنه تشكيك فيه - بين تعبيرين إصطلاحيين يفيدان ذلك، هما: «ورأيت في كتاب بعض من يذكر الحوادث... قرأت ذلك بخط الشيخ تقي الدين المقرizi»^(١)، قوله بخصوص انقلاب وجه عاشر بإمام جماعة - وهو يصلي - إلى خنزير، ضمن حوار حولية اثنتين وسبعمائة: «... قرأت بخط ابن دقمق... وأنه من شاهد ذلك»^(٢).

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه مع توسيعه هذين المصادرتين في مقدمة «الإنباء» مشارياً إلى أن غالباً ما ينقله عنها^(٣) - قد عامل الأخبار فيها على أنها جزئيات مستقلة تخضع لتصديق العقل أو تكذيبه، فلما تشكيك فيها أو لم يتحقق أهليتها بالتصديق مقارناً بغيرها من النصوص التي كان يتخيّل أن تكون تحت يده ذكرها قرين مصدرها عاهداً فيها على المصدر أو واضعاً لها بين العبارات الإصطلاحية المفيدة لذلك.

ب - الإتيان بصيغ التمريض في حالة ما يشكّر المصدر مترجمًا له لا يطمئن «ابن حجر» إلى مزيته^(٤).

ج - إن كان المصدر المنقل عنه منحازاً أو مجازفاً لا ينقل عنه، فإن اضطر إلى النقل عنه كشف أمر مصدره حتى يلقي عليه العهدة، ومن أمثلة ذلك ما فعله مع «البدر العيني» في مواضع متعددة من «الإنباء» منها ما ورد في ترجمة «يشبك بن أزدمر» - ضمن وفيات حولية سبع عشرة وثمانمائة - من قوله: «... كان مشهوراً بالشجاعة والفروسية، وقال العيتاني: كان ظالماً لم يشتهر عنه خير، كذلك قال، وقد باشر نظر الشيخونية ورأيت أهلها يبتهلون بالدعاء له والشكر

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٥١٢، ويقابلها في مصدره: المقرizi . السلوك ج ٤ ص ٩٢١.

(٢) نفسه ج ١ ص ٢١٠.

(٣) نفسه ج ١ ص ٤.

(٤) حيث ترد عناصر الترجمات والحوادث في مواضع متفرقة دون نسبة إلى مصدر، ، مكتفيًا فيها بقوله: «قيل»، «قال البعض»، «ويقال» ..

منه»^(١) قوله في ترجمة «دمداش المحمدي الظاهري» (ت سنة ٨١٨ هـ.) : «... وكان دمداش مهياً عاقلاً مشاركاً في عدة مسائل، كثيراً لآهل العلم والعناية بهم، اجتمعت به فوجدته يستحضر كثيراً من كلام الفزالي وغيره، قال القاضي علاء الدين الحلبي في تاريخه : كان لا يواجه أحداً بما يكره، وقد بني جامعاً بحلب أوقف عليه أوقافاً كثيرة، وله زاوية بظاهر طرابلس لها أوقاف كثيرة، وهذا بخلاف قول العيني : ليس له معروف»^(٢).

والمتبدار إلى الذهن في هذين الموضعين أن مصدره قد جازف بإصدار حكم جائز على الشخصية المترجم لها في كلٍّ، وأن «ابن حجر» قد كشف عن هذا في مصدره سواء بالمصدر المكتوب الذي أقى فيه الرأي نقض ذلك، أم بالمشاهدة الشخصية ورؤية العينان.

٤ - أنه قد عامل الترجم تبعاً لحال أصحابها، فكان جرحه وتعديلاته لها

على الوجه التالي :

أ - المشهورون بالصلاح لا تتبع سقطاتهم.

ب - المستورون لا يبالغ في كشفهم، ولكن يكتفي بالإشارة إليهم.

ج - المجاهرون بالفسق والفحوج إما أن يظهرهم بضمهم إلى غيرهم من ليسوا على شاكلتهم، على سبيل المقارنة بالضد ليتضح أمرهم جرياً على منطق البالغين بالطريق، إذ بالضد تتضح الأشياء، وإما أن يعرى فعلهم ويظهره سافراً، والحكمة في ذلك : «الحرص على عدم الإغترار بهم».

٥ - أنه قد طبق «الجرح والتعديل» على رجال ترجماته وعلى مصادره كذلك، سواء بجرح وتعديل أصحابها - مما يجعل البحث في ترجمته لهم مهماً في هذا الموضوع - أو على الحوادث والترجمات فرادي كجزئيات مستقلة.

٦ - أن اعتقاده في الإقدام على هذا العمل النكدي واجب مجزوم بثوابه وليس لأحد أن يعترضه، بل الواجب المقابل لهذا الواجب المحتم حدوثه أن

(١) ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ٥١، ويعادلها في مصدره: عقد الجمان ج ١٩ ق ١٣٥.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٨١، ق ١٤٢ أ - على التوالي.

يرشد المعترض ويعلم، وإلا وجب تأدبيه بما يناسبه.

- ٢ -

هذا هو المنهج، وإليك الجانب التطبيقي له في كتابه «الإنباء»:

المطلع على مادة «الإنباء» يرى أن «ابن حجر» لم يخل ترجمته - في الغالب الأعم - من إصدار حكم على ذويها بياناً لحالاتهم جرحأً وتعديلاً يإيراد آراء الثقات فيهم، وكذا ما يراه هو من أحوالهم وما يدركه فيهم بما رزق من قدرات علمية ونفسية جعلت له مقاييس خاصة يقاسون عليها لدبه..

والملاحظ بادئ ذي بدء - أن مقاييس جرحه وتعديلاته لرجال ترجماته قد اختلفت تبعاً للاختلاف في تخصصاتهم وطبقاتهم، وأنها مع ذلك تتلاقى في هدف واحد وهو الكشف عن بعض الصفات الأصيلة في كل، وهي صفات ترد في أشخاص وضدتها في آخرين.. قد يجتمع الكثير منها في شخص واحد، وقد لا ترد إلا صفة منها فيه، وقد تجتمع فيه جملة من الفضائل، وأخرى من الرذائل، كأن يكون مع وصفه بالعلم ذميم الخلقة رث الهيئة.. وما إلى ذلك.^(١) أو أن يوصف بحسن الإسلام مع اتصفاته بالإنهماك في الملل.^(٢) وهذه وتلك صفات تكشف عن حال المترجم له من إحدى الجهات الآتية:

أ - الهيئة:

كأن يكون ذميم الشكل جداً^(٣) أو حسن الصورة^(٤) جميلها^(٥) مليح الوجه^(٦) لطيف الشكل^(٧) حسن^(٨) بعي المنظر^(٩)، أو أن يكون ضخماً حسن

(١) ابن حجر. إنماء الغمرج ٣ ص ١٢١ - ١٢٢. تر ٤٧.

(٢) نفسه ج ٣ ص ١١١ تر ٢٢.

(٣) نفسه ج ٣ ص ١٢٢ تر ٤٧.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٨٢ تر ١٢.

(٥) نفسه ج ٩ ص ١٤٦ (ط. الهند).

(٦) نفسه ج ٣ ص ٢١١ تر ٢٩.

(٧) نفسه ج ٢ ص ٣١٢ تر ٢٠.

(٨) نفسه ج ٢ ص ٥٢٣ تر ٢٦.

(٩) نفسه ج ٢ ص ٣١١ تر ١٩.

الملتقي كثين البشر^(١) بشوش الوجه^(٢) قصير الشوارب أو طويلها^(٣) أو رث الهيئه خاملاً^(٤). . مما يتصل بصفات الخلقة الوراثية وما يتبعها من علامات مميزة لشخصه ملازمة له، كنحو قوله: «ويتعمم - دائماً - على أذنيه».^(٥) وما يصاحب ذلك من تأنق في مظهره أو إهمال له.

ب - الأخلاق والسبجايا :

كأن يكون موصوفاً بالشهامة والشجاعة^(٦) أو المروءة والصيابة^(٧) أو وفور العقل والسكنون وحسن الخلق^(٨) والخير والإنجماع عن الناس وعدم التدخل فيها لا يعنيه^(٩) أو أن يكون جداً كله لا يعرف الم Hazel^(١٠) أو كثير المزاح^(١١) أو أن يكون ملازماً للخلاعة^(١٢) والتهتك^(١٣) أو من يعتريهم الغرور وما يتبعه من دعوى عريضة في العلم وغيره^(١٤) أو لا ينسب نفسه إلى العلم^(١٥).
أو أن يكون متلافاً للعمال، مسرفاً فيه إلى حد الإنكشاف والإلماق^(١٦) أو

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٥٢ تر ٢١.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه ج ٣ ص ١١٦ تر ٣٢.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٣١ تر ٢٨.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٢٩٢ تر ٢٢.

(٦) نفسه ج ٣ ص ١٤٩ تر ١٢.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٥٥٩ تر ٢٠.

(٨) نفسه ج ٣ ص ٢٩٢ تر ٢٣.

(٩) نفسه ج ٢ ص ٣١٤ تر ٣٢.

(١٠) نفسه ج ٣ ص ١٤٩ تر ١٢.

(١١) نفسه ج ٣ ص ٥٣٤ تر ١٧.

(١٢) نفسه ج ٣ ص ١٨٢ تر ١٦.

(١٣) نفسه ج ٣ ص ٢٣٢ تر ١٣.

(١٤) نفسه ج ٣ ص ١١٨ تر ١٣.

(١٥) نفسه ج ٢ ص ٣١٤ تر ٣٢.

(١٦) نفسه ج ٣ ص ١٠٤ تر ٤.

جواداً به^(١) أو على العكس من ذلك جماعاً له ضئيناً به، حريصاً على الشح حتى بالعارية^(٢) أو أن يكون قليل الشر^(٣) كثير الرجوع إلى الحق، محباً في العدل^(٤) أو على الضد من ذلك^(٥) ..

ج - الدين :

كأن يكون جيد الإسلام^(٦) سليم الباطن^(٧) عنده عبادة وخير^(٨) وله ورود وقيام ليل^(٩) في غاية الورع والتحري^(١٠) والزهد^(١١) أو على الضد من ذلك : مشهوراً بقلة الدين ، متهتكاً متھماً في إسلامه مدمداً على الخمر واللواط^(١٢) أو مشهوراً بمعونة الأحكام مع قلة الدين وكثرة التهتك^(١٣) أو من الظلمة الفاتكين في صورة الناسكين»^(١٤) .

د - المذهب :

كأن يكون داعية إلى مذهب الزيدية^(١٥) أو ينتمي إلى التشيع^(١٦) أو إلى

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦١ تر ١٤.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٢٩ تر ٢٤.

(٣) نفسه ج ٣ ص ٧٧ تر ٤.

(٤) نفسه ج ٣ ص ٢٥٧ تر ٦.

(٥) نفسه ج ٣ ص ١٧٩ تر ١٧.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٧٦ تر ١.

(٧) نفسه ج ٣ ص ١٢١ تر ٤٧.

(٨) نفسه ج ٢ ص ٢٤٣ تر ١٣.

(٩) نفسه ج ٣ ص ٧٨ تر ٥.

(١٠) نفسه ج ٢ ص ٥٢٣ تر ١.

(١١) نفسه ج ٣ ص ٢٤ تر ١٤.

(١٢) نفسه ج ٣ ص ٤٣ تر ٦.

(١٣) نفسه ج ٣ ص ٢٣٢ تر ١٣.

(١٤) نفسه ج ٣ ص ١٨٩ تر ٢٢.

(١٥) نفسه ج ٣ ص ٢٤ تر ١٢.

(١٦) نفسه ج ٣ ص ١٤٧ تر ٣.

مذهب أهل الوحدة^(١) أو يميل إلى تصوف الفلسفه^(٢) . . مع التنبيه على صحة أو فساد المذهب لدى كل، وتعصب صاحبه، أو إنصافه في البحث^(٣).

هـ - القدرات العقلية والمواهب الفنية:

كأن يكون من حقي المغفلين^(٤) أو من الأذكياء^(٥) ومنهم من يدرك ما يكتب له في الهواء، أو في كفه بالإصبع ليلًا^(٦) كما أن منهم من يكون سريع الفهم جيد الحفظ^(٧) أو منسوباً إلى الخرف والتغير^(٨) أو تغير المزاج والإنحراف^(٩) .. أو أن يكون صحيح الخط^(١٠) حسنة^(١١) دقيقة^(١٢) أو رديء الخط للغاية^(١٣) أو أن يكون جيد الضرب بالعود^(١٤).

و- المكانة العلمية والمقدرة الأدبية:

كأن يكون نيهها في الفقه^(١٥) أو العربية^(١٦) أو عارفاً بالأصول^(١٧)

- (١) المصدر السابق راج ٣ ص ٢٥٥ تر ٣.

(٢) نفسه ج ٣ ص ١٧٨ تر ٢.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٣٠٨ تر ١٦.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٨٥ تر ٢٢.

(٥) نفسه ج ٢ ص ٢٣٩ تر ٢.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٣٠ تر ٢٦.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٢٥٩ تر ٩ (ط. الهند).

(٨) نفسه ج ٣ ص ٢٣ تر ١٠ - ويلاحظ أنه قد اعتنی بنفي ذلك عنه.

(٩) نفسه ج ٣ ص ٧٧ تر ٢.

(١٠) نفسه.

(١١) نفسه ج ٢ ص ٢٤٠ تر ٤.

(١٢) نفسه ج ٣ ص ٤٥ تر ١٣.

(١٣) نفسه ج ٣ ص ٣١ تر ٢٨.

(١٤) نفسه ج ٣ ص ١٧٧ تر ١.

(١٥) نفسه ج ٣ ص ١٨ تر ٤.

(١٦) نفسه ج ٣ ص ٢٦ تر ١٩.

(١٧) نفسه ج ٢ ص ٥٣٠ تر ٢٠.

والأجزاء الحديبية وروايتها^(١) مشاركاً في الأدب، له نظم فائق^(٢) أو وسط^(٣) أو سفاسف^(٤) أو أن يكون متفوقاً في معرفة الوثائق^(٥).

* * *

على أن نقده لرجال ترجماته لم يقف به عند جرمهم وتعديلهم، وإنما جاوزه إلى إصدار العديد من التقاويم والأحكام على الكثيرين من الملوك والسلطانين والأمراء وأرباب المناصب في ظل الإدارة المملوكية، وكذا العلماء والأدباء والفنانين.. مراعياً في إصدار حكمه عليهم وتقويه لهم مقاييس خاصة بطبقاتهم تتبعها صفات مبحوثة فيهم مثبتة عليهم سلباً أو إيجاباً.

فكان يراعي في الملوك والسلطانين: الشجاعة والحرم والخبرة بالأمور وعلو الهمة والرجوع إلى الحق والدين، وعيدهم الجور أو التكالب على جمع المال لما له من أضرار على المجتمع ككل، وكذا محبة العلم واحتضان أهله وتشجيعهم أو ما يقع على أيديهم من فتوحات للإسلام والمسلمين أو خذلان لكلٍ، وهي مقاييس هامة تؤخذ بالاعتبار.

من ذلك قوله في الظاهر برقوم (ت ٨٠١ هـ): «... كان شهماً شجاعاً ذكياً خبيراً بالأمور، إلا أنه كان طماعاً جداً بحيث لا يقدم على جمع المال شيئاً، ولقد أفسد أحوال المملكة بأخذ البدل على الولايات في وظيفة القضاء والأمور الدينية»^(٦).

وهذا التقويم أو الحكم الوارد في ذيل مقوله فيه مترب - لا شك - على صفة «الطمع» المثبتة في المترجم له، وعلى المدرك - لدى ناقده - مما يتبع ذلك من

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٩ تر ١٢.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٢٠٧ تر ١١.

(٣) نفسه ج ٣ ص ١١١ تر ٢٤.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٧ تر ٢.

(٥) نفسه ج ٣ ص ١٠٤ تر ٥.

(٦) نفسه ج ٢ ص ٦٨.

الوهن الوظيفي وهو سمة عصره التي سوف يرسخها في ذهن المطالع لتأريخه
بطريق نceği آخر سوف نتحدث عنه تواً.

وقوله في ترجمة الناصر فرج (ت ٨١٥ هـ) : «... ولقد كان الناصر هذا
أعظم الناس خذلاناً لدين الإسلام وأشأمهم طلعة على المسلمين، والعجب أنه
لما ولد أقبل يليغاً الناصري ومنطاش ببشرى به أباء فسماه بلغاث - يعني فتنه -
فلما خلص أبوه من الكرك سماه فرجاً - فكان اسمه الأول هو الحقيقى»^(١).

وحكمه فيه هنا ليس مرده إلى الأخذ بظاهر الأمور من استبدال لما صاحبه
من التسميات، ولكنه مبني على أن اسمه الذي يحمله من قبيل الأضداد قياساً
إلى ما سرده من الأعمال المصاحبة له في مصر والشام ضمن حوادث حولياته.

كما كان يراعي في نواب السلطنة ما يراعيه في الملوك والسلطانين، فكان
يبحث فيهم هذه الصفات المصاحبة لحكمه عليهم وتقويته لهم... ومن ذلك قوله
في «أرغون شاه الإبراهيمي المنجكي» (ت ٨٠١ هـ) : «... كان شاباً عاقلاً،
عادلاً، شجاعاً، كريماً، ومن عدله أن غلمانه توجهوا لتحويل اللحى في
إقطاع النيابة فاستكرروا جمالاً، فنبههم العرب، فغرم لأصحابها الثمن، وأن
شخصاً ادعى عنده في جمل عند صلاة الجمعة فاستمهله إلى بعد الصلاة فمات
الجمل فغرم لصاحبها^(٢).

فإثبات العدل والكرم له - قرين ما شهر من فعله، والعقل قرين ما بدر
من تصرفه في العمل الثاني.

أما النساء فإنه نظر إليهم من زاوية حسن السيرة أو ذمها، وما يتبع ذلك
من مصاحبة الطيش وشدة الوطأة على الناس أو كفافة الشر عنهم. كما أن له
تقاويم وأحكام صاحبهم قياساً بالحوادث المضبومة إليهم أو المتولدة بعد
وفاتهم. وهي أحكام مستخلصة من مشاهداته وغيره من نقل عنهم لتصريفاتهم

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٥١١.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٤٥، ٦٥.

أو إنعكاس لتصرفاتهم على الناس - الرأي العام بفهم عصرنا - كنحو قوله: «... رأيت الحلبين يثنون عليه»^(١)، قوله: «... سر أكثر الناس بموته لثقل وطأته عليهم»^(٢).

ويأتي في المقام الأول إثباته للعديد من التقاويم والأحكام الخاصة بما يضم إليهم من أعمال في حياتهم أو بعد مماتهم، ومنها قوله في ترجمة «العجل بن نعير» (ت ٨١٦ هـ): «... ويقتله انكسرت شوكة آل منها»^(٣) وهذا الحكم بالقياس إلى ما تبع ذلك من أمرهم مما هو بين في حوادث حولياته.

كما أنه نظر إلى الوزراء من حيث وقع تصرفاتهم على العامة من حسن أو سوء وكذا معرفتهم بال المباشرة، ومحبتهم في العلم وأهله. ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة «ابن أبي شاكر القبطي» (ت ٨١٩ هـ): «... كان يكثر فعل الخير والصدقة مع الإيمان في اللذة، وحدث في وزارته الوباء فلم يشاحح أحداً في وراثة، وكثير الدعاء له، وكان عارفاً بال المباشرة ويعجب أهل العلم، وكان شديد الوطأة على العامة إلا أنه باشر الوزارة برفق لم يعهد مثله، وكان موصوفاً بالدهاء وجودة الكتابة»^(٤).

وراعي في المباشرين والقضاة ونواب الحكم وغيرهم أموراً أهمها: التورع والعفة والتزاهة وحسن السيرة، كنحو قوله في «الباعوني» (ت ٨١٦ هـ): «... ولاه الناصر قضاء دمشق... فباشر مباشرة حسنة بعفة ونزاهة ومداراة وحرمة»^(٥)، قوله في «الشهاب الرمثاوي» (ت ٨١٦ هـ): «... كان سيء السيرة، فتح أبواباً من الأحكام الباطلة فاستمرت بعده، وكان عنده دهاء»^(٦)

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٧٧.

(٢) نفسه ج ٩ ص ١٩٣ (ط. الهند).

(٣) نفسه ج ٣ ص ٢٧.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١١١.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٢١.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٣٤.

والتكالب على المنصب أو الاعتدال في تقبله، كنحو قوله في «ابن خطيب نقرین» (ت ٨١٨ هـ) : «... ترامي على الدخول في المناصب إلى أن ولي قضاء حلب^(١) وقوله في «البرهان ابن جماعة» (ت ٧٩٠ هـ) : «... عزل نفسه مراراً، ثم يسأل ويعاد حتى هم السلطان في بعض المزات أن ينزل إليه بنفسه ليترضاه»^(٢). والمعرفة بموضوع المباشرة أو الجهل به : كنحو قوله في «الشمس الحرافي» (ت ٨٢٠ هـ) : «... ولي القضاء بعد اللنك بغير أهلية»^(٣) والحزم في الأحكام أو التساهل فيها: كنحو قوله في «أبي المنجا»: «... كان قصير العبادة، متساهلاً في أحكامه»^(٤)، وقوله في «البرهان ابن جماعة»: «... لم يأت بعده له نظير ولا قريب من طريقته»^(٥). وهي لا شك تقاويم وأحكام لها أهميتها باعتبار تلك الصفات المبحوثة فيهم وباعتبارها صادرة عن خبير بالتحري عنهم.

أما العلماء، فلما لاحظ أنه راعي فيهم العديد من الصفات التي شاركهم في الكثير منها، ومنها: التولع بالعلم، والمعرفة بالاستحضار، والتمهر فيما يحملونه^(٦) والتخصص في العلم أو الإختصاص به^(٧) والقدرات العقلية والنفسية^(٨)، والدعوة العريضة في العلم مع عكس فحواها^(٩) والإنصاف في البحث من عدمه^(١٠).

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٨٣.

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٥٥.

(٣) نفسه ج ٣ ص ١٥٣.

(٤) نفسه ج ٢ ص ٢٠٦.

(٥) نفسه ج ١ ص ٣٥٥.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٣١، ١١٣، ١٤٩.

(٧) نفسه ج ٣ ص ٢٥، ٤٢، ١١٦.

(٨) نفسه ج ٣ ص ٣١، ١٨، ١٠٥.

(٩) نفسه ج ٣ ص ٣١٨، ٣١٤، ١١٨.

(١٠) نفسه ج ١ ص ٣٥٥، ج ٣ ص ١٠٦، ١٥٢.

على حين راعي في الأدباء الإجاده في الإنتاج الفني^(١) بالإضافة إلى الأصالة والابتكار والبعد عن التقليد، كما ورد في الحوادث من نقده لكتاب «مرلنك» إلى «الظاهر برقوق»، وللرسالة المرسلة إليه - ردًا على كتابه - وهو من إنشاء المقلد، حيث قال عن الأول: «... قلت: هذا الكتاب متزمع من كتاب هولاكو إلى الخليفة ببغداد، وإلى الناصر بن العزيز بدمشق، وهو من إنشاء النصير الطبيرسى»، أما الثانية فقد ورد قوله فيها: «... وكتب جواب اللنك كاتب السر ابن فضل الله، وهو كلام ركيك ملفق غالبه غير منتظم، لكن راج على أهل الدولة وقرئ بحضورة السلطان والأمراء فكان له عندهم وقع عظيم، وعظموه جداً وأعادوه»^(٢) وتقديره - كذلك - لعمل أدبي من إنشاء «ابن حجة» أقى قرین الإخبار عن حريق دمشق سنة أربع وتسعين وسبعمائة من قوله: «... وعمل في ذلك صاحبنا الأديب تقي الدين ابن حجة الحموي مقامة في نحو عشرة أوراق من رائق النثر وفائق النظم، وهي أعيجوبة في فنها»^(٣)، وما ورد في حوادث حولية ثلاثة وثمانين وسبعمائة من مناقضته ليبيه «البدر ابن الصاحب» في كائنة «ابن القماح» السارق بمقابلتها بالشعر الوارد لدى ابن خلkan^(٤).

- ٣ -

أما الحوادث، فقد توزع نقد «ابن حجر» فيها بين نقد الروايات التاريخية، وبين إصدار الأحكام والتقاويم على الحوادث والرجال معاً، وبين نقد الحوادث في حد ذاتها - نقداً جزئياً، وإن اتجه في الوقت عينه إلى إبراز أهم خصائص مجتمعه ونقدها نقداً كلياً عن طريق استخدام الشواهد الشعرية الواردة في التراجم والحوادث والموجهة لتحقيق هذه الغاية.. فكان من نقده ما أثبت قرین مصدره، وكان منه ما تولد نتيجة لانفعاله بالحوادث وتعامله معها.

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) نفسه ج ١ ص ٤٧٤.

(٣) نفسه ج ١ ص ٤٣٧.

(٤) نفسه ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

١ - نقد الروايات التاريخية :

لم يتقبل «ابن حجر» كل ما مدته به مصادره من الروايات التاريخية على أنها من قبيل المسلمات التي لا يمكن ردها أو مناقشتها، وإنما كان يستخدم عقله في مناقشتها، ويستخدم حسه التاريخي في ردها.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة بخصوص الحرب المغولية التركمانية من قوله: «... ويقال أنه كان في عسكره (عسكر ترلنك) عابد يقال له بركة، فلما رأى اللنك تمسك به فصاح على عنصر طقتمش خان فانهزموا. ويحتمل أن يكون هذا من وضع بعض من يتعصب للنك، ويحتمل الصحة ليقضي الأهر المقدم: إنما نليل لهم ليزدادوا إثناً»^(١).

وقوله في حوادث حولية ست وتسعين وسبعمائة بخصوص تبليغ إحدى البشارات للسلطان «الظاهر برقوق»: «... وخرج إلى السلطان - وهو معسكر بظاهر القاهرة - شخص يقال (له) أحمد بن عباس الحريري فذكر أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام، وأنه قال له: روح إلى برقوق وقل له إنك منصور بأمر الله تقرأ الفاتحة على أصابعك العشرة عشر مرات عند الركوب، ثم تقول: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم». فصدق البشارة وبكي وأمر للرأيي بمال فلم يقبل منه إلا نزراً يسيراً. والذي يظهر لي كذب هذا الرائي، وكأنه بلغ الأمارة من بعض خواص السلطان المطلعين على سره، وإلا فلو كان صدقًا لكان قد انتصر، والواقع أنه لم يقع له قتال مع أحد»^(٢).

ويلحق بذلك نقهء لتاريخ بعض الأخبار وتعديلها. ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية ثمانين وسبعمائة: «... وفي أولها مات أينبك في الحبس بالأسكندرية ووهم من أرخه في الماضية، وكان الوصول بخبر موته في يوم عاشوراء»^(٣).

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٩.

(٢) نفسه ج ١ ص ٤٧٠.

(٣) نفسه ج ١ ص ١٧٠.

٢ - إصدار الأحكام والتقاويم :

كما أن «ابن حجر» لم يخل الخبر - غالباً - من حكم أو تقويم له أو عليه وعلى المشاركين فيه بحد سواء متبناً في ذلك طرقاً منها :

أ - الجرح والتعديل لذوات القائمين بها، بمعنى نقده للرجال من خلال نقد الحوادث : ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص حكم «الهمام ابن قوام» - قاضي الحنفية بدمشق - على «الصدر ابن منصور» بالفسق وتقرير غيره في وظيفته : «... وكانت هذه الفعلة من عجائب تهور الهمام»^(١) ، وقوله في حوادث حولية إحدى وتسعين وسبعمائة بخصوص عصيانيان «تربغاً منطاش» على معتقده : «... وقد تقدم أن برقوم اشتراه من أولاد أستاذه وأعتقده، فكان ذلك عند منطاش لم يصادف محلاً لأنه لا يعرف أصل نفسه»^(٢) ونقده في هذا الموضوع لا يعد تقويمًا يكشف عن انتقاده للعاصي ونعته بعدم الوفاء لمعتقده، ومقابلته الإحسان بالإساءة، وإنما يكشف إلى جانب ذلك عن انطباعاته عن طبقته، وغمزهم - كذلك.

ب - الحكم على بعض الحوادث بالتفرد في بابها، أو بنسبتها إلى الأولية : كنحو قوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص مطر دمشق : «... وفي جمادى الآخرة اتفق شيء غريب وهو وقوع المطر الغزير برعد وبرق في الخامس عشر أيلول، وسقط برد كبار مثل البندق، وكثير جداً حتى صارت الأرض بيضاء، وكثير الوحول وجري الماء في الشوارع . كل ذلك في سنة واحدة، ولم يعهد مثل ذلك قبلها»^(٣) وقوله في حوادث حولية خمس وتسعين وسبعمائة بخصوص استقرار «العلامة السيرامي» في تدريس الفقه بالشيشخونية والظاهيرية : «... . ولم يتفق ذلك لغيره»^(٤) وقوله في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة : «... . وفيها

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٦ .

(٢) نفسه ج ١ ص ٢٧٣ .

(٣) نفسه ج ١ ص ٢١٧ .

(٤) نفسه ج ١ ص ٤٥٦ .

ولي سري الدين «الأندلسي» قضاء حلب، وهو أول مالكي قضى بها^(١) وقوله في حوادث حولية عشر وثمانمائة بشأن تبذل السلطان وتوجهه بملابس جلوسه إلى عيادة بعضهم أو زيارة غيره: «وكان عهد الناس بعد بعدها شديداً من سلطان يفعل مثل هذا التبذل، ولم يعرف أن ذلك وقع لملك من ملوك مصر قبله، وقد تبعه على ذلك من جاء بعده»^(٢).

ج - وصف بعض الحوادث بالشناعة والقبح أو بالحسن: كنحو قوله في حوادث حولية سبع وسبعين وسبعمائة بشأن إبطال السلطان «الأشرف شعبان» لضماني المعاني: «... وكان ضماني المعاني من القبائح الشنيعة»^(٣) وقوله في حوادث حولية ست وثمانمائة بخصوص تكالب العلاء بن أبي البقاء على المنصب وبذله فيه للسلطان ووصول مرسوم السلطان إلى النائب بقبض المبلغ المبذول: «... وكانت هذه الكائنة من أقبح ما نقل»^(٤) وهنا يلاحظ أن القبح ليس في البذل في حد ذاته، وذلك لأن المبذول كان بنص «ابن حجر» عينه: «مائتي ألف درهم، وهي التي جرت عادة القضاة بدمشق ببذلها للسلطان»^(٥) لكن القبح في أن يكون تحصيل السلطان لها بمرسوم يصدر إلى نائب دمشق لينعم بها على «أينال خطب» الذي كاتب - بدوره - ناظر الجيش بأن يقبضها ويشتري بها أمتعة، ثم أن القبح المنسوب إليها راجع - كذلك - إلى التنافس على هذا المنصب المبذول فيه من كل من «العلاء ابن أبي البقاء» و«ابن خطيب بعرین»، ناهيك عن سعي كل من «الحسناوي» و«ابن العديم» في المنصب، والخط من الثاني عليه... وقوله في حوادث حولية ثلاثة وثمانمائة بخصوص مدافعة «المالطي» عن الأوقاف: «... . فكانت هذه من حسنات المالطي»^(٦).

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٧٧.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٨٦.

(٣) نفسه ج ١ ص ١٢٧.

(٤) نفسه ج ٢ ص ٢٦٥.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه ج ٢ ص ١٣٤.

د - السخرية من التصرف في بعض الحوادث : كنحو قوله في حوادث حولية اثنين وثمانمائة بشأن طروق المغول للشام : «... وفي آخر ذي القعدة وصل كتاب نائب الرجبة يخبر فيه أنه صادف ناساً عند خان جين يقطعون الطريق فقبض منهم جماعة وسأل نجدة ليسلمهم إلى دمشق ، فقام النائب في ذلك وقعد وانزعج الناس لذلك وظنوه أمراً عظياً وصاروا في هرج ومرج وأشاعوا أن تمرنك قصد البلاد... . فكان ذلك فالأ جرى على الألسنة بذكر تمرنك ، فإن الأيام لم تمض إلا قليلاً حتى طرق البلد^(١) . وقوله في حولية اللاحقة بشأنأخذ المغول لأموال الناس المحفوظة في قلعة حلب : «... . وامتدت الأيدي لنهب أموال الناس التي حصلت بالقلعة لظن أصحابها أنها تسلم ، فكأنهم جمعوا ذلك للعدو حتى لا يتعب في تحصيلها»^(٢) . وقوله في حوادث حولية تسع وثمانمائة بشأن التكالب على المنصب : «... . ووقع في هذه السنة والتي بعدها والتي قبلها من تلاعب الجهلة بمنصب الحسبة ما يتعجب من سماعه حتى أنه في الشهر الواحد يليه ثلاثة أو أربعة»^(٣) .

ه - الكشف عن العامل الرئيس في توجيهه الحوادث : ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية تسع وسبعين وسبعمائة بخصوص موت «قطلقتمر» سكران في الحبس : «... . وكان هو رأس هذه الفتنة كلها لأنه أكبر الأسباب في القيام على الأشرف»^(٤) . وقوله في حوادث حولية اثنين وثمانين وسبعمائة بخصوص استظهار برقوق على بركة : «... . ثم استعان برقوق بالزرع فرموا أصحاب بركة بالحجارة ، ولو لا إعانة العامة لبرقوق برمي الحجارة على أصحاب بركة لأنحدروا القلعة ، لكنهم استظهروا على بركة ومن معه بالزرع ففعلوا فيهم الأفعيل من الرجم»^(٥) . وقوله في حوادث حولية أربع وسبعين وسبعمائة بشأن

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) نفسه ج ٢ ص ١٣٥.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٣٦٠.

(٤) نفسه ج ١ ص ١٥٤.

(٥) نفسه ج ١ ص ٢١١.

تقدير السبب في فساد الأسعار ونقص الأموال: «... وفيها ضربت بالأسكندرية فلوس ناقصة الوزن عن العادة طمعاً في الربح فالامر فيها إلى أن كانت أعظم الأسباب في فساد الأسعار ونقص الأموال»^(١) قوله في حوادث حولية ثمان وتسعين وسبعمائة بخصوص السبب في حركة المغول إلى الشام: «... وفي هذا الشهر «صفر» وصل أطلمس - قريب ترلنك - فقبض عليه قرا يوسف التركماني - صاحب تبريز - وأرسله إلى الملك الظاهر فأعتقله، فكانت هذه الفعلة أعظم الأسباب في حركة ترلنك إلى البلاد الشامية»^(٢). ويتأيد ذلك بما ورد في حوادث حولية ثلات وثمانمائة من قوله: «... ثم نازل ترلنك الشام وراسل السلطان أن يطلق له أطلمس قريبه على أن يطلق جميع من عنده من الأساري ويرحل من البلاد، فامتنعوا من ذلك وظنوا أن ذلك لعجزة عنهم فكرر الطلب مراراً فأصرروا، ثم وقعت الحرب بينهم»^(٣) قوله: «... وذكر بعض من يوثق به أنه قرأ في الحائط القبلي بالجامع النوري بحماه منقوشاً على رخامة بالفارسية ما نصه: إن الله يسر لنا فتح البلاد والممالك حتى انتهى استخلاصنا إلى بغداد فجاورنا سلطان مصر والشام، فراسلناه لتتم بيننا المودة فقتلوا رسانا وظفرت طائفة من التركمان بجماعة من أهلنا فسجنوهم لاستخلاص متغلبينا من أيدي مخالفينا واتفق في ذلك نزولنا بحماه في العشرين من شهر ربيع الآخر»^(٤) قوله في حوادث حولية ثلات وثمانمائة بخصوص تدابير السالمي ضد المغول: «... ولقد عدته مهنتاً بسلامته فوجده مصراً على تحسين أفعاله المستقبحة المقدم ذكرها ويوجه ذلك بأنه لو لا أشياع عنه تحصيل الأموال وتجهيز العساكر بها ما رحل ترلنك عن دمشق، وهذا من غلطاته الظاهرة، فإن رحيل ترلنك إنما كان لضيق العيش على من معه فخشى أن يهلكوا جوعاً، وإنما الذي كان يمنعه من إتباعهم إلى مصر؟»^(٥).

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٤٣٩.

(٢) نفسه ج ١ ص ٥٠٩.

(٣) نفسه ج ٢ ص ١٣٧.

(٤) نفسه ج ٢ ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٥) نفسه ج ٢ ص ١٤٤.

وهكذا فإن «ابن حجر» قد عامل الحوادث بمثل ما عامل به التراجم من نقد تنوع تبعاً لتنوع الحوادث وطبيعة كل منها، كما أنه كان معنياً في المقام الأول بتحليل الحدث وإبراز العوامل الفاعلة فيه وتقويمها.

- ٤ -

ويضاف إلى ذلك أن الشواهد الشعرية الواردة في معرض الحوادث وفي ثانياً تراجم الوفيات من حولياته لم تأت اعتباطاً، ولم تملها عليه - فقط - ثقافته الأدبية الواسعة، وهو الفطري المقتضيان أن يكون: ذوقاً للأدب مشاركاً فيه راوية له. إذ يمكننا أن نضع أيدينا على اتجاه معاير لذلك تماماً. وهو أن من وراء هذه الشواهد غاية مدفوعة بحس تأريخي ناقد، فابن حجر وقد خبر العلوم: تأريخاً وأدباً يؤكّد بشتى الوسائل التعبيرية التي في مكتبه على قضايا أبرزها في أحداث حولياته ولم يستطع التعبير فيها عن رأيه بأكثر مما قيل فيها، أو لأنّه أراد أن يوهم مطالع تاريه أن الذي قاله لم يكن رأياً خالصاً له ساقه من عنده، وإنما كان لسان الحال لدى مجتمعه أو على أقل تقدير لدى طبقة المثقفين في عصره عامداً إلى تجسيمها وإبرازها في صورة كلية محسوسة بكل جلاء ووضوح، ومن أمثلة ذلك: «الوهن الوظيفي على عهده»، و«معاناة المجتمع المصري في ظل حكامه» و«منازعات العلماء والواقعة فيما بينهم» . . . وسوف نكتف - هنا - بالتمثيل للقضية الأولى، حيث نجد أن دور الأدب في مؤلفه قد أتي لترسيخها في الأذهان بدافع الحدث التأريخي لديه، وهو حدث نافذ إلى أغوار المشكلة وجوهر القضية أصحاب من خلالها مرماه في الخط على خصم له هو «الشمس ابن عطاء الهمروي»، وقد ورد في مواضع عديدة من كتابه حظه عليه والإقلال من مكانته العلمية^(١) فيشير إلى ذلك في مناسبة الترجمة لإحدى وفيات^(٢) حولية سبع وثمانمائة قائلاً:

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٧ - ٥٨ ، ٦٢ ، ١٢٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٣ - ١٦٦ ، ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) هو: «حرمي بن سليمان الببائي ثم القاهري» - ناب في الحكم ودرس بالمدرسة الشرفية، وولي الإعادة بالمنصورية، نزل له عنها بعض العجم. والشعر فيه.

قالوا: تولى «البياني» مع جهالته
فأنشد الجهل بيتأً لست أنكره
وكان أجهل منه النازل «العجمي»
ما سرت من حرم إلا إلى حرمي^(١)
(البسيط)

وهي قضية تتأكد - كذلك - بالإشارة إلى هذا الذي تقدم عند السلطان إلى أن صار نافذ الكلمة عند كل أحد، وحصل له من الوظائف ما لا مزيد عليه، وهو مع ذلك في غاية الجهل، حتى قيل فيه:

معيد لو كتبت له حروفًا
وقلت أعد عليّ تلك الحروف
لقصير في إعادته عليها
فكيف يعيد في العلم الشريفي؟^(٢)
(الوافر)

وبعد أن أفصح عن هذه القضية العامة، التي أصابت الوظائف بالوهن من جراء ما شاع في عصره من البرطيل والرشوة وعلى أعلى المستويات، يذكر من تصاعيفها دعوى تهمه، وهي الخط على «الهروي» الذي تولى منصب قضاء الشافعية - وهو منصب يمت «ابن حجر» إليه بصلة المذهب. وقد تقلد مهامه في فترات متعددة - كذلك - فنراه يسير في ذلك خطوات متتالية تفضي إلى هذه النتيجة إنطلاقاً منها بالإشارة إلى أنه قد وقع في مجلس السلطان رقة كتب فيها:

يا أهلاً الملك المؤيد دعوة
من مخلص في حبه لك ينصح
أنظر لحال الشافعية نظرة
فالقاضيان كلامها لا يصلح
هذا أقارب عقارب وابنه
وآخر وصهر فعلهم مستقبح
غطوا محاسنه بسوء صنيعهم
ومقى دعاهم للهوى لا يفلح
وله سهام في الجوارح تُحرج
فافرج هموم المسلمين بثالث
فتدرى ولا حين الخطابة يفصح
فتعنى فساد منهم ويستصلاح
(الكامل)

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠٤.

(٢) نفسه ج ١ ص ١١٣ - والمقصود به «صالح بن أحمد بن عبد الله، علم الدين الأستاذ».

وذيل على ذلك بقوله: «... وكانت هذه الأبيات إبتداء سقوط الهروي من عين السلطان، وكانت أعجبت السلطان حتى صار يحفظ أكثرها ويكرر قوله: أقارب عقارب».^(١)

وعلم أن «ابن حجر» مطعون عليه بنسبة هذه الأبيات إليه.^(٢) ومن المطعون عليهم في البيت الثالث ما ورد «لابن حجر» فيها شعراً في واقعة قال فيها:

مات جلال الدين قالوا: ابنه يخلفه أو فالأخ الراجح
فقلت: «تاج الدين» لا لائق لمنصب الحكم ولا «صالح»^(٣)
معلقاً على ذلك بقوله: «... فكان كما قلت: فإنه تولى وظهر منه التهور والإقدام على ما لا يليق، وتناول المال من أي جهة كانت حلاً أم حراماً، ما لا كان يظن به، ولا ألف الناس نظيره من أحد من ولى قضاء الشافعية بالقاهرة في الدولة التركية».^(٤)

ثم نجده يتحين الفرصة - بعد ذلك - للحط على «الهروي» عندما يترجم لأحدى وفيات^(٥) حولية ثمان وعشرين وثمانمائة قائلاً:

«... من نظمه لما عزل البلاطيني بالهروي واتفقت الزينة للمحمل فلعل

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٦٤.

(٢) ربح «البدر العياني» نسبة هذه الأبيات لابن حجر قائلاً: «... وبعضهم نسبها إلى الشيخ شهاب الدين ابن حجر، والظاهر أنه هو» - عقد الجمان ج ١٩ ق ١٦١ ب - كما ينسبها ابن حجر كل من: السخاوي في الجواهر والدرر ق ٢٣١ ب، والسيوطي في حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٧٢، وبغية الوعاة ج ٢ ص ٥ تر ١٢٩٩، ود. حسن حبشي في الحاشية رقم ١ ج ٣ ص ١٦٤ من الإنماء.

(٣) هما على التوالي: «محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن رسّلان البلاطيني» (ت: ٨٥٥ هـ)، و«علم الدين صالح بن البلاطيني» (ت: ٨٦٨ هـ).

(٤) ابن حجر. إنماء الغمرج ج ٣ ص ٢٨٠.

(٥) هو «شعبان بن محمد بن داود المصري».

شخص يسمى الترجمان على باب بيته حماراً بسزيارات على رؤوس الناس بأحسن
هيئة للفرجة عليه، فقال:

أقام الترجمان لسان حال عن الدنيا يقول لنا جهارا
زمان فيه قد وضعوا جلالاً عن العليا وقد رفعوا حماراً^(١)
(الوافر)

ثم نجدنا لا نعجب - بعد كل هذا - أن مثل لنا فرحة الناس بعزل
الهروي بجلال الدين البليقيني، وعودة البليقيني إلى القضاء، وهو ما يشير إليه في
وفيات حولية سبع وثلاثين وثمانمائة^(٢) قائلاً عن إحدى وفياتها^(٣):

«... ومن نظمة في القاضي جلال الدين لما أعيد إلى القضاء بعد الهروي
في سنة إثنتين وعشرين (وثمانمائة):

عود الإمام لدى الأئمّة كعيدهم بل عود لا عيد أعيد مثاله
أجل جلال الدين عنا غمة زالت بعون الله جل جلاله
(الكامل)

- ٥ -

.. وهكذا فإن «ابن حجر» كان من المؤرخين المنصفين في النقد، يظهر
ذلك من حرصه على نقل آراء المواقفين والمخالفين في الترجم له نشداً لاماً لاكتمال
صوريه لدى مطالع تاريخه، وهو طابع عام يشيع في كتاباته التاريخية، خاصة
«الإنباء» موضع الدراسة.

وفي حرصه على مناقشة مصادره فيما أوردته من تقاويم وأحكام مناقشة
منهجية نشداً للحق والصواب كنحو قوله في ترجمة «التقى ابن رافع»
(ت ٧٧٤ هـ): «... وذكر لي شيخنا العراقي أن السبكي كان يقدمه (علي ابن

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٥٤.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٥٣٠.

(٣) هو «قاضي مكة - جلال الدين القرشي».

كثير) لمعرفته بالأجزاء وعناته بالمرحلة والطلب. قلت: والإنصاف أن ابن رافع أقرب إلى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من ابن كثير لعناته بالعواي والأجزاء والوفيات والسمواعات، وابن كثير أقرب إلى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء لمعرفته بالتون الفقهية والتفسيرية دون ابن رافع، فيجتمع منها حافظ كامل، وقل من جمعها بعد أهل العصر الأول كابن خزيمة والطحاوي وابن حبان والبيهقي، ومن المتأخرین شيخنا العراقي^(۱) أو تفنيده للكثير من عبارات مصدره الناقدة، معللاً، نشداناً لإنصاف المترجم لهم، كنحو قوله في ترجمة «يشبك بن أزدمر» (ت ۸۱۷ هـ.): «... وكان مشهوراً بالشجاعة والفروسيّة... وقال العيتاني: كان ظلماً لم يشتهر عنه خير، كذا قال. وقد باشر الشیخونیة ورأیت أهلهما يتهللون بالدعاء له والشكر منه»^(۲) وحرصه على الدقة في إثبات الإسم الصحيح للمترجم له مع تتبع سلسلة نسبة ومناقشتها حتى مع أخيه لما دتها عن المترجم له، على نحو ما ورد في ترجمته للفیروزبادی (ت ۸۱۷ هـ.): «... كان يرفع نسبة إلى الشيخ أبي إسحاق الشیرازی صاحب التنبیه ويدکر أن بعد «عمر» أبا بکر بن أحمد... ولم أزل أسمع مشائخنا يطعنون في ذلك مستندین إلى أن «أبا إسحاق» لم يعقب، ثم ارتقى الشيخ مجذ الدین درجة فادعی - بعد أن ولی القضاء باليمن مدة طويلة - أنه من ذریة أبي بکر الصدیق، وزاد إلى أن قرأت بخطه لبعض نوابه في بعض كتبه: «محمد الصدیق» ولم يكن مدفوعاً عن معرفة إلا أن النفس تأبی قبول ذلك». ^(۳) أو تعديله لمادة عنصره وقد أثبتتها في صورتها الأولى نتيجة لما حصله من مادة مصوّبة له، كنحو قوله في ترجمة «الشمس الصالحي» (ت ۸۴۳ هـ.): «... الصالحي، صالحیة مصر بالشرقیة. هكذا كنت أظن، ثم ذکر لي أخوه شهاب الدین أحمد أنهم ينسبون إلى قریة يقال لها: منیة أم صالح بناحیة مبلج من الغربیة، وإلى حارة الصالحیة بالبرقیة داخل القاهرۃ»^(۴). وإيراد حکمه أو تقویه لشخصيات

(۱) المصدر السابق ج ۱ ص ۴۹ تر ۳۰.

(۲) نفسه ج ۳ ص ۵۱ تر ۱۸.

(۳) نفسه ج ۳ ص ۴۷ تر ۱۶.

(۴) نفسه ج ۹ ص ۱۱۷ (ط. الهند).

عصره معللاً لقوله فيهم وليس مجرداً كنحو قوله فيها مر بك آنفاً من فساد أحوال المملكة في عهد الظاهر برقوق معللاً ذلك بحرصه على البرطيل والبدل على الوظائف، وعدم وثوقة في صدق بشرارة من بشر «الظاهر برقوق» برأئها النبي - صلى الله عليه وسلم - له وإنباره بنصره.. قوله بشأن تدابير السالمي بخصوص المغول.

والحق أن «ابن حجر» كان شخصية مطبوعة على الإنفاق في البحث معجبة به نتيجة لما طبعه الله عليه من صفاء الذهن ورهافة الحس، والتبصر بالأمور التي عالجها في الكتابات التاريخية، وما توفر له من سعة الإطلاع وتعدد جوانب الثقافة.

- ٦ -

ومع ذلك فقد يقع له الخطأ في بعض مواضع من ترجم وفيات حولياته نتيجة لسهو يعتريه، على النحو الذي تتبعه منهاً إليه تلميذه «السخاوي» في «الضوء الامع»^(١) أو نتيجة لأنه: «لم يكن من يتوجه إلى هذا النوع (من الكتابة التاريخية) بالكلية، ويقلد في كثير منه، بعض من يغلب على ظنه يثبته وقد لا يكون ذلك شاهده، بل يلقاه غير ضابط» على نحو ما أشار إليه السخاوي في ترجمته لشیخه في «الجوواهر والدرر»^(٢).

(١) من ذلك نص «السخاوي» في الضوء الامع - ج ٧ ص ٩٦ - ٩٧ تر ١٩٣ - في ترجمة «الكاذروني» (ت ٨٣٤ هـ). على أن «ابن حجر» سمي والده عبدالله سهواً، ويقابل له لدى ابن حجر، إنباء الغمرج ٩ ص ١١٧ (ط. الهند) وتاريخه لوفاة ناصر الدين القرشي بسنة ثلاثة وعشرين وثمانمائة، على حين أن الصواب تاريخ وفاته بيوم الخميسعاشر رجب من التي قبلها (الضوء الامع ج ٧ ص ١٤٧ - الإنباء ج ٣ ص ٢٣١ تر ٩)، وترجمته لمحمد بن أيوب بن عبد القادر مبيضاً في الإنباء (ج ٢ ص ٢٥١ تر ٣١) على حين أنه لا يدخل في الحيز الزمانى للإنباء (٧٧٣ - ٨٥٠ هـ). لوقوع وفاته في سنة خمس وسبعمائة للهجرة، كما أن جده عبد القاهر لا عبد القادر - السخاوي. الضوء الامع ج ٧ ص ١٤٨ - ١٤٩ تر ٣٦٨ .. إلى غير ذلك مما هو مثبت في الضوء الامع.

(٢) السخاوي. الجوواهر والدرر ق ١٨٢ ب - ١٨٣ .

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن ولعه بالنقد الأدبي في كتابه وتوظيفه للأدب في التاريخ ونقده قد جعله يجانب الصواب في بعض مواقفه نذكر منها ما ورد في حوادث حولية ثلاثة وثمانين وسبعيناً بخصوص كائنة «ابن القماح» من قوله:

«... وفيها كائنة ابن القماح البزار بقىسارية جركس، وكان قد تعامل هو والباب فصار يفتح له القيسارية بالليل ويغلق عليه، فيفتح حوانين التجار ويأخذ منها ما يريد إلى أن كثر ذلك وافتضح، فعثروا عليه فأمسك وضرب بالمقارع وولده وسجنا بخزانة شمائل، وكانت سلامته من القطع من العجائب. وفي ذلك يقول بدر الدين ابن الصاحب مضموناً، وكان بلغه أنه عثر فسقط فانكسرت يده:

قالوا بأن يد القماح قد كسرت
 فأعلنت أختها بالويل والغير
 تأخر القطع عنها وهي سارقة
 فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر
(البسيط)

وقد اهتم بذلك برمته من البيتين السائرين في تاريخ ابن خلkan:

إن العماد بن جبريل أخا علم له يد أصبحت مذمومة الأثر
 تأخر القطع عنها وهي سارقة فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر»^(١)
(البسيط)

وتجدر الإشارة هنا إلى أمور هي:

- 1 - أن هذا الخبر قد اشتمل على نقد مركب، تعاونت في إيراده مكونات صاحبه: النفسية، والدينية، والأدبية - على اعتبار أنه كان إماماً للمسلمين له نهج إصلاحي واضح، وقومات في الحق، وعلى اعتبار شمولية ثقافته للنواحي الدينية والأدبية، وعلى اعتبار ما لديه من ملكة أدبية ناقدة، وولع بتتبع الشعراء لمعرفة مصادر تضمين ما يقرضونه، فضلاً عن كونه شاعراً مجيداً - فكان الشق

(١) ابن حجر. إحياء العمران ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

الأول من نقهه: «... وكانت سلامته من القطع من العجائب» معتبراً عن هذا الشعور الديني لديه، حيث ظاهر الحكم الشرعي بين: «السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما...» (٣٨: المائدة) وقد ثبتت عليه جريمه بما يوجب فيه القطع، ويعزز وجهة الإستغراب هذه في ذلك وجعل هذا من العجائب حدوثه في بلد الخلافة الإسلامية، وفيها خليفة المسلمين، وعلماء الشرع .. مما يبين - كذلك - غيرته على الشرع منعاً لشيوخ المفاسد. وبالتالي يبين حالته النفسية كرجل دين. وأما الشق الثاني: «... وقد إهتم ذلك برمته من البيتين السائرين في تاريخ ابن خلkan»^(١) فيشير إلى إتساع ثقافته، والتي تعدت التاريخ إلى الأدب - كذلك.

٢ - أن «ابن حجر» قد وظف الأدب في التاريخ ونقده، حيث لم يقتصر على نقد الإنفعال الأدبي المقلد المصاحب للوقة التاريخية المثبتة لديه - والذي تفرد بإيراده دون مصادره المعروفة لدى - وإنما الأهم من ذلك أنه إعتمد الشعر الملتبس بهذه الواقعة في التاريخ لها وتقييمها إهماً لصدره التاريخي ، والذي ربما ناقضه فكان «إستغراب القطع وعده من العجائب» و «كان الكسر جزاء لتأخر القطع» يستناداً إلى الشاهد الشعري المثبت لديه، حيث ورد الخبر نقىض ذلك تماماً لدى المقريزى (٢) متضمناً أموراً منها:

أ - أن السرقة لم تكن متكررة، وإنما حدثت في ليلة الجمعة الخامس ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة، فأصبح الناس بالقيسارية وهي مفتوحة الحوانيت. ويعيد ذلك قول ابن دقماق^(٣): «... فمسك صبيحة تلك الليلة التي أخذ فيها».

ب - أن كسر يده كان قبل حكم الشرع فيه: «... ورفع التجار شكواهم إلى الأمير الكبير، فاشتهد ضيقه علي والي القاهرة وألزمها بإخراج السارق، فبينما هو في الفحص عن «ابن القماح» إذ دله شخص على موضعه فركب إليه في يوم

(١) ابن خلگان. وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤.

(٢) المقرizi . السلوك ج ٣ ص ٤٥٨ - ٤٦٠ .

(٣) ابن دقماق. الجوهر الثمين - مخطوط . حكيم أوغلي ق ١٧٠ .

الاثنين ثامنٍ وأحاط بالبيت الذي هو به، فألقى نفسه من على البيت يريد النجاة فانكسرت يده وقبض عليه وعلى ولده أحمد وعلى الأقفالي الذي فتح له الحوانيت».

وهذا يشير بلا ريب إلى أن «ابن حجر» قد أغفل الرواية التاريخية لدى مصدر صرح في غير موضع بالإطلاع عليه وعلى مصدره والأخذ عنها - كذلك - إسناداً إلى تفضيل مصدر آخر، وهو ما صاحب الواقعة التاريخية من إنفعال أدبي مقلد، فبني حكمه وتقديره على أساسه، بل ربما يكون قد انتبهج هذا النهج خصيصاً لإثبات نقهه للشاهد الأدبي بما إهتم به من شعر إطلع عليه لدى ابن خلkan.



الفصل السادس العلاقة بين «إنباء الغمر» والمؤلفات التاريخية الأخرى «لابن حجر»

- أولاً - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
- ثانياً - ذيل الدرر الكامنة
- ثالثاً - رفع الإصر عن قضاة مصر
- رابعاً - المجمع المؤسس للمعجم المفهرس

أولاً

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة^(١)

ويسمى - أيضاً - الوفيات الكامنة لأعيان المائة الثامنة^(٢) فرغ «ابن حجر» من تأليفه في مجلدة سنة ثلاثين وثمانمائة للهجرة، ثم رجع إليه مضيفاً وملحقاً إلى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، ومع ذلك فإنه لم يكمل الغرض من الإلحاد لبقايا من الترجمات في الزوايا التي لم يستوعبها^(٣).

ويبدو أنه كان ينتوي تحريره في أربعة مجلدات، لكن لم يتيسر له ذلك، حيث بيض في مجلدين فقط^(٤).

(١) لم أتمكن من الحصول على نسخة بخط المؤلف، أو نسخة عنه تكون مكتملة إذ الموجود من هذا الكتاب مخط. حيدر آباد بالمند رقم ٢٨٣ رجال ويمثل النصف الأول من الكتاب، ابتداء بأوله وانتهاء بترجمة «عطية بن المكين إسماعيل بن عبد الوهاب»، وهو بخط «الشمس السحاوي» ويقع في ٣٥٠ ورقة مسطّرتها حوالي ٢٥ سطراً، ومقاسها ١٩ × ١٣ سم، وعنده مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٠٤٤ تاريخ، وخط. مكتبة الطاهر بن عاشور - رحمة الله - بتونس، ويمثل النصف الثاني من نسخة خطية أخرى كتبت في القرن التاسع الهجري تنقص من آخرها وتبتديء بترجمة علي بن إبراهيم بن أسد المصري، وتنتهي في أثناء ترجمة يوسف بن محمد العنسي، وتقع في ٢٦٢ ورقة مسطّرتها حوالي ٢٩ سطراً، ومقاسها ١٨ × ٢٦ سم، وعنده مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٠٤٤ تاريخ، كما قدر لهذا الكتاب أن يختصر على يد «الجلال السيوطي» و«ابن البرد»، وأن تنشره دائرة المعارف الإسلامية بحيدر آباد الدكن، بالمند في أربع مجلدات فيما بين عامي ١٣٤٨ و ١٣٥٠ هـ. وأن يطبع بعد ذلك في القاهرة.

(٢) السحاوي. الجواهر والدرر ق ١٨١.

(٣) ابن حجر. الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٩٠، حاجي خليفة. كشف الظنون ج ١ ص ٧٤٨.

(٤) السحاوي. الجواهر والدرر ق ١٨١.

- ١ - إشتراك كلٍ منها في إيراد الترجمات حسب حروف الهجاء داخل الحرف الواحد في الدرر الكامنة، والحواليات في الإنباء، مع الإتيان بترجمات النساء - غالباً - تلو ترجمات الرجال، وكذا الترجمات المرتبة على الكنى والألقاب.
- ٢ - إنعدام التوازن بين ترجمة وأخرى من حيث الحيز المكاني الذي تشغله، فقد تأتي ترجمة شاغلة لبضع ورقات^(١) بينما تأتي أخرى شاغلة لبضعة أسطر^(٢) أو مترجمة في أقل من السطر^(٣). وبالتالي فإنه لم يعن بالموازنة بين المساحة التي تشغله الأسماء المرتبة على الحروف في الكتاب، وهي بمثابة أبواب أو فصول فيه.
- ٣ - تنوع مصادره بين مؤلفات سابقة^(٤) وطبعات^(٥) وإستدعاءات وإحازات^(٦) وخطوط ووثائق^(٧) ورواية شفهية^(٨) وممؤلفات المترجم له^(٩). . مع العناية بالموازنة بين هذه المصادر وتقدير أهميتها^(١٠).

(١) من أمثلة ذلك ج ١ ص ١٤٤ - ١٦١ تر ٤٠٩.

(٢) من أمثلة ذلك ج ١ ص ٣٤٠ تر ٨٤٧.

(٣) من أمثلة ذلك ج ١ ص ٣٨٦ تر ٩٨٠.

(٤) نفسه في مواضع كثيرة، حيث صرخ بعض مصادره في مقدمة «الدرر الكامنة» ثم عمد بعد ذلك إلى إسناد غالبية النقول إلى مصادرها بعبارات واصطلاحات منها قوله - ج ٢ ص ٤ تر ١٤٧٦ : «... فرأى ذلك بخط الشيخ تقى الدين السبكي... كذا قال تاج الدين السبكي»، وقوله - ج ٢ ص ٦٦ : «وبخط الزركشي في...»، وقوله - ج ٢ ص ٦٥ : «قال الذهبي في المعجم المختص: ...»، و«ذكره الذهبي وقال: ...» - نفسه ج ٢ ، ص ٦٥ «... نقلته من ذيل سير النبلاء» - نفسه ج ٢ ص ٢٠١ ، وقوله: «... ذكرها ابن الكوريك في مشيخته» - نفسه ج ٢ ص ١٢٨ ، ولعل مما يشير إلى الأمانة في النقل والإنساب إلى المصادر قوله: «... وقد رأيت بخطي ولا أدرى من أين نقلته؛ وكانت وفاته سنة ٧٥٥، فالله أعلم» - نفسه ج ٢ ص ٣٣ تر ١٥٤٦ .

(٥) نفسه ج ٢ ص ١٢ .

(٦) نفسه ج ٢ ص ٣٠١ .

(٧) نفسه ج ٢ ص ٣٨ ، ١٨٧ ، ٢٩٧ .

(٨) نفسه ج ٢ ص ١٣١ ، ١٦٧ ، ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٩) نفسه ج ٢ ص ٨٦ .

(١٠) من ذلك قوله في ترجمة ابن فهد الحلبي: «... مات يوم عرفة أو قبله في ليلة سابعة، وأرخه

٤ - الإهتمام بالنقد التاريخي والأدبي ومارسته في سائر جوانب الكتاب.

٥ - حرص «ابن حجر» على إثبات علاقاته بالمتقدم لهم فيه، كنحو قوله في الترجمة «لابن الكيال: ... خرجت له مشيخة عن نحو ثمانين شيخاً»^(١).

٦ - دخول كثير من الترجمات الواردة في الدرر الكامنة في الحيز الزماني المصاحب للإنباء. في حين تشكل الترجمات الخارجية عن الحيز الزماني للإنباء بعداً تاريخياً له باعتبار ما بين شخصياتها ومن تلامهم وفاة من علاقات، خاصة من كان من الشخصيات الدينية والتي أجمل «ابن حجر» في المقدمة التنوية بها قائلاً: «... إذ الكثرون منهم شيوخ شيوخي»، كما يشكل الإنباء بدوره بعداً تاريخياً لترجمات الدرر الكامنة الداخلة في حيزه الزماني لاحتواه على الحوادث بما فيها من مادة مكملة لعناصر تلك الترجمات، ومن الأدلة على ذلك الإحالات في «الدرر الكامنة» إلى «الإنباء» في بعض مواضع، منها قوله في ترجمة «يلبغا الناصري»: «... وقد ذكرنا في التاريخ المسماى إنباء الغمر بأنباء العمر في الحوادث أتم من هذا»^(٢) والنص في «الدرر الكامنة» على نقل ترجمة «أحمد بن علي بن عسکر القصري من إنباء الغمر»^(٣).

٧ - التطابق بين كثير من ترجمات «الإنباء» و«الدرر الكامنة»، كنحو قوله في «الدرر الكامنة»: «إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الجعفري الدمشقي الحنفي، برع في الفقه وناب في الحكم ودرس. مات في المحرم سنة ٧٧٤»^(٤). مقابلأ

= شيخنا في شوال سنة ٧٦٠ والأول أقوى لأنه قول الصنفدي وهو أخبر به - نفسه ج ١ ص ٧٢، تر ١٩١ قوله في ترجمة البهاء ابن العجمي: «... ومات بحماه في سنة ٧٧٠ وهو ابن ستين، وأرخه شهاب الدين ابن حجي سنة ٧٧١ وهو الصواب، والأول من غلط النسخة» - نفسه ج ١ تر ٨٤٢ ص ٣٣٨.

(١) نفسه ج ٤ ص ٤٤٢ تر ١٢١٩.

(٢) نفسه ج ٤ ص ٤٤٢ تر ١٢١٩.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢١٧ - ٢١٨ تر ٥٥٤.

(٤) نفسه ج ٢١ ص ٨ تر ٣.

بقوله في الإِنْبَاءِ: «إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفَرِيُّ الدَّمْشِقِيُّ الْخَنْفِيُّ،
بَرِّعَ فِي الْفَقْهِ وَنَابَ فِي الْحُكْمِ وَدَرَسَ مَاتَ فِي الْمُحْرَمِ»^(١).

٨ - علي حين نجده في مواضع أخرى مسهماً في «الإنباء» مقتضباً في «الدرر» أو العكس، ومن أمثلة الأول قوله في الإنباء: «أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَتَبِيِّ الصَّالِحِيِّ مِنْ فَضْلَاءِ الْخَنْفِيَّةِ، وَكَانَ يُشَارِكُ فِي فَنُونٍ وَيُفْتَنُ وَيُنَاظَرُ، وَكَانَ لَازِمًا لِبَقَاءِ السَّبْكِيِّ مَدَةً وَقَرَا عَلَيْهِ فِي الْكَشَافِ، وَهُوَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي كِتَابِ السَّجَلاتِ. مَاتَ فِي رَجَبٍ»^(٢). مُقَابِلًا بِقَوْلِهِ فِي الدَّرَرِ الْكَامِنَةِ مَقْتَضِيًّا: «أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَتَبِيِّ الصَّالِحِيِّ، كَانَ مِنْ فَضْلَاءِ الْخَنْفِيَّةِ. مَاتَ فِي رَجَبِ سَنَةِ ٧٩٥»^(٣). وَمِنْ أَمْثَالِهِ الثَّانِي قَوْلُهُ فِي الدَّرَرِ الْكَامِنَةِ بِشَأنِ ابْنِ الْعَدِيمِ مَسْهَبًا: «إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ هَبَّةِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ زَهِيرٍ الْعَقِيلِيِّ الْخَلَبِيِّ، جَمَالُ الدِّينِ بْنُ الْعَدِيمِ بْنُ نَاصِرِ الدِّينِ بْنُ كَمَالِ الدِّينِ، مِنْ بَيْتِ كَبِيرِ مَسْهُورِ بِحْلَبِ. وُلِّدَ فِي سَادِسِ ذِي الْحِجَةِ سَنَةَ ٧١١ تَقْرِيبًا، وَسَمِعَ صَحِيحَ الْبَخَارِيِّ عَلَى الْحَجَارِ بِحَمَاءِ، وَعَلَى الْعَزِيزِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ صَالِحِ بْنِ الْعَجمِيِّ عَشَرَةَ الْحَدَادَ، وَسَمِعَ مِنْ الْكَمَالِ بْنِ النَّحَاسِ، وَحَفَظَ الْمُخْتَارَ، وَوُلِّيَ قَضَاءَ حَلَبَ بَعْدَ أَبِيهِ فِي سَنَةِ ٧٥٢ إِلَى أَنْ مَاتَ، إِلَّا أَنَّهُ تَخَلَّفَ فِي وَلَايَتِهِ أَنَّهُ صَرَفَ مَرَةً بَابِنِ الشَّحْنَةِ. قَالَ عَلَاءُ الدِّينِ فِي تَارِيْخِهِ: كَانَ عَاقِلًا عَادِلًا فِي الْحُكْمِ خَبِيرًا بِالْأَحْكَامِ عَفِيفًا كَثِيرًا الْوَقَارِ وَالسَّكُونِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَاقِدًا فِي الْفَقْهِ وَلَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْعِلُومِ مَعَ أَنَّهُ دَرَسَ بِالْمَدْرَسَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْقَاضِيِّ الْخَنْفِيِّ كَالْمَحَلَّوِيَّةِ وَالشَّادِبِخِتِيَّةِ، وَكَانَ بِحَفْظِ الْمُخْتَارِ وَيُطَالَعُ فِي شَرِحِهِ. وَقَرَأَتْ بِخَطِ الْبَرَهَانِ الْمُحَدَّثُ أَنَّ ابْنَ الْعَدِيمِ هَذَا ادْعَى عَنْهُ مَدْعَى عَلَى آخَرِ بَمْبَلْغٍ فَأَنْكَرَ فَأَخْرَجَ الْمَدْعِيَ وَثِيقَةً فِيهَا أَقْرَأَ فَلَانَ بْنَ فَلَانَ. فَأَنْكَرَ الْمَدْعِيُّ عَلَيْهِ أَنَّ الْإِسْمَ الْمُذَكُورُ فِي الْوَثِيقَةِ إِسْمُ أَبِيهِ. قَالَ لَهُ: فَمَا إِسْمُكَ أَنْتَ؟ قَالَ: فَلَانَ. وَاسْمُ أَبِيكَ؟ قَالَ: فَلَانَ. فَسَكَتَ عَنْهُ الْقَاضِيُّ وَتَشَاغَلَ بِالْحَدِيثِ مَعَ مَنْ كَانَ عَنْهُ حَتَّى طَالَ ذَلِكَ.

(١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٣٧ تر ١.

(٢) نفسه ج ١ ص ٤٥٧ تر ٢.

(٣) نفسه الدرر الكامنة ج ١ ص ٩٧ تر ٢٦٣.

وكان القاريء يقرأ عليه في صحيح البخاري . فلما فرغ المجلس صاح القاضي : يا بن فلان . فأجابه المدعي عليه مبادراً ، فقال له : إدفع لغريك حقه . فاستحسن من حضر هذه الحيلة التي يستغفل المدعي عليه حتى التجأ إلى الإعتراف . وكانت وفاته في السادس عشر من المحرم سنة ٧٨٧ . وقرأت بخط البرهان الحلبي : كان من بقايا السلف وفيه مواظبة على الصلوات في الجامع الكبير ، نظيف اللسان وافر الفضل طويل الصمت والمهابة في غاية العفة مع المعرفة بالمكاتب والشروط ، كبير القدر عند الملوك والأمراء ، له مكارم ومآثر ، وكان كثير النظر في مصالح أصحابه^(١) . ويقابله في الإنباء قوله مقتضباً : «إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن أبي جراد العقيلي الحلبي المعروف بابن العديم . كمال الدين بن ناصر الدين بن كمال الدين ، سمع من الحجار وحدث عنه ، وكان هيناً لياناً ناظراً إلى مصالح أصحابه ، ناب عن والده مدة بحلب ، ثم استقل بعد وفاته . ومات عن نيف وسبعين سنة»^(٢) .

وطبيعي أن يتبع عن ذلك التكامل بين المعلومات الواردة في كل منها بشأن الترجمة للشخص الواحد ليتبين فكر «ابن حجر» و موقفه منه مضافاً إليه إستكمال العناصر المشكلة لمادة ترجمته . بل نجد تحقق مثل هذا لدى «ابن حجر» في التراجم المتناظرة من حيث الحيز المكاني الذي تشغله ، كنحو قوله في «الإنباء» مترجماً لابن بلبان مقارناً بنظيره في «الدرر» ، حيث الوارد في الإنباء قوله : «أحمد بن بلبان بن عبدالله ، شهاب الدين الدمشقي المالكي الفقيه المفتى كاتب الحكم ، مات في صفر وخلف مالاً كثيراً»^(٣) . ويقابله في الدرر الكامنة قوله : «أحمد بن بلبان كاتب الحكم المالكي . كان يفتى وله مروعة . مات في صفر سنة ٧٧٣»^(٤) .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٦٤ - ٦٥ تر ١٧٢.

(٢) نفسه . إنباء الغمرج ١ ص ٣٠٤ تر ١.

(٣) نفسه ج ١ ص ٢١ تر ٢.

(٤) نفسه . الدرر الكامنة ج ١ ص ١١٦ تر ٢٣١.

وهنا نجد أن الدرر الكامنة قد أضاف «وله مروعة» ناعتاً بها المترجم له بينما إنفرد الإنباء بتتمة إسم مترجمه، والتصريح بلقبه، والكشف عن حاله حال الوفاة: «وخلف مالاً كثيراً».

٩ - كما يتعاون الدرر الكامنة مع الإنباء في الكشف عن مصادر المادة في كل منها ومن أمثلة ذلك كشف الإنباء عن المصدر المskوت عنه في الدرر الكامنة بشأن الترجمة للمرادي، حيث الوارد في الدرر قوله فيه دون إنساب إلى المصادر: «إبراهيم بن الحسن بن عمر بن حمود البعلبي، ثم المرادي». سمع من ابن الشحنة وغيره. مات في صفر سنة ٧٧٦^(١). بينما صرح بالمصدر في ترجمته له في الإنباء قائلاً: «إبراهيم بن حسن بن عمر بن حمود البعلبي ثم المرادي، سمع من الحجار، وسمع منه ابن حجي وأرخه في صفر»^(٢). وما مر من التصريح بالمصادر في الترجمة لابن العديم من الدرر الكامنة مع السكوت عنها في ترجمته من الإنباء.

١٠ - ويتعاون «الدرر الكامنة» مع «الإنباء» - كذلك - في الكشف عن المنهج المتبوع لدى «ابن حجر» في ترك البياضات والفراغات لمعلومات وتنتميات تأتي بعد لم يقدر لها ملؤها، حيث أن العنصر المskوت عنه في أحدهما - غالباً - ما يوجد لدى المصدر الآخر وقد بيض له مما يشير إلى عدم معرفة «ابن حجر» به، وتركه مكاناً له لعله يدركه، ومن أمثلة ذلك قوله من الدرر الكامنة في ترجمة «البرهان الأخنائي» مبيضاً لتاريخ مولده: «... ولد بالقاهرة سنة ... وتفقه»^(٣). بينما أسقط هذا العنصر كلية من ترجمته في الإنباء^(٤).

١١ - ويضاف إلى ذلك وجود بعض تناقضات بين جوانب من الترجمات الواردة في الدرر الكامنة مع ما يقابلها من نظيراتها من الإنباء، ومنها التاريخ

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٣ تر ٥٢.

(٢) نفسه. إنباء الغمرج ج ١ ص ٧٨ تر ٢.

(٣) نفسه. الدرر الكامنة ج ١ ص ٥٨ - ٥٩ تر ١٥٦.

(٤) نفسه. إنباء الغمرج ج ١ ص ١٠٨ تر ٣.

لوفاة «محمد بن عمر بن رسلان» في الدرر الكامنة بشعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة^(١). في حين أن الوارد في «الإنباء» أنه مات في سابع عشرى شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة^(٢). وتاريخه لوفاة «الوادي آشى» في الدرر الكامنة في حدود التسعين وسبعمائة^(٣). على حين أن الوارد في «الإنباء» أنه مات سنة ثمان وثمانين وسبعمائة^(٤). وتاريخه قتل البدر الزواوي «في أواخر سنة أربع أو أوايل سنة ٧٥٥»^(٥) بينما يقابل ذلك في الإنباء التصريح بموته في أوايل سنة أربع وسبعين وسبعمائة^(٦). مما يكشف عن عدم الدقة في تحري التاريخ في مثل تلك الموضع المختلف فيها، فضلاً عن تأرجحه في تاريخ الوفاة في مواضع كثيرة من ترجمات الدرر الكامنة^(٧) أو السكوت كليه عن التاريخ للبعض الآخر^(٨).

(١) المصدر السابق. الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٠٥ تر ٢٨٨ .

(٢) نفسه. إنباء الغمرج ١ ص ٣٨٩ تر ٣٧ .

(٣) نفسه. الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٠٠ تر ٥٤٦ .

(٤) نفسه. إنباء الغمرج ١ ص ٣٢٨ تر ٣٥ .

(٥) نفسه. الدرر الكامنة ج ٤ ص ٥٨ تر ١٦٣ .

(٦) نفسه. إنباء الغمرج ١ ص ٥١ تر ٣٦ .

(٧) كنحو تأرجحه في التاريخ لوفاة «البدر الزواوي» - الأنف الذكر - و«محمد بن شقري»- الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٦٠ تر ٤٢٦ .

(٨) من ذلك ج ٣ ص ١٦ تر ٢٧ .

«ذيل الدرر الكامنة»

جاء في مقدمته قوله :

«... أما بعد، فإني كنت علقت تاريخاً خاصاً بأعيان المائة الثامنة - التي ولدت في أثنائها - فلما شارف أن يكمل رأيت المائة التي تليها قد دخل منها أكثر من الثالث، فأردت أن أضع على ذلك الأول ذيلاً يشتمل على الأعيان المختصة بالثاني فالتمس مني بعض الأحبة الأعزاء أن أجعل هذا الثاني على السينين ليتحقق عليه إستيعاب المائة التاسعة، فأجبت سؤاله وأوردتهم بهذا التعليق سيما من اطلعت على خبره.

ولم أتبسط لترجم الشاميين إكتفاء بما كتبه لي مؤرخها - حفظه الله تعالى آمين»^(١).

(١) اعتمدت هذه الدراسة على خطوطه بخط «ابن حجر» محفوظة في دار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم : ٦٤٩ تاريخ - تيمورية ، وتقع في ٢٢٢ صفحة - رقمت ترقياً حديثاً - مقاسها 10×15 سم ، ومسطرتها تتراوح بين ١٦ و ٢١ سطراً ، وتتألف الصفحتان ١٢٠ ، ١٢١ - في أثناء ترجمة «ابن الطريقي» (ت ٨١٣ هـ / ١٤١١ م) - خلواً من الكتابة سهواً كما أشار إلى ذلك «ابن حجر» فيهما ، وكما يتضح من صلة وتتابع ما قبلهما بما بعدهما . ويأتي النص فيها ابتداء بصفحة «٢» وقد سبق بورقتين أشير فيها - بخط نسخي مغاير - إلى أن «هذا الكتاب بخط مؤلفه شيخ الإسلام حافظ العصر قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر رحمه الله تعالى ، وهو تاريخ المائة التاسعة ، وهو الذيل على الدرر الكامنة تاريخ المائة الثامنة» ، وإلى أنه «وصل فيه إلى سنة ٨٣٢ هـ» كما خط عليهما تمليله «لمصطفى أحمد بن محب الدين» ، ووقفية «لأحمد بن إسماعيل بن تيمور» .. وبعض =

وهو بهذا يشير إلى الآتي:

أولاً: أن الحيز الزماني للكتاب سوف ينحصر في الثلث الأول من القرن التاسع الهجري، وأن حولياته قد كتبت بعد أن «دخل من القرن أكثر من الثلث»، ولذا فإن الكتاب قد احتوى على مقدمة متبوعة باثنتين وثلاثين حولية، إبتداء بحولية إحدى وثمانمائة، وانتهاء بحولية اثنتين وثلاثين وثمانمائة.

ثانياً: أنه قد أورد - فيه - الوفيات منظمة على حسب السنوات المتعاقبة التي وقعت فيها ليتحقق على مطالعه إستيعابها، وإن لم يستوعب «ابن حجر» فيها الوفيات، كما أنه لم يتيسط في تراجم الشاميين إكتفاء بما استقاها من مصدره فيها، وهو فيما يغلب على الظن «ابن قاضي شبهة».

وهنا يمكن ملاحظة الآتي:

١ - أن تنظيم الوفيات في الحولية الواحدة - سواء في الترجمات أم في الأسماء المجردة كان مأمولاً فيه أن يكون حسب التسلسل الهجائي لإسم المترجم - فحسب - وليس إسم الشهرة سواء كانت الشهرة في اللقب أم الكنية - مع

= تعليقات وملحوظات ثانية وشعرية منها: «... وما أحسن قول الشاعر:
ما زلت تدأب في التاريخ تكتب حتى رأيك في التاريخ مكتوباً
بالإضافة إلى بعض الملحوظات والتقييدات والاستدراكات والعنوانات التي ترد في هواش
المخطوطة (كتحو ما ورد في صفحات: ٧، ٨، ٩، ١٠، ٢٢، ٢٨، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦... الخ.).

ويبدو أن هذه النسخة كانت مسودة للكتاب، حيث الخط الرديء وكثرة الضرب والتعديلات والإحالات إلى تتمات للنص في الهواش، واحتلال الترتيب التنظيمي للوفيات، وإن تميزت الوفيات في السنوات المتقدمة بخط أحمر يأتي في صدر اسمائها.

كما تظهر إصابتها بسائل أتلف بعض مواضع فيها، عالجتها يد محدثة بإعادة الكتابة على الحروف الأولى بمداد أسود داكن مما أفقد تلك الموضع القيمة التي لغيرها - حيث لا يمكن التثبت من أن هذه الحروف المبدلة مطابقة للأصل - ولذا اعتمدت في إيراد النصوص والنقل المثبتة في هذه الدراسة للمقارنة على ما ورد فعلًا بخط ابن حجر وقد تميز بسهولة.

تقديم من اسمه «أحمد» على سائر الوفيات، تيمناً بهذا الإسم، كما أفصح عن ذلك في مؤلف آخر - المجمع المؤسس للمعجم المفهرس - وهو ما تحقق جانب منه في الحوليات المتقدمة من الكتاب.

٢ - لكن لم يلتزم «ابن حجر» بذلك في باقي الحوليات، حيث نجده قد أخل بهذا الترتيب التنظيمي^(١) بل وأورد الوفيات متابعة دون فصل لتأكي في موضع واحد وقد امتنجت معلوماتها^(٢) كما أنه قد ترك التنظيم على الإسم، معتبراً اسم الشهرة^(٣) أو اللقب العلمي^(٤) مشيراً إلى ضرورة الترتيب الداخلي حيناً^(٥) ومحفلاً بذلك أحياناً .

٣ - أنه وإن كان المقصود بإيراد الوفيات على الحوليات المتعاقبة «تحقيق الاستيعاب»، فإن «ابن حجر» لم يكن دقيقاً في تاريخ الوفيات حيث نقل عشر ترجمات من حولياتها لتنظمها حوليات غير التي وقعت فيها وإن وردت في «إنباء الغمر» على وجه صائب.

٤ - أنه لا يتحقق للكتاب شمول زمانى، حيث أن الترجمات الواردة فيه -

(١) من نماذج ذلك ما ورد في حولية ثلاثين وثمانمائة حيث الإبتداء بترجمة أحد محمد فأحمد، وحولية إحدى وثلاثين وثمانمائة حيث الإبتداء بترجمة جاني فازدمر فكمشبغاً فمحمد فسعيد فحسن لجاني إبراهيم محمد فشرف الدين فبكتمر .

(٢) يظهر ذلك من خلال دراسة العلاقة بين إنباء الغمر، وذيل الدرر الكامنة من هذا المقال.

(٣) من ذلك ما ورد في حولية ثلاثين وثمانمائة من قوله: «... وفيها مات الرجل الصالح ابن غراب، وهو أحد ابن إبراهيم ... ومحبي الدين الغزالي ... والبدر البشتكي ، والشيخ بدر الدين أبو أحمد محمد بن إبراهيم ... وتقى الدين الأخنائي». - ذيل الدرر الكامنة ق ٢٠٧ - ٢١٠ .

(٤) من ذلك قوله في حولية سبع وعشرين وثمانمائة: «... الشيخ شرف الدين يعقوب» - ق ١٩٩ - قوله في حولية تسعة وعشرين وثمانمائة: «الشيخ سراج الدين عمر...» - ق ٢٠٣ - و «القاضي شمس الدين المروي ...» - ق ٢٠٤ - مستفتحاً بهذه الألقاب ترجماتهم .

(٥) حيث جاء في حولية خمس عشرة وثمانمائة لصيق ترجمة «إبراهيم الموصلي» قوله: «يقدم في الترتيب» - ذيل الدرر الكامنة ق ١٣١ .

قياساً بما جاء في «إنباء الغمر» - قليلة، كما أنه لا يتحقق فيه - كذلك - التوازن الزماني بين حولياته، فالتفاوت كبير بين حولية وأخرى من حيث عدد الوفيات الحاوية لها، كما يبين ذلك الجدول الآتي:

الحولية	عدد وفياتها	الحولية	عدد وفياتها	الحولية	عدد وفياتها
٨٠١	٥٩	٨١٢	١٥	٨٢٣	١٣
٨٠٢	٤٤	٨١٣	٢٤	٨٢٤	١١
٨٠٣	٥٣	٨١٤	٢١	٨٢٥	١٦
٨٠٤	٢٢	٨١٥	١٨	٨٢٦	١٧
٨٠٥	٢٥	٨١٦	١٥	٨٢٧	٠٤
٨٠٦	٣٢	٨١٧	١٠	٨٢٨	٠٧
٨٠٧	٢٢	٨١٨	٠٥	٨٢٩	١٢
٨٠٨	٢١	٨١٩	٢٨	٨٣٠	٠٨
٨٠٩	٢٩	٨٢٠	١٤	٨٣١	١١
٨١٠	٠٦	٨٢١	١٥	٨٣٢	٠٧
٨١١	٢٢	٨٢٢	١٨		
الجملة ٦٠٤ ترجمات					

ويلازم ذلك تفاوت في المساحة الشاغلة لها هذه الحوليات كما يوضحه الجدول الآتي:

الصفحات		الحولية	الصفحات		الحولية
إلى	من		إلى	من	
١٤٧	ق ١٤١	ـ ه ٨١٧	١٦	ق ٣	ـ ه ٨٠١
١٤٩	ق ١٤٨	٨١٨	٣٠	ق ١٧	٨٠٢
١٦١	ق ١٥٠	٨١٩	٤٦	ق ٣٠	٨٠٣
١٦٥	ق ١٦١	٨٢٠	٥٥	ق ٤٧	٨٠٤
١٧٣	ق ١٦٥	٨٢١	٦٥	ق ٥٦	٨٠٥
١٧٧	ق ١٧٣	٨٢٢	٧٨	ق ٦٦	٨٠٦
١٨٢	ق ١٧٧	٨٢٣	٨٩	ق ٧٩	٨٠٧
١٨٧	ق ١٨٣	٨٢٤	١٠٠	ق ٨٩	٨٠٨
١٩٢	ق ١٨٨	٨٢٥	١٠٧	ق ١٠٠	٨٠٩
١٩٨	ق ١٩٣	٨٢٦	١٠٩	ق ١٠٧	٨١٠
٢٠٠	ق ١٩٩	٨٢٧	١١٥	ق ١١٠	٨١١
٢٠٢	ق ٢٠١	٨٢٨	١١٩	ق ١١٦	٨١٢
٢٠٦	ق ٢٠٣	٨٢٩	ـ ق (٢٧)	ق ١١٩	٨١٣
٢١١	ق ٢٠٧	٨٣٠	١٣٠	ق ١٢٧	٨١٤
٢١٧	ق ٢١١	٨٣١	١٣٤	ق ١٣١	٨١٥
٢٢٢	ق ٢١٨	٨٣٢	ـ ق ١٤١	ـ ق ١٣٥	٨١٦

(٤) مع إسقاط صفحتي: ١٢٠ - ١٢١ حيث بيض لها سهراً.

بل وتفاوت المساحة المخصصة لإثبات الوفيات بين وفاة وأخرى داخل الحولية الواحدة حسب طبيعة ونوعية العلم المترجم له، وتتوفر «ابن حجر» على مصادر ترجمته وتتوفرها له لتردد إسماً مجرداً يشغل أقل من السطر^(١) أو مترجمة في سطر^(٢) أو مترجمة في أكثر من السطر^(٣) أو في صفحة^(٤) أو أكثر^(٥).

بين ذيل الدرر الكامنة وإنباء الغمر:
لكن ما علاقة هذا المؤلف بإنباء؟

أولاً: يدخل ذيل الدرر الكامنة في الفترة الزمانية المصاحبة لإنباء الغمر وبالتالي يشترك معه في إيراد كثير من المعلومات المنتظمة في نطاق هذا الحيز الزماني. ولذا نجده قد احتوى على (٦٠٤) ترجمات يقابلها في «الإنباء» (٥٩٤) ترجمة بفارق عشر ترجمات إنفرد بإيرادها «ذيل الدرر»، وإن انفرد «إنباء الغمر»

(١) من ذلك ما ورد في حولية إحدى عشرة وثمانمائة من قوله: «... فيها قتل بحبس الأسكندرية بيبرس ابن أخت السلطان، ويغوث، وسودون المارديني، وذلك في أواخر السنة» - ذيل الدرر ق ١١٠ تر ٢٩٤ - ٢٩٦.

(٢) كنحو قوله في حولية ثلاثة وثمانمائة: «أحمد بن الزين الحلبي، والي الشرطة بالقاهرة. مات في هذه السنة وكان عسفاً غشوماً» - ذيل الدرر ق ٨٩ تر ٣١ - قوله في حولية الثني عشرة وثمانمائة: «... وقحاقق الدويدار - كان قليل الشر مات في آخر السنة» - ذيل الدرر ق ١١٩ تر ٣٣٠.

(٣) كنحو قوله في ترجمة «ابن لاجين الرشيد»: (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) «عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن لاجين الرشيد»، جمال الدين، ولد سنة بعض وثلاثين، واسمع على الميدومي ومحمد بن إسماعيل الأموي وغيرهما، وكان يلازم قراءة البخاري بجامع أم حسين - ظاهر القاهرة - ويخطبه. وكان جيد القراءة طيب النغمة. قرأ عليه أجزاء من المعجم الكبير للطبراني، ومات في شهر رجب» - ذيل الدرر ق ٨١.

(٤) من أمثلة ذلك ترجمة «قرأ يوسف» (ت ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م) - ذيل الدرر الكامنة ق ١٨٢ - تر ١١٥ وترجمة «عبد الرحمن بن رسلان البلقيفي» (ت ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م) - ذيل الدرر الكامنة ق ١٨٧ تر ٥٢٢.

(٥) من أمثلة ذلك ترجمة «البدر البشتكي» (ت ٨٣٠ هـ / ١٤٢٧ م) - ذيل الدرر الكامنة ق ٢٠٨ - تر ٢٠٩ وترجمة «حسن بن أحمد بن محمد المرديني» (ت ٨٣١ هـ / ١٤٢٨ م) - ذيل الدرر الكامنة ق ٢١٤ ص ٥٩٢ تر ٢١٥.

بإيراد ترجمات لم ترد في «الذيل» أساساً على الرغم من انتظامها في الحيز الزمانـي الموضوع له.

ثانياً: الإشراك معاً في إيراد الوفيات حسب السنوات المتعاقبة، والتنظيم داخلياً حسب حروف الهجاء، وإن كان «الذيل» أكثر اختلاً من حيث الترتيب والتنظيم - كما هو موضح قبل.

ثالثاً: أن الوفيات التي أتت في «الإنباء» أسماء مجردة أو مندمجة المعلومات مع غيرها لتجتمع في موضع واحد، هي المواضع عينها الواردة في «الذيل» على هذه الصورة والكيفية^(١).

رابعاً: أن الفراغات أو المعلومات المبيض لها في تراجم وفيات الإنباء لها نظير - كذلك - في «ذيل الدرر»، وفي الموضع عينها، باستثناء موضع واحد ورد في حوادث «الإنباء» فراغاً، أثبتت معلومته في ذيل الدرر^(٢).

(١) من أمثلة ذلك ما ورد في الإنباء - ج ٢ ص ١٩٨ - من قوله: «... وقرأت بخط البرهان المحدث بحلب: مات من الفقهاء الشافعية في الكائنة وبعدها علاء الدين الصرخيدي، وشرف الدين الداديسي، وشهاب الدين بن الضعيف، وشمس الدين الباهي، وبهاء الدين داود الكردي، وشمس الدين ابن الزكي الجعبري»، ويقابلها في الذيل - ق ٤٦ - قوله: «... ومت مات فيها: شمس الدين ابن الزكي الجعبري، قرأت بخط الشهاب الحلبي أنه مات في الكائنة. قال: ومات فيها من الفضلاء شهاب الدين ابن الضعيف، وبهاء الدين داود الكردي، وشمس الدين الباهي، وذكر طائفة من تقدم ذكره، والله أعلم».

وما ورد في حولية إحدى عشرة وثمانمائة في «الإنباء» - ج ٢ ص ٤٠٥ - من قوله: «... مات فيها من الأمراء... وكذا: أربنغا، وبيرس بن أخت الظاهر، وسودون المارداني، وبيغوث»، ويقابل ذلك قوله في الذيل - ق ١١٠ -: «فيها قتل بحبس الإسكندرية بيرس بن أخت السلطان، وبيغوث، وسودون المارداني، وذلك في أواخر السنة».

ويلاحظ أن هذه الوفيات قد اجتمعت في مكان واحد تصدر حولية الواقعـة فيها على الرغم من وقوعها في «أواخر السنة»، كما يلاحظ أنها قد أخلت بالترتيب والتنظيم الداخلي المعتبر للوفيات.

(٢) حيث ورد في الإنباء - ج ٢ ص ٢٣٤ - قوله: «... وفيه (أي في ذي القعدة سنة ٨١٢ هـ) صرف... وكان ظلماً فاجرأ، ولـي شـد الدـواوـين فـأبـاد أـصـحـاب الـأـموـال، وـبـالـخـ فيـ أـذـاهـمـ، وـكـانـ عـاقـبـةـ أمرـهـ

خامساً: أن «ابن حجر» قد أخطأ التاريخ في «الإنباء» وفي «ذيل الدرر» - كذلك - وإن كان الخطأ في «الذيل» يصوبه ما ورد في «الإنباء».

سادساً: أن الموضع التي أوردها في ترجمات وفيات «الإنباء» مغفلًا فيها التاريخ على وجه الدقة - دون إثبات اليوم والشهر - أو مكتفيًا فيها بإدراج الوفاة في الحولية الواقعه فيها، هي هي نفس الموضع الوارد في ذيل الدرر^(١). مما يشير إلى ضمن مصادره عليه بذلك.

سابعاً: أنه توجد علاقة بين «الإنباء» و«الذيل» من حيث الاقتباس أو التطويل أو التوسط في ترجمات الوفيات، فالترجمات المطولات في «الإنباء» مثيلاتها في «الذيل» مطولات، والمقتضبة في «الإنباء» مثيلاتها مقتضبة في «الذيل» .. وهكذا.

ثامناً: أن الأسلوب الإنسائي فيها مطابقى إلى حد كبير، كما أن طريقة السرد فيها واحدة باعتبار أن الكاتب واحد، وأن الفترة المدون فيها الوفيات -

= أن ضربت عنقه صبراً بالقاهرة». وهكذا فإنه قد بيض للاسم ليصبح عنه في «ذيل الدرر» - ق ١١٩ - قائلاً: «... وفيها ضربت عنق آدم البريدي صبراً بين القصرين بأمر الناصر، وكان ظالماً فاجراً غشوماً.

(١) من ذلك ما ورد في ترجمة «خلف بن عبدالله المصري» (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م) حيث أرخ الوفاة بربع الأول مهملًا إثباتاليوم في كل منها (الإنباء ج ٢ ص ٧٠ تر ٣١ والذيل ق ٩ تر ١٣)، وقوله في ترجمة الحرفوش (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م): «مات في أوائل هذه السنة» - إنماء الغمرج ٢ ص ٧٣ تر ٤٣ ، والذيل ق ١٠ تر ٢٠ - وما ورد في ترجمة الخجندي (ت ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م): «... وكان حجج بسبب عمارة المسجد الحرام فمات راجعًا بين مرو وعسقلان» - إنماء الغمرج ٢ ص ١١٦ تر ٢٠ - ويعادل الذيل - ق ١٩ تر ٥ - قوله: «... مات الخجندي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين» .

وإن ورد التاريخ للوفيات مكملاً في بعض مواضع من ترجم وفيات الإنباء وناقصاً في الذيل، كما ورد في ترجمة «خلف الطوخي» (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م) ج ٢ ص ٧٠ تر ٣٠ من الإنباء - قائلاً: «... مات في تاسع عشر ربيع الآخر» بينما المثبت في الذيل - تر ١٣ ق ٩ - قوله: «... مات في شهر ربيع الآخر» .

فيها - واحدة. وإن كان «ابن حجر» قد تخفف في «الذيل» من إيراد الإحالات^(١).

تاسعاً: أنه يوجد تطابق بينها في المعلومات والعبارات - المؤرخة والنقدة الواردة في ترجمات الوفيات في مواضع كثيرة، كما توجد تفصيلات ومعلومات زائدة في مواضع أخرى قد ينفرد بها «الذيل»^(٢) أو «الإنباء».

(١) ويلاحظ أنه لا توجد إحالات في «الذيل» على «الإنباء» أو في «الإنباء» على «الذيل»، وإن وردت إحالة واحدة في «الذيل» على «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس» في أثناء ترجمة «الشمس ابن عطاء المروي»، حيث قال: «... وشهرته تغنى عن الإطناب في وصفه، وقد بسطت ترجمته في المعجم المفهرس» - الذيل ق ٢٠٤ تر ٥٧٠، ويعاين ذلك ق ٢٢٨ أ، ق ٢٢٩ أ من المجمع المؤسس.

(٢) من نماذج التطابق في العبارات أو في المعلومات الواردة في كل منها قوله مترجمًا لصراغتمش المحمدي (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م): «... ولنيابة الأسكندرية سنة تسع وتسعين وسبعين، ومات في جمادى الأولى - الإنباء ج ٢ ص ٧٢ تر ٣٩ - ويعاينه في الذيل - ق ١٠ تر ١٩ - قوله: «صراغتمش المحمدي تنقل إلى أن ولاه الظاهر نياية الأسكندرية في سنة تسع وتسعين وسبعين، فمات بها في جمادى الأولى من هذه السنة»، وقوله في ترجمة أ Ahmad bin خلف المصري، (ت ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م): «أحمد بن خلف المصري شهاب الدين ناظر المواريث، كان أبوه مهتاراً عند ابن فضل الله. مات في جمادى الآخرة» - الإنباء ج ٢ ص ١١٣ تر ٩ - ويعاينه قوله في الذيل ق ١٧ تر ٤٢ : «أحمد بن خلف المصري، شهاب الدين ناظر الموارث، كان أبوه مهتاراً عند ابن فضل الله. مات في جمادى الآخرة» - الإنباء ج ٢ ص ١١٣ تر ٩ - ويعاينه قوله في الذيل - ق ١٧ تر ٤٢ - «أحمد بن خلف المصري، شهاب الدين ناظر الموارث، كان أبوه مهتاراً عند ابن فضل الله فنشأ هو فتعانى المبشرات ومات في جمادى الآخرة»، وقوله في ترجمة «ابن عبدالله التركمانى» (ت ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م): «أحمد بن عبدالله التركمانى، أحد من كان يعتقد بمصر. مات في ربيع الأول» - الإنباء ج ٢ ص ١١٤ تر ١٣ - ويعاينه قوله في الذيل - ق ١٨ تر ٤٦ قوله: «أحمد بن عبدالله التركمانى أحد من كان يعتقد بمصر. مات في شهر ربيع الأول».

ومن نماذج الإضافة في «الذيل» على «الإنباء» قوله في ترجمة «المشبب» (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م) «خليل بن عثمان بن عبد الرحمن عبد الخليل المصري المقرئ المعروف بالمشتبب، سمع من البدر ابن جماعة على ما قيل، وأقرأ الناس بالقرافاة دهراً طويلاً، وكان منقطعًا بسفح الجبل وللملك الظاهر فيه اعتقاد كبير. مات في ربيع الأول واجتمعت به مراتاً وسمعت قراءاته وصلحت خلفه وما سمعت أشجع من صوته في المحراب» - ج ٢ ص ٧١ تر ٣٣ من الإنباء - لكن توجد بعض =

عاشرًا: أن «ذيل الدرر» وإن كان ضئيلًا بمصادره شحيحةً بذكرها أو الإفصاح عنها - قياساً بالإنباء - فإنه قد أفصح عن اعتماد «ابن حجر» للمصادر أو تغليب مصدر على آخر^(١) كما ظهر «ابن حجر» فيه حريصاً على إثبات علاقته

= إضافات وتمامات لعناصر هذه الترجمة في ذيل الدرر - ق ٨ تر ١٢ - حيث يقابل قوله في الإنباء: «سمع من البدر ابن جماعة على ما قيل» قوله في الذيل: «قرأ على جماعة من تأخر وعني بذلك واشتهر به ، وكان (قد سمع) من البدر ابن جماعة». ويقابل قوله في الإنباء: - «وكان منقطعًا بسفح الجبل»، قوله في الذيل: «وانقطع بزاوية بسفح الجبل المقطم» قوله في الإنباء: «وللملك الظاهر وغيره فيه اعتقاد كبير» تفصيل في الذيل حيث ورد قوله: «وكان الظاهر يحمله ويحترمه ويقبل شفاعته ويكتبه من الدخول إليه راكباً حاره ، وكان منور الشيبة طيب النعمة بالقرآن . . .».

كما يضيف إلى ما ورد في الإنباء - بشأن ترجمة «ابن عبدالله الطوخي» (ت ٨٠١ هـ ١٣٩٩) - من قوله: «وشفاعته مقبولة عند السلطان وغيره» ج ٢ ص ٧٠ تر ٣٠ - قوله في الذيل - ق ٩ - تر ١٣ . . . وشفاعته عند الأكابر مقبولة ، وزاره السلطان فعظم قدره في أعين الناس». وإضافته قوله في الذيل - ق ٩ تر ١٨ - «وكان يائمه ويعتمد عليه (السلطان) في تفريق الصدقة ، وانتفع به جماعات من كان يعرفه قبل ذلك» إلى قوله في «الإنباء» - ج ٢ ص ٧٢ تر ٤١ - بشأن الترجمة لصندل بن عبد الله الكنجكي (ت ٨٠١ هـ ١٣٩٩ م): «وكان الظاهر يعتقد فيه الجودة والأمانة ، وكانت أكثر الصدقة تجري على يده مع كثرتها».

وقوله في الإنباء - ج ٢ ص ٧٧ تر ٥٩ - مترجمًا لابن الشاهد المنجم (ت ١٣٩٩ م): «علي بن محمد الميقاني . نور الدين ابن الشاهد المنجم ، إنها في حل الزبيج وكتابة التقاويم وقد راج بآخرة على الملك الظاهر وقربه وصار شيخ الطريقة ، وكانت له معرفة بالرمل وغيره . مات في المحرم» يتممه قوله في الذيل - ق ١٠ تر ٢٤ - «علي بن محمد الميقاني ، نور الدين المعروف بابن الشاهد المنجم ، كان عارفاً بحل الزبيج متقدماً لفنه ، عمدة في كتابة التقاويم ، وكان يعرف الضرب بالرمل وغير ذلك من الأمور الغيبية مع سلامته فيه .رأيته ملازماً لباب داره يكتب التقاويم جل نهاره ، وقد راج بآخرة على الظاهر برقوم فولاه مشيخة الخروبة وانصلح حاله ، ومات في شهر المحرم».

(١) كنحو قوله في ذيل الدرر بشأن الترجمة «لابن الفرات الحنفي» (ت ٨٠٧ هـ ١٤٠٥ م): «. . . وكان له حجاً بالتاريخ فكتب تاريخاً كبيراً جداً بيض بعضه . . . وقد انتفع بها تضمنت هذه المجلدات المبسطة في الإطلاع على كثير من الواقع والترجم وإن كان في عبارته قصور» - ذيل الدرر ق ٨٧ تر ٢٣٢ - وهو ما يؤكّد ما ورد في مقدمة «الإنباء» من الإعتماد على هذا المصدر، ويُفصّح - كذلك - عن جعله عمدة له في التاريخ على نحو ما هو بين في مؤلفنا «التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني» الفصل المعقود للمصادر.

بالمترجم لهم سواء كانوا من رجال الحديث أو من غيرهم^(١).

وهكذا فإن «ذيل الدرر الكامنة» يتعاون مع «إنباء الغمر» في الكشف عن المنهج التاريخي لابن حجر، بالإضافة إلى إكمال كل منها لما ورد لدى الآخر من معلومات تاريخية لاغنية لدارس هذه الحقبة التاريخية عنها.

* * *

وكذا الإفصاح عن مصدره في التاريخ للشاميين في مقدمة «الذيل» وقد مر، وإنخاذه رواية شفهية تلقاها من المؤيد شيخ محمودي مصدراً للتاريخ لولادته قائلاً: «... ذكر لي ما يقتضي أن مولده سنة سبعين، فإنه قال لنا: إن الذي جلبه دخل به القاهرة مع أنص والد برقوق، وكان - أي المؤيد - حينئذ مراهقاً». ق ١٨٣ تر ٥١٣ - وإن وردت هذه الرواية في «إنباء» دون إستنتاج أو تاريخ لمولده من خلاها - إنباء الغمرج ٣ ص ٢٥٦ تر ٦ .

(١) كنحو قوله في ترجمة «الغماري» (تر ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م): «وقد حدث بالقصيدة المعروفة بالبردة عن أبي حيان عن ناظمها. سمعتها منه، وسمعت منه غير ذلك وأجاز لي...»، وقوله في ترجمته «للسرائي» (ت ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م): «ذكر لي أنه زار قبر الرافعي، وأملأ على تاريخ مولده ووفاته - أي مولد الإمام الرافعي» - الذيل ق ٢٣ - مع ملاحظة أن هذه المعلومة غير مثبتة في ترجمته من «إنباء» - ج ٢ ص ١١١ تر ٣ .

رفع الإصر عن قضاة مصر^(١)

جاء في مقدمته :

«... أما بعد، فقد وقفت على رجز في ذكر من ولـي القضاء بالديار المصرية من نظم الأديب المشهور شمس الدين محمد بن دنيال الكحال نظمـه لقاضـي القضاـة بدر الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جمـاعة. سـئـلتـ أنـ

(١) عـرفـ هـذـاـ المؤـلـفـ عـدـةـ نـسـخـ خـطـيـةـ لـمـ تـوـجـدـ بـنـهـاـ المـخـطـوـطـةـ الأـصـلـيـةـ لـلـمـؤـلـفـ وـلـقـدـ اـطـلـعـتـ عـلـىـ أـرـبـعـ مـنـهـاـ هـيـ :

أ - مـخطـ. مـكتـبةـ فـيـضـ اللهـ - بـتـركـياـ - ذاتـ الرـقـمـ ١٤٥٥ـ تـارـيخـ ، وـقـدـ كـتـبـ فـيـ نـهاـيـاتـهـ ماـ يـشـيرـ إـلـىـ أـنـهـ نـسـخـتـ فـيـ الـقـرـنـ التـاسـعـ الـمـحـرـيـ ، وـتـقـعـ فـيـ ١٤٠ـ وـرـقـةـ مـقـاسـهـاـ ١٨ـ ×ـ ٢٧ـ سـمـ ، وـتـنـقـصـ مـنـ أـوـلـهـاـ وـرـقـةـ ، وـعـنـهـاـ مـصـوـرـةـ مـعـهـدـ إـحـيـاءـ الـمـخـطـوـطـاتـ الـعـرـبـيـةـ بـالـقـاهـرـةـ رـقـمـ ٢٦٠ـ /ـ ٢٦٠ـ تـارـيخـ .

ب - مـخطـ. دـارـ الـكـتبـ الـمـصـرـيـةـ رـقـمـ ١٠٥ـ تـارـيخـ ، وـقـدـ كـتـبـهـ أـمـدـ بنـ أـبـيـ الشـيـخـ عـلـيـ السـبـكيـ سـنةـ ١١٥٠ـ هـ. بـخـطـ نـسـخـيـ وـاضـحـ ، وـتـقـعـ فـيـ ٢٨٦ـ وـرـقـةـ مـسـطـرـتـهـاـ ١٩ـ سـطـرـاـ ، وـعـنـهـاـ مـصـوـرـةـ مـعـهـدـ إـحـيـاءـ الـمـخـطـوـطـاتـ الـعـرـبـيـةـ بـالـقـاهـرـةـ رـقـمـ ٣ـ /ـ ٢٦٠ـ تـارـيخـ ، وـرـقـمـ ١٦٧٤ـ تـارـيخـ .

ج - مـخطـ. مـكتـبةـ خـدـابـخـشـ بـتـنةـ - بـالـهـنـدـ - رـقـمـ ٢٤٨٣ـ ، وـقـدـ كـتـبـتـ سـنةـ ١٣١٠ـ هـ. نـقـلـاـ عـنـ نـسـخـةـ بـخـطـ «ـمـحـمـدـ بـنـ نـصـرـ اللهـ بـنـ حـسـنـ بـنـ مـحـمـدـ الـحنـفيـ»ـ ، كـتـبـتـ سـنةـ ٨٥٦ـ هـ. مـنـ نـسـخـةـ «ـالـشـمـسـ السـخـاوـيـ»ـ. وـتـقـعـ فـيـ ١٦٢ـ وـرـقـةـ مـقـاسـهـاـ ١٨ـ ×ـ ٢٩ـ سـمـ ، وـمـسـطـرـتـهـاـ ٢٩ـ سـطـرـاـ ، وـعـنـهـاـ مـصـوـرـةـ مـعـهـدـ إـحـيـاءـ الـمـخـطـوـطـاتـ الـعـرـبـيـةـ بـالـقـاهـرـةـ رـقـمـ ١٠٧٤ـ /ـ ١ـ تـارـيخـ .

د - مـخطـ. الـمـكـتـبةـ الـأـصـفـيـةـ بـحـيـدـرـآـبـادـ - بـالـهـنـدـ - رـقـمـ ٩٠ـ تـراـجمـ وـالـمـكـتـوـبـةـ عـنـ النـسـخـةـ السـابـقـةـ هـاـ سـنةـ ١٣١٠ـ هـ. وـتـقـعـ فـيـ ٤٤٧ـ صـفـحـةـ مـقـاسـهـاـ ١٨ـ ×ـ ١٠ـ سـمـ ، وـمـسـطـرـتـهـاـ ٢٣ـ سـطـرـاـ ، وـعـنـهـاـ مـصـوـرـةـ مـعـهـدـ إـحـيـاءـ الـمـخـطـوـطـاتـ الـعـرـبـيـةـ بـالـقـاهـرـةـ رـقـمـ ٢ـ /ـ ١٠٧٤ـ تـارـيخـ .

أترجم لمن تضمنه الرجز فأجبت إلى ذلك، وجعلتهم طبقات على السنين منذ فتحت مصر إلى آخر المائة الثامنة، وذكرت في ترجمة كل واحد منهم ما وقفت عليه من اسمه ولقبه ومتنه غاية نسبة إن احتاج إلى ذلك، وذكر مولده ومذهبة وحليلته والوقت الذي ول في فيه والذى صرف فيه والوقت الذي مات فيه بحسب ما اتصل إلى علمي من ذلك»^(١).
وهو بهذا يشير إلى الآتي :

١ - سبب تأليفه للكتاب : سؤال غيره له أن يترجم لمن تضمنه نظم «ابن دنيال».

= كما قدر لهذا الكتاب أن يطبع في طبعتين غير مكتملتين، أولاهما نشرة لجنة جب التذكارية سنة ١٩٠٨ م. ذيلاً على كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي مع بعض الإستمداد لها من نسخة «سبط ابن حجر» - التي سوف يشار إليها تواً.

وتحتوي هذه الطبعة على تراجم القضاة الذين ولوا بمصر بين سنتي ٣٢٧ و٤١٩ هـ. مشتملة على أربع وأربعين ترجمة إبتداء بترجمة «الحارث بن مسكين»، وإنتهاء بترجمة «عبد الحكم بن سعيد الفارقي» وتشغل الصفحات من ٥٠٢ إلى ٦١٤.

ونشر رفع الإصر مستقللاً بتحقيق د. حامد عبد المجيد مع غيره في القسم الأول، واستقلالاً في الثاني - نشر الأول منها سنة ١٩٥٧ والثاني سنة ١٩٦١ م. - ويبتدئ بأول الكتاب وينتهي بنهاية ترجمة «علي بن يوسف بن مكي» ويقع في ٤١٤ صفحة من القطع المتوسط، ويتخاذل من نسخة فيض الله أصلًا له مع معاونة أربع نسخ خطية هي : نسخنا المكتبة الأهلية بباريس رقمي : ٥٨٩٣، ٢١٤٩، مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٠٥ تاريخ وخط. الأزهرية رقم ٦٦١٥ تاريخ.

كما قدر لهذا المؤلف أن ينتصر عدة اختصارات بقى منها مختصر سبط ابن حجر المعروف باسم «النجوم الزاهرة بتلخيص أخبار مصر والقاهرة» ويقع في مجلدة تم الفراغ منها تبييضًا سنة ٨٧٧ هـ. وقد أشير في مقدمتها إلى أنه علق «رفع الإصر» بجده فوجده في أمورًا في بعض مواضع منها إسهابه في بعض التراجم وإجحافه في بعضها الآخر، وإخلاله بتحرير من تكررت ولايته وإهماله بعض التراجم - معللاً لذلك بموت «ابن حجر» قبل تبييضه وتحريره. - حاجي خليفة. كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٣٢ - كما ذيل عليه «الشمس السحاوي» كتابه «بغية الروا في الذيل على كتاب شيخي في القضاة» - وهو مطبوع.

(١) ابن حجر. رفع الإصر ج ١ ص ١.

٢ - متحواه: تراجم قضاة مصر إبتداء بالفتح الإسلامي لها وانتهاء بنهاية القرن الثامن الهجري .

٣ - منهجه في الترتيب والتبويب: على الطبقات حسب السنين.

٤ - أهم العناصر أو النقاط المبحوثة في المترجم لهم لديه في : الاسم - اللقب - النسبة - المولد - الوفاة - المذهب - نوبات القضاء مؤرخه .

لكن يبدو أن «ابن حجر» قد مات عن الكتاب في المسودة، على الرغم من ابتداء تصنيفه له سنة ٧٩٦ هـ. مما جعل «العز الحنبلي» (ت ٨٨٦ هـ. / ١٤٨٢ م.) يستعيرها معيناً كتابته إياه مرتبأ على الحروف مع تلخيص وتنبيه على كثير مما فيه^(١). وإن احتاج مع ذلك إلى تحرير - على حد قول «السخاوي» في الذيل عليه^(٢).

كما يلاحظ أن مادة الكتاب قد امتدت إلى أواسط القرن التاسع الهجري ، بل وإلى ما بعد وفاة «ابن حجر» نفسه ، وهو ما لا يتمشى مع ما ورد في المقدمة فضلاً عن نسبة هذه الموضع إلى مؤلف الأصل^(٣).

ولذا فإنه انصافاً للكتاب ومؤلفه لا يمكن جرد مادته ومقابلتها بمقابلها في الإنباء للوقوف على الفوارق في كل ، ما دام هذا العمل لم يكن خالصاً له ، فضلاً عن تقديم دراسة منهجية للكتاب من حيث التبويب والتنظيم باعتبار أن هذا الجانب - كذلك قد عدل وبقي مرعياً في النسخ الخطية الموجودة تحت أيدينا مع نسيان وضياع نسخة الأصل .

(١) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٨١ .

(٢) نفسه .

(٣) من نماذج ذلك ما ورد في ترجمة «ابن الصواف الحنفي» من قوله: «... ول القضاء حماه، ثم ول قضاء الحنفية بالديار المصرية بعد صرف القاضي محب الدين ابن الشحنة، وذلك في رجب سنة ٨٦٧ هـ - «ابن حجر. رفع الإصرح ١ ص ٢٠٦ - قوله في ترجمة «العز الحنبلي»: «... وخلع عليه في يوم السبت تاسع جمادي الآخرة سنة ٨٥٧ هـ. وركب معه بقية القضاة... وقد ذكره صاحب هذا الكتاب في مكانين منه وأثنى عليه بعد أن روى عنه تدليله على منظومة ابن دنيا - رحمه الله» - نفسه ج ١ ص ٥٣ - ٥٤ .

ولكن مع ذلك فإنه يمكن إعطاء سمات عامة لهذا الكتاب تبين العلاقة بينه وبين *الإنباء* ذكر منها:

١ - أن «رفع الإصر» يشكل بعدها تاريخياً *للإنباء* وذلك لامتداد ترجمه إلى أزمنة بعيدة عن السنة التي استفتح بها *الإنباء* - سنة ٧٧٣ هـ. - بالإضافة إلى وجود الكثير من التفصيلات والخلفيات والدقائق المتعلقة بعض جوانب وردت لدى *الإنباء* مقتضبة، وإن كان *الإنباء* - مع ذلك - يشكل بعدها تاريخياً لكثير من الترجم المعاصرة الواردة في «رفع الإصر» لاحتوائه على الحوادث المتعلقة بالكثير من تلك الترجم، خاصة فيما تعلق بالولايات الدينية والاستقرارات الوظيفية، أو المجالس والકائنات.

٢ - أن «رفع الأصر» لم يستوعب سائر قضاة مصر، وذلك لالتزام صاحبه بالترجمة لمن أورده *ابن دنيال* في رجزه، وقد سقط منه الكثير، مما جعل غيره يستدرك عليه ما فاته، على نحو ما سر آنفًا، كما أن *ابن حجر* - كذلك - لم يستوعب في *الإنباء* كل القضاة المتوفين في حيزة الزمان.

٣ - أن *ابن حجر* لم يستوعب في كثير من ترجم «رفع الإصر» تعدد نوبات القضاء والاستقرار فيه، بل حتى في ترجمته لنفسه، والتي وقف بها عند سنة ٨٢٧ هـ. وفي هذا اجحاف بالترجم لهم فيه على هذا النحو. فضلاً عن أن بعض الترجم قد ترد فيه طويلة، كنحو ترجمته *للبرهان ابن جماعة*^(١) و*العلم البلقيني*^(٢) و*الحلال البلقيني*^(٣) و*المجد البلبيسي*^(٤) على حين ترد فيه كثير من الترجم المقتضبة كترجمته *للبرهان السعدي الأخنائي*^(٥)، و*إبراهيم بن نصر الله العسقلاني*^(٦)، وغيرها.

(١) *ابن حجر*. *رفع الإصر* ج ١ ص ٢٩ - ٣٦.

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٩.

(٣) نفسه ج ٢ ص ٣٣٢ - ٣٣٦.

(٤) نفسه ج ١ ص ١١٩ - ١١٦.

(٥) نفسه ج ١ ص ٤٠ - ٤١.

(٦) نفسه ج ١ ص ٤٢.

٤- أن «ابن حجر» لم يخل ترجم رفع الإصر من نقد تاريخي^(١) أو أدبي^(٢) ربما لم يفصح عنه في الأنباء^(٣).

٥ - أن الأسلوب في جوانب كثيرة منها مشابهة، إلى حد بعيد، كما أنه
كثيراً ما ترك بياضات وفراغات لterminations تأتي بعد، فظلت كذلك إلى ما بعد
وفاته^(٤).

(١) كنحو قوله في ترجمة «السعد الإخنائي»: «... وكان مهيباً صارماً نزهاً عفيفاً، نافذ الكلمة، عظيم الهرمة، مفضلاً، مصمماً على إنفاذ الحكم لا يقبل رسالة ولا شفاعة، بل يتصدع بالحق، ولا يغضي على باطل أصلاً ولا يولي إلا مستحقاً، وكان مع ذلك كثير الحلم والستر على من لا يجاهر» - نفسه ج ٤١ - قوله في ترجمة «ابن الكشك الخنفي»: «... وهو آخر من بقي من قدماء المدرسين والقضاة» - نفسه ج ٥٦ - قوله في ترجمة «الحافظ أبي زرعة ابن العراقي»: «... إمام الحفاظ وأستاذ المحدثين» - نفسه ج ٨١ ص ٨١.

(٢) كنحو قوله في المجد البلبيسي - ج ١ ص ١١٩ - : «... وكان كثير النظم جيد الوزن فيه، إلا أنه لم يكن بال Maher في عمله. وله أشياء كثيرة من قسم المقبول كقوله:

لا تحسين الشعر فضلاً بارعاً
في الهجو قلذ والرثاء نياحة
ما الشعر إلا مهنة وخيال
والعتب ضعن والمديح سؤال
(من الكامل)

وقوله في ترجمة «ابن خلدون» - نفسه ج ٢ ص ٣٤٧: ... وقرأت بخط الشيخ تقى الدين المقرizi في وصف تاريخ ابن خلدون: مقدمته لم يعمل مثالها، وأنه لعزيز أن ينال مجتهد منها، إذ هي زبدة المعارف والعلوم، وبهجة العقول السليمة والفهم، توقف على كنه الأشياء، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء، وتعبر عن حال الوجود، وتنبئ عن أصل كل موجود بلفظ أبيه من الدر النظم، وألطاف من الماء من به التسيم - الشهى كلامه. وما وصفها به فيما يتعلق بالبلاغة والتلاعب بالكلام على الطريقة الباحظية مسلم له فيه، وأما ما أطراه به زيادة على ذلك فليس الأمر كما قال، إلا في بعض دون بعض، إلا أن البلاغة تزين بزخرفها حتى ترى حسناً ما ليس بالحسن».

(٣) كتحو قوله في ترجمة «البرهان ابن جاعنة» - نفسه ج ١ ص ٣٠-٣١: ... وقد قرأت بخطه أجزاء تدل على أنه لم يهرب في فن الحديث، ورأيت له جزءاً خرجه لبعض الرحالة يدل على قصور كثير، مع ما كان عنده من الموارد».

(٤) كنحو قوله في ترجمة «سعد بن ربيعة الصدفي» - نفسه ج ٢ ص ٢٤٧ - «... وذكر ابن يونس ...

ولذا يمكن القول بأن ترجمات «الإنباء» و«رفع الإصر» تكمل كل منها الأخرى، بالإضافة إلى تعاونها في الكشف عن المنهج التأريخي لدى «ابن حجر».

وللدلالة على ذلك يمكن المقارنة بين ترجمة «البرهان ابن جماعة» في كلٍ من «الإنباء» و«رفع الإصر»، إذ نجد «ابن حجر» قد ترجمَه في «الإنباء» من خلال الحوادث، وأعاد الحديث عنه في ترجمته مقتضبة - قياساً بما جاء بشأنه في «رفع الإصر» - في سنة وفاته^(١). مغفلًا للكثير مما ورد في رفع الإصر ومنه الإفصاح عن سائر مصادر ترجمته، حيث أن الوارد في «الإنباء» من تلك المصادر في ترجمته: شمس الدين الفيومي الكتبى - مشافهته^(٢) بالإضافة إلى قراءة ابن حجر لخط من يقى به^(٣) على حين أن الوارد في «رفع الإصر» من مصادر ترجمته: الذهبي في المعجم المختص، وجمال الدين عبدالله بن أحمد البشيشي صاحب كتاب القضاة، والتقي المقرizi ، والقاضيان: الجلال البلقيني والولي العراقي، والمركريكي، وصهره - صهر ابن حجر - كريم الدين بن عبد العزيز ناظر الجيش - مشافهته^(٤).

وطبيعي أن ترد في ترجمته لدى «رفع الإصر» تفصيلات لا ترد أصلًا في «الإنباء»: حوادثه وترجماته، ومنها قوله: «... فاتفق أن بعض الفقهاء ازدراء لأنَّه لم يكن مشهوراً بمهارته في الفقه فوصفه بقلة المعرفة، فاتفق أنه دخل عليه فرأى

= أن....، وقوله في ترجمة «المراidi العطيفي» - نفسه ج ٢ ص ٢٦١ -: «... قدم مصر سنة... وجالس عقبة بن عامر» وقوله في ترجمة «عبدالله بن حجيرة» - نفسه ج ٢ ص ٢٨٣ -: «... وذكره ابن حبان في الطبقه... من الثقات»، وقوله في ترجمة «ابن عقيل» - نفسه ج ٢ ص ٢٨٥: «... قال الأستوي في ترجمته...، وقوله في ترجمة أبي ثوبان - نفسه ج ٢ ص ٣٩٨: «... فدامت علته إلى أن أتت على نفسه فمات، وذلك في سنة...».

(١) راجع العلاقة بين الترجم وحوادث من هذا الباب .

(٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٣٥٥.

(٣) نفسه .

(٤) نفسه . رفع الإصر ج ١ ص ٢٩ - ٣٦ .

كتبه مصنوفة ، فقال : يا مولانا قاضي القضاة ما أحسن تصنيف هذه الكتب ورمز إلى أنه قليل الإشغال فيها ، لأن كثرة الإشغال تنافي حسن التصنيف غالباً . ففهمها وأسرها في نفسه ، وكان ذلك الرجل يلي عقود الأنكحة فالتمس منه إذن بذلك ، فأذن له ، فاتفق أنه وقع له عقد عقده المذكور فيه خلل ، فأحضره واستكشف أمره ، فوجده فاسداً فأمر بتعديره ، وكشف رأسه ، وأرسيل إلى الحبس حاسراً ، ثم اتفق أن بعض نواب القضاة بالشرقية دخل عليه فسألته عن شيء فأجابه وكثير كالضاحك ، فتوهم القاضي أنه يستهزئ به ، وليس كذلك ، بل كان ذلك خلقة في ذلك الرجل ، فأمر به فعزز نظير ما عزز الأول فارتدع أهل البلد وهابوه»^(١) .

(١) المصدر السابق ص ٣١.

المجمع المؤسس للمعجم المفهرس

عنوان الكتاب :

جاء في النسخ الخطيّة ومنها نسختان بخط «ابن حجر» أن اسم هذا الكتاب هو: «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس»، بينما تفردت نسخة دار الكتب المصريّة بتسميّته باسم «المجمع المؤسس بالعجم المفهرس»، وهي تسمية وردت لدى كل من: «البَقَاعِي» و «السُّخَاوِي» و «السِّيوُطِي» في ترجمتهم لابن حجر^(١). لكن التسمية الأولى أولى، لأنها التي أوردها مؤلف الكتاب، فضلاً عن أنها مثبتة عليه بخطه، سواء في خطبة الكتاب أم في آخره.

تاريخ تأليفه والفراغ منه :

أشار «ابن حجر» فيه إلى أن ابتداء تأليفه له كان «بعدن» سنة ست وثمانمائة للهجرة، وإلى أن الفراغ منه كان بالقاهرة يوم الخميس السادس عشر جمادي الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة^(٢). على حين جاء في نسخة سابقة لهذه النسخة الخامدة لتلك المعلومات - أنه فرغ من ترتيبه سنة سبع عشرة وثمانمائة^(٣). كما نبهت إحدى النسخ المأخوذة عن معجمه إلى أنه «كمل في شعبان سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة»^(٤).

(١) البَقَاعِي. عنوان الزمان ج ١، ق ٥١، السُّخَاوِي. الجواهر والدرر ق ١٧٨ أ السِّيوُطِي. نظم العقیان ص ٤٧ .

(٢) كما في آخر ورقة من مخط. المكتبة الأزهرية بالقاهرة.

(٣) كما جاء في آخر نسخة من مخط. مكتبة مراد ملا بتركية.

(٤) كما جاء في مخط. إبراهيم باشا بالأسكندرية.

ويبدو أن «ابن حجر» بعد أن فرغ من تأليفه عاد إليه منقحاً ومعدلاً سواء بالحذف أو بالإضافة، كما يظهر من كثرة الشطب والإضافات في نسختيه، ومن قوله في إحداها: «... يقول أحمد بن علي بن حجر: ظفرت بالفرجة - أي الصفحة - الملحقة مقابلها، وهي بخط صاحبنا صلاح الدين خليل بن محمد بن عبد الله الاقفهي بعد بضع عشرة سنة من تكميل هذا المعجم فألحت ما تضمنه من ترجمة زائدة عنمن لم يقدم ذكره، ونبهت في كل ترجمة منها على ذلك». بالإضافة إلى إثباته توارييخ وفيات تمت بالكتاب حتى سنة خمس وأربعين وثمانمائة للهجرة^(١).

موضوع الكتاب :

وأشار «ابن حجر» في مقدمة معجمة إلى محتواه والغاية من تأليفه، فضلاً عن نهجه في تنظيمه وتبويه قائلاً:

«... أما بعد فإن كثيراً من سلف المحدثين اعتنوا بجمع أسامي شيوخهم وتدوين أخبارهم فتغييرت مقاصدهم في الترتيب، فرأيت أن أحذو حذوهم وأسير تلوهم لأتذكر عهدهم وأجدد لهم الرحمة بعدهم، فجمعت أسامي شيوخي على المعجم مرتبةً وقسمتهم على قسمين مهذباً.

فال الأول من حملت عنه على طريق الرواية، والثاني من أخذت عنه شيئاً في

(١) حيث أرخ وفاة سليمان بن عبدالله بن يوسف البيري الحلبي بسنة ٨٣٣ هـ. - ق ٢٢٦ - ووفاة الكلوتاني بسنة ٨٣٥ هـ. - ق ٢١٢ - ووفاة أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد الواسطي بسنة ٨٣٦ هـ. - ق ٤٠ - وكذا وفاة محمد بن عبد الرحيم المنهاجي - ق ٢٦٧ أ - ووفاة كل من: سبط ابن العجمي - ق ١٩٩ أ - والشهاب القرداح - ق ٢٠٠ أ - وعلي بن موسى بن إبراهيم الروحي - ق ٢١٨ - ومرتضى بن عبد الله الصوفي - ق ٢٤٤ - بسنة ٨٤١ هـ. ووفاة محمد بن أحمد بن عثمان البسطاطي - ق ٢٥٧ - وابن ناظر الدين - ق ٢٦٠ ب، ١٦١ أ - بسنة ٨٤٢ هـ. وابن خطيب الناصرية بسنة ٨٤٣ هـ. - ق ٢٤١ ب، ٢٤٢ أ - وأحمد بن نصر الله البغدادي - ق ٢١٩ ب، ٢٢٠ أ - بسنة ٨٤٥ هـ. وإن كان الصواب تأريخها بالتي قبلها.

المذاكرة من الأقران ونحوهم، وقد قسمتهم من حيث العوالي إلى خمس مراتب^(١).

مشيراً إلى أنه ذكر في ترجمة كل منهم جميع مسموعه عليه، وإن لم يستوعبه في بعضهم^(٢).

وهو بهذا يشير إلى أن معجمه قد جمع فيه تراجم من أخذ عنه سواء كانوا من مشايخه أو رفاقه ونحوهم مستنداً مسموعه عنهم إليهم، وإن زاد عليهم فصلاً في «معرفة الشيوخ الذين أجازوا عموماً وفي إجازتهم بعض خصوص كقيد البلد ونحوها: «لستفاذ ترجماتهم»، مشيراً إلى أنه ليس من أصل الكتاب، وإنما هو زائد عليه لعدم اعتداده بالرواية والإجازة العامة^(٣).

ويضاف إلى ذلك أن «ابن حجر» قد سلك في ترتيب معجمه على حروف الهجاء نهجاً هو:

قسمته إلى معجمين يحتوي كل منها على قسم من القسمين السابق الإشارة إليهما. ولذا جاء القسم الثاني مستفتحاً بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقي، الحمد لله الكبير المتعال والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صاحب الكمال والجمال والرتب العوال وعلى آله وصحبه أشرف صحاب وأطهر آل وسلم تسلياً كثيراً إلى يوم الحشر والزلزال، وبعد - فأقول: لما انتهيت من أصله المنقبس أردفت ذكر المعجم الثاني من شيوخ كاتبه المفهوس، فأقول وهي الطبقة الصغرى ومن الحق بهم من الأقران وغيرهم»^(٤)، وكان قبل ذلك قد ختم القسم الأول بقوله: «آخر المعجم الأول، يتلوه المعجم الثاني»^(٥).

ومع ترتيب كل منها على حروف الهجاء فإنه قد اعنى بسرد ترجمات

(١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢ ب.

(٢) نفسه ق ١٤٢ أ.

(٣) نفسه ق ١١٨٦ أ.

(٤) نفسه ق ١٩٨ .

(٥) نفسه ق ١٨٥ أ.

النساء في كل حرف تلو آخر الرجال فيه مصدراً ذلك بقوله: «... من النساء في هذا الحرف ...»^(١) اللهم إلا إذا كان هذا الحرف لا يحتوي إلا على ترجمة واحدة من ترجمات الرجال أو لا يحتوي أصلاً على أي من ترجماتهم فإن هذه العبارة تسقط.

كما أنه قد قدم في حرف الميم من اسمه واسم أبيه فجده (محمد) تبركاً^(٢) ثم أتبعهم بن اسم أبيه أحمد أو غيره، بالإضافة إلى أنه أورد من اسمه «أبو بكر» بين حرفي الألف والباء معللاً لذلك بقوله: «لأننا إن اعتبرنا الجملة فأولها ألف وإن اعتبرنا الركن فأوله الباء»^(٣).

وبالدراسة النقدية المقارنة بين مادة «الإنباء» والمجمع المؤسس يمكن ملاحظة الآتي:

١ - أن كثيراً من ترجمات المجمع المؤسس تدخل في الحيز الزمانى المصاحب للإنباء باعتبار أن سائر المترجم لهم فيه من عاصر «ابن حجر» وتحمل عنهم بالقراءة والسماع أو بالإجازة... وبالتالي أورد لهم ترجمات في «إنباء الغمر» وإن انفرد المجمع المؤسس بالكثير من الترجم التي لم ترد في «الإنباء» لأنها كانت من مجھولات الوفاة بالنسبة لابن حجر، أو لأن أصحابها كانوا وقتها أحياء، وظلوا كذلك إلى ما بعد وفاة «ابن حجر» أو انتهائه من كتابة آخر حوليات الإنباء.

٢ - أن «الإنباء» يشكل بعداً تاريخياً للمجمع المؤسس لاحتوائه على الحوادث بما فيها من مادة مكملة لعناصر الترجمات.

(١) انظر على سبيل المثال المصدر السابق ق ١٣٢ ب، ١٢٧، ١٢٦، أ.

(٢) نفسه ق ١٤٣ أ، حيث قوله: «... ذكر من اسمه محمد، وكذا أبوه وجده تبركاً بالاسم الشريف».

(٣) نفسه ق ٤٥ ب.

٣ - أنه قد اتبع في المجمع المؤسس المسلك نفسه المتبعة في الإناء من تبييض للمعلومات في مواضع كثيرة من الترجمات^(١) أو الإitan بأسوء مجرد غير مترجم لها فيه^(٢) أو الإحالـة في أثناء الترجمـات إلى تـمـات وـمـلـومـات تـأـيـ في تـرـجـاتـ أخرى^(٣) أو عدم الدقة في تاريخ الوفـاة^(٤) أو التـثـبـتـ منـ المـلـومـاتـ أحـيـاـنـاـ^(٥).

٤ - عدم الموازنة بين ترجمـةـ وأخـرىـ منـ حـيـزـ المـكـانـيـ،ـ فقدـ تـأـيـ تـرـجـةـ

(١) من أمثلة ذلك التبييض لسنة الوفـاةـ في تـرـجـةـ «ابـنـ القرـعـ»ـ قـائـلاـ:ـ «...ـ وـمـاتـ فـيـ...ـ»ـ - المصـدرـ السـابـقـ قـ ١٧٦ـ بـ - عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ وـفـاتـهـ سـنـةـ إـحـدـىـ عـشـرـةـ وـثـمـانـائـةـ - السـعـخـاوـيـ.ـ الضـوءـ الـلـامـعـ جـ ٨ـ صـ ٢٥٣ـ تـرـ ٦٩١ـ - ولـذـاـ لمـ تـرـدـ لـهـ تـرـجـةـ فيـ الإنـاءـ.ـ وـتـبـيـضـهـ لـمـ أـجـازـهـ أـبـوـ القـاسـمـ بـنـ أـحـدـ بـنـ حـمـدـ الـمـقـرـيـ الـبـزـالـيـ قـائـلاـ:ـ «...ـ قـدـ حـاجـاـ سـنـةـ ثـمـانـائـةـ وـأـجـازـ...ـ»ـ - اـبـنـ حـجـرـ.ـ المـجـمـعـ الـمـؤـسـسـ قـ ١٤٢ـ لـ - وـتـبـيـضـهـ لـمـلـومـاتـ تـعـلـقـ بـاـ تـحـمـلـهـ عـنـ إـحـدـىـ تـرـجـاتـهـ قـائـلاـ:ـ «...ـ قـرـأتـ عـلـيـهـ مـشـيخـتـهاـ تـخـرـيجـ...ـ»ـ - نـفـسـهـ قـ ١٦٧ـ أـ.ـ وـتـبـيـضـهـ لـلـإـسـمـ قـائـلاـ فيـ تـرـجـةـ أـحـدـ بـنـ أـيـوبـ بـنـ إـبـراهـيمـ:ـ «...ـ اـبـنـ المـنـفـرـ»ـ - نـفـسـهـ قـ ١٨٦ـ أـ.ـ.

(٢) من ذلك قوله: «أـحـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ أـحـدـ السـمـريـاـنـيـ الـخـبـلـيـ الـعـربـاـنـيـ»ـ - هـكـذـاـ - قـ ١٨٧ـ أـ.ـ وـقـولـهـ:ـ «عـبـدـ اللهـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ خـلـيلـ»ـ - هـكـذـاـ مـجـرـداـ - قـ ١٩٠ـ بـ.

(٣) كـنـحـوـ قولـهـ فيـ تـرـجـةـ الـفـخـرـ الـقـيـاـيـ:ـ «...ـ وـسـيـأـيـ سـنـدـهـ فيـ تـرـجـةـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ الـبـالـسـيـ إـنـ شـاءـ اللهـ»ـ - نـفـسـهـ قـ ١٥٨ـ بـ - وـقولـهـ فيـ تـرـجـةـ خـدـيـجـةـ بـنـتـ تـقـيـ الدـيـنـ مـحـمـدـ»ـ:ـ «...ـ وـسـيـأـيـ ذـكـرـ شـيـءـ مـرـوـيـاتـهاـ فيـ تـرـجـةـ أـخـيـهاـ إـنـ شـاءـ اللهـ تـعـالـىـ»ـ - نـفـسـهـ قـ ٦١ـ بـ وـقولـهـ فيـ تـرـجـةـ الـجـمـالـ الـمـصـرـيـ:ـ «...ـ وـقدـ أـجـازـ لـهـ مـنـ تـقـدـمـ ذـكـرـهـ فيـ تـرـجـةـ أـحـدـ بـنـ عـلـيـ الـفـاسـيـ»ـ - نـفـسـهـ قـ ٢٦٣ـ أـ.

(٤) حيث أـقـىـ كـثـيرـ مـنـ الـوـفـيـاتـ خـلـوـاـ مـنـ تـارـيـخـ لـهـ كـمـاـ فعلـ بـتـرـجـةـ أـحـدـ بـنـ أـقـبـرـصـ - نـفـسـهـ قـ ١٩ـ أـ - وـأـحـدـ بـنـ عـبـدـ الـقـادـرـ الـبـعـلـيـ - نـفـسـهـ قـ ٣٣ـ بـ - أوـ بـلـفـظـةـ التـبـيـضـ،ـ كـنـحـوـ قولـهـ فيـ تـرـجـةـ الـفـتـحـ اـبـنـ الـخـرـاطـ «مـاتـ سـنـةـ بـضـعـ وـثـمـانـائـةـ»ـ - نـفـسـهـ قـ ١٧٩ـ بـ - أوـ بـاـ قـبـلـ السـنـةـ الـمـشـبـهـ كـنـحـوـ قولـهـ فيـ تـرـجـةـ عـثـمـانـ بـنـ مـحـمـدـ الشـفـرـيـ:ـ «...ـ مـاتـ قـبـلـ سـنـةـ ٨٢٠ـ هـ.ـ»ـ - نـفـسـهـ قـ ٢٣٨ـ بـ،ـ أوـ التـأـرـجـحـ فيـ سـنـةـ الـوـفـةـ،ـ كـمـاـ فعلـ فيـ تـرـجـةـ وـجـيهـ الـدـيـنـ الـعـلـوـيـ الـزـيـدـيـ،ـ حيثـ قـالـ:ـ «...ـ مـاتـ سـنـةـ ٨٠٣ـ أـوـ ٨٠٤ـ»ـ - نـفـسـهـ قـ ٢٣٦ـ بـ.

(٥) كـنـحـوـ قولـهـ فيـ تـرـجـةـ اـبـنـ حـازـمـ الـأـزـرـعـيـ الـخـفـيـ:ـ «...ـ وـأـظـنـ أـنـ قـرـأتـ عـلـيـهـ...ـ وـلـمـ اـتـحـقـ ذـلـكـ حـالـ كـتـابـيـ هـلـدـهـ الـأـسـطـرـ»ـ - نـفـسـهـ قـ ١٦٥ـ أـ.ـ وـقولـهـ فيـ تـرـجـةـ فـاطـمـةـ بـنـتـ الـمنـجـاـ التـنـوـخـيـةـ:ـ «...ـ هـذـاـ آخـرـ مـاـ وـجـدـتـهـ عـنـديـ وـمـاـ أـظـنـيـ اـسـتـرـعـبـتـ،ـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ»ـ - نـفـسـهـ قـ ١٤٢ـ أـ.

شاغلة لبضع ورقات^(١) بينما تأتي أخرى شاغلة لبضعة أسطر^(٢) أو مترجمة في أقل من السطر^(٣). وبالتالي فإنه لم يعن بالموازنة بين قسمي المعجم من حيث عدد الترجمات فيها، فضلاً عن المساحة المخصصة لكل قسم وينسحب ذلك تماماً على المساحة التي يشغلها الحرف الواحد.

وطبيعي أن يكون لكل هذا تأثيره في مادة الترجمات من حيث الزيادة أو النقص في عناصر الترجمات، والإسهاب أو الإقتضاب في العنصر الواحد.

٥ - أنه لم يخل تراجم معجمه من النقد التأريخي^(٤) أو الأدبي^(٥)، كما أنه كان شديد الاعتناء بذكر علاقاته بالمتقدم لهم فيه، مع وجود صفة غالبة على كل من انتظم فيه وهي المعاصرة، حيث الإتصال بهم والتحمل عنهم^(٦).

(١) من نماذج ذلك ترجمة كل من: البرهان الشامي الضرير - نفسه ق ٢ أ: ١٢ ب، وابن المجاور الرسام - ق ١٤ أ: ١٧، وشهاب الدين المحدث - ق ٢٣ أ - والزين العراقي - ق ٩٩ أ: ١٠٩ ب.

(٢) من نماذج ذلك قوله: «محمد بن حسن بن علي البيجوري، الفقيه شمس الدين الشافعي، سمع من عبد الرحمن القاري في صحيح البخاري، وعلى عز الدين ابن جماعة جزءاً من تحرير الدمياطي لنفسه عنه. سمعت عليه وتفقه وبرع ومات سنة سبع وعشرين وثمانمائة» - نفسه ق ٢٦٤ ب.

(٣) كنحو قوله: «عبد الرحمن بن سلطان بن الزغبوب الدمشقي. مات سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة» - نفسه ق ١٩١ أ.

(٤) كنحو قوله بشأن البرهان التنوخي: «... ونزل أهل مصر بهوته في الرواية درجة» - نفسه ق ١٢ ب، قوله بشأن فاطمة بنت المنجا التنوخية: «... تفردت بالرواية عنهم في الدنيا» - نفسه ق ١٣٣ أ - قوله في حق ابن مكي المقدسي: «... وكان مزجي البضاعة في العلم» - نفسه ق ٥٨ ب.

(٥) كنحو قوله في ترجمة ابن ناصر الدين: «... ونظر في الأدب حتى نظم الشعر الوسط» - نفسه ق ٢٦١ أ.

(٦) قوله في ترجمة التقى المقرizi: «... وبيتنا من المودة مما لا يسعه الورق» - نفسه ق ٢١٤ ب.

٦ - أن مادة المجمع المؤسس تتعاون مع مادة الإناء في الكشف عن منهج «ابن حجر» في الكتابة التاريخية، بالإضافة إلى إعطاء صورة متکاملة بالنسبة لفكرة تجاه من ترجم لهم فيهما، ويمكن أن نعطي لذلك الأمثلة في محورين هما :

أ - تعاون المجمع المؤسس مع الإناء في الكشف عن منهجه في استخدام المصادر، خاصة الوارد فيه من نقول مسندة إلى مصدرها ويكون لها في الإناء مقابل. حيث ورد في المجمع المؤسس قوله في النصفي الحنبلي^(١) (ت ٨٠٣ هـ. / ١٤٠١ م) : مسندًا إلى ابن حجي الحسبياني : «... قال ابن حجي : كان فقيهًا محدثًا حافظًا قرأ الكثير وحرر واتقن وألف وجمع وكان قد تخرج بابن المحب وابن رجب، وأفتى مع الإنجماع والتقشف»، بينما يقابل ذلك في ترجمته من الإناء قوله^(٢) : «... قال ابن حجي : كان فقيهًا محدثًا حافظًا، قرأ الكثير وضبط وحرر واتقن وألف وجمع مع المعرفة التامة. تخرج بابن المحب وابن رجب، وكان يفتى ويتقشف مع الإنجماع. ولم يكن الحنابلة ينصفونه».

وبالمقارنة بين المنقولين يتضح أن «ابن حجر» قد أسقط من ترجمته في المجمع المؤسس كلمة «ضبط»، وأتبع الكلمة «جمع» في الإناء قوله : «مع المعرفة التامة» مع إسقاط «كان قد»، وإبدال «أفتى» بقوله : «وكان يفتى» وقوله : «مع الإنجماع والتقشف» بقوله «ويتقشف مع الإنجماع»، على حين زاد في الإناء قوله : «ولم يكن الحنابلة ينصفونه» مما يشير إلى تصرفه في عبارة مصدره.

ب - التكامل بين ترجمات الإناء والمجمع المؤسس من حيث المعلومات الواردة فيهما، ومن أمثلته قوله في المجمع المؤسس^(٣) مترجماً لابن المنهاجي (ت ٨٣٦ هـ. / ١٤٣٣ م) : «محمد بن عبد الرحيم بن أحمد المنهاجي، شمس الدين، كان أبوه أعيجوبة في حسن الأدب مشهور بذلك، وهو سبط الشيخ شمس الدين ابن اللبان، واشتغل شمس الدين كثيراً ونظم الشعر وفاق الأقران

(١) المصدر السابق ق ٢٦٣ ب.

(٢) ابن حجر. إناء الغمرج ٢ ص ١٨٦ تر ١٠٥ .

(٣) نفسه المجمع المؤسس ق ٢٦٧ أ.

ولازم شيخنا ابن جماعة فمهر في الفنون . وموالده سنة اثنتين وسبعين تقربياً . سمعت من شعره وطارحي ومدحني بقصيدة . مات سنة ست وثلاثين وثمانمائة» .

ويقابل ذلك في الإنباء^(١) قوله : «محمد بن عبد الرحيم بن أحمد المهاجى المعروف بسيط ابن اللبان ، الشيخ شمس الدين الشافعى . ولد بعد السبعين ، واشتغل قديماً ، وأخذ عن مشايخ العصر كالعز ابن جماعة وشمس الدين ابن القطن وقرأ على ابن القطن صحيح البخاري بحضورى ، وقرأ على ترجمة البخاري يوم الختم ، وتعانى نظم الشعر فمهر فيه ، وله عدة قصائد ومقاطع ، ومهر في الفقه والأصول ، وعمل المواعيد وشغل الناس ولزم باخرة جامع عمرو بن العاص يقرأ فيه الحديث والمواعيد ويشغل الناس . وكان حسن الإدراك واسع المعرفة بالفنون ، حج في هذه السنة من البحر فسلم ودخل مكة في شهر رجب مجاوراً إلى زمن إقامة الحج فحج وقضى نسكه ورمى جمرة العقبة ثم رجع فمات بمنى قبل طواف الإفاضة . سمعت من نظمه وطارحي مراراً وكتب عني كثيراً» .

ومع تطويله لترجمته في الإنباء نجد أن المجمع المؤسس قد انفرد بتحديد سنة مولده على وجه التقرير «ومولده سنة اثنتين وسبعين تقربياً» على حين انفرد الإنباء بإيراد بعض الشيوخ المأذوذ عنهم مما لم يرد في المجمع المؤسس وكذا قراءته على ابن حجر ، والعلوم التي مهر المترجم له فيها وحاله قبل الوفاة مع ذكر كيفيتها وتحديد موضعها .

وعلى العكس من ذلك تماماً ، فإن ترجمته لأبن البيطار (ت ٨٢٥ هـ . / ١٤٢٢ م) في معجمه^(٢) يمكن الاستغناء بها عن ترجمته في الإنباء ، حيث الوارد في الإنباء^(٣) قوله : «محمد بن علي بن خالد الشافعى ، شمس الدين المعروف

(١) ابن حجر ، إنباء الغمرج ٣ ص ٥٠٨ تر ١٨ .

(٢) نفسه ، المجمع المؤسس ق ٢٦٧ أ .

(٣) نفسه ، إنباء الغمرج ٣ ص ٢٩٢ تر ٢٣ .

بابن البيطار، سمع من عبد الرحمن بن الشيخ علي بن هارون القاريء مشيخته تخریج شیخنا العراقي، وسمع من غيره، ولازمنا في الإسماع على المشایخ كثيراً. وكان وقوراً ساكناً حسن الخلق كثير التلاوة، ومات في ربيع الآخر».

ويقابلہ قوله في المجمع المؤسس قوله: «محمد بن علي بن خالد بن محمد بن أحمد، شمس الدين ابن البيطار. ولد سنة اثنتين وخمسين، وسمع علي عبد الرحمن ابن القاريء، وسمع علي شرف الدين عبد الرحمن بن عساكر شيئاً من النسائي ... وهذا القدر هو فوت ابن الصواف، وسمع مجموع ابن الصواف على أصحابه وسمع الكثير معنا، فأسمع أولاده، وأجاز في استدعاء ابني محمد، وكان حسن السمت كثير التلاوة. مات في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة». وهنا نجد أن ترجمته في «الإنباء» لا تزيد عنها ورد في المجمع المؤسس شيئاً، بل نجد أن المجمع المؤسس قد انفرد بتاريخ مولده، والإسهاب في ذكر من تحمل عنهم من الأساتيد، وطرق مسموعه عليهم، وعلاقة ابن حجر به.

بل وحتى في موضع تطابق المعلومات الباردة بشأن المترجم لهم لديه في «الإنباء» والمعجم لانعدام الوقوف على إفادة أو إضافة، ومن نماذج ذلك قوله في المجمع المؤسس^(۱) بشأن ابن مقبل التركي (ت ۸۰۶ هـ. / ۱۴۱۴ م.): «محمد بن مقبل بن عبدالله التركي، تفقه في صباه وسمع من كلام بعض الظاهيرية ففتنه به وأكب على الإشتغال بكلام ابن حزم وغيره، وكتب الكثير بخطه، واشتهر بذلك ولم يكن بال Maher، وكان يرفع يديه في كل حفظ ودفع ويحف شاربه. رأيته مراراً وسمعت كلامه. مات في سنة ست وتسعين وسبعمائة». ويقابلہ قوله في «الإنباء»^(۲): «محمد بن مقبل التركي. تفقه في صباه وأحب مذهب الظاهيرية فتظاهر به، وكان يحف شاربه ويرفع يديه في كل حفظ ورفع، وكتب بخطه كثيراً جداً».

وهكذا فإن المجمع المؤسس - في هذا الموضع - أفاد عنصراً لم يرد في «الإنباء» وهو المشاهدة والسماع عليه.

(۱) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ۲۷۱.

(۲) نفسه. إنباء الغمرج ۱ ص ۴۸۴ تر ۲۵.

الخاتمة

على الرغم من أهمية ما خلفه «ابن حجر» من الكتابات التاريخية أسقطه من جانب المؤرخين بعض الدارسين المحدثين، وتضاءلت قيمة مؤلفاته لدى البعض الآخر ربما كان مرد ذلك إلى أمور منها:

- ١ - غلبة جانب المحدث على «ابن حجر»، واشتهر به.
- ٢ - إغفال هذا النوع من النقاد دراسة مؤلفاته التاريخية أو الوقوف على أهميتها.

٣ - ما شاع من أن العصر المملوكي كان عصر تقليد إنعدمت فيه الجدة وخلام الابتكار، ومن أن الكتابات في هذا العصر لا تعدو أن تكون مختصرات أو شروحًا لما سبق أن كتب فيه، أو موسوعات تحتوي على جمع تأليفي لشatas حضارة بغداد بعد سقوط الخلافة فيها.

ولذا فإن هذا البحث قد عني بالترجمة «لابن حجر» في باب مستقل بهدف الكشف عن شخصيته حيث توصلت إلى نقاط جانبية من أهمها:

تعدد مصادر ترجمته واعتناء القدامى بتتبع حياته بالدراسة والتدوين - الاختلاف في إثبات سلسلة نسبة لدى مترجميه، بل ولديه كذلك، وكذا الاختلاف في تحديد يوم مولده ووفاته على وجه صائب - تنوع علومه وتعديدها وكثرة شيوخه وأساتذته - اعتناء «ابن حجر» بالرحلة والطلب مما انعكس على

كتاباته التاريخية كذلك وصيغها بالصبغة الشمولية - توليه الكثير من الوظائف العلمية والولايات الدينية حيث وفر له كل هذا الاتصال بالحوادث والمشاركة فيها ومصاحبة رجالات الدولة من سلاطين وخلفاء وأمراء وولاة وغيرهم .. وهو ما مكن له من الإطلاع على شئون الدولة والتعرف على وثائقها والتثبت من صحة أخبارها، حتى لقد تفرد بذكر الكثير من الحوادث وجوانب الشخصيات المترجمة لديه في «الإنباء»، بل ربما عد مصدرًا وحيداً لبعض الترجم، كما مر في الترجمة للزین العراقي.

أما الباب الثاني فقد خصص للدراسة المنهجية «الإنباء» حيث أمكنني الإشارة إلى أهميته الكامنة في كونه المؤلف الوحيد «ابن حجر» المشتمل على الحوادث والترجم، والذي كان معاصرًا لحيزه الزماني مدركاً لما فيه مشاركاً في حوادثه مخالطاً للكثيرين من ترجموا لديه فيه.

وإن لم يعرف على وجه اليقين ابتداء «ابن حجر» بالمشروع في تدوينه فإنه من المجزوم به أنه لم يكتب حوادثه حال وقوعها، وإنما بعد انقضاء أمد بعيد من ذلك، كما أنه كان دائم الرجوع إليه منقحاً ومهذباً بالإضافة أو بالحذف، ولذا ظل الكتاب إلى وفاته في المسودة إلى أن قدر له الذيع والإنتشار بعد موته، دون مراعاة من النساح والنashرين قدامي ومحدثين لرغبة مؤلفه في تجزئته - وهو منهج مرجعي ومدرك لديه - حيث تخطوا تقسيمه إلى تقسيمات أخرى مغايرة روعي فيها الشكلية البحتة التي لم تكن يعيها بالأـ .

ولقد اتضح أن النسق الفني للإنباء يتمثل في تنظيمه على مقدمة متبوعة بمعلومات نظمت على الحواليات المتتابعة الإفراد ابتداء بحولية ثلاثة وسبعين وسبعيناً للهجرة وانتهاء بحولية خمسين وثمانيناً مع مراعاة أن تذكر الحوادث والترجم فيها منفصلة عن الأخرى من حيث النسق الترتيبـي، وقد نظمت ترجم الوفيات حسب حروف الهجاء مع اعتبار اسم المترجم له فحسب، أما الحوادث فقد روعي فيها أن تأتي متتابعة التسلسل في صدر حوالياتها، ولم يسر فيها على و蒂رة واحدة.

كما لوحظ - كذلك - عدم اهتمام «ابن حجر» بالتنسيق بين عدد الصفحات أو كمية المعلومات الواردة في المحتويات فرادياً، فضلاً عن إغفال التنسيق الفني في البناء الداخلي للتحويلية المفردة حيث لا يوجد مثل هذا التناقض بين الترجم والحوادث من حيث المساحة الشاغلة لها أو العدد فيها، ولعل علة ذلك راجعة إلى طبيعة كاتبها وتوفره على المصادر وتوفير المصادر له، فضلاً عن نوع المعلومات المدونة لديه.

أما النسق التعبيري للإنباء فيشير إلى مميزات خاصة بأسلوب «ابن حجر» تمثل في فصاحة اللفظ ومعجميته، وتحير أساليبه البلاغية، وتضمينه للعبارات البليغة شائعة الاستعمال لدى كتاب العصر، مع توارد الاصطلاحات والعبارات المعروفة لعصره، وكذا التأثر بالقرآن الكريم والاقتباس منه، والاعنة بتضمين الحوادث والترجم للكثير من الشواهد الشعرية، والابتعاد عن السجع والتتكلف، واستعمال المختصرات، والمزاوجة في تدوين التواريخ بين الأرقام والحرروف، وضبط الأسماء في الأعلام والأنساب والأمكنة بالحرروف، تحرياً في الدقة والبعد عن التصحيح، والإفصاح عن رأيه وانفعالاته بعبارات وألفاظ سافرة، واستعماله اصطلاحات ومخترفات المحدثين.

كما ذيلت على ذلك بإبراز اتجاه «ابن حجر» إلى الشمول الموضوعي والموضوعي لحوادثه قصداً إلى إكمال الحدث بتبنته وتسلسل عناصره في موضع واحد أو الإحالـة في الحوادث والترجمـة إلى معلومات فائـته أو لاحقة تحقيقـاً لذلك، فضلاً عن توجيهـه الحـوادث وجـهة نـقـدية بهـدف الإـفصـاح عن حالـ من تـعلـقـ بهـ الحـدـثـ، أو توـظـيفـ الحـدـثـ للـإـبانـةـ عنـ تـعاـطفـهـ معـ بعضـ الشـخـصـيـاتـ والـتأـثيرـ فيـ نفسـ المـطالـعـ لهـ، أوـ بتـبعـ الروـاـيةـ المصـاحـبةـ لهـ.

أما طبيعة الحوادث وأسس انتقاء مادتها ، فقد تضح أن «الإنباء» اشتمل على حوادث الواقعه بين سنة مولده وسنة خمسين وثمانمائة وقد راعى فيها الشمولين النوعي والمكاني وإن استأثرت حوادث الدولة المملوكية من بينها بالحيز الكبير باعتبارها دولة الخلافة التي نشأ «ابن حجر» في أرضها وتكون وعاش في

ظلها، ولذا لم تقتصر أحداث حولياته على المجال السياسي فقط، وإنما كان مع ذلك التطرق بإسهاب إلى نواح متعددة من إدارية متمثلة في إيراد الكثير من الاستقرارات الوظيفية وما قد يطرأ عليها من تغيرات وما يعتريها من الإختلال أو الإستقرار والانتظام معللاً ونادقاً، وما يتعلق بها من الرسوم وإن لم تكن مطردة بحيث يمكن أن تستخرج منها قوائم متسلسلة ومكتملة - وسياسية مختصة بالعلاقات الداخلية والخارجية للدولة المملوكية مع الاعتناء ببيان أثر سياسة الدولة المملوكية على الرأي العام في وقته ووقعه على الأنفس، كما أبرز أعمال السلاطين والأمراء فيما تعلق بالعمارة والبناء، وكذا حياتهم الخاصة، مع إثبات المراسيم الصادرة من الإدارة المملوكية، وكذا حال النيل وما يتبعه من حالات إقتصادية وما قد يصيب مجتمعه من النكبات والأمراض، كما اهتم بأمر الحاج، وما يظهر من البدع والكافئات، أو يقع من المنافسة بين العلماء، أو إفشاء العوام والمماليك للفتن والفوضى والثورات، وما تعلق بأهل الذمة من الأحوال.. مع عدم إغفال الترجمة الذاتية له كلها ستحت الحال، وكذا تسجيل الكثير من الظواهر الطبيعية والعجائب ومستغربات، الحدوث شأنه في ذلك شأن كتاب الحوليات المتقدمين والمعاصرين واللاحقين. وهي غالباً ما تعبّر عن شعور ديني خاص كان سائداً في عصره.

كما يتضح أنه لم يفرد مكان الصدارة في حولياته لنوع معين من تلك الحوادث اللهم إلا أن يكون لتلك الحوادث المفردة بالصدارة غلبة على عصره أو فكره لما لها من تأثير على الرأي العام في وقته.

أما الترجم فإنها قد تفاوتت من حيث العدد بين حولية وأخرى، وتغايرت الأسماء بين مؤرخ وآخر، ولكن مع هذا فإنه يمكن أن نميز «ابن حجر» في هذه الناحية منهجاً اعتمد في انتقاء الترجم على أسس رئيسية تمثلت في الشهرة - أيًّا كانت في المنصب أو الوظيفة أو الحرفة، في العلم أو الجهل به، في الحفظ وجودة القراءة، في الرياسة والوجاهة، في اللعب والتمهر فيه، في الإلتزام بالدين أو التهتك فيه.. والشمول النوعي، حيث لم يقصر ترجمات الوفيات على نوع واحد

من الأعلام المشاهير سواء في الجنس أو في الأصل أو في الديانة أو في المذهب أو في المنصب أو في الوظيفة أو في الحرفة أو في العلم والمعرفة، والشمول المكاني حيث ظهر حرصه على إيراد ترجم متعلقة بكل من شهر في عالمه ما دام قد أطلع على مادة ترجمته وضبط تاريخ وفاته.

ومع أن المادة التاريخية الموجودة في ترجمة ما تختلف عن الأخرى حسب طبيعة المترجم، فإنه قد أمكن بعد درسها أن نميز له عناصر رئيسة تناولت: الأسم واللقب، والكنية، وأسم الشهرة، والنسبـة، والموطـن، والألقـاب العلمـية، والصفـات الأصـلية، والموـلد، وتقـدير عمر المـترجم لـه، والتـاريخ لوفـاته، مع تحـديد كـيفـية الـوفـاة والـعلـة فـيهـا، وحال المـترجم لـه عند ذلكـ، والنـشـأة والنـكـورـينـ، وـمـنـزـلـةـ المـترجمـ لـهـ ومـكانـهـ وـوـظـائـفـهـ وأـعـمالـهـ وـسـجـيـاهـ وـصـفـاتـهـ، وـعـلـاقـاتـهـ بـالـأـهـلـ والأـقـرـانـ، وـعـلـاقـةـ «ـابـنـ حـجـرـ»ـ بـهـ، مع تـفصـيلـ القـولـ فيـ كلـ عـنـصـرـ مـنـهاـ مـشـيرـاـ إلىـ أنـ مـثـلـ تـلـكـ العـنـصـرـ لاـ تـجـتمـعـ بـالـضـرـورةـ فيـ تـرـجـمـةـ وـاحـدـةـ، كـماـ أنـ الطـولـ وـالـقـصـرـ فيـ مـادـةـ العـنـصـرـ الـواـحـدـ رـاجـعـ إـلـىـ أـمـورـ مـنـهاـ: طـبـيـعـةـ المـترجمـ لـهـ وـخـصـصـهـ، وـطـبـيـعـةـ المـادـةـ الـمـتـقـيـ مـنـهاـ هـذـاـ العـنـصـرـ، أوـ هـذـهـ التـرـجـمـةـ، وـنـوـعـيـةـ المـصـدـرـ سـوـاءـ كـانـ مـكـتـوبـاـ أوـ مـعاـصـراـ.

وذيلت على ذلك بدراسة موضوع التوازن الزماني بين حوليـاتـ الكـتابـ مشـيرـاـ إـلـىـ انـعدـامـ ذـلـكـ مـعـلـلاـ لـهـ بـأـنـ «ـابـنـ حـجـرـ»ـ لمـ يـكـنـ مـنـ بـيـنـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ يـأـخـذـونـ بـالـشـكـلـيـاتـ، حيثـ دـيـدـنـهـ فـيـ الـالـتـزـامـ بـمـنهـجـ يـلـحـ بـهـ عـلـىـ تـقـرـيرـ شـمـوليـ لأـحـوالـ عـصـرـهـ تـعـاـونـ فـيـ الـحـوـادـثـ وـالـتـرـاجـمـ فـيـ التـارـيخـ لـهـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ جـدـارـةـ الـحـدـثـ أوـ الـتـرـجـمـةـ بـالـتـسـجـيلـ عـلـىـ سـبـيلـ الإـسـهـابـ أوـ الـاقـضـابـ أوـ الإـسـقـاطـ وـالـإـهـمـالـ.

وعلى الرغم مما شاع لدى المؤرخين والباحثين المحدثين من إنفـاءـ العلاقةـ بينـ التـرـاجـمـ وـالـحـوـادـثـ لـدـيـ كـتـابـ الـحـوليـاتـ التـقـليـديـنـ، وإـعـتـبارـ التنـظـيمـ دـاخـلـ الـحـوليـةـ الـواـحـدـةـ عـلـىـ الـحـوـادـثـ وـالـلـوـفـيـاتـ فـصـلـاـ تـامـاـ فـيـهـاـ بـيـنـهـاـ بـحـيـثـ يـكـنـ جـمـعـ كـلـ قـسـمـ مـنـهـاـ فـيـ مـؤـلـفـ مـسـتـقـلـ قـائـمـ بـذـاتهـ دـوـنـ تـأـثـيرـ فـيـ طـبـيـعـةـ الـمـؤـلـفـ الـأـصـلـيـ -ـ فإنـهـ

قد أثبتت من خلال دراسة «الإنباء» عكس ذلك تماماً فالعلاقة وثيقة بين مادة الكتاب أحدها وترجماته، وهي لم تأت عفوية أو إرتجالية، وإنما كانت وراءها أصبع «ابن حجر» التي وجدت في مناسبة الوفاة فرصة لا ستخدامها في تحقيق هذه الغاية، ومن علامات ذلك ودلائله: العلاقة الزمانية فيما بينهما، والتي إقتضته إثبات وتوزيع معلوماته على جزءي الكتاب، باعتبار أن الحوادث محتوية على أخبار متنوعة بين إدارية وسياسية وإقتصادية وإجتماعية.. على حين أن الترجم في حد ذاتها إخبار عن الوفاة ومفارقة الحياة المألفة، وكل حديث في الحيز الزمني للحولية الواحدة، والعلاقة فيما بينها من حيث الموضوع والمتمثلة في الترجمة بالإحالة الكلية على الحوادث، وقد ورد أسم المترجم له في الوفيات مجردأ عن آية معلومات إكتفاء بما جاء في الحوادث، والإحالة إلى الحوادث في تصاعيف الترجمات، والإحالة في الحوادث إلى الترجمات، والترجمة لبعض الوفيات في الحوادث - مع إدراك «ابن حجر» لذلك ونصه عليه في أكثر من موضع - والتكامل بين الحوادث والترجم، حيث إتيان الكثير من الترجمات بأبعد تاريخية للحوادث فضلاً عن مادة الكتاب مجتمعة لإمتداد جذورها إلى ما قبل حولية ثلاث وسبعين وسبعين المتصدرة للكتاب، وباعتبار أن «ابن حجر» كان ديدنه التاريخ بالحدث والترجمة معاً، ولذا جزاً معلوماته على الحوادث والترجمات مما لا يتّأني معه إعتماد الحوادث وحدها في كثير من الموضع دون رجوع إلى الترجمات لاستكمالها وتتبع خيوطها وأبعادها. علاقة السببية التي ظهرت الوفيات فيها مرتبة على الحوادث، وظهرت الحوادث - كذلك - سببية لها، وصارت الوفيات تبعاً لذلك توكيداً لها وتقريراً، وتشكيل الحوادث لمادة الترجم سواء بالإختصار أو التركيز أو الإعادة أو الإضافة، وتوظيف الترجم في النقد التاريخي للحوادث، والعلاقة بين مادة الكتاب ومصادره باعتبار أنه قد ترجم لأصحاب هذه المصادر في موضعهم من الوفيات.

ولقد تنوّعت مصادر مادة «الإنباء»، حيث لم يقتصر «ابن حجر» فيه على المصادر المكتوبة - على الرغم من إفادته منها كثيراً - وإنما نجده قد أخذ مادته فضلاً عن ذلك عن طريق: المشاهدة والمشاركة - وقد أدرك قيمتها فاندفع يلح في

الإشارة إليها بلفاظ متعددة دالة على المعاصرة ومداها تتصدر غالباً منقوله وقد ربطت بينه وبين ذاتية موردها - والمشافهة، سواء منها ما ورد على لسان المترجم له أو قرابته أو المتصلين به، أو شاهد عيان لواقعة تاريخية حضرها و«ابن حجر» عنها غائب، بل لقد كان منها ما نسب إلى بعض أصحاب التواريخ المكتوبة والمساءلة والمكاتبة إستناداً إلى معرفة المسؤول - فيها يظن - بموضع المساءلة سواء كانت هذه المساءلة شفهية أو كتابية، ناهيك عن الإستفادة من الإجازات والسماعات، والوثائق والخطوط، ومؤلفات المترجم له ونتاجه، وجماعي الشیوخ والصحاب ..

وكما تنوّعت مصادره، فإن طرقه في الإنتساب إلى هذه المصادر قد تنوّعت كذلك لتشتمل في: الإشارة إلى المصادر، سواء في صدر مؤلفه أو من خلال النقول عنها في حولياته، والإشارة إلى موضع النقل، والإشارة إلى بداية النقل وإنتها وإن أغفل مع ذلك التصريح بمصادره في مواضع كثيرة استنتاج من مقابلتها بمصادرها بعض عبارات وألفاظ إصطلاحية له - غالباً - ما تعبّر عن مصدر واحد، وهي دلالات النقل لديه عند عدم التصريح به.

ووضح إهتمام «ابن حجر» بمصادر مصادره إدراكاً منه لأهمية ذلك في تعلييل أفضليّة المصدر المنقول عنه، فضلاً عن توثيقه، وبالتالي توثيق مادة الإنباء مما نقل عنه.

وأوضح أن «ابن حجر» قد عالج مصادره بطرق شتي، تكشف لا ريب عن شخصيته المصاحبة لكل منقول مثبت لديه، وإن لم تعبّر في الغالبية العظمى منها عن العبارة الأصلية للمنقول عنه، أمّا حصرها في: الإلتزام الحرفي بمادة مصادره قدر إمكانه - إنتقاء المنقول مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلي - التصرف في النص من حيث اللفظ تعديلاً وإبدالاً، زيادة واختصاراً مع الحفاظ على النسق الترتيبـي للمصدر الأصلي - الأساسي للمنقول - الإلتزام بالحرافية للألفاظ قدر إمكانه مع تغيير النسق الترتيبـي

وتعديلته - التصرف في اللفظ والنسق الترتيبى معاً - النقل بالفكرة مع إغفال العبارات الأصلية لمصدره ..

كما بدت له نظرة عالج بها المصادر سواء بمعاملته للنقل على أنها جزئيات تخضع لتصديق العقل إياها أو ردها أو بالنقد الشمولي للمصدر ككل.

ومع هذا وذاك، ومع ولعه بتحري الدقة في النقل عن مصادره، فإنه قد جانب الصواب في مواضع متعددة أمكن أعطاء نماذج لها.

كما ظهر «ابن حجر» معيناً بالنقد التاريخي مارساً له في سائر جوانب كتابه ملحاً عليه بشتي الطرق التي في مكتبه التعبير بها، إنطلاقاً من مفهومه للتاريخ وهو مفهوم ذو صلة بالحديث النبوى وما يتبعه من جرح وتعديل، ومن تذوقه للأدب ومشاركته فيه، بالإضافة إلى ما رزقه من حس تاريخي ناقد.

وإن أدى هذا المسلك الناقد في الكتابة التاريخية إلى تعرضه لكثير من المشاحنات والعداوات إلى الحد الذي جعل بعضهم ينزعه عن الكتابة التاريخية جملة.

وأمكن الكشف عن منهجه في النقد التاريخي من خلال دراسة إحدى قتاوله ردأً على سؤال سائل بشأن هذا، مقارناً ذلك بما ورد في «الإنباء» من جوانب تطبيقية، حيث ميزت له أنواعاً من النقد تمثلت في :

١ - نقد الرجال من خلال الكشف عن بعض الصفات الأصلية فيهم المعتبرة عن حال المترجم لهم لديه، وما يتبع ذلك من جرائمهم وتعديلهم.

٢ - إصدار الأحكام والتقاويم على الملوك والسلطانين ونواب السلطنة والأمراء والمبashرين والقضاة والفنانين من خلال مقاييس خاصة بكل طبقة على حدة متبرعة بصفات مبحوثة فيهم ومثبتة عليهم سلباً أو إيجاباً.

٣ - نقد الحوادث، وقد توزع بين نقد الروايات التاريخية، وبين إصدار الأحكام والتقاويم على الحوادث والرجال معاً، وبين نقد الحوادث في حد ذاتها نقداً جزئياً، مع الاعتناء بالنقد الكلبي من خلال الشواهد الشعرية المنبثة في

الحوادث والترجم والموجهة وجهة نقدية هادفة إلى إبراز وتجسيم أهم خصائص وقضايا مجتمعه، بالإضافة إلى إبراز وتحليل العوامل الفاعلة في الحوادث وتقويمها.

وأوضح علاوة عن ذلك أن «ابن حجر» من المؤرخين المنصفين في القدر حيث ظهر حرصه على نقل آراء المواقفين والمخالفين في المترجم له بهدف أعطاء صورة عنه تكون مكتملة، ومناقشة مصادره فيما أوردته من تقاويم وأحكام مناقشة منهجية اقتضته تفنيد الكثير من عباراتها معللاً ، نشداناً للإنصاف والصواب ، وحرصه على الدقة بالتحري عن معلوماته قبل إثباتها ، حتى ولو صدرت عن المترجم له عينه ، وتعديلاته مادة عناصره وقد أثبتتها في صورتها الأولى نتيجة لما حصله من مادة مصوبة لها وإيراده الحكم أو التقويم معللاً وليس مجردأً.

لكن مع ذلك وقع له الخطأ في بعض مواضع من حولياته نتيجة لسهو اعتراه أو إخلال بالدقة في النقل عن بعض مصادره في مواضع معدودة ، أو لأنه لم يكن من يتوجه إلى الكتابة التاريخية بالكلية . بالإضافة إلى ولعله بالقدر الأدبي وتوظيفه للأدب في التاريخ ونقده إلى الحد الذي جعله يغفل الرواية التاريخية لدى مصدره إستناداً إلى تفضيل ما صاحب تلك الموضع من انفعال أدبي مقلد ، فأقى حكمه خاطئاً لأنه أسس على ذلك .

كما أمكن الإشارة من خلال دراسة مؤلفات «ابن حجر» التاريخية المعاصرة للحيز الزماني «للإنباء» إلى أن هذا النهج في الكتابة التاريخية مطابقي وبالتالي متصل وراسخ في نفس مورده ، كما أن مادة هذه المؤلفات الداخلية في الحيز الزماني للإنباء تكمل الموضوع والفكر فيه باعتبار أن فكر المؤرخ الواحد لا يمكن تجزئته ، وأنها تمثل مصادر أصلية وأساسية في سبيل التاريخ لعصره .

مصادر البحث ومراجعة

أولاً - المصادر^(١)

(أ) المصادر الخطية :

- الباقي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨١ م):

(١) عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران. مصورة دار الكتب المصرية رقم ١٠٠١ تاريخ (عن مخط. كويريلي زاده بالأسنانة)، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣٤٢ تاريخ.

(٢) عنوان العنوان. مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٤٧٤ تاريخ - تيمورية.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م):

(١) الدليل الشافي على المنهل الصافي. مخط. قرة جلبي بتركيا رقم ٢٦٦ ، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٤٤ تاريخ.

(٢) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي:

- مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٠١٨ تاريخ، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٨٤١ تاريخ.

- مخط. دار الكتب المصرية رقم ١١١٣ تاريخ.

(١) رتب هذا الثبت ترتيباً هجائياً مع إسقاط «ابن» و«أبو».

- مخط. عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٦٣٠ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٢٧١ تاريخ .
- (٣) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة :
- مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٠٣٨ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٥٣٥ تاريخ .
- مخط. الظاهرية بدمشق رقم ٣٠ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥٣٥ / ٣ تاريخ .
- مخط. فيض الله بتركيا رقم ١٤٠٦ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١ / ٥٣٥ تاريخ .
- ابن حبيب، بدر الدين أبو محمد الحسن بن عمر (ت ٧٧٩ هـ . / ١٣٧٧ مـ .) : درة الأislak في دولة الأتراك . مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٠١١ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١ / ٢٣٥ تاريخ .
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ . / ١٤٤٩ مـ .) :
- (١) إنباء الغمر بأبناء العمر :
- مخط. الظاهرية بدمشق رقم ٢٤١ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥ / ٦٥ .
- مخط. أحمد الثالث باستانبول رقم ٢ / ٢٩٤١ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١ / ٦٥ ، ٣ تاريخ .
- مخط. أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩٤٢ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢ / ٦٥ تاريخ .
- مخط. الأزهرية بالقاهرة رقم ٧١٠ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥٨٧ تاريخ .

- نخط. الأوقاف العامة ببغداد رقم ٥٨٨٣ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٤٠٤ تاريخ .
- نخط. الرباط رقم ٣٢٤ ك ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٤٠٥ تاريخ .
- نخط. السعیدیة بالهند رقم ٩٤ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٩١٠ تاريخ .
- نخط. مدینة بالهند رقم ٥٢٢ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٩١٠ تاريخ .
- نخط. دار الكتب المصرية رقم ٢٤٧٦ تاريخ ، ٨٨٤٤ ح .
- (٢) انتقاد الإعتراض. نخط. المكتبة العمومية بدمشق رقم ٩٩ .
- (٣) ذيل الدرر الكامنة. نخط. دار الكتب المصرية رقم ٦٤٩ - تیموریة وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٥٠ تاريخ .

(٤) رفع الإصر عن قضاة مصر:

- نخط. الأصفیة بالهند رقم ٩٠ تراجم ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/١٠٧٤ تاريخ .
- نخط. خدابخش بتنة بالهند رقم ٢٤٨٣ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/١٠٧٤ تاريخ .
- نخط. دار الكتب المصرية رقم ١٠٥ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٦٧٤ تاريخ .
- نخط. فيض الله بتركيا رقم ١٤٥٥ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٢٦٠ ، ٢ تاريخ .

(٥) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس:

- نخط. جامع إبراهيم باشا بالإسكندرية رقم ١٦ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٤٤٠ تاريخ .

- مخط. الأحمدية بحلب رقم ٣٤٥ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣/٤٤٠ تاريخ .
- مخط. الأزهرية بالقاهرة رقم ١٣٦٠ (٨٧٨) مصطلح ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٤٤٠ تاريخ .
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ٧٥ مصطلح ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٧٨٠ تاريخ .
- مخط. مراد ملا بتركية رقم ٦٠٣ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤/٤٤٠ تاريخ .
- (٦) المعجم المفهرس (تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة).
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ٨٢ مصطلح ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٨١٥ تاريخ .
- ابن خطيب الناصرية، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سعد الطائي (ت ٨٤٣ هـ. / ١٤٤٠ م.):
- (١) الدر المتخب في تكمـلة تاريخ حلب. مخط. الأحمدية بحلب رقم ٢٠٣٦ وـعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٦٥٠ تاريخ .
- (٢) مجموع ابن خطيب الناصرية. مخط. الحالدية بالقدس رقم ٣١ تراجم وـعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١١٩٨ تاريخ .
- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩ هـ. / ١٤٠٧ م) : الجوهر الشمين في سير الملوك والسلطانين :
- مخط أحمد الثالث بتركيا رقم ٢/٢٩٨٤ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣/٢٠٨ تاريخ .
- مخط. التيمورية بالقاهرة رقم ١٤٩٢ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٠٨ تاريخ .
- مخط. حكـيم أوغلي علي بتركيا رقم ٧٣٧ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٢٠٨ تاريخ .

- خط. دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٧ تاريخ (المصور عن خط. أيا صوفيا بتركيا رقم ٤١٧٢)، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤/٢٠٨ تاريخ .
- سبط ابن حجر، جمال الدين يوسف بن شاهين (ت ٨٩٩ هـ. / ١٤٩٤ م.): رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ:
- خط. الخالدية بالقدس رقم ١١ تراجم، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٠٨٧ تاريخ .
- خط. مدينة بالهند رقم ٤٩٣ ، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٢٨٢ تاريخ ، ٦٨٩ تاريخ .
- السخاوي، أبوالخير محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ. / ١٤٩٧ م.): الجوواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر:
- خط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٩٩١ ، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٢٠٤ تاريخ .
- خط. دار الكتب المصرية رقم ٤٧٦٨ تاريخ (المصور عن خط. الأهلية بباريس رقم ٢١٠٥)، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٢٠٤ تاريخ .
- خط. الخزانة الملكية بالرباط رقم ١٥٠٠ ، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية، بدون فهرسة.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ. / ١٥٠٦ م.): المنجم في المعجم. خط. دار الكتب المصرية رقم ٥٢٦ تاريخ ، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥٢٨ تاريخ .
- ابن الشحنة، محب الدين أبوالوليد محمد بن كمال الدين محمد بن محمود (ت ٨١٥ هـ. / ١٤١٢ م.):

روض المناظر في علم الأوائل والأواخر. مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٧٠ ١/٢٩٠٢ وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم تاريخ .

- عبدالله بن زين الدين بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن ذكريـا بن خليل : جان الدرر من ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر. مخط. دار الكتب المصرية رقم ٧٢٦ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٩٨ تاريخ .

- العيني ، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن يوسف (ت ٨٥٥ هـ. / ١٤٥١ م.):

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان مج ١٩ ، مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٣٤ ٢٩١١ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم تاريخ .

- ابن الغزي ، محمد بن أحمد بن عبدالله العامري (ت ٨٦٤ هـ. / ١٤٦٠ م.):

بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرـين من الشافعـية البارعين :

- مخط. دار الكتب المصرية رقم ٣٤٠٣ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٨٥ تاريخ .

- مخط. الظاهرـية بدمشق رقم ٥٥ تاريخ ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥٩٤ تاريخ .

- الفاسي ، تقـي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢ هـ. / ١٤٢٩ م.): ذيل التقييد بمعرفة رواة السنن والأسانيد. مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٩٨ مصطلح ، وعنـه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٦٧١ تاريخ .

- ابن قاضـي شهـبة ، تقـي الدين أبو بـكر بن أـحمد بن مـحمد بن عـمر (ت ٨٥١ هـ. / ١٤٤٨ م.):

(١) الإعلام بتاريخ أهل الزمان. مخطوط. مصور بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٢ تاريخ (عن مخط. الأهلية بباريس)، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٩٩ تاريخ.

(٢) طبقات الشافعية:

- مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٨٣٦، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٣١٢ تاريخ.
- مخط. خدابخش بتنة بالهند رقم ٢٤٥٥، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/١١٢٥ تاريخ.
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٥٦٨ تاريخ، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٧٢٤ تاريخ.
- مخط. كوبيريلي بتركيا رقم ١٠٢٨، وعن مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣١٢ تاريخ.
- مخط. الناصرية بلکنو بالهند رقم ١٠١، ١٠٠ رجال حديث وعنهما مصوري معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقمي : ١/١١٢٥ ، ٣ .
- المناوي، عبد الرؤوف (ت ١٠٣٥ هـ. / ١٦٢٦ م.): اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر. مخط. دار الكتب المصرية رقم ٩١ تيمورية - مصطلح حديث.
- ابن ناصر الدين الحنبلي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالله (ت ٨٤٢ هـ. / ١٤٣٩ م.): توضيح المشتبه للذهبي. مخط. الظاهرية بدمشق رقم ١٥١ تفسير.

ب - المصادر المطبوعة:

- ابن أبي الدم الحموي، أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٩ م.): أدب القاضي المسمى «الدر المنظومات في الأقضية والحكومات» ت. محمد مصطفى التزحيلي. دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٥.

- ابن الأثير، عز الدين بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) :
الكامل في التاريخ. بيروت، الكاتب العربي، ط ٢، ١٩٦٢.
- ابن الأزرق، أبو عبدالله محمد (ت ٨٩٦ هـ. / ١٤٩١ م.) :
بدائع السلك في طبائع الملك. ت. د. علي سامي النشار. بغداد،
الأعلام ، ٧٧ - ٧٧٨ .
- الأسنوی، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢ هـ. / ١٣٧١
م.) : طبقات الشافعية. ت. عبدالله الجبوری . بغداد، الأوقاف، ط ١،
١٩٧١ .
- ابن إياس الحنفي ، أبو بكر محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ. / ١٥٢٤ م.) :
بدائع الزهور في وقائع الدهور. ت. محمد مصطفى . فيسبادن، ١٩٦١ -
١٩٧٥ .
- المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور. القاهرة، الشعب، ١٩٦٠ .
- البغدادي، عبد القاهر (ت ٤٢٩ هـ. / ١٠٣٧ م.) :
الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم . بيروت، الآفاق الجديدة،
١٩٧٣ .
- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ /
١٣٣٩ م.) :
مراكد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاء . ت. علي محمد البيجاوي .
القاهرة، عيسى الحلبي ، ط ١ ، ١٩٥٥ .
- البكري، أبو عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ. / ١٠٩٤ م.) :
معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواقع . ت. مصطفى السقا .
القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٧ .
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف (ت ٨٧٤ هـ. /
١٤٧٠ م.) :

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (ختارات) ت. وليام بوير. كاليفورنيا، ١٩٣١.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (ج ١). ت. أحمد يوسف نجاشي. القاهرة، دار الكتب، ١٩٥٦.
- مورد اللطافة. ت. د. كارليل. أوربا، ط ١، ١٧٩٢.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة، مختلفة.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥ هـ. / ٨٦٩ م.): مقالة الزيدية والرافضة - ضمن كتاب رسائل الجاحظ. ت. عبد السلام هارون. القاهرة، الخانجي، ط ١، ١٩٧٩.
- الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ. / ١٤٢٣ م.): التعريفات. تونس، الدار التونسية، ١٩٧١.
- الجزري، شمس الدين أبو الحير محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ. / ١٤٣٠ م.): غاية النهاية في طبقات القراءات. ج. برجستراسر. القاهرة، الخانجي، ١٩٣٣.
- ابن جماعة، بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الدين (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م.): تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم. بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧ هـ. / ١٦٥٧ م.): كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون. بغداد، المثنى، بدون تاريخ.
- الحكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥ هـ. / ١٠١٤ م.): معرفة علوم الحديث. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م.).

- إنباء الغمر بأنباء العمر. ت. حسن حبشي. القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٢ - ١٩٦٩. (٣ ج).
- —. ت. السيد عبدالله بن أحمد بن محمدالمديح الهند، دائرة المعارف العثمانية، ٦٧ - ١٩٧٦. (٩ ج.).
- —. ت. محمد أحمد دهمان. دمشق، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩.
- (ج ١).
- الإصابة في تمييز الصحابة. ت. علي محمد البيجاري. القاهرة، نهضة مصر، ١٩٧٢.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام. ت. رضوان محمد رضوان. بيروت، المكتب العربي، بدون تاريخ.
- بصير المتبه بتحرير المشتبه. ت. علي محمد البيجاري. القاهرة، الدار المصرية، ٦٥ - ١٩٦٧.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. بيروت، دار الجليل، بدون تاريخ.
- رفع الإصر عن قضاة مصر. ت. د. حامد عبد المجيد وغيره. القاهرة، الأميرية، ٥٧ - ١٩٦١. (٢ ج).
- لسان الميزان. بيروت، الأعلمي، ط ٢، ١٩٧١.
- ابن حزم الأندلسي الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) :
- الفصل في الملل والأهواء والنحل. بيروت، المعرفة، ط ٢، ١٩٧٥.
- الخصف، أبو بكر أحمد بن عمرو بن مهير الشيباني (ت ٢٦١ هـ / ٨٤٧ م) : أدب القاضي. ت. فرحات زيادة. القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٧٩.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ. / ١٠٧١ م) :

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام. بيروت، الكاتب العربي، بدون تاريخ.
- الكفاية في علم الرواية. بيروت، الدار العلمية، بدون تاريخ.
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله (ت ٧٧٦ هـ. / ١٣٧٥ م.): الإحاطة في أخبار غرناطة. ت. محمد عبدالله عنان. القاهرة، الخانجي، ١٩٧٧ - ٧٣.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ. / ١٤٠٦ م.): تاريخ ابن خلدون. بيروت، دار البيان، بدون تاريخ.
- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ. / ١٢٨٢ م.): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ت. د. إحسان عباس. بيروت، صادر ١٩٧٧.
- الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥ هـ. / ١٥٣٩ م.): طبقات المفسرين. ت. علي محمد عمر. القاهرة، وهبة، ط ١، ١٩٧٢.
- الداودي، أبو بكر عبد الله بن أبيك (ت ٧٣٢ هـ. / ١٣٣٢ م.): كنز الدرر وجامع الغرر: ج ٧ ت. د. سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة، ١٩٧٢.
- ج ٨ ت. أولريخ هارمان. القاهرة، ١٩٧١.
- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمير العلائي (ت ٨٠٩ هـ. / ١٤٠٧ م.): الأنتصار لواسطة عقد الأمصار. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ. / ١٣٤٨ م.): تذكرة الحفاظ، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٥ - ١٩٥٨.
- دول الإسلام. ت. فهيم محمد شلتوت، ومحمد مصطفى إبراهيم. القاهرة الهيئة المصرية، ١٩٧٤.

- العبر في خير من غبر. ت. د. صلاح الدين المنجد. الكويت، ٦٠ - ١٩٦٦.
- الرازبي، فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ. / م ١٢٠٩): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. القاهرة، الأزهرية، ١٩٧٨.
- ابن رجب ، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥ هـ. / م ١٣٩٣): الذيل على طبقات الحنابلة. القاهرة، ١٣٧٣ هـ.
- الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ. / م ١١٤٤): القسطاس المستقيم في علم العروض. ت. بهيجة باقر الحسني . بغداد، ١٩٦٩.
- ابن سبعين، أبو محمد عبد الحق (ت ٦٦٩ هـ. / م ١٢٧١): رسائل ابن سبعين. ت. د. عبد الرحمن بدوي. القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٥.
- السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب (ت ٧٧١ هـ. / م ١٣٧٠): طبقات الشافعية الكبرى. بيروت، المعرفة، ط ٢ ، بدون تاريخ.
- السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ. / م ١٤٩٧): الإعلان بالتبسيخ لمن ذم التاريخ . ت. فرانز روزنشال - ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين. بغداد، المثنى، ١٩٦٣.
- _____. القاهرة، القدسي، ١٣٤٩ هـ.
- التبر المسبوك في ذيل السلوك. القاهرة، الأزهرية، بدون تاريخ.
- الذيل على رفع الإصر أبو بغية العلماء والرواة. ت. د. جوده هلال ، ومحمد محمود صبيح. القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٦.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . بيروت، الحياة، بدون تاريخ.
- السمناني ، أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد (ت ٤٩٩ هـ. / م ١١٠٦):

- روضة القضاة وطريق النهاة . د. صلاح الدين الناهي . بغداد، ١٩٧٤.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) / ١٥٠٦ م : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . ت. محمد أبي الفضل إبراهيم . القاهرة، عيسى الحلبي ، ط ١ ، ١٩٦٥ .
 - تاريخ الخلفاء . بيروت ، الثقافة ، بدون تاريخ .
 - التحدث بنعمة الله ت. اليزابيت ماري مارتين . القاهرة، ١٩٧٢ .
 - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي . ت. عبد الوهاب عبد اللطيف بيروت ، دار إحياء السنة ، ط ١ ، ١٩٧٩ .
 - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . ت. محمد أبي الفضل إبراهيم . القاهرة ، عيسى الحلبي ، ط ١ ، ١٩٦٧ .
 - ذيل طبقات الحفاظ . الهند ، دائرة المعارف العثمانية ، بدون تاريخ .
 - طبقات الحفاظ . ت. علي محمد عمر . القاهرة، وهة ، ط ١ ، ١٩٧٣ .
 - نظم العقيان في أعيان الأعيان . ت. د. فيليب حتى . نيويورك ، ١٩٢٧ م .
 - أبو شامة المقدسي، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥ هـ) / ١٢٦٨ م :
 - الروضتين في أخبار الدولتين ، والذيل عليها . بيروت . دار الجليل ، ط ٢ ، ٧٤ .
 - ابن شداد، عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي (ت ٦٨٤ هـ) / ١٢٨٥ م :
 - الأعلاق الخظيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة . ت. دومنيك ، وسامي الدهان . دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ٥٣ - ١٩٦٢ .
 - ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن تميم (ت ٦٣٢ هـ) / ١٢٣٤ م :

- النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين. ت. د. جمال الدين الشيبالي. القاهرة، الدار المصرية، ط ١، ١٩٦٤.
- الشهري، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ. / ١١٥٣ م.): الملل والنحل - على هامش كتاب الفصل لابن حزم الأندلسي.
- الشوكاني، علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ. / ١٨٣٥ م.): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. القاهرة، ط ١، ١٣٤٨ هـ.
- ابن صصري، محمد بن محمد: الدرة المضية في الدولة الظاهرية. ت. د. وليم. م. برینر. كالفورنيا، ١٩٦٣.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٣ هـ. / ١٢٦٣ م.): الوافي بالوفيات: ج ١١ ت. جاكلين سوبيله، وعلى عمارة. فيسبادن، ١٩٨٠. ج ١٢ ت. د. رمضان عبد التواب. فيسبادن، ١٩٧٩.
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان (ت ٦٤٣ هـ. / ١٢٤٥ م.): مقدمة ابن الصلاح . ت. د. عائشة عبد الرحمن. القاهرة، الهيئة المصرية، ١٩٧٦.
- ابن الصيرفي، علي بن داود الجوهري (ت ٩٠٠ هـ. / ١٤٩٤ م.): إنباء مصر بأنباء العصر. ت. د. حسن حبشي. القاهرة، الفكر العربي، ١٩٧٠.
- نزهة النفوس والأبدان في توارييخ الزمان. ت. د. حسن حبشي. القاهرة، دار الكتب، ٧٠ - ١٩٧٤. (٣ ج.).
- الصimirي، أبو عبد الله حسين بن علي (ت ٤٣٦ هـ. / ١٠٤٥ م.): أخبار أبي حنيفة وأصحابه. بيروت، الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٧٦.
- طاش كبرى زادة، أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨ هـ. / ١٥٦١ م.):

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. ت. كامل كامل بكري، وعبد الوهاب أبي النور. القاهرة، الكتب الحديثة، ١٩٦٨.
- ابن طولون الصالحي، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٧ م) : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية. ت. محمد أحمد دهمان. دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٨١ - ٨٠.
- ابن عباس، الصاحب (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) : نصرة مذهب الزيدية. ت. ناجي حسن. بغداد، ١٩٧٧.
- ابن العربي، محبي الدين محمد بن علي (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) : إنشاء الدوائر الإحاطية. ليدن، ١٣٣٩ م.
- علي باشا مبارك.
- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة. بولاق، ١٣٠٥ هـ.
- العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) : الفريح القسي بالفتح القدسي. ت. محمد محمود صبيح. القاهرة، القومية، ١٩٦٥.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحفي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.
- القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م) : الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع. ت. السيد أحمد صقر. القاهرة، دار التراث، ١٩٧٨.
- الغزي، تقى الدين بن عبد القادر التميمي الداري (ت + ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٧ م+) :

- الطبقات السنية في ترجم الحنفية. ت. عبد الفتاح أحمد الحلو. القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٠.
- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ. / ١٣٣١ م.):
 - تقويم البلدان. ت. رينود، وماك كولين ديسلان. بغداد، المثنى، بدون تاريخ.
 - المختصر في أخبار البشر. القاهرة، الحسينية، ط ١، ١٣٢٥ هـ.
 - ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٥ م.):
 - تاريخ ابن الفرات (مج ٩) ت. د. قسطنطين زريق. بيروت، الجامعة الأمريكية، ٣٦ - ١٩٣٨.
 - ابن فهد المكي، تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد (ت ٨٧١ هـ. / ١٤٦٧ م.):
 - لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ. الهند، دائرة المعارف العثمانية، بدون تاريخ.
 - ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكتسي (ت ١٠٢٥ هـ. / ١٦١٦ م.):
 - ذيل وفيات الأعيان المسمى «درة الحجال في أسماء الرجال». ت. محمد الأحمدي أبي النور. القاهرة، التراث، ١٩٧٠.
 - ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن محمد (ت ٨٥١ هـ. / ١٤٤٨ م.):
 - تاريخ ابن قاضي شهبة (مج ١). ت عدنان درويش. دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٧.
 - ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ. / ٨٨٩ م.):
 - المعارف، د. ثروت عكاشه. القاهرة، المعارف، ط ٢، ١٩٦٩.

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م.): آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت، صادر، ١٩٦٩.
- القلقشندی، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م.): صبح الأعشى في صناعة الإنسا. القاهرة، تراثنا، بدون تاريخ.
- ابن كثير، أبو الفدا اسماعيل (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م.): الباعث الحيث في إختصار علوم الحديث. بيروت، الفكر العربي، بدون تاريخ.
- البداية والنهاية. بيروت، المعارف، ط ١، ١٩٦٦.
- مجير الدين الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٢٧ هـ + ١٥٢١ م.): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. عمان، المحتسب، ١٩٧٣.
- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣٢ م.): أزهار الرياض في أخبار عياض. ت. مصطفى السقا وغيره. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩. (ج ١).
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. ت. د. إحسان عباس. بيروت، صادر، ١٩٦٨.
- المقريزي، تقى الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م.): البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب. ت. عبد المجيد عابدين. القاهرة، عالم الكتب، ط ١، ١٩٦١.
- الخطط المقريزية «المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار». بولاق، ١٢٧٠ هـ.
- السلوك لمعرفة دول الملوك. ت. د. محمد مصطفى زيادة، ود. سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة، مختلفة.

- الملطي ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (ت ٣٧٧ هـ . / م ٩٨٧) :
- التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع . بغداد، المثنى ، ١٩٦٨ .
- ابن منظور، جميل الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ . / م ١٣١١) :
- لسان العرب . القاهرة، المعارف ، بدون تاريخ .
- مؤرخ شامي مجهول :
- حوليات دمشقية . ت . د . حسن حبشي . القاهرة، الأنجلو ، ١٩٦٨ .
- النعيمي ، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧ هـ . / م ١٥٢١) :
- الدارس في تاريخ المدارس . ت . جعفر الحسيني . دمشق، المجمع العلمي ، ٤٨ - ١٩٥١ .
- ابن هداية الله الحسيني ، أبو بكر (ت ١٠١٣ هـ . / م ١٦٠٦) :
- طبقات الشافعية . ت . عادل نويهض . بيروت ، الأفاق الجديدة ، ط ١ ١٩٧١ .
- اليافعي ، عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨ هـ . / م ١٣٦٧) :
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان . بيروت الأعلمي ، ط ٢ ، ١٩٧٠ .
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ . / م ١٢٢٨) :
- معجم البلدان . بيروت ، صادر ، ١٩٧٧ .
- المشترك وضعماً والمفترق صقعاً . بغداد، المثنى ، بدون تاريخ .

المراجع

أ - المراجع العربية:

- أحمد أحمد بدوي. الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام . القاهرة، نهضة مصر، ١٩٧٢ م.
- أحمد السعيد سليمان - الدكتور. تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة. القاهرة، المعارف، ١٩٧٢ م.
- أحمد صادق الجمال. الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي . القاهرة، القومية ، ١٩٦٦ م.
- أحمد مختار العبادي - الدكتور. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام . بيروت ، النهضة العربية ، ١٩٦٩ م.
- بشار عواد معروف - دكتور. الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام . القاهرة الخليبي ، ط ١ ، ١٩٧٦ م.
- جاستون فييت. القاهرة مدينة الفن والتجارة. تر. د. مصطفى العبادي . بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٦٨ م.
- حسن الباشا - دكتور. الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والأثار . القاهرة، النهضة العربية ، ١٩٧٨ م.
- _____. الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية . القاهرة، النهضة العربية ، ١٩٦٥ م.

- حكيم أمين عبد السيد - الدكتور. قيام دولة المالكية الثانية. القاهرة، القومية، ١٩٦٦ م.
- ستانلي لينبول. طبقات سلاطين الإسلام. تر. مكي طاهر الكعبي. بغداد، البصري، ١٩٦٨ م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور - دكتور. العصر المالكي في مصر والشام. القاهرة، النهضة العربية، ط ١، ١٩٦٥ م.
- _____. المجتمع المصري في عصر سلاطين المالكية القاهرة، النهضة العربية، ط ١، ١٩٦٢ م.
- _____. مصر في عصر دولة المالكية البحرينية. القاهرة، النهضة العربية، بدون تاريخ.
- شاكر محمود عبد المنعم - الدكتور. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة ج. ١. بغداد، الأوقاف، ١٩٧٨ م.
- عبد العزيز الدوري - الدكتور. بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب. بيروت، الكاثوليكية، ١٩٦٠ م.
- علي إبراهيم حسن - الدكتور. استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط. القاهرة، النهضة المصرية، ط ٣، ١٩٨٠ م.
- فرانتز روزنثال - الدكتور. علم التاريخ عند المسلمين. تر. د. صالح أحمد العلي. بغداد، المثنى، ١٩٦٣ م.
- _____. مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. تر. د. أنيس فريحة. بيروت، الثقافة، ط ٣، ١٩٨٠ م.
- فؤاد عبد المعطي الصياد - الدكتور. مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني. القاهرة، الكاتب العربي، ط ١، ١٩٦٧ م.
- مارغوليوس - المستشرق. دراسات عن المؤرخين العرب. تر. د. حسين نصار. بيروت، الثقافة، بدون.

- محمد عبد الله عنان . ابن خلدون حياته وتراثه الفكري . القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٣ ، ١٩٦٥ م.
- محمد مصطفى زيادة - الدكتور . المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي القرن التاسع الهجري . القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٤ م.

المقالات والدوريات

- فؤاد سيد. شروط المؤرخ في كتابة التاريخ والتراث، خمس فتاوى لم تنشر لخمسة من أعلام القرن التاسع الهجري. القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، مع ٢.
- كوركيس عواد. استدراك على مقال محمد راغب الطباطبائي. دمشق، مجلة المجمع العلمي العربي، مج ١٧ - ١٩٣٧.
- محمد راغب الطباطبائي. مخطوطات ومطبوعات إنباء الغمر بأنباء العمر. دمشق، مجلة المجمع العلمي العربي، مج ١٦ - ١٩٣٧.
- محمد مصطفى زيادة. بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك. القاهرة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة (فؤاد الأول)، مج ٤ - ج ٢، ط ٢، ١٩٥٣.
- يوسف أبكار روبيج أوربلي. جداول التحويل لسنوات الهجرة إلى السنوات الميلادية تر. د. حسين قاسم العزيز. بغداد، مجلة المورد، مج ٣ ج ٤ - ١٩٧٤.

فهرست المحتوى

الإهداء ٥

فاتحة البحث ٧

الباب الأول

ابن حجر العسقلاني - دراسة حياة ١١
الفصل الأول - نشأته وتكوينه ١٣
الفصل الثاني - شيوخه وأساتذته ٢٧
الفصل الثالث - رحلاته ٣١
الفصل الرابع - وظائفه ٥٦
الفصل الخامس - حياته الإجتماعية ٨٠
الفصل السادس - علاقاته بشخصيات عصره ٨٩
الفصل السابع - مقومات شخصيته ٩٩
الفصل الثامن - مرضه ووفاته ١٠٦

الباب الثاني

منهج «ابن حجر العسقلاني» في كتابه «الإنباء» ١١١
الفصل الأول - الخطة العامة للإنباء ١١٣
الفصل الثاني - طبيعة الكتاب وأسس انتقاء مادته ١٤٠
الفصل الثالث - العلاقة بين الترجم ومحوادث في الإنباء ١٨٣
الفصل الرابع - مصادر مادة الإنباء ١٩٧

الفصل الخامس - النقد التاريخي في الأنباء	٢٤٢
الفصل السادس - العلاقة بين الأنباء والمؤلفات التاريخية	
الأخرى لابن حجر	٢٧١
(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة	٢٧٣
(٢) ذيل الدرر الكامنة	٢٨١
(٣) رفع الإصر عن قضاة مصر	٢٩٢
(٤) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس	٢٩٩
الخاتمة	٣٠٩
مصادر البحث ومراجعه	٣١٩